الدُّرُّ المنضُودُ

في الإصلاحِ والتَّغييرِ المنشُودِ

تأليف

السيد مراد سلامة

إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف

المكتبة المرادية

الدُّرُّ المنضُودُ

في الإصلاحِ والتَّغييرِ المنشُودِ

تأليف

السيد مراد سلامة

إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف

المكتبة المرادية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده وستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) [آل عمران/١٠٢]﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) [النساء/١]﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آَذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) [الأحزاب/٦٩-٧١]﴾

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ،وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة ،وكل ضلالة في النار .

أخي المسلم في ظل هذه الظروف التي يمر بها العالم الإسلامي ووسط هذه الثورات علت كثير من الرايات كلها تدعي الإصلاح و تريد أن تقود سفينة الأمة وفق آرائهم و معتقداتهم ،فمن هؤلاء العلماني الذي يريد أن يفرض على المسلمين ما اعتقده من زبالة آراء الملحدين و هدفه من ذلك تنحية الدين و محارب القران الكريم و الصد عن سبيل الله تعالى، فهؤلاء هم الدعاة الذين وصفهم النبي – صلى الله عليه وسلم- فعن أبي إدريس الخولاني " أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول :كان الناس يسألون الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يد ركني، .... دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا (١) الحديث" همهم وغايتهم خلخلة القيم الراسخة في المجتمع الإسلامي من الإخوة والطهر والعفاف وحفظ العهود والتكافل وأحاسيس الجسد الواحد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستبدال ذلك بالقطيعة والتفريق والإباحية ونشر الرذيلة في المجتمع الإسلامي، وتسخير ما في أيديهم من إذاعة وتلفزيون ومجلات وجرائد وغيرها من الوسائل لتحقيق غاياتهم في أبناء المجتمع المسلم .

---

١ – أخرجه البخاري ٤/٢٤٢(٣٦٠٦). و"مسلم" ٦/٢٠(٤٨١٢) و"ابن ماجة" ٣٩٧٩ م

و منهم اللبرالي الليبرالية (: Liberalism) اشتقت كلمة ليبرالية من ليبر liber وهي كلمة لاتينية تعني الحرية. فالليبرالية تعني التحرر.

وفي أحيان كثيرة تعني التحرر المطلق من كل القيود مما يجعلها مجالا للفوضى.
فهم يريدون الحرية من كل القيود ومن المعتقدات والعادات وهي أن يُصبح الإنسان بهيمة في مسلاخ بشر، فالزنا حرية والكفر حرية والشذوذ الجنسي حرية والاختلاط حرية وشرب الخمور حرية ...

ومنهم من يدعوا إلى الشيوعية التي بادت مع انهيار دولتها، ولكن ما زال لها في عالمنا الإسلام فلول ضالة تدعوا إليها وتعزف على وترها الأخير ...

ومنهم من يدعوا إلى التشيع وبث أفكاره وآراءه عبر الفضائيات والمجالس الصوفية ...

و كل هؤلاء ما يحملون في حقائبهم إلا الزيغ و الضلال و لا أجد لهم مثالا إلا كحاطب ليل يجمع ما يضره و يحكم بما لم يرى، فهؤلاء ظهروا لنا في صورة المصلحين الناصحين حالهم حال فرعون اللئيم عندما قال في موسى الكليم { {وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ } [غافر: ٢٦]

لذا كان لزاما وأجل مسمى على أبناء الأُمة من الدعاة المخلصين والعلماء الربانين وطلبة العلم الناشطين أن يبينوا للناس عورهم وأن يأخذوا بأيدي أبناء الأمة إلى الصراط المستقيم وإلى النهج القويم، وأُمة الإسلام أُمة ولادة في كل العصور وعلى مر الدهور، فقد تصدى لهؤلاء كوكبة من العلماء الناصحين المخلصين فجابوا البلاد وبصروا العباد وها أنا ذا أسير خلفهم وانتهج منهجهم المنبثق من الكتاب والسنة حالي كما قال الشاعر:

أسير خلف ركاب النجب ذا عرج مؤملا كشف ما لاقيت من عوج

فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا فكم لرب الورى في ذاك من فرج

وإن بقيت بظهر الأرض منقطعا فما على عرج في ذاك من حرج

وأضع بين يدي أبناء الأُمة هذا الكتاب الذي سميته **{الدر المنضود في الإصلاح والتغيير المنشود}**

والله تعالى أسال أن أكون قد وضعت إشارة على طريق الإصلاح وجاءت الدراسة في ثمانية أبواب وهي:

الباب الأول تعريف الإصلاح والمصلحين: وفي هذا الباب نقف مع مفهوم الإصلاح في اللغة والاصطلاح ثم نبين الحكم الشرعي للإصلاح، وبعد ذلك نتعرف على نهي العباد عن الفساد والإفساد وكما أن للمصلحين طرق ومناهج للإصلاح، فإن للمفسدين سبل وطرائق للإفساد وعلى الناس أن يتبعوا سبيل المصلحين ويجتنبوا سبل المفسدين. قال -تعالى -: ((ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون)) [الشعراء/ ١٥٢].

الباب الثاني: مصدر الإصلاح وفي هذا الباب أضع بين يدي القارئ مصدر الإصلاح لكل فساد عمَّ العباد والبلاد فنتعرف على أنه لا سبيل للإصلاح إلا كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم –

هذا هو القرآن دستور الهدى فيه الصلاح لطارف وسديد

قرآننا سر النجاة لنا بما يحويه من وعد لنا ووعيد

أفتؤمنون ببعضه وببعضه تتهاونون أذاك فعل رشيد

ثم نتعرف على خصائص الشريعة الإسلامية وأنها ربانية شمولية صالحة لكل زمان ومكان وخصائص الشريعة الإسلامية تحقق السعادة للبشرية مؤمنها وكافرها فتحت ظلالها الحرية التي لا تتعارض مع كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – والتي اعترف بها الأعداء والفضل ما شهدت به الأعداء.

الباب الثالث: أدعياء الإصلاح والتغيير: أخي المسلم: إن هناك كثير من الرايات قد رفعت وكلهم يدعي الإصلاح، ولكن كثير من هؤلاء أدعياء فهم لا يحملون إلا كل شر وفساد، وإن لبسوا لنا جلود الضأن فإن سمياهم في وجوههم ويُظهره الله على فلتات ألسنتهم كما قال الله تعالى {وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} [محمد: ٣٠] وكما قال الشاعر:

وإذا الذئاب استنعجت لك مرَّةً فحذار منها أن تعود ذئابا

فالذئب أخبث ما يكون إذا بدا متلّبساً بين النعاج إهابا

وفي هذا الباب أضع بين يدي القارئ صورا من أدعياء الإصلاح في القديم والحديث حتى لا يغتر قوم بمعسول الكلام ونعومة الملمس فهم كالحية ناعمة ملمسها قاتل سمها

الباب الرابع :الإصلاح العقدي للفرد و المجتمع و إذا بدأنا طريق الإصلاح فلابد أن يكون على نهج الأنبياء و الأصفياء فطريقهم قد رسمه لهم ربهم - سبحانه و تعالى - و أول أسس الإصلاح صلاح العقيدة ، و المتأمل لواقع العالم وواقع الأُمة يجد انحرافا كبيرا عن الاعتقاد الصحيح،

فنهاك شرخ كبير و جرح عميق و داء عضال عند كثير من الناس في أصل عقيدته و ذلك كما قال ربنا – سبحانه و تعالى {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ } [يوسف: ١٠٦] فنهاك ولاء لغير الله ،ولاء للأعداء ،و هناك براء واضح من المؤمنين، و انقلبت الموازين فأصبح العدو صديقا و الصديق عدوا ... و هناك توسل بغير الله و نذر و طواف و حلف بغير الله ... كلها انحرافات عقيدية واجب على الأمة إصلاحها حتى تكون على بينة من أمر دينها ،وهذا هو سبيل الأنبياء و المرسلين "كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة "

الباب الخامس: الإصلاح الأخلاقي: إن الأخلاق هي أساس سعادة الأمم وسر تقدمها وعنوان طهارتها، ولم لا والنبي –صلى الله عليه وسلم – علل مجيئه بتمام مكارم الأخلاق عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ "(١)

ولقد أصيبت الأخلاق كما أصيبت العقائد من لوث فكري وانحلال أخلاقي فظهر التبرج والسفور بدعوى الحرية وظهر الشذوذ بدعوى الحرية وظهر العقوق والطلاق والاغتصاب، بعدما أصبحت الفضيلة عندهم رذيلة، فعم الفساد وأصبح للنخاسة سوق تعرض فيه النساء عاريات أو شبه عاريات وأُلجم المصلحون بلجام العنف والقهر ... فكان لسان حالهم {أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} [النمل: ٥٦]

فجاء هذا الباب ليبين للأُمة محض الصواب و يصف لها الداء و يبين لها أسبابه ثم يصف لها الدواء و لسان الحال {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } [هود: ٨٨]

الباب السادس: الإصلاح الاجتماعي: أما الحالة الاجتماعية فيرثى لها كل من آمن برب البرية، أُسر ممزقة وقضايا معلقة وأطفال أصبحوا يتامى بعد الشقاق والخلاف، أبناء لا يعرفون إلا العقوق ولا هم لهم إلا المروق، إدمان للمخدرات ومسارعة في نيل الشهوات وترك للجمع والجماعات ودمار للأُسر وعار يلحق بالبنين والبنات، ... فقر وفاقة وأُناس لا يجدون الطعام وآخرون غرق في الهيام والغرام، عراة لا يجدون الكساء وآخرون لا يشكرون النعماء.... عصبيات قبلية وأُخرى وطنية وثلاثة لغوية ... تفرق فاق الخيال وأذهل أولوا النهى من الرجال ....

فجاء هذا الباب لينادي أولي النهى و الألباب عليكم بالسنة و الكتاب ففيهما مخرج من كل أزمة مالية أو فاجعة اجتماعية فيجد القارئ الكريم القوانيين الربانية و الإشارات المحمدية تنادي على الجميع {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩) إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ

---

١ – أخرجه أحمد (٣٨١/٢، رقم ٨٩٣٩)، وابن سعد (١٩٢/١). وقال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٣٤٩ في صحيح الجامع

بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [النحل: ٨٩، ٩٠]

الباب السابع : إصلاح التعليم : فإذا انتقلنا إلى ميدان آخر لنرى ماذا حل به لرأينا بنيانا قد تهدمت قوائمه و تبعثرت لبناته فأصبح مأوى للخفافيش و هوام الليل ، إنها المنظومة التعليمة التي ضربها المفسدون في مقتل فسلبوا أجمل ما فيها واستوردوا لنا أقبح ما عند الغرب ، فقد عمل المفسدون في الفترة الأخيرة على تعريت التعليم من كل ما هو إسلامي فحذفوا من المناهج الآيات القرآنية التي تبني الشخصية المسلمة القوية ، ووضعوا فيها ما يخالف العقيدة و ما ينشر روح الميوعة و الانحلال و أمسى الطالب يتخرج من الجامعة و هو لا يعرف عن دينه و لا عن نبيه – صلى الله عليه وسلم- شيئا بل لا يحسن أمر دنياه فضلا عن أمر دينه و أُخراه لذا وضعت بين يدي القارئ عدة فصول :

الفصل الأول مكانة التعليم في الإسلام: وعرفت المسلم مكانة التعليم في الإسلام وكيف أن الإسلام هو دين العلم وبالعلم ترقى الأمم.

الفصل الثاني: صور من فساد وإفساد المنظومة التعليمية: ووضعت بين يدي القارئ ما حل بالتعليم من زيف وتحريف وإخلال بالمناهج وكيف أنهم فرغوا التعليم من كل ما هو إسلامي

الفصل الثالث برنامج إصلاح المنظومة التعليمية: وفي هذا الفصل وضعت بين يدي القارئ المنهج المقترح لإصلاح التعليم والرقي بالمعلم وبينت أن الرقي بالتعليم ليس مهمة المدرسة فحسب بل هو مسؤولية الفرد والأسرة والمدرسة والدولة فهم جميعا شركاء في النهوض بالمنظومة التعليمة

الباب الثامن الإصلاح الإداري: و في هذا الباب نتحدث عن قضية من القضايا الخطيرة ألا و هي قضية الفساد الإداري التي ضرب جميع مؤسسات المجتمع المسلم في العقود الثالثة الماضية، من رشوة و محسوبية و واسطة و استغلال المنصب لكسب غير مشروع ... فوضعت بين يدي القارئ أرقاما مذهلة إن دلت فإنما تدل على تفشى الفساد و علو صوت المفسدين و نتعرف في هذا الباب على العوامل و الأسباب التي فرخت المفسدين ... ثم نتعرف على وسائل الإصلاح و كيف يكون هناك صلاح في جميع الهيئات و ذلك من خلال كتاب رب الأرض و السموات

فالله تعالى أسأل أن تكون هذه لبنة في إصلاح الفرد والمجتمع وأن ينفع بها المسلمين والمسلمات وأن تكون سببا في رجوع الأمة إلى مصدر سعادتها وسر قوتها وحياة أرواحها، وأن يرزقنا حسن الختام.

أبو همام/ السيد مراد سلامة

الباب الأول
تعريف الإصلاح والمصلحين

{إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨]

اقرأ في الصفحات الآتية

- **تعريف الإصلاح.**
- **الحكم الشرعي للإصلاح.**
- **النهي عن الإفساد والفساد.**
- **مضار الفساد.**

الباب الأول
تعريف الإصلاح والمصلحين

اعلم -علمني الله وإياك-: أنه ينبغي لأي كاتب يتعرض لقضية من القضايا أن يُبن معنى تلك القضية وأن يبن للقارئ مدلولها اللغوي والشرعي وانطلاقا من ذلك المبدأ نقف مع بيان معنى الإصلاح وبيان مفهوم الفساد:

أ -الإصلاح:

الإصلاح في اللغة: يقول العلامة ابن منظور – رحمه الله-في مادة (صلح): الصَّلاح ضدّ الفساد صَلَح يَصْلَحُ ويَصْلُح صَلاحاً وصُلُوحاً وأَنشد أَبو زيد

فكيفَ بإِطْراقي إِذا ما شَتَمْتَني؟ وما بعدَ شَتْمِ الوالِدَيْنِ صُلُوحُ)(١)

وهو صالح وصَلِيحٌ الأَخيرة عن ابن الأَعرابي والجمع صُلَحاءُ وصُلُوحٌ وصَلُح كصَلَح

قال ابن دريد وليس صَلُحَ بثَبَت ورجل صالح في نفسه من قوم صُلَحاء ومُصْلِح في أَعماله وأُموره وقد أَصْلَحه الله

والإصلاح: نقيض الإِفساد والمَصْلَحة الصَّلاحُ والمصلحة واحدة المصالح والاسْتِصْلاح نقيض الاستفساد وأَصْلَح الشيءَ بعد فساده أَقامه وأَصْلَحَ الدابة أَحسن إِليها فَصَلَحَتْ

وفي التهذيب تقول أَصْلَحْتُ إِلى الدابة إِذا أَحسنت إِليها، والصُّلْحُ تَصالُح القوم بينهم والصُّلْحُ السِّلْم) (٢)

يقول الأزهري – رحمه الله-: في مادة: فسد

قال الليث: الفَساد: نقيض الصَّلاح، والفعل فَسَد يَفْسُدُ فساداً.

قلت: ولغة أخرى: فَسُد فُسُوداً.

وقوله الله جل وعز: {ويَسْعَوْنَ في الأَرْضِ فَسَاداً} نصب فساداً لأنه مفعول له، كأنه قال: يسعون في الأرض للفساد.

ويقال أفسَدَ فلان المال يُفسِدُه إفسادا وفساداً {والله لا يُحِبُّ الفساد} وفَسَّد الشيء إذا أباره.

وقال أبو جندب:

وقلتُ لهمْ قد أدركَتْكُمْ كتِيبَةٌ مُفَسَّدةُ الأَدْبارِ ما لَمْ تُخَفّرِ

أي إذا شدت على قوم قطعت أدبارهم ما لم الأدبار، أي ما لم تمنع واستفسد السلطان قائده: إذا ساء إليه حتى استعصى عليه. (٣)

بيان الحكم الشرعي للإصلاح

اعلم علمني الله و إياك : أن الإصلاح فرض واجب أوجبه - الله تعالى- على عباده بل إنه - سبحانه و تعالى - ما أرسل الرسل إلا من أجل الإصلاح و إرشاد العباد إلى خيري الدنيا و الآخرة ، فالإصلاح مهمة الأنبياء و الأصفياء من العلماء الربانيين و الدعاة المخلصين حيث أوجب الله تعالى ذلك تحت مسمى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجاء الأمر به في نصوص كثيرة،

---

١ – إصلاح المنطق ١٢٤.

٢ –لسان العرب ٢/ ٥١٦]

٣ – تهذيب اللغة ٤/ ٢٦٦،

والله -جل وعلا - علق خيرية هذه الأمة على أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، وقد عد بعض العلماء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلاً من أصول الإسلام، فقال: أصول الإسلام ستة:
الأول: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله،
الثاني: إقام الصلاة، الثالث: إيتاء الزكاة، الرابع: صوم رمضان، الخامس: حج البيت، السادس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجعله أصلاً من أصول الإسلام، واستدل على هذا بالآيات والأحاديث الكثيرة.
وأهل العلم من أهل السنة يعلمون أن هذا واجب، وأنه يتعين على كل من يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يفعل ذلك؛ لقول الله جل وعلا: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران:١٠٤] فهذا يدل على أن الفلاح خاص بهم، وأن من عداهم يكون غير مفلح بل هو خاسر.
وكذلك قوله جل وعلا: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ } [آل عمران:١١٠] والخيرية هي من أجل هذا.
وكذلك قوله جل وعلا: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ} [التوبة:٧١] فجعل ولاية بعضهم لبعض في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، والنصوص في هذا كثيرة في كتاب الله - جل وعلا - ، وفي أحاديث رسوله -صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه- عن النبي - صلى الله عليه وسلم -أنه قال: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) (١)
يعني: إنكار المنكر بالقلب، فتبين بهذا أن إنكار المنكر فرض، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا أصل عظيم، والعلماء قد تكلموا وكتبوا فيه كثيراً، ويجب على طالب العلم أن يطلع على الأمور التي لابد منها في هذا؛ ولهذا قال: (على ما توجبه الشريعة) لأن هناك أموراً كثيرة تتعلق بالأمر بالمعروف يجب أن يطلع عليها ، ومتى أخلت بهذا الشرط سلبت هذه الخيرية، وأوشك أن ينزل بها العذاب، كما حكى النبي -صلى الله عليه وسلم- ذلك عن بني إسرائيل، حيث قال: " إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل، أن كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم على بعض.
ثم قال: { لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ *كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ } الآيات، ثم قال: كلا والله لتأمرُنَّ بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا، ولتقصرنه على الحق قصرا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم بعضا، ثم يلعنكم كما لعنهم "(٢).
وقال الله تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا} [النساء: ٣٥]

١- أخرجه أحمد ٣/١٠(١١٠٨٩) و"عبد بن حميد" ٩٠٦ و"مسلم" ١/٥٠(٨٧) و"أبو داود" ١١٤٠ و"ابن ماجة" ١٢٧٥ و٤٠١٣

٢ – أخرجه أبو داود برقم (٤٣٣٦). والترمذي برقم (٣٠٤٧) بنحوه. وابن ماجه برقم (٤٠٠٦) بنحوه عن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–.

و يقول تعالى {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨]

النهي عن الإفساد والفساد

قال الكفويّ: الإفساد هو جعل الشّيء فاسدا خارجا عمّا ينبغي أن يكون عليه وعن كونه منتفعا به، وهو في الحقيقة: إخراج الشّيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح «[1]».

حكم الفساد (أو الإفساد في الأرض: يقول ابن حجر بعد أن ذكر الآية الكريمة {إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً (المائدة/ ٣٣)}: كما ذكر اللّه تعالى تغليظ الإثم في قتل النّفس بغير حقّ، والإفساد في الأرض أتبعه ببيان نوع من أنواع الفساد في الأرض وذكر أنّ عدّ هذا الفساد كبيرة هو ما صرّح به جمع، وصرّح بعضهم أنّه بمجرّد قطع الطّريق وإخافة السّبيل ترتكب الكبيرة، فكيف إذا أخذ المال، أو جرح، أو قتل، أو فعل كبائر «[2]»

ومن معاني كلمة «الفساد» في القرآن الكريم:

أحدها: المعصية. ومنه قوله تعالى: {وَإِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ}(البقرة/ ١١)

والثّاني: الهلاك، ومنه قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا}. (الأنبياء/ ٢٢)

الثّالث: الخراب، ومنه قوله تعالى: {إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها} (النّمل/ ٣٤) (هود/ ١١٦)

الرّابع: المنكر، ومنه قوله تعالى {أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسادِ فِي الْأَرْضِ}. [هود: ١١٦]

الخامس: السّحر، ومنه قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ}.(يونس/ ٨١)

قال ابن القيّم رحمه اللّه في قوله تعالى: { وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها} (الأعراف/ ٥٦):

قال أكثر المفسّرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي، والدّعاء إلى غير طاعة اللّه، بعد إصلاح اللّه لها ببعث الرّسل، وبيان الشّريعة، والدّعاء إلى طاعة اللّه، فإنّ عبادة غير اللّه والدّعوة إلى غيره والشّرك به هو أعظم فساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنّما هو بالشّرك به ومخالفة أمره، فالشّرك والدّعوة إلى غير اللّه وإقامة معبود غيره، ومطاع متّبع غير رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، هو أعظم فساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلّا بأن يكون اللّه وحده هو المعبود المطاع، والدّعوة له لا لغيره، والطّاعة والاتّباع لرسوله ليس إلّا، وغيره إنّما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم. فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع له ولا طاعة. ومن تدبّر أحوال العالم وجد كلّ صلاح في الأرض فسببه توحيد اللّه وعبادته وطاعة رسوله، وكلّ شرّ في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدوّ وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله، والدّعوة إلى غير اللّه ورسوله «[3]».

والمتأمل في حديث القرآن عن الفساد والفاسدين أو الإفساد والمفسدين، سيجد أن إيقاع الفساد من قبل البشر يأتي على مراتب:

---

١ – الكليات للكفوي (١٥٤).

٢ – الزواجر (٥٦٥، ٥٦٨)، وانظر أيضا الكبائر للذهبي (١٠٠).

٣ – فتح المجيد (٣٩٥).

المرتبة الأولى: إفسادهم أنفسهم بالإصرار على المعاصي وما يترتب عليها من مفاسد أخر.
فكل معصية إفساد قال -تعالى -عن فرعون: {آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } [يونس: ٩١] وكل تولٍ عن الحق إفساد قال - تعالى -: {مِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ} [يونس: ٤٠] وكل إعراض عن الإيمان إفساد، قال - تعالى -: { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ } [آل عمران: ٦٣].
المرتبة الثانية من الإفساد: ما يلحق بالذرية والأبناء والأتباع في اقتدائهم بالكبار المتبوعين في مساويهم. ولهذا قال نوح -عليه السلام -: {إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا } [نوح: ٢٧]
المرتبة الثالثة: إفساد الدائرة المحيطة بالمفسدين عن طريق بث أخلاق وصفات ودعاوى الفساد، وذلك بالإسراف في المعاصي حتى يتعدى أثرها إلى غير أصحابها، ولهذا قال صالح - عليه السلام - ناهياً قومه عن التأثر بالمفسدين: {وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ } [الشعراء: ١٥١، ١٥٢].
المرتبة الرابعة: إفساد الدائرة الأوسع في المجتمعات عن طريق إشاعة الأمراض الاجتماعية المفسدة بواسطة المضلين مثل إثارة فتن الشبهات والشهوات، والوقوف في وجه المصلحين وإحداث العقبات في طرقهم زعماً بأنهم يقفون ضد مصالح الناس. قال - تعالى -: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ } [البقرة: ١١، ١٢] وقال الملأ المضلون من قوم فرعون: ﴿ {وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ} [الأعراف: ١٢٧].
المرتبة الخامسة: الإفساد الناشئ عن فساد الحكام والقادة والزعماء، وهو الفساد الأكبر، لأن الكبراء إذا فسدوا في أنفسهم فإنهم ينشرون الفساد بقوة نفوذهم واستخدام سلطاتهم وقوتهم وقد ذكر القرآن عن بلقيس قولها {قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} [النمل: ٣٤].
وكثيراً ما يزعم الطغاة المتكبرون أن المصلحين هم أصحاب الفساد. كما قال فرعون عن موسى - عليه السلام -: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ} [غافر: ٢٦] هذا بالرغم من أن فرعون نفسه كان مكثراً من الإفساد بكل أنواعه، ولا تشفع له الأبراج العالية والأصنام المنصوبة والقبور المشيدة فيما يطلق عليه (الحضارة الفرعونية) فإنها جميعاً شواهد على استبداد وسيطرة وطغيان الفراعين الذين كانوا يطمعون أن ينقلوا معهم الثروات المسروقة من الشعوب المستضعفة إلى قبورهم.
وقد وصف القرآن فرعون بالعلو والإفساد في الأرض: {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ} [الفجر: ١٠ -١٢]
ومثلما كان فرعون، مفسداً بنفوذه السياسي والعسكري، فقد كان قارون مفسداً بنفوذه المالي الاقتصادي، وقد كان قادراً على استعمال أمواله في الإصلاح في الأرض، ولكنه أبى إلا أن يستعمل نعمة الله في محاربة الله، وقد قال له الناصحون من قومه: {وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: ٧٧]

- وقد أوسع المتعالون من بني إسرائيل الأرض فساداً، فكلما زاد علوهم زاد فسادهم. قال -تعالى - عنهم: وقضينا إلى بني إسرائيل في. وكثر فسادهم وإفسادهم حتى صار الإفساد ديدنهم، وصار طبيعة فيهم حتى أنهم لا يشعرون بذلك. قال - تعالى -: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ} [البقرة: ١١، ١٢] ولم يفلح معهم العلاج، حتى الوحي المتنزل من السماء لم يمنعهم من الإفساد، بل كانوا يوغلون في الطغيان حتى فيما بينهم، فصاروا ميؤوساً من صلاحهم واستحقوا أن يكونوا الأمة المغضوب عليها إلى يوم القيامة بسبب فسادهم وإفسادهم. قال - تعالى -: {وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } [المائدة: ٦٤].

والفساد في بني إسرائيل لم يكن على مستوى الساسة والقادة والزعماء فقط، بل وصل إلى من يفترض أنهم يقفون في وجه الفساد إصلاحاً وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، فقد سكت علماء الضلالة فيهم عن إنكار المنكر. قال - تعالى -: {تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢} [المائدة: ٦٢]].

إن تلك المراتب الخمس للإفساد في الأرض، قد أحدثها ويحدثها البشر على هذا الكوكب، فالناس لا غيرهم من المخلوقات هم الذين ملأوا الأرض بالفساد حين ضلوا عن مناهج الوحي الإلهي عبر العصور، أما بقية مظاهر الحياة على الأرض فإنها تتأثر بفساد المفسدين من البشر تبعاً. قال -تعالى -: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤١].

إن الصراع الواقع على ظهر الأرض منذ بدأت عليها الحياة البشرية، إنما هو صراع بين المصلحين والمفسدين والعاقبة فيه لأهل الصلاح في الدنيا والآخرة: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص: ٨٣].

للمصلحين طرق ومناهج للإصلاح، كما أن للمفسدين سبل وطرائق للإفساد وعلى الناس أن يتبعوا سبيل المصلحين ويجتنبوا سبل المفسدين.

قال -تعالى {وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ} [الشعراء: ١٥١، ١٥٢]

وقد أوصى موسى -عليه السلام - أخاه هارون حين استخلفه بألا يتبع سُبل المفسدين: ﴿ {وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} [الأعراف: ١٤٢].

فهما صنفان من الناس مصلح أو مفسد ولا يستويان.

قال -تعالى -: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ} [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥]

ولا يمكن أن يستوي أهل الإصلاح وأهل الإفساد في الدنيا ولا في الآخرة. قال - تعالى -: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (} [ص: ٢٨، ٢٩].

أبداً لا يستون: {وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [الرعد: ٢٥]].

وفي تلك الدار، دار البوار، فإن العذاب يضاعف للمفسدين جزاء ما تعدى فسادهم في أنفسهم إلى إفسادهم لغيرهم: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ} [النحل: ٨٨].

وهل بعد ذلك من خسران؟

أبداً، {وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [الرعد: ٢٥].

- إن أثر الفساد والإفساد ليس له حدود لو سارت الأمور على مقتضى أهواء المفسدين، فالكون كله يفسد لو سارت أموره بحسب أهواء أهل الفساد قال - تعالى -: {وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} [المؤمنون: ٧١] ولو لم يقف المصلحون في وجه المفسدين لعم الفساد أرجاء الأرض ولشمل الضلال كل أطرافها، ولكن من رحمة الله أنه يدفع فساد المفسدين بجهاد المصلحين {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} [البقرة: ٢٥١].

إن مسؤولية المصلحين عظيمة، فواجبهم أن يعتصموا بحبل الله جميعاً ضد المفسدين، فالمفسدون مهما تباعدت ديارهم واختلفت ألوانهم وألسنتهم، فإنهم جبهة واحدة وصف واحد ضد الإصلاح والمصلحين.

وما لم يكن للمصلحين صف واحد ضدهم فالفساد سيظل يكبر ويكبر حتى لا يستطيع أحد أن يقف أمامه. قال -تعالى -: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} [الأنفال: ٧٣].

إن الأمل الوحيد في إنقاذ الأرض من المفسدين في كل الأزمنة والأمكنة، يكمن في قيام أهل الحق والإصلاح بمسؤولياتهم أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وجهاداً في سبيل الله:{ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧) لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [هود/ ١١٦ ١١٩]...)([1])

من مضار (الفساد) و اعلم -علمني الله و إياك -: أن للفساد أضرارا خطيرة اذا لم يتداركه الإنسان بالصلاح جره إلى تلك الثمار العلقمية التي تتجرع الأُمم مرارتها بسبب كثرة المفسدين و قلة المصلحين و هاك بيانها:

(١) أعظم درجات الفساد الشّرك باللّه تعالى.

(٢) المنافقون واليهود والنّصارى والمجوس والمشركون ومن شايعهم وماثلهم من ملل الكفر كلّهم فاسدون في معتقداتهم، ومفسدون في مجتمعاتهم.

---

[1] – موسوعة البحوث والمقالات العلمية / ٣

(٣) الفساد في الأرض كقتل النّفس، أو أشدّ ولذا جعل اللّه جزاء الّذين يحاربون اللّه ورسوله ويسعون في الأرض فسادا، أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض. وقد يجمع الحاكم بينها إذا عظم الفساد.
وإنّ عظم الجزاء مع عظم الذّنب.
(٤) إذا كثرت مظاهر الفساد في مجتمع من المجتمعات فقد دنا ما ينتظرهم من سخط اللّه وأليم عقابه.
(٥) المفسد معول هدم في المجتمع.
(٦) تطبيق القوانين الوضعيّة من أعظم الفساد في الأرض.) ([1])

[1] – نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ١١/ ٥٢٦٠

الباب الثاني: مصدر الإصلاح

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: خطَب النبيّ في حجّة الودَاع فقال: ((يا أيّها النّاس، إنّي تركتُ فيكم ما إن اعتصَمتُم به فلن تضلّوا أبداً: كتابَ الله وسنّتي)) ([1])

اقرأ في الصفحات الآتية

*** مصدر الإصلاح القرآن الكريم وسنة النبي الأمين-صلى الله عليه وسلم -.**
*** خصائص الشريعة الإسلامية.**
***صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان.**
*** شبهة (عدم صلاحية القرآن لكل زمان).**

[1] – أخرجه مالك في الموطأ: كتاب الجامع، باب: النهي عن القول بالقدر (١٦٦١) بلاغاً، ووصله الحاكم (٩٣/١)، والدارقطني (٢٤٥/٤)، وابن عبد البر في التمهيد (٣٣١/٢٤)، والبيهقي (١١٤/١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال ابن عبد البر: "وهذا محفوظ معروف مشهور عن النبي عند أهل العلم شهرة يكاد يستغنى بها عن الإسناد"، ثم ذكر له شواهد، وصححه ابن حزم في الإحكام (٢٤٣/٦)، وحسن الألباني إسناد الحاكم في مشكاة المصابيح (١٨٦)، وانظر: السلسلة الصحيحة (٣٦١/٤).

الباب الثاني: مصدر الإصلاح

المصدر الأول القران الكريم:

اعلم علمني الله وإياك: أن مصدر الإصلاح والصلاح ليس إلا في كتاب الله – عز وجل وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم -وأن هذا الكتاب كان دستور الدولة الإسلامية يوم كانت أعظم دول الأرض، وصاحبة السيادة العالمية وأكثرها حضارة ومدنية، بل كان للقرآن العظيم، الفضل الكبير في وصول العرب المتفرقين الأذلاء إلى هذه الدرجة السامية، بما أودع الله تعالى في كتابه من هداية ونور.

يقول سيد قطب رحمه الله -إن هذا القرآن دستور حياة شامل، منسق بحيث يفي بمطالب هذه البشرية في حياتها الفردية والجماعية، ويهديها إلى طريق الكمال في حياة الأرض بقدر ما تطيق، ثم إلى الحياة الأخرى في نهاية المطاف. ومن يدرك القرآن على حقيقته لا يخطر له أن يطلب سواه، أو يطلب تبديل بعض أجزائه.

وأغلب الظن أن أولئك الذين لا يتوقعون لقاء اللّه كانوا يحسبون المسألة مسألة مهارة، ويأخذونها مأخذ المباريات في أسواق العرب في الجاهلية. فما على محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يقبل التحدي ويؤلف قرآنا آخر ، أو يؤلف جزءا مكان جزء؟! {قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [يونس: ١٥]

إنها ليست لعبة لاعب ولا مهارة شاعر. إنما هو الدستور الشامل الصادر من مدبر الكون كله، وخالق الإنسان وهو أعلم بما يصلحه. فما يكون للرسول أن يبدله من تلقاء نفسه. وإن هو إلا مبلغ متبع للوحي الذي يأتيه. وكل تبديل فيه معصية وراءها عذاب يوم عظيم. (١)

إن هذا القرآن دستور حكم و منهج حياة وسبيل عزة و طريق نصر و من حاد عن هديه ضل و خسر وكان من القوم الضالين ، قال تعالى :{ وَأَنْ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنْ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (المائدة : ٤٩)} .

لماذا أنزل الله القرآن؟

أنزل الله القرآن ليضبط بهدايته مسيرة الحياة، ويحكمها بما أنزل الله من الهدى ودين الحق، ويهدي بنوره البشرية للتي هي أقوم، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور. فالقرآن لم ينزله الله ليتلى على الأموات بل ليحكم الأحياء، لم ينزله لزينة الجدران، بل لزينة الإنسان.

وبركة القرآن إنما هي في اتباعه والعمل به، كما قال تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الأنعام: ١٥٥).

فالقرآن هو الدستور الذي يحوي الأصول والقواعد الأساسية للإسلام: عقائده وعباداته، وأخلاقه، ومعاملاته، وآدابه (٢).

يقول د. عبد الرحمن العشماوي

قل للذين تنكبوا درب الهدى جهرا ولم يستمسكوا بعهود

---

١ – [في ظلال القرآن ـ ٣/ ١٧٧١]

٢ –يوسف القرضاوي ، مدخل لمعرفة الإسلام

قل للطغاة ومن مشى في ركبهم من طامع ومنافق ومريد
إن الذي منع الحرام هو الذي شرع الحلال لنا وكل مفيد
هذا هو القرآن دستور الهدى فيه الصلاح لطارف وسديد
قرآننا سر النجاة لنا بما يحويه من وعد لنا ووعيد
أفتؤمنون ببعضه وببعضه تتهاونون أذاك فعل رشيد

إن سعادة البشرية وصلاح البلاد والعباد، مرهون بإتباع هذا الكتاب، فإن كان قائداً إماماً نصب الأعين وبين الأيدي؛ حصلت سعادة الدارين، ونجاة الحياتين، وإن كان خلف الظهور والعياذ بالله! عم الذل والشقاء في الأولى والأخرى، ولو وقفت الأمة تحت رآية القرآن وتفيأت ظلال دوحة الفرقان؛ لنالت سلم المجد، وتبوأت مكانة العزة والشرف والقوة، ولو أنها حافظت عليه وعملت بما فيه؛ لأضاءت لها المسالك، وتفتحت لها المدارك، ولو درس المسلمون كتاب الله ووقفوا عند آياته فأحلوا حلاله وحرموا حرامه، لصاروا سعداء عاجلاً وآجلاً. ([1])

ثانيا: سنة النبي – صلى الله عليه وسلم

سنة النبي -صلى الله عليه و سلم -هي ما أُثر عنه-صلى الله عليه وسلم -من أقواله و أفعاله و تقريراته –صلى الله عليه و سلم - وهي سفينة النجاة من ركبها نجا و فاز في الدارين الدنيا و الآخرة

قال الإمام مالك بن أَنس -رحمه الله تعالى-: (السنَّة سَفينةُ نوح مَن رَكبَها نجَا ومَن تَخَلّفَ عنَها غَرِقَ) ([2])، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.)

ففي سنته صلى الله عليه وسلم الهدى و العز و النصرة إن عزة الإسلام وأهلهِ عزةٌ دائمةٌ، لا يرفعها تأخرُ حضاري، ولا تراجعٌ علمي، ولا انكسارٌ عسكري، ولا تقهقر مادي، نحن الأعزاء بالله إن صدقنا في إيماننا وإسلامنا "ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين"، قال عمر رضي الله عنه ((نحن قومٌ أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزةَ بغيره أذلنا الله)) ([3])

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطَب النبيّ في حجّة الودَاع فقال: ((يا أيّها النّاس، إنّي تركتُ فيكم ما إن اعتصَمتُم به فلن تضلّوا أبداً: كتابَ الله وسنّتي)) حديث إسناده صحيح ([4])

وفي حديث العرباضِ بن سارية رضي الله عنه قال: قام فينَا رسول الله ذاتَ يوم فقال: ((عليكم بتقوى الله والسمعِ والطاعَة وإن تأمَّر عَليكم عبدٌ حبشيّ، وستَرَون بعدي اختلافًا شديداً، فعلَيكم

---

[1] – [دروس للشيخ عبد الرحمن السديس ٤٩/ ٢،]

[2] – الصفدية ١: ٢٥٩ ، و " **مفتاح الجنة" للسيوطي (ص٤٦)**..

[3] – **نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ص: ٦٢–٦٣.**

[4] – أخرجه مالك في الموطأ: كتاب الجامع، باب: النهي عن القول بالقدر (١٦٦١) بلاغاً، ووصله الحاكم (٩٣/١)، والدارقطني (٢٤٥/٤)، وابن عبد البر في التمهيد (٣٣١/٢٤)، والبيهقي (١١٤/١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال ابن عبد البر: "وهذا محفوظ معروف مشهور عن النبي عند أهل العلم شهرة يكاد يستغنى بها عن الإسناد"، ثم ذكر له شواهد، وصححه ابن حزم في الإحكام (٢٤٣/٦)، وحسن الألباني إسناد الحاكم في مشكاة المصابيح (١٨٦)، وانظر: السلسلة الصحيحة (٣٦١/٤).

بسنّتي وسنّةِ الخلفاء الراشدين المهديّين، عضّوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم والأمورَ المحدثاتِ، فإنَّ كلّ بدعةٍ ضلالة)) رواه أبو داود والترمذي وقال: "حديث حسن صحيح"([1]).

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والإنسانُ في نظَره مع نفسِه ومناظرتِه لغيره إذا اعتصَم بالكتابِ والسنّة هداه الله إلى الصّراط المستقيم، فإنَّ الشريعة مثلُ سفينةِ نوح، من ركبَها نجَا، ومن تخلّف عنها غرِق" انتهى ([2])

قال أبو ذر رضي الله عنه: "لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما من طائر يطلب جناحه في السماء إلا ذكر لنا منه علما ".

خصائص الشريعة الإسلامية

اعلم -علمني الله وإياك-: أن المصدر الرئيس للإصلاح هو شرع الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذه الشريعة لها خصائص لا توجد في شريعة ولا منهج على وجه الأرض غيرها وإليك البيان من كتاب الرحمن و سنة النبي العدنان

أولاً: الشريعة الإسلامية شريعة ربانية منزلة من عند الله: وكل ما فيها من عند الله؛ إما نصًا أو تفصيلاً، وإما استنباطًا من نص أو قياسًا عليه، ووسائل الاستنباط والقياس منصوص عليها في الكتاب والسنة، وأقوال الفقهاء.

فالمسلم يستمد شرائعه المختلفة من مصدرين أصيلين، هما القرآن الكريم الذي أوحاه الله بحروفه، ثم السنة النبوية، وهي أقوال النبي وأفعاله و تقريراته التي أمر الله بالتأسي بها بقوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر: ٧] [الحشر: ٧] فالنبي يحمل رسالة الله إلى الناس، وما يقرره بقوله وفعله إنما هو بوحي الله وأمره {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: ٣-٤].

ومن هذين المصدرين وتأسيساً على قواعدهما اشتق العلماء عدداً من المصادر الفرعية للشريعة كالإجماع والقياس والاستصحاب والاستحسان والعرف وغيرها.

والخروج عن هذه المصادر إلى أحكام البشر إنما هو تحاكم إلى الهوى ومشاركة لغير الله في إحدى خصائصه تبارك وتعالى {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: ٥٤] فكما خلق وحده فإنه يشرع وحده.

ومشاركة غيره له في التشريع اعتداء على حق الله بالتشريع، وهو استعباد لخلق الله، لذلك لما دخل عدي بن حاتم على النبي –صلى الله عليه وسلم- سمعه يقرأ قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: ٣١] فاستغرب عدي ، حتى فسَّره النبي بقوله: ((أما إنهم لم

---

[1] – أخرجه أحمد (٤/١٢٦–١٢٧)، وأبو داود في السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم (٢٦٧٦)، وابن ماجه في المقدمة (٤٦)، والدارمي في مقدمة سننه (٩٥) وغيرهم، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"، وصححه ابن حبان (١/١٧٩)، والحاكم (١/٩٥–٩٦)، ووافقه الذهبي، ونقل ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/١٠٩) عن أبي نعيم أنه قال: "هو حديث جيد من صحيح حديث الشاميين"، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٧).

[2] – درء التعارض (١/٢٣٤).

يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه)) ([1]) ، فعبادتهم لأحبارهم، ليس سجودهم وركوعهم لهم، بل الإذعان لما أحدثوه في الدين في مجامعهم التي جعلت من رجال الدين مشرعين مع الله.

وتهدف الشريعة إلى تحقيق رضا الله الذي شرَّع بحكمته البالغة للإنسانية ما يسعدها في دنياها وأخراها {الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [إبراهيم: ١]وشريعته خير كلها، لأنها صدرت عن الله العليم بما يصلح أحوالنا وبما يناسب فطرنا وتكويننا {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: ١٤]وهي بهذه المثابة تسمو على غيرها من الشرائع البشرية التي يتلبسها قصور الإنسان وجهله وما يكتنف تشريعه من الهوى الذي يجعل المشرِّع البشري يميل بتشريعاته إلى حراسة مصالحه الشخصية والفئوية، كما هو الحال في تشريعات النظم العلمانية.

أما حين تكون الشريعة إلهية؛ فإنها لا تحابي في أحكامها جنساً أو عرقاً أو لوناً، فالجميع عبيد لله متساوون أمام أحكامه {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ } [المائدة: ٤٨، ٤٩]إن كون هذه الشريعة من الله يعطيها هيبة وسلطاناً في النفوس والضمائر لا تجده في قانون ما، فالناس منقادون إليها بسلطة الإيمان الذي يملأ قلوبهم، منقادون إليها ظاهراً وباطناً، سراً وعلانية، يرقبون في ذلك كله جزاء الله الذي لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء.
وتتميز الشريعة في مسألة الجزاء عن غيرها من القوانين في أنها القانون الوحيد الذي يجازي في الدنيا والآخرة، فالمؤمن يلتزم حدودها، طمعاً في سعادة الدنيا التي يعيشها في جنبات الطاعة والفضيلة، ثم هو موعود بحسن الجزاء في الآخرة، بالجنة التي أعدها الله للأتقياء من عباده، فلأجلهما معاً يمتثل المؤمن قانون الشريعة ويلتزم به.
وللتعرف على أهمية هذه الخصيصة نذكر أن أمريكا أدركت مضار الخمر الصحية والاجتماعية والاقتصادية، وعزمت على تحريمه، وأصدرت تشريعاً بذلك، ثم بذلت الملايين لتنفيذ هذا القانون، وبعد سنوات من النفير في الأمن والمحاكم، وبعد سجن الألوف من المدمنين عادت أمريكا إلى إباحة الخمر، مع يقينها بما فيه من الفساد، لكنها عجزت وعجز قانونها البشري أن يجد له بين الناس قبولاً.

---

[1] – أخرجه الترمذي ح (٣٠٩٥) ، والمعجم الكبير للطبراني (١٧ / ٩٢) . وابن عبد البر٢ : ١٠٩ والبيهقي في سننه ١٠: ١١٦. وحسنه الألباني (غاية المرام ٢٠). تفسير الطبري (١٠ / ١١٤) – تفسير عبد الرزاق (٢ / ٢٧٢) – تفسير الدر المنثور (٤ / ١٧٤) – تفسير القرطبي (٨ / ١٢٠).

وفي مقابله فإن الإسلام حين حرم الخمر، لم يستعن بشرطة أو جنود أو محاكم، ولم يجد عنتاً ولا مشقة في جعل المجتمع المسلم أطهر المجتمعات الإنسانية، بابتعاده عن المسكرات بأنواعها، إن طهارة المجتمع من هذه الآفة لم يتطلب سوى آية أنزلها الله في تحريمه، وهي قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [المائدة: ٩٠]فالتزم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، بل وتساءلوا عن مصير إخوانهم ممن شرب الخمر ومات قبل تحريمها، يقول أنس بن مالك: كنتُ ساقي القوم في منزل أبي طلحة، فنزل تحريم الخمر، فأمر منادياً فنادى، فقال أبو طلحة لأنس: اخرج فانظر ما هذا الصوت؟

قال أنس: فخرجتُ، فقلت: هذا مناد ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت. فقال لي: اذهب فأهرقها.
قال أنس: فجرتْ في سِكك المدينة.
فقال بعض القوم: قُتِل قوم وهي في بطونهم؟ فأنزل الله: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [المائدة: ٩٣] (١) أي لن يحاسبوا عن شربها قبل التحريم لأنه لا عقوبة إلا بتشريع.

- ثانيًا: الشريعة الإسلامية تحقق الخير والمصلحة للفرد والمجتمع؛ وذلك أنه ما دامت الشريعة الإسلامية من عند الله سبحانه وتعالى الذي أحاط بكل شيء علمًا، ويعلم خبايا النفوس وطبائع الخلق في كل زمان ومكان؛ يعلم ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، ومن ثم فإنها تحقق السعادة لبني الإنسان إذا ما التزموا بها في حياتهم؛ لأنها انطوت على قواعد تنظيم حياة الإنسان، وتحقق له السعادة والخير؛ حتى قبل أن يوجد في هذه الحياة، فأمرت الأب أن يحسن اختيار الأم، قال - صلى الله عليه وسلم - : «حق الولد على والده أن يحسن موضعه وأن يحسن اسمه وأدبه».(٢) وفي الوقت نفسه جعل للآباء حقوقًا على الأبناء؛ ممثلة في طاعتهم والإحسان إليهم، بقوله تعالى: { وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } (سورة النساء، الآية: ١٣٦.) .

- ثالثًا: الشريعة الإسلامية عالمية، صالحة لكل زمان ومكان:

لم تأت الشريعة الإسلامية مقيدة بمكان يقتصر سلطانها فيه عليه دون سواه من الأمكنة، ولا موقوفة ينتهي العمل بها عند انتهاء؛ فحيثما وجد إنسان على ظهر الأرض في أي زمن من الأزمنة اختصت الشريعة الإسلامية بتنظيم حركته في هذه الحياة وتنظيم شئونه الاجتماعية والعقائدية والتشريعية، وهذه الخاصية مترتبة على كونها من عند الله خالق الكون كله (٣).

- رابعًا: أحكام الشريعة الإسلامية مرتبطة بالعقيدة:

إن المتتبع لأحكام الشريعة الإسلامية يجد أن منها ما يتعلق بالنواحي الاقتصادية، وأخرى متعلق بالجوانب الاجتماعية، ومنها ما يتعلق بالجوانب الأخلاقية، ومنها ما يتعلق بالأحكام المنظمة

---

١ – أخرجه البخاري ح (٤٦٢٠)، ومسلم ح (١٩٨٠).

٢ –[معجم الشيوخ لابن جميع الصيداوي ٢/ ١٠٢،] و قال الألباني(ضعيف جدا) انظر حديث رقم : ٢٧٣٤ في ضعيف الجامع .

٣ – في وجه المؤامرة على تطبيق الشريعة الإسلامية، مصطفى فرغلي الشقيري، ص٦٦.

لقواعد التعامل من بيع وشراء وإيجار، ومنها ما يتعلق بالجرائم التي يرتكبها الأفراد، هذه الأحكام المتنوعة نجدها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالعقيدة؛ فالزكاة مثلاً هي ركن من أركان الإسلام: { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ } (سورة المؤمنون، الآيات: ١-٤.) .

إلى غيره من الأحكام مثل الربا نجد آثار العقيدة الإسلامية وضياءها متعلقة بالمعاملات التجارية يرتبط تحريمها بالدين والعقيدة، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من غشنا فليس منا)([1])

وحد السرقة عقوبة تتعلق من ناحية بالنظام الأخلاقي، ومن ناحية بالجانب الاقتصادي، وهي مربوطة بالعقيدة: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ الله } (سورة المائدة، الآية: ٣٨.).

وهكذا اكتسبت أحكام الشريعة قوة وفاعلية نفَذَت إلى أعماق الضمير الإنساني.

- خامسًا: الشريعة الإسلامية تربي الضمير:

يغرس الإسلام في قلوب المسلمين الخشية من الله والخوف منه؛ فضلاً عن ارتباط أحكام الشريعة الإسلامية بالعقيدة؛ مما يجعل المسلم يلتزم بما شرعه الله من أحكام وقوانين عن طواعية واختيار لا عن قسر وإرغام، لأنه يحس أن الالتزام بالقانون الإسلامي دينًا وطاعةً لله، بينما يتفنن الناس في التحايل في سبيل التفلت من الخضوع والانقياد للقوانين الوضعية؛ إحساسًا منهم بأن الانقياد لها ليس طاعة والهروب منها ليس معصية ([2]).

ولقد نجحت الشريعة الإسلامية في صياغة الضمير البشرى وتهذيبه على نحو نادر وفريد، وهذا نجده في قصة ماعز -رضي الله عنه -؛ حينما أنبه ضميره وخوفه من الله حينما وقع في الزنا، فجاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فطلب منه أن يطهره، فأمر به ورُجِمَ، وقال: «استغفروا لماعز بن مالك لقد تاب توبةً لو قسمت بين أمة لوسعتهم».([3])

وفي مجال المعاملات تجد نفس الروح الإسلامية العالية والضمير الحي اليقظ؛ فمما يؤثر أن أبا حنيفة - رضي الله عنه - بعث بمتاع إلى حفص بن عبد الرحمن شريكه في التجارة، وأعلمه أن في ثوب منه عيبًا للناس فباع حفص المتاع، ونسي أن يبين، واستوفى ثمنه كاملاً؛ لثوب غير كامل، وقيل أن الثمن كان بثلاثين ألفًا، أو خسمة وثلاثين ألفًا، فأبى أبو حنيفة إلا أن يبعث لشريكه يكلفه أن يبحث عن المشتري، ولكنه لم يهتد إلى الرجل، فأبى أبو حنيفة إلا فصالاً من شريكه، ورفض أن يضيف ثمن الثوب إلى ماله، وتصدق به ([4]).

وبهذا الضمير الحي الذي رباه الإسلام اكتسب التشريع الإسلامي قوة على غيره من القوانين الوضعية التي ليس لها تأثير في نفوس الناس؛ كما كان عليه التشريع السماوي.

---

[1] –) أخرجه مسلم ح ١٦٤ – (١٠١) ، (و أحمد ح) ٩٣٨٥الحاكم في مستدركه ج ٢/ ص ١٢ حديث ح: ٢١٥٥

[2] – في وجه المؤامرة على تطبيق الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص٦٨.

[3] – أخرجه مسلم ١١٨/٥(٤٤٥٠) و"أبو داود" ٤٤٣٣ و"النسائي" ، في "الكبرى" ٧١٢٥ و٧١٤٨

[4] – المرجع السابق، ص٧٠.

وإن ما يحدث في المجتمعات التي انحرفت عن الإسلام وأعرضت عن شريعته من انعدام الأمن والاستقرار وانتشار الجرائم-لخير شاهد على صدق الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وصدق الله العظيم إذ يقول: {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}(سورة المائدة، الآية: ٥٠) .

- سادسًا: الشريعة الإسلامية تقوم على المساواة:

لا تحقق القوانين الوضعية المساواة بين الناس؛ فتميِّز بين رئيس الدولة الأعلى-ملكًا كان أو رئيس جمهورية-وسائر أفراد الأمة؛ ففي الدساتير، لا يسأل رئيس الدولة عن أي جريمة ارتكبها، وتعفي القوانين الوضعية رؤساء الدول الأجنبية وحاشيتهم من أن يحاكموا على ما يرتكبون من جرائم، وتمارس حكومة جنوب إفريقيا هذا التميز العرقي بكل وقاحة، وتتبجح وتتحكم حفنة من البيض في الجماهير الغفيرة من السود(١) .

أما الشريعة الإسلامية فإنها تمتاز عن القوانين الوضعية بمبدأ المساواة منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا؛ فالناس جميعًا في ظل الشريعة الإسلامية سواءٌ في الحقوق وفي الواجبات وفي المسئوليات؛ لا فرق بين الحاكم والمحكوم: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } (سورة الزلزلة، الآيات: ٧، ٨) .

وعن المعرور بن سويد قال: لقيت أبا ذر بالرَّبَذَة وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك فقال: إني سبَبْت رجلاً فعيَّرتُه بأمه؛ قلت له: يا ابن السوداء، فقال لي النبي -صلى الله عليه وسلم - : «يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية». (٢)

وخاصم يهودي عليًّا بن أبي طالب -رضي الله عنه - أمام أمير المؤمنين عمرٍ بن الخطاب، فقال له عمر: قم يا أبا الحسن واجلس أمام خصمك، ففعل وفي وجهه التأثر، فلما انتهت الخصومة قال له عمر: أكَرِهْتَ يا عليُّ أن تجلس أمام خصمك؟ فقال: كلا ولكني كرهت أنك لم تراع المساواة بيننا بقولك أبا الحسن؛ إذ الكنية تشير إلى التعظيم. (٣)

وتقام الحدود في الشريعة الإسلامية على الناس جميعًا شريفهم ووضيعهم، والقمة في ذلك حديث المخزومية عن عائشة رضي الله عنها أن قريشًا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلِّم فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة حِبّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فكلَّم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال: يا أيها الناس إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» (٤) .

العدل اسم من أسماء الله تعالى، وهو صفة لازمة للرب في أوامره وتشريعاته وجزائه، ومظاهر عدل الله في شرائعه كثيرة، من أولها أنه تعالى لا يحاسب الإنسان على ما لا يقدر عليه، بل لم

---

١ – وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص١١٤.

٢ –أ خرجه "أحمد" ١٥٨/٥ (٢١٧٣٨)وعبد الرزاق (١٧٩٦٥) و و"البخاري" ١٤/١(٣٠) و"مسلم" ٩٢/٥(٤٣٢٦) و"أبو داود" ٥١٥٧ و"ابن ماجة" ٣٦٩٠ و"الترمذي" ١٩٤٥

٣ – بغية الطلب في تاريخ حلب (٢/ ١٢٧،)

٤ – أخرجه البخاري ح (٣٤٧٥)، ومسلم ح (١٦٨٨).

يكلفه أصلاً بما يعجزه {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } (البقرة: ٢٨٦)، فشرائع الله مبناها على اليسر والسهولة {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: ١٨٥] {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ}[المائدة: ٦] والنبي –صلى الله عليه وسلم يقول: ((أحب الدين إلى الله الحنيفيةُ السمحةُ)). (١)

ومن عدله تبارك وتعالى أنه رفع التكليف بأحكام الشريعة عن الأطفال الذين لم يحوزوا كمال العقل الذي يجيز محاسبتهم، كما أسقطه عمن حُرِم نعمة العقل ابتداءً ، يقول- صلى الله عليه وسلم -: ((رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يشبَّ، وعن المعتوه حتى يعقل)) (٢) ، كما يعفو الله عمن وقع في الخطأ من غير إرادته لذلك أو من وقع فيه مكرهاً أو ناسياً تحريمه، فقد قال تعالى: ((إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)). (٣)

وإذا كانت الشريعة لا تحاسب من هو دون التكليف على خطئه؛ فإنه يعلم أنها - من باب أولى - لا تحاسبه على ذنب غيره، فالمرء مسؤول عن عمله الشخصي {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [الأنعام: ١٦٤].

وعليه فالإسلام لا يقر بالذنب الأصلي المتوارث عن الأبوين [آدم وحواء]، فالأبوان تحملا وزريهما بنفسيهما، واستغفرا الله منه، فتاب عليهما، ولا علاقة لذريتهما بذنبهما من قريب أو بعيد، بل كلٌ مسؤول عن عمله ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ* قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٣٧-٣٩).

وأيضاً فإن شرائع الله تبارك وتعالى راعت -لعدالتها - الفروق بين الذكر والأنثى، فلم تكلف المرأة بما لا يلائم طبيعتها كالجهاد والخروج من المنزل للتكسب والإنفاق، وغيرهما مما لا يتناسب وأنوثتها أو يخالف رونق حياتها وصفاء أحاسيسها.

ولم تميز الشريعة العادلة في أحكامها العامة بين ملك وسوقة، ولا بين أبيض وأسود، ولا بين غني وفقير، فالجميع متساوون أمام شرائع الله، فقد خطب النبي –صلى الله عليه وسلم - في ما يربو على مائة ألف من أصحابه، فقال: ((يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر؛ إلا بالتقوى)) (٤)، فالخيرية مبناها على العبادة والاستقامة، لا الحسب والجاه، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣]وقد طبَّق النبي –صلى الله عليه وسلم - بنفسه عدل الإسلام وقِيَمه

---

١ – أخرجه البخاري معلقاً باب ((الدين يسر))، وأحمد ح (٢١٠٨)

٢ – أخرجه الترمذي ح (١٤٢٣)، وابن ماجه ح (٣٠٤٢)، وأحمد ح (٩٤٣).

٣ – أخرجه ابن ماجه ح (٣٠٤٣).

٤ – أخرجه أحمد ح (٢٢٩٧٨).

حين رفض التمييز في إقامة الشرائع بين شريف ووضيع، فقد حكم –صلى الله عليه وسلم - على سارقة من أشراف قريش بقطع يدها الخؤون، فاستشفع الناس لها، طلبوا من أسامة بن زيد - بما له من مكانة عند النبي –صلى الله عليه وسلم - أن يشفع لها عنده، فقال له –صلى الله عليه وسلم - : ((أتشفع في حد من حدود الله)).

ثم قام فخطب الناس، فقال: ((إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيْمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقتْ [أي ابنته – صلى الله عليه وسلم - لقطعتُ يدها)). (١)

وهكذا فالعدل سمة شريعة الله الذي أمر به وشرعه بين خلقه { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ٩٠]

سابعا: الشمول والتوازن:

لما كان الإسلام رسالة الله الخاتمة وكلمته الباقية إلى قيام الساعة، فإن الله تلطف فيه على الإنسانية بكل ما يصلح شؤونها في دار معاشها ثم في دار جزائها، فكملت أنعم الله بكمال تشريعاته {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة: ٣]والإسلام بنيان شمولي يغطي مناحي الحياة المختلفة، فهو دين عبادة، وهو أيضاً منظومة من الشرائع الأخلاقية والاجتماعية، والاقتصادية والسياسية التي تحقق سعادة الفرد والمجتمع في الدنيا ثم الآخرة.

إن الإسلام ينظم علاقات الإنسان المختلفة من لدن ميلاده إلى وفاته، وهو يحرس حقوقه حتى فيما قبل الميلاد وما بعد الوفاة، وأما ما بينهما فإنه يتناول بأحكامه تفاصيل سلوكه الشخصي بما يتضمنه من عادات وآداب، وهو يرشِّد أيضاً علاقة الإنسان مع أسرته ومجتمعه، لا بل يتناول حاله مع الكون كله بما فيه من حيوان وجماد {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ } [الأنعام: ٣٨]أما على الصعيد الجماعي فإن شرائع الإسلام تنظم المجتمع وتضبط حقوق من فيه وواجباتهم، وتنظم علاقة الدولة والأمة المسلمة مع القريب من الناس والبعيد {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } [النحل: ٨٩]وتلبي هذه الشرائع حاجات الإنسان المختلفة، فهي تعنى بجسده، ولا تهمل روحه، تبتغي الآخرة، ولا تفرط في الدنيا، تربط المجتمع ولا تغفل مصالحه، وهي في نفس الوقت تحقق ذاتية الفرد وتحرس مصالحه وحقوقه، توازن عجيب، لا إفراط فيه ولا تفريط، وأي عجب ، فذلك تقدير اللطيف الخبير.

إن هذه الثنائيات عبرت عنها نصوص عدة في القرآن والسنة، منها قوله تعالى {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } [القصص: ٧٧]فلئن كانت الآخرة هي الغاية والمرتجى؛ فإن الدنيا هي الوسيلة والمعاش، ومثله قوله تعالى في وصف المؤمنين فهم ينفقون أموالهم من غير إسراف يبدد المال ولا تقتير يمنع النفع: { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ

---

١ – أخرجه البخاري ح (٣٤٧٥)، ومسلم ح (١٦٨٨).

قَوَامًا} [الفرقان: ٦٧]، وقال الله لنبيه –صلى الله عليه وسلم - : {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا} [الإسراء: ٢٩]

وقال –صلى الله عليه وسلم - موجهاً عثمان بن مظعون لما رغِب في ابتغاء سمو الروح بتعذيب الجسد، فأراد هجر النوم والنساء والدوام على الصيام: ((يا عثمان أرغبتَ عن سنتي؟.. فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، فصم وأفطر، وصل ونم)). (١)

وفي الجمع بين الدنيا والآخرة يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [الجمعة: ٩، ١٠]ولما أراد أناس من أصحابه الإعراض عن الدنيا وملذاتها وهجر النساء والترهب، قال –صلى الله عليه وسلم - : ((إنما هلك من كان قبلكم بالتشديد، شددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم، فأولئك في الديارات والصوامع، فاعبدوا الله ولا تشركوا به، وحجوا واعتمروا، واستقيموا يستقم بكم))، ونزلت فيهم الآية: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } [المائدة: ٨٧] (٢)

ثامنا: المثالية الواقعية:

كثيراً ما تجنح الشرائع التي يشرعها الإنسان نحو المثالية التي لا تتحقق، فجمهورية أفلاطون الفاضلة لم تجاوز عقله وقلمه، وفي مقابله قد يخضع البعض للواقع الجاثم على المجتمع ، فيعمد إلى تكييف نفسه ومبادئه مع الحالة الراهنة اعترافاً بوطأة هذا الواقع وإذعاناً له، فحين عجزت مجتمعات الغرب عن منع الخمر أو الزنا أو الفواحش لم تجد ما يمنعها من الاعتراف بهذا الواقع وتقنينه، ليصبح شرعة مباحة عند الناس؛ تفني الجنس البشري وتهدد وجوده بما تحمله تلك الآثام من أمراض وبلايا اجتماعية، ليتحقق ما أخبر به –صلى الله عليه وسلم - بقوله: ((لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا)). (٣)

وأما الإسلام فإنه دين واقعي مثالي، فواقعيته مبنية على أنه سلوك إنساني يعيشه الناس يومياً، وأما مثاليته فيحققها أنه يهدف إلى إصلاح المجتمع، ولا يرضى بالتعايش والمهادنة مع الخطأ والرذيلة.

واقعيته يوضحها تلاؤم تشريعاته مع فطرة الإنسان وتحقيقها لحاجاته ورغباته التي علمها الله فشرع ما يناسبها{ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (الملك: ١٤}، فلم يأمر الإسلام بالتعفف عن النكاح، ولا منع من استحالت عليهم الحياة الزوجية من الافتراق بالطلاق {وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا} [النساء: ١٣٠]ولم يأمر الإسلام بإعطاء الخد الأيسر لمن ضرب الخد الأيمن، بل شرع ما يرد الإساءة ويردع الجاني ويمنعه من التمادي،

---

١ – أخرجه أبو داود ح (١٣٦٩).

٢ – أخرجه ابن جرير في التفسير (٩/٤) ، وابن المبارك في الزهد ح (١٠٣١).

٣ – أخرجه ابن ماجه ح (٤٠١٩).

ولكنه رغب أيضاً في العفو والمسامحة والصفح، قال تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} [الشورى: ٤٠، ٤١]وتسطع هذه المزاوجة بين الواقع والمثال في تدرج الإسلام في معالجة الأمراض والآثام المستفحلة في المجتمع، فعندما بُعث النبي –صلى الله عليه وسلم - في أمة تشرب الخمر شُربَها للماء؛ تدرج في تحريم الخمر، فأشار أولاً إلى ما فيها من السوء، ليهجرها أصحاب العزائم والأحلام { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ } [البقرة: ٢١٩]فالخمر فيها منافع محدودة (كالتجارة) لكن ما فيها من الإثم والضرر أعظم.

ثم في مرحلة أخرى منع المسلمين من تناولها سائر النهار، لأنها تشغل عن الصلاة وتفسدها، فتضايق عليهم وقت شربها {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ } [النساء: ٤٣]لما نزلت هذه الآية أحس الصحابة أن الله يشدد عليهم في الخمر، فدعا عمر –رضي الله عنه - الله فقال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بيان شفاء، فنزل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة: ٩٠، ٩١]، فدُعي عمر، فقُرئت عليه، فقال: (انتهينا انتهينا). (١)

تقول أم المؤمنين عائشة: (إنما نزل أول ما نزل منه [أي من القرآن] سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام؛ نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر. لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا. لقالوا: لا ندع الزنا أبداً). (٢)

لهذا ولغيره يدعو المستشرق الشهير جوزيف شاخت المحاضر في الدراسات الإسلامية في جامعتي أكسفورد وليدن في كتابه "تراث الإسلام" إلى دراسة الشريعة الإسلامية، فيقول: "من أهم ما أورثه الإسلام للعالم المتحضّر قانونه الديني الذي يسمى (بالشريعة)، والشريعة الإسلامية تختلف اختلافاً واضحاً عن جميع أشكال القانون إلى حدّ أن دراستها أمر لا غنى عنه؛ لكي نقدر المدى الكامل للأمور القانونية تقديراً كافياً ..... إن الشريعة الإسلامية شيء فريد في بابه، وهي جملة الأوامر الإلهية التي تنظم حياة كل مسلم من جميع وجوهها، وهي تشتمل على أحكام خاصة بالعبادات والشعائر الدينية كما تشتمل على قواعد سياسية وقانونية." (٣)

تاسعا: أنها ملزمة ولا يصح لأحد الخروج منها، قال الله تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)، وقال تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما)، وورد عن

---

١ – أخرجه الترمذي ح (٣٠٤٩)، والنسائي ح (٥٥٤٠)، وأبو داود ح (٣٦٧٠).

٢ – أخرجه البخاري ح (٤٩٩٣).

٣ – قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل (٢٠٣).

الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به"، وقوله صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلم مسؤول عن رعيته...".
والآيات الواردة في ذلك والأحاديث مستفيضة؛ قال ابن القيم في تفسير قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك...) الآية: (أقسم سبحانه على نفي الإيمان عن العباد حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل، ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكم بمجرده حتى ينفي عن صدروهم الحرج والضيق بقضائه وحكمه، ولم يكتف منهم بذلك أيضاً حتى يسلموا تسليماً وينقادوا انقياداً).
وذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب من نواقض الإسلام: (الاعتقاد بأن غير هدي الإسلام أكمل من هديه، وأن حكم غيره أحسن من حكمه، ومن اعتقد أنَّ بعض الناس يسعه الخروج من شريعة محمد صلى الله عليه وسلم).
ومقتضى ذلك أن تكون ناسخة لما قبلها، كفيلة بإيجاد الحلول الملائمة لكل ما يجد في حياة الأُمَّة الإسلامَّية من قضايا ومشكلات.

عاشرا: الثواب والعقاب في الشريعة الإسلامية دنيوي وأخروي:

تقترن الأنظمة البشرية بجزاء توقعه عندما يقتضي الأمر ذلك في حق من يخرج عليها وتتعدد صور ذلك الجزاء ولكنه جزاء دنيوي، أمَّا الشريعة الإسلامية فإنها (تختلف معها في أن الجزاء فيها أخروي ودنيوي، بل أن الأصل في أجزيتها هو الجزاءُ الأخروي، ولكن مقتضيات الحياة، وضرورة استقرار المجتمع، وتنظيم علاقات الأفراد على نحو واضح بين مؤثر، وضمان حقوقهم، كل ذلك دعا إلى أن يكون مع الجزاء الأخروي جزاء دنيوي...).
والأمثلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة مثل قوله تعالى بعد ذكر أحكام المواريث: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ } [النساء: ١٣، ١٤] وفي أجزاء قطاع الطريق قال تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [المائدة: ٣٣] ومما يترتب على الجزاء في الشريعة الإسلامية الخضوع لأحكامها (خضوعاً اختيارياً في السر والعلن خوفاً من عقاب الله) في حالة النهي والتحذير والطمع في الثواب في حالة الأمر والندب، إلى جانب ما يبعثه الجزاء في النفوس (من الهيبة والتأثير).)([1])

صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان (٢)

وبعد هذا البيان لشمولية وخصائص الشريعة الربانية نقف لنبين لكل دعي زنيم يدعو و يزعم أن الشريعة الإسلامية غير صالحة لكل زمان و مكان و هذه دعوى فلول العلمانية و أذناب اللبرالية الذين لا يريدون لشرع الله تعالى التطبيق و الذين باعوا دينهم بعرض من الدنيا حقير، إلى هؤلاء

---

[1] – دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه (١/ ٣٣٥) فاطمة السيد علي سباك: الشريعة والتشريع: ص: (١٤)

[2] – "شبهات حول تطبيق الشريعة الإسلامية

جميعا و إلى كل من تسربت إليه تلك الأكاذيب الباطلة بيان أن الشريعة صالحة لكل زمان و مكان حتى قيام الساعة لأن الذي أنزلها هو العليم الخبير العليم الذي يعلم ما يصلح عباده الخبير بما فيه سعادتهم في الدنيا و الآخرة.

الصاوي-حفظه الله - " إذا سَلَّمْنَا أن الشريعة قد أدَّتْ دَوْرها إبَّانَ البعثة، وفيما تلا ذلك من القرون الأولى في صيانة المجتمع، والوفاءِ بحاجاته البسيطةِ يَوْمَئِذٍ، فهل تصلح اليوم للوفاء بحاجات مجتمعاتنا المعاصرة على تشابُكها وتنوُّعِها، وبُلوغها الغايةَ في التعقيد والتطوُّر؟!

إنَّ جوهر الإنسان هو التغيُّر، وجوهر الشريعة هو الثبات، فكيف للقوالب التشريعية الثابتة التي لبَّتْ حاجاتِ القرون الأولى أن تلبِّيَ حاجاتِ هذا القرن الذي فَجَّرَ الذَّرَّةَ، وغزا الفضاء؟! إنَّ النّصوصَ التَّشريعيةَ محدودةٌ ومتناهيةٌ، وحاجاتِ الإنسان متجدِّدَةٌ وغيرُ متناهية، فأنَّى للمحدود المتناهي أن يلبِّي حاجاتِ اللامحدود وأن يفِيَ بحاجاته؟! أليس منَ الأحفظ للشريعة أن نصونَها تراثًا مقدَّسًا نَذْكُرُه بكل الإكبار والإجلال؛ كظاهرة تاريخية فذَّة، ثم ننطلق نحن نُقيم بناءنا التشريعيَّ المعاصِرَ من وحي حاجاتنا المعاصرة، بعيدًا عنِ التقيُّد بهذه الظاهرة التاريخيَّة؛ فنصون بذلك تراثنا منَ العَبَث، ونحرِّر مسيرة تقدُّمِنا منَ الجُمُود والأَسْر؟! ألا تزال مَقولةُ صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان تفرض وِصايَتَها على عُقولنا المعاصرة، وتَحُول بيننا وبين الانعتاق التشريعيِّ، والانطلاقة الحرة نحو ما نصبو إليه من منجزات وطموحات؟!:
- **صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان** من المعلوم بالضرورة من الدين، وقدِ انعقد عليها إجماع السابقين واللاحقين منَ المسلمين، وهي تعتمد على أنَّ هذه الشريعة هي الشريعة الخاتمة، التي نسخ الله بها ما قبلها منَ الشرائع، وأوجب الحكم بها والتحاكُمَ إليها إلى أن يَرِثَ الله الأرض ومَن عليها، وتَوَجَّهَ الخطابُ بها إلى أهل الأرض كافَّةً، مَن آمن منهم بالله واليوم الآخر، فلا بد إذًا أن تكون منَ الصلاحية بحيث تُلَبِّي حاجاتِ البشرية في مختلِف أعصارها وأمصارها، وتُحَقِّقَ مصالحها في كل زمان ومكان.

وإنِّي أَعِظُكُمْ بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفُرَادَى، ثم تتدبروا في هذه الأسئلة:
- هل خُتِمَتِ الرسالات حقًّا بمحمد؟
لقد تَوَلَّى اللهُ الإجابة على ذلك بنفسه فقال: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب: ٤٠].

- هل أوجب الله الحكم بشريعته، وحذَّر منَ العُدُولِ عنها أوِ التحاكم إلى غيرها؟
لقد تولى الله سبحانه الإجابةَ على ذلك؛ فقال: {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ} [المائدة: ٤٩]، {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ} [الجاثية: ١٨]، {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥]، {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} [النور: ٤٧].

- هل نُسختْ هذه النصوص التي تُلزِم بهذه الشريعة، وتوجِب الحكمَ بها، وتَنْفِي الإيمان عمَّن خالفها؟
لا شكَّ أن الجواب على ذلك هو النفيُ القاطِعُ؛ فإن النسخ لا يكون إلا في زمن البَعْثَةِ؛ لأن هذا الحق ليس لأحد من دون الله، ولا سبيل إليه إلا بالوحي المعصوم، وقد أكمل الله لنا الدين، وأتم علينا النعمة، وأحكم آياته، وتعبَّدَنا بها إلى قيام الساعة، قال – صلى الله عليه وسلم -: ((تركتُ فيكم ما إن تَمَسَّكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا؛ كتاب الله وسُنَّتي))(١).

- هل يُعَنِّتُ الله عبادَهُ بتكليفِهم ما لا يُطِيقون؟ أو يُلْزِمُهم بما تضطَرِبُ به أمورهم؛ فيُفْتَنُون؟ أو يتعبَّدُهم بما يحول بينهم وبين التَّمكين في الأرض؛ فيُغْلَبون على أمرهم ويُقهَرون؟ أَيَلِيقُ بالحكيم أن يُلزِم أولياءه بما يَشْقَوْنَ به في دنياهم، ويقعُدُ عنِ الوفاء بمصالحهم، ويَهْوِي بهم إلى أغوارٍ قَصِيَّةٍ منَ التخلُّف والتَّبَعِيَّةِ؟! وهو الذي أخبر عن نفسه بأنه أرحم بهم منَ الوالدة بولدها؛ كما أخبر المعصوم؟!
- إن الجواب على ذلك كلِّه هو النفيُ القاطع، الذي يجزم به كل مَن عرف ربه، وهُدِيَ إلى تَدَبُّر آياته، وفَقِهَ عن الله قوله: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} [طه: ١٢٣].

وعن نبينا قوله: ((إنِّي تركت فيكم ما إنِ اعتصمت به فلن تضلّوا بعدي أبدًا؛ كتاب الله وسُنَّة نبيه)) (٢)
فإذا استقرَّ ذلك كلُّه، فقدِ استَقَرَّ خُلُود الشريعة وصلاحِيَتُها لكلِّ زمان ومكان، وأن الإيمان بهذه الحقيقة من جنس الإيمان بالله ورسله.
وإنَّ مِمَّا يُؤْسَى له أن يتواصى العَلْمَانِيُّون في لقاءاتهم ومنتدياتهم بما سَمَّوْهُ (بالحلِّ الإيجابي الهجومي)، والذي تتمثل أبرزُ عناصرِهِ في ضرب هذه الثوابت الإسلاميَّة؛ للتأثير فيما سَمَّوْهُ بالأغلبية الصامتة، غافلينَ أو متغافلين عن أن هذه الضربات إنما تنال منَ الإسلام قبل أن تنال من الجماعات الإسلامية!

ففي الندوة التي عقدها هؤلاء تحت عنوان (التطرُّف السياسيُّ الدينيُّ) صرَّح أحدهم بأن: أحد المرتكزات الرئيسة للتأثير في الأغلبية الصامتة (الجماهير) هو ضرب المرتكزات الأساسية التي تنطلق منها هذه الاتجاهات الدينية، وأهم هذه المرتكزات قولهم: إن هناك نصوصًا ثابتةً،

---

١ – خرجه أحمد ١٤/٣(١١١٢٠) والترمذي" ٣٧٨٨) و ابن أبي عاصم (١٥٥٣ و ١٥٥٥) و الطبراني (٢٦٧٨ –٢٦٧٩) و الديلمي (٢ / ١ / ٤٥) .و الألباني (صحيح) انظر حديث رقم : ٢٤٥٨ في صحيح الجامع .

٢ – أخرجه البيهقي (١١٤/١٠، رقم ٢٠١٢٣) . وأخرجه أيضًا: الحاكم (١٧١/١، رقم ٣١٨). قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٧٤٨ في صحيح الجامع، عن جابر–رضي الله عنه –

صالحةً للتَّطبيق في كل زمان ومكان، فإذا ألقينا الضوء على هذه النصوص، وبيَّنا أنَّها متغيِّرَة، تتغير باختلاف الزمان والمكان؛ سنكون قد خطونا خطوة كبيرة (١).

ويُعَلِّقُ عليه آخَرُ بقوله: من أهم عناصر الحلِّ، إزالةُ حاجز الخوف، الذي لا يجعلنا نُفْصِح بوضوح عن مواقفنا بكاملها تجاه هذا التيار المتطرف، إن بعضنا يخشى استخدام كلمة عَلْمَانِيَّة، وهي ليست مُخِيفَةً... يجب أن نكتب بوضوح مثلاً في صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان؛ أي: أنْ نقول: إنه ليس هناك في أمور البشر قاعدة من هذا النوع (٢)
ولا نملِكُ أمام هذه الاستفزازات إلا أن نصبر على ما يقولون، وندعو الله لهم بالهداية! كما قال تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ آَمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الجاثية: ١٤].

- ولكنك لم تُجِبْ عنِ الإشكالية التي يطرحها ما ذكرتُهُ لك من أنَّ الشريعة جَوْهَرُها الثبات، والإنسان جَوْهَرُهُ التغيُّر، فضلاً عن محدودية النصوص وعدم محدودية الحوادث التي يفترض أن تحكمها هذه النصوص؟

- ما تذكر من أن الشريعة جوهرُها الثباتُ والإنسان جوهرُه التغيُّر، يُعَدُّ في الواقع تغافُلاً عن حقيقة الشريعة وحقيقة الإنسان؛ فلا الشريعة ثابتة في كل أحوالها، ولا الإنسان متغيِّر في كل شؤونه، فالشريعة منها ما هو ثابت محكَم، وهو القطعيات ومواضِعُ الإجماع، ومنها ما هو متغيِّر نِسْبِيٌّ، وهو الظنيَّات وموارد الاجتهاد؛ بل إن منها منطقة العفو التي أحالت فيها إلى التجربة والمصلحة، في إطار من قواعد الشرع الكلية ومقاصده العامة.

ولقد كان منهجُ الشريعة في ذلك كلِّه إجمالَ ما يتغيَّر وتفصيلَ ما لا يتغير، ولهذا فصَّلَتِ القول في باب العقائد، وباب العبادات، وأحكام الأسرة ونحوه، وأجملَتِ القول في كثير من المعاملات التي تتجدد فيها الحاجات، وتكثر فيها المتغيرات، واكتفت فيها بإيراد المبادئ العامة والأُطُر الكليَّة، تاركةً للخبرة البشرية أن تتصرف في حدود هذه الأُطُر بما يحقق المصلحة ويدفع الحاجة، ولهذا جعلت الأصل في العقود والشروط هو الإباحةَ إلا أن يأتي نصٌّ بالتحريم، في الوقت الذي قررتْ فيه أن العباداتِ توقيفيَّةٌ، وجعلتِ الأصل فيها هو المنعَ، حتَّى يأتيَ دليلٌ يدل على المشروعية.

لقد أمرتِ الشريعة مَثَلاً بالشُّورَى وأكَّدت عليها، ولكنَّها أحالت في أساليبها إلى الخبرة والتجربة، لأن هذه الأساليب مِمَّا يتجدَّدُ بتجدد الزمان وتطوُّر الحاجات.
ولقد جعلتِ الشريعة السلطة للأُمَّة، تُمارس بها حقَّها في تَوْلِيَة حُكَّامِها، وفي الرَّقَابة عليهم؛ بل وفي عَزْلِهِم عندَ الاقتضاء، وأحالت في وسائل ذلك إلى الخبرة والتجربة، ولم تُلزِم بشكل معيَّن قد تتجاوزه ظروف الزمان والمكان، فلا يَفِي بالحاجة ولا يحقِّقُ الغَرَضَ وهكذا، ولكنَّها لمَّا أمرت

---

١ – راجع مجلة "فكر" عدد (٨) ديسمبر ٨٥.

٢ – راجع مجلة "فكر" عدد (٨) ديسمبر ٨٥.

بالصلاة أوِ الحجَّ فصَّلتِ القول في ذلك تفصيلاً دقيقًا، فصلَّى النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال: ((صلُّوا كما رأيْتُمونِي أُصَلِّي))[1]، وحجَّ أمام أصحابه وقال: ((خذوا عني مَنَاسِكَكُمْ)[2]، وجعل كلَّ مُحْدَثَةٍ في ذلك بِدْعَةً، وكلَّ بدعَةٍ ضَلالَةً، وكلَّ ضلالةٍ في النار!

أما ما ذكرتَ من تغيُّر الإنسان، فإن ذلك ليس على إطلاقه؛ لأن من شؤون الإنسان ما هو ثابت، ومنها ما هو متغيِّر متجدِّدٌ؛ فالغرائز الفطرية والحاجات الأساسية للإنسان ثابتة مُحْكَمَة، وسيَظَلُّ الإنسان ما بَقِيَ الليلُ والنهار، ومهما تغيَّر الزمان والمكان في حاجة إلى عقيدة يعرف بها سِرَّ وجودِهِ واتصاله بخالقه، وإلى عبادات تُزَكِّي رُوحَه وتُطَهِّرُ قلبه، وإلى أخلاق تُقَوِّم سُلوكه وتُهَذِّبُ نفسَه، وإلى شرائعَ تُقِيمُ مَوَازِينَ القِسط بينه وبين غيره؛ فالَّذي يتغيَّر من الإنسان هو العَرَض لا الجوهر، الصورة لا الحقيقة، ولقد تعاملتْ نصوص الشريعة مع الإنسان على هذا الأساس؛ ففَصَّلَتْ له القول في الثابت الذي لا يتغير من حياته، وسكتتْ أو أجملتْ فيما من شأنه التغيُّر والتجدُّد، صُنْع الله الذي أَتْقَنَ كلَّ شيءٍ، ألا يَعلم مَن خَلَقَ وهو اللطيف الخبير؟!

ولماذا نُجهِد أنفسنا في إثبات هذه البَدَهِيَّة، وبين أيدينا شهادة الواقع العمليِّ ناطقة بما نقول؟ ألم تطبق هذه الشريعة زُهاءَ ثلاثةَ عَشَرَ قَرْنًا منَ الزمان، وحقَّقَتْ لهذه الأمَّة في ظِلها أقصى ما تصبو إليه أمَّةٌ من الأُمم في هذه الدنيا من العِزَّة والتمكين؟! ألم تصبح تركيا بالإسلام، وفي ظل تطبيق الشريعة هي الدولةَ التي تملأ عين الدنيا وسَمْعَها، وباتت تُخِيفُ جارَتها روسيا؛ بل وظلت عِدَّةَ قرون تُدِيرُ رَحَى الحرب داخلَ الأراضي الرُّوسيَّة نفسها، ثم تَنَكَّرَتْ للإسلام فأصبحتْ دُوَيْلَةً تعيش مرعوبةً فِي أقلَّ من ١ % من حدودها الأُولَى، وأقصى ما تتطلع إليه أن تُصبِحَ عضوًا في السوق الأوروبيَّة المشتركة، وأوروبا تَضِنُّ عليها بذلك!

والعجيب أن تُتهم الشريعة بالجمود وعدم الصلاحية من قِبَل فريق من جِلْدَتِنا ويتكلمون بأَلْسِنَتِنا، في الوقت الذي نرى فيه من فلاسفة الغرب وأصحاب الرأي فيه مَن يُشيد بهذه الشريعة، ويشهد لها بالخلود والحيوية والتفوق!:
ففي أسبوع الفقه الإسلامي الذي عقد بباريس، وقدمت فيه بعض البحوث الفقهية لم يلبث أحد الحضور وكان نقيبًا للمحامين أن أعلن دَهْشَتَهُ وعجَبَهُ قائلاً: "أنا لا أعرف كيف أُوَفِّق بين ما كان يُحكى لنا عن جمود الفقه الإسلامي، وعدم صلاحيته أساسًا تشريعيًّا يَفِي بحاجات المجتمع

---

[1] – أخرجه البخاري (١ / ١٥٧) ومسلم (٢ / ١٤٢) وأبو داود (٤٤٢) وكذا أبو عوانة (٢ / ٢٦٠ – ٢٦١) والنسائي (١ / ١٠٠) والترمذي (١ / ٣٣٥) والدارمي (١ / ٢٨٠) وابن ماجه (٦٩٥ ، ٦٩٦) والطحاوي (٢ / ٢٣) وابن أبي شيبة في " المصنف " (١ / ١٨٩ / ٢) والبيهقي (٢ / ٢١٨) وأحمد (٣ / ٢١٦ ، ٢٤٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٨٢) والسراج (١١٧ / ٢)

[2] – أخرجه مسلم (٤ / ٧٩) وأبو نعيم في (المستخرج) (٢١ / ١٦٦ / ٢) وأبو داود (١٩٧٠) والنسائي (٢ / ٥٠) والترمذي (١ / ١٦٨) مختصرا وابن ماجه (٣٠٢٣) وأحمد (٣ / ٣٠١ ، ٣١٨ ، ٣٣٢ ٣٣٧ ، ٣٦٧ ، ٣٧٨) وأبو يعلى في (مسنده) (ق ١١٩ / ١) والبيهقي (٥ / ١٣٠)

العصري المتطوِّر، وبين ما نسمعه الآن في المحاضرات ومناقشاتها، مما يثبت خلاف ذلك تمامًا ببراهين النصوص والمبادئ!" (١).

وفي مؤتمر القانون الدوليِّ الذي عُقِدَ بلاهاي ١٩٤٨ وقدمت فيه بعض البحوث الفقهية، أصدر المؤتمر قرارًا باعتبار (أن الشريعة الإسلامية حية مرنة، تصلح للتطوُّر مع الزمن، وتُعتَبَرُ مصدرًا من مصادر القانون المقارن، وأن اللغة العربية قد دخلت من الآن فصاعدًا في عداد اللغات التي يجب أن تسمع في المؤتمر) (٢).

ولقد تفرَّدَتْ هذه الشريعةُ بعِلم أصول الفقه الذي دَوَّنَ قواعِدَهُ الشافعيُّ - رحمه الله - وأنضجه الأئمةُ من بعده، وهو عِلم يضبط عملية استنباط الأحكام منَ الأدلة، ويحول بين الأُمَّة وبين الجمود من ناحية، كما يحول بينها وبين التحلُّل وخلع الرِّبْقَة من ناحية أخرى.

ومن القواعد المقرَّرَة في هذا العلم، والتي تمثل عوامل السَّعَةِ والمرونة في هذه الشريعة، وتَكْفُلُ وفاءها بمختلِف الحاجات المتجدِّدَة -ما ذكره أهل العلم من:
- أدِلَّة التشريع فيما لا نصَّ فيه؛ كالاستحسان، والاستصحاب والعُرف ونحوِهِ.
- ورعاية الضَّرورات والأعذار والظروف الاستثنائية، وتَغَيُّر الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والأعراف إلى غير ذلك من قواعد الرُّشْد والحَيَوِيَّة في هذه الشريعة الخالدة، على أن يتِمَّ ذلك في إطارٍ مُنْضَبِط منَ الاجتهاد الشرعيِّ المُعْتَبَر، وليس بإطلاق العِنان للأهواء، والاسترسال مع دعوات التغريب تحت شِعار التقدُّم والتجديد والاستِنارة؛ حتَّى لا يُستباح حَرَمُ الشريعة أمام كل دَعِيٍّ جَهول! (٣)

شبهة (عدم صلاحية القرآن لكل زمان)

تقول الشبهة بأن القرآن غير صالح لكل زمان، وأنه وقتي ، أي أنه جاء لوقت قد مضى، ولا يتلاءم مع العصر الحالي، وأنه يجب أن تتغير تفسيراته بما يناسب هذا الوقت، وعلى سبيل المثال : إرث المرأة {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} [النساء: ١١] يقولون: إن هذه الآية قد جاءت لزمن معين ويجب أن تتغير ، بحيث يتساوى الرجل والمرأة في الميراث.

للرد على هذه الشبهة:

إن القول بتاريخية . أو تاريخانية . ووقتية أحكام القرآن الكريم، بمعنى "أنها غير صالح لكل زمان" . عليها ملاحظات:

---

١ – نقلاً عن كتاب: "مشاكلنا في ضوء الإسلام". د/ عبد المنعم النمر: ٣٧.

٢ – المصدر السابق: ٣٩.

٣ – يقول الشهرستاني – رحمه الله –: "وبالجملة نعلم قطعًا ويقينًا، أن الحوادث والوقائع مما لا يقبل الحصر والعد، ونعلم قطعًا أيضا، أن لم يرد في كل حادثة نص، ولا يتصور ذلك. والنصوص إذا كانت متناهية، والوقائع غير متناهية، وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى، علمنا قطعًا أن الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار، حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد، ثم لا يجوز أن يكون الاجتهاد مرسلاً، خارجًا عن ضبط الشارع، فإن القياس المرسل شرع، وإثبات حكم من غير مستند وضع آخر، والشارع هو الواضع للأحكام" "الملل والنحل للشهرستاني: ١/١٨٠".

أولاً: أن هذه الدعوى ليست جديدة، فلقد سبق وتبناها فلاسفة التنوير الغربي الوضعي العلماني، بالنسبة للتوراة والإنجيل.
ثانياً: إن التاريخية والتاريخانية . أي وقتية الأحكام . لا يقول بها أحد في أحكام العبادات، وإنما يقول بها أصحابها في آيات وأحكام المعاملات.
ثم ننظر في هذا المثال الذي مثلوا به: "ميراث المرأة " فنزداد يقيناً بخطأ دعوى تطبيق هذه التاريخانية على القرآن الكريم، وعلى الأحكام التشريعية الواردة فيه، فليس صحيحاً أن توريث المرأة في الإسلام قد جانب الإنصاف لها، حتى يكون حكمه صالحاً للزمان الماضي دون الزمان الحاضر والمستقبل، فالأنثى . في الإسلام لا ترث نصف الذكر دائماً وأبداً، والقرآن لم يقل يوصيكم الله في الوارثين للذكر مثل حظ الأنثيين.
وإنما جعل ذلك في حالة بعينها هي حالة "الأولاد"، وليس في كل الوارثين مطلقاً:
{ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ[النساء: ١١] (سورة النساء : ١١).
أما عندما كان التقعيد عاماً للميراث فإن القرآن قد استخدم لفظاً عاماً هو لفظ "النصيب" لكل الذكور والإناث على حد سواء:
{لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا} [النساء: ٧]
ومعايير التفاوت في أنصبة الميراث لا علاقة لها بالجنس . ذكورة أو أنوثة . وإنما معايير هذا التفاوت ثلاثة:
١-درجة القرابة: فكلما كان الوارث أقرب إلى المورث زاد نصيبه في الميراث.
٢-وموقع الجيل الوارث في تسلسل الأجيال وتلك حكمة إلهية بالغة في فلسفة الإسلام للميراث . وكلما كان الوارث صغيراً من جيل يستقبل الحياة وأعباءها، وأمامه المسئوليات المتنامية، كان نصيبه من الميراث أكبر، فابن المتوفى يرث أكثر من أب المتوفى .
وكلاهما ذكر . وبنت المتوفى ترث أكثر من أمه . وكلتاهما أنثى، بل إن بنت المتوفى ترث أكثر من أبيه.
٣ -العبء المالي الذي يتحمله ويكلف به الوارث طبقاً للشريعة الإسلامية، فإذا اتفقت وتساوت درجة القرابة وموقع الجيل الوارث . مثل مركز الأولاد . أولاد المورث . مع تفاوت العبء المالي بين الولد الذكر . المكلف بإعالة زوجة وأسرة وأولاد . وبين البنت . التي سيعولها هي وأولادها زوج ذكر . هنا يكون للذكر مثل حظ الأنثيين، وهو تقسيم ليس فيه أية شبهة لظلم الأنثى، بل ربما كان فيه تمييز وامتياز لها، احتياطاً لاستضعافها.
وهذه الحقائق في المواريث الإسلامية . التي يجهلها ويتجاهلها دعاة تاريخية آيات الميراث . هي التي جعلت المرأة . في الجداول الإجمالية لحالات الميراث الإسلامي . ترث مثل الرجل ، أو أكثر من الرجل ، أو ترث ولا يرث الرجل في أكثر من ثلاثين حالة من حالات الميراث الإسلامي، بينما هي ترث نصف ما يرث الذكر في أربع حالات فقط !)([1]).

[1] – هل الإسلام هو الحل/ د. محمد عمارة ،و ميراث المرأة وقضية المساواة/ د. صلاح سلطان

الباب الثالث: أدعياء الإصلاح والتغيير

{أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [فاطر: ٨]

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ} [غافر: ٢٦]

اقرأ في الصفحات الآتية:

* صور من أدعياء الإصلاح في القديم والحديث.

* فرعون اللعين.

* رأس الفساد: مصطفى كمال

* سعد زغلول

الباب الثالث: أدعياء الإصلاح والتغيير

اعلم علمني الله و إياك: أن هناك فئام من الناس ممن زين لهم الشيطان سوء أعمالهم فأصبح حالهم كما قال الله تعالى {فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [فاطر: ٨]

يقول الإمام الطبري – رحمه الله - : يقول تعالى ذكره: أفمن حسَّن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر به، وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان، فرآه حسنًا فحسب سيىء ذلك حسنًا، وظن أن قبحه جميل، لتزيين الشيطان ذلك له. ذهبت نفسك عليهم حسرات، وحذف من الكلام: ذهبت نفسك عليهم حسرات اكتفاء بدلالة قوله (فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ) منه، وقوله(فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) يقول: فإن الله يخذل من يشاء عن الإيمان به واتباعك وتصديقك، فيضله عن الرشاد إلى الحق في ذلك، ويهدي من يشاء، يقول: ويوفق من يشاء للإيمان به واتباعك والقبول منك، فتهديه إلى سبيل الرشاد(فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ) يقول: فلا تهلك نفسك حزنًا على ضلالتهم وكفرهم بالله وتكذيبهم لك.)([1])

فأضحى الحق عندهم باطلا والباطل حقا وانطمست فطرتهم وعميت بصيرتهم واستحوذ عليهم الشيطان فرفعوا رايته ودعوا لشرعته وأذعنوا لأمره فأخذوا يدعون إلى الفساد و الإفساد بدعوى الإصلاح يقول الله سبحانه و تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ} [البقرة: ١١، ١٢]

فهؤلاء المنافقون الذين يفسدون في الأرض و يدعون الإصلاح فعن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم:(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)، هم المنافقون.

أما "لا تفسدوا في الأرض"، فإن الفساد، هو الكفر والعملُ بالمعصية.)([2])

يقول سيد قطب – رحمه الله-«وَإِذا قِيلَ لَهُمْ : لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ، قالُوا : إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ، وَلكِنْ لا يَشْعُرُونَ» ..

إنهم لا يقفون عند حد الكذب والخداع، بل يضيفون إليهما السفه والادعاء: «وَإِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ».. لم يكتفوا بأن ينفوا عن أنفسهم الإفساد، بل تجاوزوه إلى التبجح والتبرير: «قالُوا: إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ»..

والذين يفسدون أشنع الفساد، ويقولون: إنهم مصلحون، كثيرون جدا في كل زمان. يقولونها لأن الموازين مختلة في أيديهم. ومتى اختل ميزان الإخلاص والتجرد في النفس اختلت سائر الموازين والقيم.

والذين لا يخلصون سريرتهم للّه يتعذر أن يشعروا بفساد أعمالهم، لأن ميزان الخير والشر والصلاح والفساد في نفوسهم يتأرجح مع الأهواء الذاتية، ولا يثوب إلى قاعدة ربانية.

* ومن ثم يجيء التعقيب الحاسم والتقرير الصادق: «أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ، وَلكِنْ لا يَشْعُرُونَ» ..)([1])

---

[1] – جامع البيان (تفسير الطبري) ٢٠/ ٤٤١

[2] – جامع البيان (تفسير الطبري) ١/ ٢٨٨

و يبن القاسمي –رحمه الله تعالى تلك الحقيقة فيقول -القول في تأويل قوله تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ } [١١ ، ١٢]

شروع في تعديد بعضٍ من مساوئهم المتفرعة -على ما حكى عنهم من الكفر والنفاق - ، والفساد : خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعاً به ، ونقيضه الصلاح : وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة . والفساد في الأرض: تهييج الحروب والفتن، لأن في ذلك فساد ما في الأرض، وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس، والزروع، والمنافع الدينية والدنيوية. قال الله تعالى: { وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ } [البقرة : ٢٠٥] { أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ } [البقرة : ٣٠] . ومنه قيل لحربٍ كانت بين طيء : حرب الفساد - .

وكان إفساد المنافقين في الأرض أنهم كانوا يُمالئون الكفار على المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم ، وإغرائهم عليهم ، واتخاذهم أولياء ، مع ما يدعون في السر إلى تكذيب النبي- صلى الله عليه وسلم - وجحد الإسلام ، وإلقاء الشبه ، وذلك مما يجرئ الكفرة على إظهار عداوة النبي- صلى الله عليه وسلم- ، ونصب الحرب له ، وطمعهم - في الغلبة ، فلما كان ذلك من صنيعهم مؤدّياً إلى الفساد - بتهييج الفتن بينهم - قيل لهم : لا تفسدوا - كما تقول للرجل : لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار ، إذا أقدم على ما هذه عاقبته - وقد قال تعالى : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ } [الأنفال : ٧٣] . فأخبر أن مولاة الكافرين تؤدّي إلى الفتنة والفساد، لما تقدم.

وقولهم: {إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} أي: بين المؤمنين وأهل الكتاب. نداري الفريقين و نريد الإصلاح بينهما كما حكى الله عنهم أنهم قالوا: {إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً } [النساء : ٦٢] . أو معناه: إنما نحن مصلحون في الأرض بالطاعة والانقياد.

قال الراغب: تصوروا إفسادهم بصورة الإصلاح -لما في قلوبهم من المرض -كما قال : { أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً } [فاطر : ٨] وقوله : { وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأنعام : ٤٣] .

وقوله: { وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً } [الكهف : ١٠٤] .

وقال القاشاني كانوا يرون الصلاح في تحصيل المعاش، وتيسير أسبابه، وتنظيم أمور الدنيا - لأنفسهم خاصة - لتوغّلهم في محبة الدنيا ، و انهماكهم في اللذات البدنية ، واحتجابهم - بالمنافع الجزئية ، والملاذّ الحسية - عن المصالح العامة الكلّية ، واللذات العقلية ، وبذلك يتيسر مرادهم ، ويتسهل مطلوبهم ، وهم لا يحسون بإفسادهم المدرك بالحس .)([٢])

****

---

١ –[في ظلال القرآن - ١/ ٤٤]

٢ – محاسن التأويل (تفسير القاسمي) سورة البقرة :١١آية-١٢

صور من أدعياء الإصلاح في القديم والحديث

فرعون اللعين

أخي السلم: إن من صور الفساد و من أخطر أدعيائه الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه ذلك الغر المأفون الذي نسى الله فأنساه حقيقة نفسه فضل و أضل و أكثر في الأرض الفساد إنه ذلك العربيد فرعون اللعين الذي جاء بمفاسد كثيرة و بجرائم مريرة و مع كل ذلك يدعي أنه من المصلحين الخائفين على أمن العباد و البلاد إنه صورة لكثير ممن سار على دربه و انتهج منهجه و سار على سنته في الإفساد و محاربة الدين و الشريعة بدعوى إنهم يصلحون.

يقول الله تعالى مصورا لنا تلك الصورة {وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ} [غافر: ٢٦]

يقول سيد قطب – رحمه الله-ولعله من الطريف أن نقف أمام حجة فرعون في قتل موسى: «إِنِّي أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ».

فهل هناك أطرف من أن يقول فرعون الضال الوثني، عن موسى رسول اللّه -عليه السلام - «إِنِّي أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ»؟!!

أليست هي بعينها كلمة كل طاغية مفسد عن كل داعية مصلح؟

أليست هي بعينها كلمة الباطل الكالح في وجه الحق الجميل؟

أليست هي بعينها كلمة الخداع الخبيث لإثارة الخواطر في وجه الإيمان الهادئ؟

إنه منطق واحد، يتكرر كلما التقى الحق والباطل، والإيمان والكفر. والصلاح والطغيان على توالي الزمان واختلاف المكان. والقصة قديمة مكررة تعرض بين الحين والحين. (١)

و يقول الشيخ المراغي – رحمه الله-في قوله (إِنِّي أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ) أي إنى أخاف أن يفسد موسى عليكم أمر دينكم الذي أنتم عليه من عبادة غير اللّه ويدخلكم في دينه الذي هو عبادة اللّه وحده، أو يوقع بين الناس الخلاف والفتنة، إذ يجتمع إليه الهمل الشّرّد ويكثرون من الخصومات والمنازعات وإثارة القلاقل والاضطرابات، فتتعطل المزارع والمتاجر وتعدم المكاسب.

والخلاصة -إنه يقول: إني أخاف أن يفسد عليكم أمر دينكم بالتبديل، أو يفسد عليكم أمر دنياكم بالتعطيل، وهما أمران أحلاهما مرّ.

وقد جعل ظهور ما دعا إليه موسى وانتشاره في الأرض واهتداء الناس به فسادا، وليس الفساد إلا ما هو عليه هو ومن تابعه.)(٢)

يقول تعالى: { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} (القصص:٤]).أي إنّه كان من الراسخين في الإفساد ولذلك اجترأ على مثل تلك العظيمة من قتل من لا جنحة له من أبناء الأنبياء عليهم السلام

---

١ – في ظلال القرآن ـ ٥/ ٣٠٧٨

٢ – تفسير الشيخ المراغى ـ ٢٤/ ٦١

لتخيل فاسد ثم هو من المفسدين في الأرض بالعمل والمعاصي والتجبر والقتل وفي الآية الكريمة بيان أنّ القتل من فعل أهل الإفساد ([1])،وفرعون أسرف في القتل أي أسرف في الفساد.
وأصل فساد فرعون وإفساده أنّه كان من المكذبين الكافرين بآيات الله يقول تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ } [الأعراف: ١٠٣]ويقول تعالى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} النّمل:١٣-١٤].).(أي الذين صدّوا عن سبيل الله وكذبوا رسله)([2])،وكم بذل فرعون جهودا ليلا ونهارا للصد عن سبيل الله، حتى أنّه يصح منّا القول: إنّ وظيفته ووظيفة من حوله من الملأ والحاشية والجند ليست سوى الصد عن سبيل الله، وهكذا هي حال كل سلطة حاكمة تمارس الإفساد.
والمعنى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين أي المكذبين بالآيات الكافرين بها وجعلهم مفسدين لأنّ تكذيبهم وكفرهم من أقبح أنواع الفساد)([3])،لما يترتب على هذا التكذيب من آثار خطيره حيث لا تصلح الحياة إذا كُذّب بآيات الله وكُفر بها،و(وضع المفسدين موضع ضمير الظالمين للإيذان بأن الظلم مستلزم للإفساد)([4])،ففرعون ظالم ومفسد، وكأنّ شخصيته موضع لكل رذيلة، فهذه الرذيلة مرتبطة مع رذيلة أخرى، وتلك مفسدة تفرز مفسدة أخرى.
قلنا: إنّ الفساد خلل يُصيب الحياة، والنّاظر في حياة النّاس اليوم يرى أنّ الخلل قد أصاب معظم مناحي حياتهم؛ خلل في الفكر والتصور والمفاهيم، أورث القلق والاضطراب والأمراض النّفسية وفقدان السعادة والطمأنينة.
وخلل في النّظام السياسي العالمي والإقليمي والمحلي، أورث انتشار الرشوة والمحسوبية واستثناء الكفاءة، وفشت عقلية المؤامرة وفقدان الثقة وانعدمت روح المسؤولية وغاب حس الانتماء.
وخلل في الأخلاق أورث انتشار الجريمة المنظمة والشذوذ الجنسي وهدم الأسرة وظهور الوصوليين. وخلل في الإعلام الذي أصبح هدفه الهبوط بالإنسان إلى مرتبة الحيوان، وإحياء الغرائز الحيوانية فيه، وزرع الأفكار المادية الخاوية من أي روح إنسانية. وخلل في الاقتصاد بنشر الربا وما يتبع ذلك من فساد وشر، ونشر الغش والاحتكار والغبن وعدم الأمانة والاختلاس...إنّه الخلل الذي نشاهد آثاره في المجاعات المنتشرة هنا وهناك وموت الآلاف من البشر جوعا، ونشاهده في انتشار جيوب الفقر على أطراف الأحياء المترفة والمتخمة، وما يتبع هذا من خلل في العلاقات الاجتماعية وانحرافات جنونية هستيرية.

---

[1] – انظر: روح المعاني(٤٣/٢٠) وتفسير أبي السعود(٢/٧) وتفسير القرطبي(٢٤٩/١٣)وفتح القدير(١٥٩/٤)وزاد المسير(٢٠١/٦)وتفسير الجلالين(٥٠٦/١)وتفسير النسفي(٢٢٦/٣).

[2] – تفسير ابن كثير(٢٣٦/٢).

[3] – فتح القدير(٢٣١/٢).

[4] – تفسير أبي السعود(٢٥٧/٣) وانظر: روح المعاني(١٨/٩).

إنّ أخطر ما في ظاهرة الفساد والإفساد المعاصر هو أن يتحول الفساد إلى منظومة متكاملة من فكر فاسد، أُنشأت له مدارس ومعاهد، ومناهج تُبنى عليه، وخصوصا أنّ المفسدين في الأرض يسيطرون على المفاصل الحساسة في حياة النّاس.
ومن أجل أن يُتمّ المفسدون مشروعهم عملوا بكل قوتهم لمنع عناصر الإصلاح المتمثلة بالجماعة المسلمة من الحركة، فهم يحاولون محاصرة أي نشاط إصلاحي وعلى كافة المستويات؛ السياسية والاجتماعية والثقافية والإعلامية. بل وصل بهم الأمر إلى إغلاق المعاهد والمدارس الإسلامية ومنع المتحجبات من دخول المؤسسات الحكومية من المدرسة والجامعة وصولا إلى البرلمان رمز الديمقراطية الحديثة!

المفاسد الفرعونية

و تأمل في فساد فرعون اللعين يقول الله تعالى {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } [القصص: ٤] وجملة إنه كان من المفسدين تعليل لجملة إن فرعون علا في الأرض. وقد علمت مما مضى عند قوله {قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [البقرة: ٦٧] أن الخبر بتلك الصيغة أدل على تمكن الوصف مما لو قيل: أن أكون جاهلا، فكذلك قوله إنه كان من المفسدين دال على شدة تمكن الإفساد من خلقه ولفعل الكون إفادة تمكن خبر الفعل من اسمه.
فحصل تأكيد لمعنى تمكن الإفساد من فرعون، ذلك أن فعله هذا اشتمل على مفاسد عظيمة.
المفسدة الأولى: التكبر والتجبر فإنه مفسدة نفسية عظيمة تتولد منها مفاسد جمة من احتقار الناس والاستخفاف بحقوقهم وسوء معاشرتهم وبث عداوته فيهم، وسوء ظنه بهم وأن لا يرقب فيهم موجبات فضل سوى ما يرضي شهوته وغضبه، فإذا انضم إلى ذلك أنه ولي أمرهم وراعيهم كانت صفة الكبر مقتضية سوء رعايته لهم والاجتراء على دحض حقوقهم، وأن يرمقهم بعين الاحتقار فلا يعبأ بجلب الصالح لهم ودفع الضر عنهم، وأن يبتز منافعهم لنفسه ويسخر من استطاع منهم لخدمة أغراضه وأن لا يلين لهم في سياسة فيعاملهم بالغلظة وفي ذلك بث الرعب في نفوسهم من بطشه وجبروته، فهذه الصفة هي أم المفاسد وجماعها ولذلك قدمت على ما يذكر بعدها ثم أعقبت بأنه كان من المفسدين.
المفسدة الثانية: أنه جعل أهل المملكة شيعا وفرقهم أقساما وجعل منهم شيعا مقربين منه ويفهم منه أنه جعل بعضهم بضد ذلك وذلك فساد في الأمة لأنه يثير بينها التحاسد والتباغض، ويجعل بعضها يتربص الدوائر ببعض، فتكون الفرق المحظوظة عنده متطاولة على الفرق الأخرى، وتكدح الفرق الأخرى لتزحزح المحظوظين عن حظوتهم بإلقاء النميمة والوشايات الكاذبة فيحلوا محل الآخرين. وهكذا يذهب الزمان في مكائد بعضهم لبعض فيكون بعضهم لبعض فتنة،
وشأن الملك الصالح أن يجعل الرعية منه كلها بمنزلة واحدة بمنزلة الأبناء من الأب يحب لهم الخير ويقومهم بالعدل واللين، لا ميزة لفرقة على فرقة، ويكون اقتراب أفراد الأمة منه بمقدار المزايا النفسية والعقلية.

المفسدة الثالثة: أنه يستضعف طائفة من أهل مملكته فيجعلها محقرة مهضومة الجانب لا مساواة بينها وبين فرق أخرى ولا عدل في معاملتها بما يعامل به الفرق الأخرى، في حين أن لها من الحق في الأرض ما لغيرها لأن الأرض لأهلها وسكانها الذين استوطنوها ونشأوا فيها.
والمراد بالطائفة: بنو إسرائيل وقد كانوا قطنوا في أرض مصر برضى ملكها في زمن يوسف وأعطوا أرض (جاسان) وعمروها وتكاثروا فيها ومضى عليهم فيها أربعمائة سنة، فكان لهم من الحق في أرض المملكة ما لسائر سكانها فلم يكن من العدل جعلهم بمنزلة دون منازل غيرهم، وقد أشار إلى هذا المعنى قوله تعالى طائفة منهم إذ جعلها من أهل الأرض الذين جعلهم فرعون شيعا.
وأشار بقوله طائفة إلى أنه استضعف فريقا كاملا، فأفاد ذلك أن الاستضعاف ليس جاريا على أشخاص معينين لأسباب تقتضي استضعافهم ككونهم ساعين بالفساد أو ليسوا أهلا للاعتداد بهم لانحطاط في أخلاقهم وأعمالهم بل جرى استضعافه على اعتبار العنصرية والقبلية وذلك فساد لأنه يقرن الفاضل بالمفضول.
من أجل ذلك الاستضعاف المنوط بالعنصرية أجرى شدته على أفراد تلك الطائفة دون تمييز بين مستحق وغيره ولم يراع غير النوعية من ذكورة وأنوثة وهي:
المفسدة الرابعة: أنه يذبح أبناءهم أي يأمر بذبحهم، فإسناد الذبح إليه مجاز عقلي. والمراد بالأبناء: الذكور من الأطفال. وقد تقدم ذكر ذلك في سورة البقرة. وقصده من ذلك أن لا تكون لبني إسرائيل قوة من رجال قبيلتهم حتى يكون النفوذ في الأرض لقومه خاصة.
المفسدة الخامسة: أنه يستحيي النساء، أي يستبقي حياة الإناث من الأطفال، فأطلق عليهم اسم النساء باعتبار المآل إيماء إلى أنه يستحييهن ليصرن نساء (١)

رأس الفساد: مصطفى كمال

أخي المسلم: و ممن ادعى الإصلاح و تهافت كثير من أبناء الأمة من شرقها إلى غربها ذلك العميل الذي اصطنعه الغرب على عينه ليهدم المبادئ و الأخلاق ليحارب الدين و الشرع ويلغي الخلافة الإسلامية و يمنع الأذان و يحارب اللغة العربية إنه رأس الفساد و الإفساد ، إنه الرجل الصنم تُرى من هو ؟
*من هو مصطفى كمال؟؟
وتمر الأيام و الليالي و السنين و يأخذ بسنة فرعون أشياع و اتباع اتخذوه قدوة و اتبعوا سنته و منهجه في محاربة الحق و محاولة إطفاء نور الهداية و من جملة هؤلاء ذلك الدعي الزنيم الفاسق العربيد الذي ظهر للناس في صورة الناصح الأمين و هو شيطان رجيم و المصلح الخائف على أمن البلاد و العباد و لا غرو أن يكون حاله كما قال الشاعر

وإذا الذئاب استنعجت لك مرَّةً فحذار منها أن تعود ذئابا
فالذئب أخبث ما يكون إذا بدا متلّبساً بين النعاج إهابا

إنه الرجل الصنم... والخائن الأكبر مصطفى كمال أتاتورك الذي أسقط دولة الخلافة وأتى بالعلمانية:
- قال هذا الزنديق في افتتاح البرلمان التركي عام ١٩٢٣:

---

١ – [التحرير والتنوير ٢٠/ ٦٩]

"نحن الآن في القرن العشرين لا نستطيع أن نسير وراء كتاب تشريع يبحث عن التين والزيتون")([1]).

*** اصطناع البطل الوهمي أتاتورك:**

لقد كانت اللعبة العالمية تقتضي اصطناع (بطل) تتراجع أمامه جيوش الحلفاء الجرارة! وتعلق الأمة الإسلامية اليائسة فيه أملها الكبير وحلمها المنشود، وفي أوج عظمته وانتفاخه ينقض على الرمق الباقي في جسم الأمة فينهشه ويجهز عليها إلى الأبد! وهذا أفضل قطعًا من كل الـ "مائة مشروع لتقسيم تركيا")([2]) وهدم الإسلام.

- وتمت صناعة البطل بنجاح باهر ووقف يتحدى الحلفاء وألقى باليونان في البحر)([3]) ، ولم ير الحلفاء بدًا من التفاوض معه! وكانت ثمرة المفاوضات هي - الاتفاقية المعروفة باتفاقية "كيرزن" عام ١٩٢٣ ذات الشروط الأربعة:

"١ -إلغاء الخلافة الإسلامية نهائيًّا من تركيا.

٢ -أن تقطع تركيا كل صلة مع الإسلام.

٣ -أن تضمن تركيا تجميد وشل حركة جميع العناصر الإسلامية الباقية في تركيا.

٤ -أن يستبدل الدستور العثماني القائم على الإسلام بدستور مدني بحت)([4]) .

- ويصف المؤرخ (آرمسترونج) خطوات تنفيذ الاتفاقية قائلاً:

"انطلق كمال أتاتورك يكمل عمل التحطيم الشامل الذي شرع فيه وقد قرر أنه يجب عليه أن يفصل تركيا عن ماضيها المتعفن الفاسد، يجب عليه أن يزيل جميع الأنقاض التي تحيط بها، هو حطم فعلاً النسيج السياسي القديم، ونقل السلطنة إلى ديمقراطية، وحول الامبراطورية إلى قطر فحسب، وجعل "

الدولة الدينية جمهورية عادية، إنه طرد السلطان (الخليفة) وقطع جميع الصلات عن الإمبراطورية العثمانية، وقد بدأ الآن في تغيير عقلية الشعب بكاملها وتصوراته القديمة وعاداته ولباسه وأخلاقه وتقاليده وأساليب الحديث ومناهج الحياة المنزلية التي تربطه بالماضي")([5]) .

- وامتدح توينبي عمله واعتبره أعظم من هتلر عبقرية في فن الهدم وقطع الصلة بالماضي، وقال: "إن الدولة القومية التركية التي أقامها مصطفى كمال على النسق الغربي تبدو -وقت كتابة هذه السطور-عملاً ناجحًا لم يتحقق مثله حتي ذلك الوقت في أي بلد إسلامي آخر"([6]) .

---

[1] – كلهم سلمان رشدي" (ص ٢٧).

[2] – عنوان كتاب ألفه جوفار ولخصه الأمير شكيب أرسلان في حاضر العالم الإسلامي

[3] – الأبطال الحقيقيون لحرب الاستقلال ذكرهم مؤلف كتاب "الرجل الصنم" وعلى العموم، فإن شجاعة المجاهدين الاتراك هي التي مكنت أتاتورك من ركوب الموجة، انظر الفصل الرابع من الكتاب المذكور.

[4] – المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام" لمحمد محمود الصواف (ص ١٧٤).

[5] –"الصراع بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية" (ص ١٦).

[6] – مختصر دراسة التاريخ" لأرنولد توينبي (٣/ ١١٣).

- وامتدحه ولفرد كانتول سمث -على طريقته الخاصة- قائلاً: " .. رأينا تركيا في سبيل رفعة شأنها وخلق مثل عليا جديدة لم تتردد في سحق السلطات الدينية وألغت تعاليمها وحررت الإسلام وكشفت النقاب عن الدين الحق القويم!! ")[١] .

نصب مصطفى كمال نفسه إلهًا من دون الله يشرع للأمة كما يشاء، فلفق قانونًا فريدًا يتكون أكثره من القانون السويسري والقانون الإيطالي وغيرهما وأكمل الباقي من عنده، ومع ذلك فهو يدعي أنه كله من عنده قائلاً:

"نحن لا نريد شرعًا فيه قال وقالوا ولكن شرعًا فيه قلنا ونقول")[٢]

- ويصف أحد الكتاب الغربيين جلسة في مجلس النواب فيقول أن مصطفى كمال وقف قائلاً:"إن التشريع والقضاء في أمة عصرية يجب أن يكونا عصريين مطابقين لأحوال الزمان لا للمبادئ والتقاليد".

- ثم اقتفاه وزير العدل شارحاً ومفسراً:

"إن الشعب التركي جدير بأن يفكر بنفسه بدون أن يتقيد بما فكر غيره من قبله، وقد كان كل مادة من مواد كتبنا القضائية مبدوءة بكلمة قال المقدسة، فأما الآن فلا يهمنا أصلاً ماذا قالوا في الماضي بل يهمنا أن نفكر نحن ونقول نحن")[٣] .

- ويعترض عليه مرة أحد القانونيين بقوله: "إن هذا النظام الذي تريدون وضعه لا يوجد في أي كتاب للقانون".

فيتلقى الجواب التالي:

- "إن النظم ليست إلا أشياء وأموراً تكيفت ومرت من التجارب .. على أن أنفذ ما أريد وعليكم أن تدرجوا ما أعمل في الكتب!! ")[٤].

ونتيجة التطرف والغلو المفرط والأعمال التي لا مبرر لها إلا تنفيس الحقد الأوربي على الإسلام ومركب النقص الذي كان يستشعره الكماليون -اتخذت تركيا المتعلمة تدبيرات وإجراءات غريبة حقًّا:

فقد ألغت بالعنف والإرهاب الكتابة التركية بالأحرف العربية ثم تجرأت فحرمت الأذان بالعربية، وكتبت المصحف أو ترجمته بلغتها الهجين، وحددت عدد المساجد وأقفلت كثيراً منها أو حولته إلى ما لا يتفق وقداسته كما فعلت بجامع أيا صوفيا، وألغت وزارة الأوقاف. وفرضت بقوة السلاح المسخ الفكري وحتى المظهري على الأمة لا سيما معركة القبعة الأوروبية التي سالت لأجلها الدماء، وألغت الأعياد الإسلافية، وحطمت بصورة استبدادية مظاهر الحشمة والحياء الإسلافيين، فأكرهت النساء على تقليد المرأة الغربية في كل شيء وحاربت بشدة صارمة كل من اعترض طريقها من المتورعين وحتى المعتدلين شيئًا ما من الكماليين)[٥] .

---

[١] – الإسلام والخلافة" لعلي الخربوطلي (ص ٢٨٥).

[٢] – حاضر العالم الإسلامي" لستودارد (٣/ ٣٤٣).

[٣] – المصدر السابق (٣/ ٣٤٤، ٣٤٥).

[٤] – الرجل الصنم" لضابط تركي سابق (ص ٢٠٥).

[٥] – انظر "تاريخ الشعوب الإسلامية" لبروكلمان، فصل "تركية والإسلام في الغرب" جان بول رو: (١٨١، ١٨٦)، و"الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية" (٥٩ – ٦٣).

ولذلك فإن حكومة تركيا العلمانية الكمالية -هي كما وصفها الأمير شكيب أرسلان- ليست حكومة دينية من طراز فرنسا وإنجلترا فحسب، بل هي دولة مضادة للدين كالحكومة البلشانية في روسيا سواء بسواء، إذ أنه حتى الدول اللادينية في الغرب بثوراتها المعروفة لم تتدخل في حروف الأناجيل وزي رجال الدين وطقوسهم الخاصة وتلغي الكنائس)([1]) .

والحقيقة المرة أن مصطفى كمال قد خلق نموذجًا صارخًا للحكام في العالم الإسلامي، وكان لأسلوبه الاستبدادي الفذ أثره في سياسات من جاء بعده منهم، كما أنه أعطى الاستعمار الغربي مبررا كافيًا للقضاء على الإسلام، فإن فرنسا مثلا برررت تنصير بلاد المغرب العربي وفرنجتها بأنه لا يجب عليها أن تحافظ على الإسلام أكثر من الأتراك المسلمين أنفسهم!!

وليس أعجب من هذا الرجل وزمرته إلا من ينادون اليوم -من الزعماء- بإقامة حكومات علمانية في بلادهم ويقولون: أن مصطفى كمال هو قائدهم الروحي.

*** حقيقة أتاتورك:**

- يقول الأستاذ أنور الجندي: "إن أتاتورك في الحقيقة لم يكن مجاهدًا ولا مصلحًا، وإنما كان تتمة الاتحاديين لقد أخروا دوره في المرحلة الأولى قبل الحرب ليتولى الدور الثاني.

فالاتحاديون أسقطوا الدولة العثمانية بأن أدخلوها الحرب لتصفي ماليتها ووجودها.

وجاء أتاتورك ليفرض عليها اللون الغربي، وينقلها نقلة واسعة عن دولة الخلافة الإسلامية إلى دولة علمانية تكتب بالحروف اللاتينية، ويقضي على الإسلام تمامًا، ومعاهدته السرية المعروفة التي عرفت بمعاهدة لوزان تكشف ذلك في وضوح.

وقد استطاع أتاتورك إخفاء وجهه الحقيقي حتى يؤدي دوره كاملاً فخدع المسلمين في المرحلة الأولى بالصلاة وإمساك المصحف، وطلب الدعاء منهم.

أما دوره في الجهاد في أزمير فقد كشفت الوثائق أنه كان زائفًا، وأن غيره هو الذي قام بدور البطولة، وأنه استلب منهم هذا المجد وحطمهم ونسبه إلى نفسه.

ولقد كان أتاتورك عميلاً غربيًا كاملاً، وعميلاً صهيونيًا أصيلاً، وقد أدى دوره تمامًا، وأقام تلك التجربة المظلمة المريرة التي تركت آثارها من بعد على العالم الإسلامي كله، والتي كشفت الأحداث في الأخير فسادها، وتبرأ الأتراك المسلمون من تبعتها، وكانت ظاهرة عودتهم إلى الأصالة مرة أخرى دليل على أنها كانت تجربة زائفة مضادة للفطرة ولطبائع الأشياء، والدليل إن المسلمين لم يتقبلوها بل رفضوها، وقد كشف أكثر من مستشرق وفي مقدمتهم (هاملتون جب) أن العرب لن يقعوا في براثن هذه التجربة التي خرجت بهم عن الأصالة وعن الذاتية الإسلامية.

ولقد كان من أكبر معالم اضطراب كمال أتاتورك أنه عندما أحس بدنو أجله أن دعا السفير البريطاني ليتولى بدلاً منه رئاسة الدولة التركية، كعلامة

من علامات الخسة والنذالة والخيانة!!

وقد صفع المؤرخ العالمي آرنولد توينبي التجربة الكمالية التي يفخرون بها ويمجدونها الآن بعد أن رفضها أهلها وحكموا بفسادها. يقول توينبي: إن الأتراك كانوا عالة على الحضارة الغربية،

---

١ -) "حاضر العالم الإسلامي" (٣/ ٣٣٦).

وأنهم تغربوا ولم يقدموا أي شيء إلى هذه الحضارة، فكانوا عاجزين عن الإبداع في أي مجال من مجالات الإنتاج.

والواقع أن مصطفى كمال أتاتورك لم يكن كما يدعي المدعون شيئًا جديدًا، ولكنه كان حلقة في المؤامرة بدأها مدحت، وكان وسطها رجال الاتحاد والترقي للقضاء على السلطان والدولة العثمانية. ثم ختمها أتاتورك بالقضاء على الخلافة الإسلامية، ولا ريب أن انتقاص قدر الدولة العثمانية وحكامها مجاف لواقع التاريخ، وهو من عمل أتباع التغريب والشعوبية، وقد جرى ضمن مخطط يرمي إلى إثارة الخلافات والخصومة بين عناصر الأمة الإسلامية، وكان دعوة للوقيعة بين العرب والترك والفرس، وهم عناصر الأمة الواحدة التي جمعها القرآن وقادها محمد - صلى الله عليه وسلم - وآمنت بأنه لا إله إلا الله مهما كانت هناك خلافات فرعية فإنهم جميعًا أمة واحدة، ولو كان هناك قليل من الإنصاف والأمانة التاريخية لدى كتابنا المزيفين لراجع الكاتب ما كتبه أستيورت وهو غربي في كتابه "حاضر العالم الإسلامي قبل أربعين عامًا"، وكيف تحدث عن عظمة الدولة العثمانية ودورها الذي قامت به في وجه الصليبية الغربية.

- أما صيحة العناصر والأجناس التي حاول كاتب أخبار اليوم أن يجعلها قضية فإنها لم تكن كذلك في ذلك الوقت، وإنما هي المؤامرة التي عمد النفوذ الأجنبي بها إلى استغلال صيحة القوميات لتفكيك عرى الدولة العثمانية، أما المسلمون فلم يكونوا يعرفون مصرية وسورية وجزائرية وغيرها) (١)

ولا شك أن العنف الذي واجه به مصطفى كمال مؤسسات الإسلام، وما قام به من دحر لنفوذه في تركيا، يكشف بوضوح عن أنه كان من أخلص رجال المحافل الماسونية، بل يصل إلى أبعد من ذلك عندما يؤكد ما ردده كثير من الباحثين من: أن مصطفى كمال نفسه من أصل يهودي من الدونمة في سالونيك، وأنه كان يتخفى بالمكر والخديعة في معاركه حتى استطاع كسب قلوب المسلمين، فأرسلوا له من التبرعات والأموال الشيء الكثير حتى إذا تمكن من امتلاك أزمة الأمور سحق أنصار الإسلام سحقاً.

والواضح من دراسة تاريخ حياة مصطفى كمال أمور عدة:

أولاً: أنه لم يكن هو قائد معركة التحرير ضد القوات الأوروبية واليونانية، وإنما هو الذي سيطر على هذه القوات من بعد، وسحب أسماء الأبطال الذين بدأوا هذه المعارك، وكان لهم دور كبير في تحقيق النصر، وإن الفضل الأول كان للقائد قره بكير وغيره.

ثانياً: أن أوربا قد سلمت لمصطفى كمال بزعامة تركيا، وانسحبت أمامه بعد أن وقع على وثيقة رسمية دولية في مؤتمر الصلح، قرر فيها إزالة الإسلام والخلافة، وإخراج زعماء المسلمين، والحكم بالقوانين الغربية، وإلغاء اللغة العربية بعد أن اطمأنت إلى أن تركيا - عنصر المخافة - قد انتهت

ثالثاً: أن هذه البطولة التي حكيت لها أثوابها، ووضعت في هذا الطابع من الروعة والبهاء، إنما كانت خدعة النفوذ الاستعماري لتأكيد وجوده وسلطانه، ومنحه القوة على تدمير كل

---

١ -[أعلام وأقزام في ميزان الإسلام ١/ ٣٨٢وما بعدها]

المؤسسات الإسلامية، حتى لا يبقى منها شيء يخيف أوربا، أو يزعج اليهودية العالمية، التي كانت تطمع منذ وقت بعيد إلى أحد أمرين:
القضاء على الدولة العثمانية، واتخاذ إلغاء الخلافة الإسلامية طريقاً للوصول إلى فلسطين.
وظهر على حقيقته:
ولقد دفع مصطفى كمال تركيا دفعاً قوياً إلى العلمانية، وألغى القوانين الإسلامية، واضطهد المسلمين والإسلام أبشع اضطهاد، وقتل العشرات، وعلق جثثهم على أعواد الشجر، وأغلق المساجد، ومنع الآذان والصلاة باللغة العربية، وأعاد مسجد أيا صوفيا كنيسة ومتحفاً، واستبدل بالشريعة الإسلامية قانوناً وضعياً، واتخذ الحروف اللاتينية بدلاً من العربية في كتابة الأبجدية التركية، وألغى تدريس الإسلام في المدارس والجامعات، ودعا إلى قومية طورانية عرقية متصلة الأواصر بالوثنيين السابقين للإسلام.
ولقد كان منفذا أميناً للمخطط الذي رسمه الاستعمار واليهودية العالمية، وهو إزالة الخلافة وفصل تركيا عن العالم الإسلامي والأمة العربية، وبذلك حقق مصطفى كمال - في العالم الإسلامي وفي مواجهة العروبة - أخطر حركة استغراب، وفرضها فرضاً على الأمة التركية، ولم يحققها تدريجياً، أو على نحو التقبل والتطور والمرونة.
فقد كان مدفوعاً من القوى الأجنبية إلى تنفيذ ذلك في أقصى سرعة وأبعد مدى، وإقامة هذا النظام على أساس السلطة الحاكمة والقوانين والإرهاب الدموي، وذلك حتى لا توجد ثغرة من بعد للتفتح على الإسلام من جديد أو الترابط بين العرب والترك، ولقد جمع الاتحاديون الشمل المشتت بعد الحرب العالمية خلف مصطفى كمال فتسموا بالقوى الكمالية.
ولا فارق بين الدعوة الاتحادية والدعوة الكمالية في أبرز مخططاتها، وهو إعلاء العنصرية التركية، وكتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية، وتنفيذ نظام سياسي واجتماعي غربي لا ديني منفصل عن الإسلام والشريعة والقيم والمعتقدات الإسلامية التي عرفتها الدولة العثمانية أكثر من أربعمائة عام، وقبل قيام الدولة العثمانية كان الأتراك مسلمين منذ عهد العباسيين.

آراء مؤرخي الغرب:

ولقد كان انتماء تركيا إلى الغرب سبة في تاريخها، فلم تسلم من قلم مؤرخ أو فيلسوف، فما استطاعت تركيا أن تعطي الحضارة الغربية شيئاً ما بعد أن انتمت إليها كما أعطتها شعوبها، إلا أنها كانت ولا تزال ذيلاً لها.
وقد أشار أرنولد توينبي إلى ذلك صراحة في موسوعته وقال: إن تركيا حين تغربت لم تقدم شيئاً إلى الغرب أو جديداً إلى الحضارة، وعاشت عالة على القوانين والمنظمات الغربية.
وكما قال عبد الله التل: كان تخلي تركيا عن الإسلام ثمناً لتأييد دول الحلفاء لها في حركتها التي قادها مصطفى كمال، ولقد كان الوسيط الذي أشرف على اتفاق الحلفاء مع مصطفى كمال هو الحاخام "حاييم ناحوم" الذي كان رئيساً لليهود في تركيا قبل انتقاله إلى مصر، وهو الوسيط القوي الذي أوفده مصطفى كمال إلى دول الغرب في مؤتمر لوزان فحقق لتركيا ما أراد الغرب.
دراسات جادة: وقد ظهرت في السنوات الأخيرة دراسات جادة تكشف حقيقة "كمال أتاتورك" منها كتاب الدكتور رضا نور، حيث كشف جرائم أتاتورك وماخزيه وخياناته في أكثر من ألفين من

الصفحات تحت عنوان "حياتي وذكرياتي" كما صدر كتاب "الرجل الصنم" لأحد الضباط المقربين من أتاتورك.
وقد هدمت هذه المؤلفات بناء الأكذوبة الأسطورية التي خدعت الأتراك والمسلمين في بعض البلاد إلى حين، وألقت الأضواء الحقيقية على حياة المغامر الخطير، بل لقد تحدثت في جرأة شديدة على مولده وظروف حياته الأولى.
بل إن هذه الظروف قد أوردتها كتب ناصرت أتاتورك، وأهمها كتاب "الذنب الأغبر" الذي يقول بالنص: كان بفطرته ثائراً لا يحترم رئيساً أو إنساناً، أو وضعاً من الأوضاع، ولا يقبح شيئاً على الإطلاق. وإنه كان يشرب ويلهو كل ليلة حتى مطلع الفجر في المقاهي وأوكار الغرام، وقد مارس جميع الرذائل، وجرب كل الموبقات، وانغمس فيها حتى أذنيه، ثم دفع الثمن مرضاً جنسياً وصحة منهارة.
ويقول أر مسترونج أيضاً: إنه كان ولوعاً بالأحاديث الخليعة، والإفراط في الشراب والمغامرات الماجنة والليالي الحمراء في رفقة النساء، وهناك جوانب أخرى يعف القلم عن ذكرها أو ترديدها.
* عنف وتسلط: وعندما نستعرض حياة كمال أتاتورك منذ تولي السلطة حتى وفاته ١٩٣٨ م نجد صورة عاصفة من العنف والظلم والتسلط البالغ المدى في سبيل تثبيت دعائم هذا النظام الوافد، وآية ذلك الولاء المزدوج لبريطانيا وروسيا الشيوعية في آن.
وأبرز هذه المواقف صلته بالإنجليز، وما تحمله الوثائق مشيرة إلى عبارة: قيامه ببيع الوطن إلى الإنجليز، ومن ذلك موقفه إبان المرض عندما استدعى السفير البريطاني في تركيا، وطلب إليه أن يتولى منصب رئيس جمهورية تركيا وفزعت بريطانيا لذلك.
ولقد استطاع أن يحقق للصهيونية العالمية خطتها في السيطرة بإلغاء الخلافة والوجهة الإسلامية والحروف العربية والشريعة والمواريث والأوقاف والتعليم الديني.

إسقاط الخلافة الإسلامية:

وإذا كانت تركيا تحاول أن تعود اليوم إلى طابعها الإسلامي الأصيل فإن محاذير كثيرة تعمل لتصدها عن تحقيق هذه الغاية، ولكن الله غالب على أمره (٣) ولكن التجربة كلها تثبت أن مجاوزة الفطرة ومحاربة الدين هي محاولة باطلة لا يمكن أن تستمر، ولابد أن يحطمها الزمن لمجافاتها لسنن الأمم والحضارات والتاريخ.
وإذا أردنا أن نتحدث عن كمال أتاتورك في كلمة قلنا: إن تاريخه قد ارتبط بأخطر حدث في تاريخ الإسلام وهو إلغاء الخلافة الإسلامية بعد تدمير الدولة العثمانية أكبر مركز تجمع للأمة الإسلامية، وهو آخر المراحل التي تطلع إليها الاستعمار واليهودية العالمية من أجل تمزيق وحدة الإسلام والعروبة، والقضاء على آخر صرح جامع للعرب والترك يحمل لواء الجامعة الإسلامية، ويتنادى بالمسلمين في كل بقاع الأرض.
لقد كان إسقاط الخلافة عام ١٩٢٤ م من أخطر الأحداث في العالم كله، وسيظل من الأعمال الكبرى ضد الإسلام، وسيحمل لاسم مصطفى كمال أكبر التبعات في حكم التاريخ، فقد فتح الباب واسعاً أمام صراع الإقليميات والقوميات التي تتحرك في فراغ، دون أن ترتبط بدائرة أساسية هي دائرة الفكر الإسلامي، أو الوحدة الإسلامية للجامعة في مجال الجغرافيا أو في مجال الفكر.

غير أن إلغاء الخلافة الإسلامية لم يحقق ما توقعه الاستعمار واليهودية العالمية من تمزق الإسلام أو اضطراب المسلمين والعرب، الذين أغرقوا على التو في أتون الأجناس والعصبيات والعنصرية، بقصد تعميق عوامل الخلاف ودعمها، والحيلولة دون قيام وحدة فكرية أو اجتماعية بينهم، لقد ركزت هذه الدعوات التغريبية على الازدراء بالخلافة العثمانية والجامعة الإسلامية، وعلى إثارة الصراع بين الإسلام والعروبة، وبين القومية والوطنية، وبين الإقليمية والقومية، وبين العناصر المختلفة وبين الأديان والمذاهب، وذلك كله لإذابة كل هدف سليم واضح تطرحه حركة اليقظة الإسلامية في الطريق الصحيح إلى معرفة الحقيقة، وإلى اتخاذ الأسلوب الأصيل لمواجهة الأخطار، ونتيجة للضعف السياسي الذي كان يمر بالعالم الإسلامي.

فقد عجز قادة المسلمين عن إعادة بناء الخلافة الإسلامية مرة أخرى بعد أن أسقطها مصطفى كمال، وإن ظلت عنصراً أساسياً في مناهج الدعوات الإسلامية، وخطة واضحة في برنامج حركة اليقظة العربية الإسلامية.

وما زال المسلمون يبحثون عن صيغة تحمل لواء الوحدة بديلاً من الخلافة أو مقدمة لها، ولقد كانت مكة وجامعتها في أيام الحج، وكان الأزهر من القوى التي ساندت حركة اليقظة الإسلامية بعد سقوط الخلافة، وكان انتعاش السلفية الجديدة في الجزيرة العربية واليقظة الإسلامية في مصر وباكستان وغيرها، من علامات التعويض السريع، ثم جاءت بعد ذلك مؤتمرات التضامن الإسلامي، وما زالت تخطو خطوات بطيئة ولكنها ثابتة.

آثار إلغاء الخلافة: وقد صور الدكتور عبد الوهاب عزام الآثار التي ترتبت على إلغاء الخلافة في العالم الإسلامي فقال: إن عمل الكماليين من بعد دل على أن إلغاء الخلافة لم يكن نزوة عابرة، بل كان الحلقة الأولى في سلسلة مصنوعة، والخطوة الأولى من خطة موضوعة، خطة أملاها عليهم الروس والإنجليز وأوربا.

لقد كان إلغاء الخلافة من هذه الخطوب المكفهرة لحل رباط حزمة من التعصب في ريح عاصف بلغت من المسلمين أسوأ مبلغ، وبلغت بأعدائهم أبعد غاية، ولا ينكر هذا إلا جاهل بطبائع الأمم، وأحسب أن الإنجليز كان يهون عليهم أن يبذلوا ملايين الجنيهات ليبلغوا الغاية التي بلغهم إياها الكماليون بغير بذل ولا كد.

أمر مقرر؟؟

وهناك من الدلائل ما يؤكد أن إلغاء الخلافة الإسلامية كان أمراً مقرراً منذ اليوم الأول للانقلاب العثماني الذي قام بإسقاط السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ م، ولكنه نفذ على مراحل، واتخذت إجراءاته واحدة بعد أخرى، حتى تم تنفيذه على يد مصطفى كمال عام ١٩٢٤ م، بعد أن أسقط الخلافة الزمنية، وأقام بدلاً منها خلافة منفصلة عن السلطنة توطئة للإجهاز عليها، جملة.

وسيظل تاريخ مصطفى كمال أتاتورك مرتبطاً بإسقاط الخلافة الإسلامية إلى أن تعود بإذن الله تبارك وتعالى خلال القرن الخامس عشر. (١)

****

١ –هذا المقال من موقع التاريخ / https: //secure25. nocdirect. com/~altareek/doc و كتابنا فكر المؤامرة عقيدة وحقيقة لا خيال

سعد زغلول

و من جملة المفسدين الذين ظهروا في الحُقبة الأخيرة رجل يُضرب به المثال في الوطنية و البطولة و يُدرس تاريخه و أفعاله للأبناء و البنات في المدارس و الجامعات و جعلوا منه زعيما للتحرر و التقدم و الإصلاح و هو في الحقيقة صناعة غربية و جرثومة إفسادية أفسدت على كثير من أبناء الأمة الانتماء لكتاب رب الأرض و السماء، وللأسف ينخدع الكثير من العامة في الكثير من الأسماء منها هذا الاسم

كان الهدف الأول للاستعمار هو تحويل حركات الجهاد الإسلامي ضد الاستعمار الصليبي إلى حركات وطنية، كما فعل سعد زغلول في مصر.

تعلمت بريطانيا الدرس الذي لاقاه الفرنسين في مصر فعمدت الي طمس الهوية الإسلامية للمصريين وكان للأسف هذا الهالك هو أحد أدواتها

سعد زغلول هو أول من حول الجهاد ضد الاستعمار الصليبي الإنجليزي إلى حركة وطنية لا علاقة لها بالدين بل و تعانق الهلال مع الصليب و تناسي أفعال النصارى المصريين إبان الحملة الفرنسية و على رأسهم المعلم يعقوب الذي ألان لفرنسا الصعيد بأكمله فقد كانت القضية واضحة لدي المسلمين و هي احتلال بلد صليبي لبلد مسلم (و أكبر دليل هو قيام سليمان الحلبي و هو من سوريا بقتل كليبر لا لشيء لغيرته على البلد المسلم) أما حركة سعد زغلول فكانت ضد المستعمر فقط فأزال جانب هام من أفكار العامة و اكبر دليل على هذا قولته المشهورة خسرنا المعاهدة و كسبنا صديق (يعني إنجلترا) و للأسف يصفق له الشعب المخدوع

سعد زغلول هو المؤسس الأول لجامعة القاهرة و التي كان من أهم شروطها عدم التقيد بدين و عدم تدريس المناهج الإسلامية (إلا في الكليات المتخصصة) فكانت أكبر شوكة في عنق جامعة الأزهر الشريف و هذا هو أول أهداف المؤتمر التبشيري الذي كان يحلم بإنشاء جامعة علمانية على نمط الجامعة الفرنسية من شأنها تقليل دور الأزهر فكان أيضا لهم أداة في تنفيذ هذا الحلم الغالي ،و يحسب له للأمانة أنه أصر على موقفه في التدريس باللغة العربية

سعد زغلول هو الراعي الأول لحركة تحرير المرأة و التي تزعمها قاسم أمين و زوجته هي أول من تسمت باسم زوجها تشبه بالغرب صفيه زغلول و هو أول من دعي الغرباء للجلوس في بيته مع نساؤه في سابقة غريبة يذكرها مصطفي أمين في كتابه " من واحد لعشرة " متحدثا عن واقع بيت سعد زغلول الذي كان إسلاميًا ثم انتكس وتمت صناعته صناعة عصرية غربية تنويرية فيقول :

كان غريباً في تلك الأيام أن يدعى رجل من غير أفراد الأسرة للجلوس على مائدة واحدة مع سيدات الأسرة، ولكن الفلاح الأزهري القديم سعد زغلول كان لا يجد غضاضة في أن يجلس أصدقاؤه المقربون مع أسرته لتناول الغداء والعشاء.

كما أن سعد زغلول هو من أزال النقاب عن وجه هدي شعراوي لما كانت في استقباله عائدا من المنفي

سعد زغلول الذي كان لا يفيق من الخمر وكانت زوجته أول مصرية تحضر الحفلات سافرة بين الرجال

لماذا سمي ميدان التحرير بهذا الاسم و كان اسمه قبل هذا ميدان الإسماعيلية
إبان ثورة ١٩١٩ تجمعت النساء أمام الثكنات العسكرية الإنجليزية و قمن بخلع الحجاب و إلقاؤه على الأرض و وطئه بالأقدام كنوع من التحرير فسمي الميدان باسم ميدان التحرير و لا تعليق

أولا: علاقة سعد بالإنجليز:

يقول عن اللورد كرومر: كان يجلس معي الساعة والساعتين ويحدثني في مسائل شتى كي أنور منها في حياتي السياسية (مذكرات سعد زغلول كراس ٢٨، ص١٥١٦) ن والمعروف أن كرومر في تقاريره السنوية كان حريصاً على أن يذكر أنه يعد جيلا جديداً من الشباب المصري المتفرنج الذي يعجب بالغرب ويحرص على التفاهم مع الاستعمار البريطاني وقبول العمل معهم.

ومن هنا كانت صلة كرومر بسعد زغلول عن طريق صهره "مصطفى فهمي" الذي كان أول رئيس وزراء بعد الاحتلال، والذي قضى في الحكم ثلاثة عشر عاماً، وكان أثير الإنجليز محبوباً عندهم، وقد أصهر إليه سعد زغلول فأعد نفسه ليكون أول وزير مصري.

ولعل من الحقائق العجيبة أن اللورد كرومر عام ١٩٠٧م أعلن أنه يترك مصر مستريحاً لأنه أقام فعلا القاعدة الأساسية لاستدامة الاحتلال، وكان في هذا العام قد ألف حزب الأمة، وأصبح لطفي السيد هو حامل لواء "الجريدة" وسعد ناظر المعارف، وقد سخر كرومر في خطبة الوداع الذي أقامها له رجال حزب الأمة من أولياء النفوذ الأجنبي من المصريين جميعاً، ولم يمدح في خطابه إلا رجلا واحداً، هو سعد زغلول.

ومن هنا نجد سعد زغلول يكتب في مذكراته أثر استعفاء كرومر من منصبه في ١٩٠٧/٤/١١ وكان يجلس في منزله مع كل من حسن باشا عاصم ومحمود باشا شكري عندما تلقوا خبر الاستعفاء فقال: أما أنا فكنت كمن تقع ضربة شديدة على رأسه أو كمن وخز بآلة حادة فلم يشعر بألمها لشدة هولها (كراس ٦ ص ٢٤٠) وكتب في موضع آخر يقول: "قد امتلأت رأسي أوهاماً وقلبي خفقاناً وصدري ضيقاً" (كراس ٢٤٦/٦). ويقول لورد كرومر في تقريره السنوي عن تعيين سعد زغلول ناظراً للمعارف " لم يكن السبب الرئيسي في تعيينه كما يظن أحياناً أنه استياء من الحالة التي كانت تسير عليها مصلحة المعارف العمومية فلا زالت قاصرة في أن توفر أية بادرة لتغير جذري في السياسية التعليمية، إنه يرجع أساساً إلى الرغبة في ضم رجل قادر ومصري مستنير من تلك الطائفة الخاصة من المجتمع المعنية بالإصلاح في مصر". وقال كرومر:" كما أن سعد من تلاميذ محمد عبده وأتباعه الذين أطلق عليهم "جيروند" الحركة الوطنية المصرية، والذي كان برنامجهم تشجيع التعاون مع الأجانب لإدخال الحضارة الغربية إلى مصر، الأمل الذي جعل كرومر يحصر فيهم أمله الوحيد في قيام الوطنية المصرية.

وكان سعد في مقدمة الداعين لإقامة حفل لتوديع اللورد كرومر وكتب في مذكراته يعلن ضيقه بالذين انتقدوا كرومر عقب استعفائه، وقال: إن صفاته قد اتفق الكل على كمالها "كراس٢٤٥/٦"، وأشار إلى علاقة غورست خليفة كرومر به وأنه لما زاره قام فأوصله إلى باب حديقة دار الوكالة البريطانية. .(١)

---

١ – المصادر"معركة السفور والحجاب" كتبه/ محمد سرحان و كتاب رجال اختلف فيهم الرأي لـ أنور الجندي ، نقلا عن موقع حراس العقيدة

******

الإصلاح على الطريقة الأمريكية المعادية للاسم والوحدة الإسلامية:

أخي السلم: بعد أن عشنا مع الإصلاح والمصلحين ورأينا أدعياء الإصلاح تعال لنرى جهة أخرى تنفخ في بوق الفساد بدعوى الإصلاح، فهي تترنم في المجامع والمحافل والمؤتمرات بالإصلاح في العالم العربي ولكن تُرى ما هي ماهية ذلك الإصلاح؟

هل هذا الإصلاح ينبثق من كتاب ربنا وسنة نبينا – صلى الله عليه وسلم؟

هل هذا الإصلاح مبني على القيم والأخلاق الرفيعة؟

أم أن هذا الإصلاح هو نفسه ما كان يدعو إليه فرعون ومن أجله حارب موسى -عليه السلام – وقتل الأطفال و الرجال و شتت شمل أمة موحدة لربها عز وجل؟

الجواب: إنه هو الاصطلاح الفرعوني الذي تركه ميراثا لاتباعه عبر الزمان و المكان و صدق الله تعالى اذ يقول {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ } [الذاريات: ٥٢، ٥٣]

فيها لترى الإصلاح على أسِنّةِ الرّماح

يقول الدكتور محمد مورو-حفظه الله-الإصلاح هو الاسم الكودي الذي تستخدمه الولايات المتحدة الأمريكيّة لتبرير التدخّل في شئون المِنطقة وإعادة صياغتها على الطّريقة الملائمة لها، ويصل الأمر إلى حدّ استخدام الإصلاح كمبرر للاحتلال العسكريّ كما حدث في العراق، وكما يمكن أنْ يحدث في دول أخرى، ومناطق أخرى وأحوال أخرى.

فالإصلاح هو الاسم الكودي للهيمنة، والنّهب، والاحتلال، وبسط النفوذ، وفرض الإرادات من الخارج.

يمكن أنْ يكون الإصلاح أو يكون حماية الأقليّات، كما كان من قبل الرجل الأبيض "مرحلة الاستعمار"، أو إنقاذ قبر المسيح من الكفّار المسلمين كما حدث إبّان الحروب الصليبيّة، وهكذا فالمسألة في جوهرها ليست جديدة، بل هي جزء لا يتجزّأ من المحاولات المستمرّة في الزّمان والمكان، منذ ما يزيد على الألف عام؛ للقضاء على الحضارة الإسلاميّة التي تمثل الحقّ، والعدل، والخير، والحريّة، لحساب الاستكبار، والعنصريّة، والقهر، والعُنف، والنّهب.

موضوع الإصلاح الذي قفز إلى واجهة الأحداث، وشكّل النقطة الرئيسة في الأجندة الأمريكيّة منذ مبادرة "كولن باول" وزير الخارجيّة الأمريكيّة ، ثم خطاب الرئيس "بوش" حول ما يسمّى "بالشرق الأوسط الكبير"، ثم "الشرق الأوسط الأكثر اتساعًا" في قمة الثمانية الكبار في "سي إيلاند" بالولايات المتحدة الأمريكيّة في ٨ يونيو "حزيران" ٢٠٠٤ ، ثم قمّة الاتحاد الأوروبي . أمريكا المنعقد بإيرلندا في ٢٦ يونيو ٢٠٠٤ أيضًا ثم أخيرًا في قمة حلف الناتو في اسطنبول يومي ٢٨ ، ٢٩ يونيو ٢٠٠٤ ، كلها أسماء لنفس المضمون، ولكن الجديد في المسألة أنّ تحويل المسألة من اختصاصات السياسيّين إلى اختصاصات العسكريّين متمثلاً في عرض الموضوع والحصول على خُطّة معيّنة من حلف الناتو وهو حلف عسكري أساسًا ، يعني أنّ المسألة ليست فقط ضغوطًا سياسيّة، ولا رُؤًى ثقافيّة بل هي في صميم عمل العسكريّة أي الاحتلال والجيوش، وهو ما يُسقِط القناع، ويكشف المضمون الحقيقي للموضوع، إنّه تبرير العدوان

والاحتلال، ونشر النفوذ بالقوّة، وإجبار حكومات المنطقة على الاعتراف بإسرائيل، وتطبيع العلاقات معها، وإدماجها قهرًا في المنظومة السياسيّة والاقتصاديّة والعسكريّة للمنطقة.
ولعلّ هذه النقطة الأخيرة تُعطي عكس المطلوب عندما قالت حكومات المِنطقة: إنّه لا يمكن البدء في الإصلاح بدون حلّ مشكلة الصّراع العربيّ الإسرائيليّ، فإذا بأمريكا تطور المشروع ليس باتجاه حلّ المشكلة، بل بتكريس وجود إسرائيل وهيمنتها الإقليميّة بوضوح.
حصار العالم الإسلامي: عناوين المبادرات الصادرة عن القمم العربيّة المختلفة حول الموضوع تكشف عن المضمون الحقيقي لها، وهو الخضوع الكامل للهيمنة الأمريكيّة ثقافيًا واقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا والقبول الكامل بوجود إسرائيل والتعاون معها!!.
وهو ما يرْشَح مباشرة من عُنوان قمّة الثمانية الكبار في ولاية "جورجيا" بالولايات المتحدة الأمريكية ٦ يونيو ٢٠٠٤ وقد كان "مشروع الشرق الأوسط الموسّع وشمال أفريقيا" ثم قمّة أيرلندا التي كان عنوان مبادرتها "٢٦ يونيو" هو "دعم مساعي حكومات المنطقة الرامية إلى تحديث بلدانها والمُضِيّ قُدُمًا في الإصلاحات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة وتشجيع حقوق الإنسان" ثم قمة "الناتو" بإسطنبول ٢٨ يونيو تحت عنوان "مبادرة إسطنبول للتعاون مع بلدان البحر المتوسط والخليج العربي" .. ونلاحظ في هذا الصدد أنّ مبرر استمرار وتوسيع حلف الناتو بعد سقوط الاتحاد السوفيتي السابق والمنظومة الاشتراكيّة كان لمواجهة الخطر الإسلاميّ المزعوم، وقد عبّر عن ذلك في حينها عدد من قادة الحلف العسكريّين والقادة السياسيّين الغربيّين والأمريكيّين.
وهكذا فنحن في مرحلة تنفيذ الخُطّة -المعتمدة أصلاً- وهي حصار العالم الإسلاميّ، والقضاء على أيّ مشروع وحدة إسلاميّة أو عربيّة، والهيمنة على المِنطقة (وربما احتلالها عسكريًّا) بدعوى محاربة الإرهاب!! .
ولعلّ تصريحات "كوندا ليزا رايس" مستشارة الرئيس الأمريكي للأمن القومي تكشف حقيقة المسألة حين قالت في ديسمبر ٢٠٠٣ .أي قبل اجتماع حلف الناتو في اسطنبول ٢٨ يونيو ٢٠٠٤ أو صدور مبادرة إسطنبول-:"إنّ المطلوب من "الناتو" أنْ يشارك في عمليّة التغيير في المِنطقة العربيّة، ومراقبة والتأكّد من الإصلاحات المتخذة في هذه البلدان". وبدهيّ أنّ المشاركة، والمراقبة، والتأكد عن طريق منظمة عسكريّة، اللهمّ إلا إذا كان الهدف النهائيّ هو الاحتلال العسكريّ!
الخضوع التام للاحتلال: ولا يعنينا بالطبع أنْ تتحدث هذه المبادرات عن ضرورة قيام تلك الحكومات من تلقاء نفسها بالخُطُوات المطلوبة، أو عن طريق الحوار، فهو نوع من تقديم قُربان الطاعة، والقبول بالاحتلال طواعية، أي تحقيق الهدف بدون جهد، أو أنْ يقوم حلف الناتو بفرض ذلك بالقوّة إذا لم يكن انصياع تلك الدول طواعية!! .
فالمحصلة في النهاية واحدة، وربما كان الانصياع والقبول بالتدخّل الأجنبي والقبول بإسرائيل والتعاون معها والانخراط في الجهد الأمريكي العسكري ضد الإرهاب، وغيرها طواعية أسوأ من الخضوع لذلك قهرًا!! .
والمهم في كل الأحوال أنّ صيغة المبادرات لا تخلو من الإشارة إلى أنّ من حق "الناتو" أنْ يفرض ذلك بالقوّة!! .

خاصة وأنّه قد توسّع شرقًا بل ووصل إلى حد الشّراكة مع روسيا ذاتها أي أنّ المستهدف بوضوح لعمليّات الملف هو المنطقة العربيّة خصوصًا، والشرق الأوسط العربيّ الإسلاميّ عمومًا، وإلا فما الدافع العسكري وراء تَوَسّعه وشراكته مع روسيا؟ ولماذا يستمرّ الحلف أصلاً بعد زوال الخطر الشيوعيّ والسوفيتيّ؟ ماذا يعني امتداد حلف الناتو من غرب المحيط الأطلسي إلى أقصى شرق القارة الأوروبيّة وحتى جنوب المتوسط، وشراكته مع روسيا ووصول عدد أعضائه إلى ٢٦ عضوًا وهو ما لم يحدث أيّام الحرب الباردة؟ ماذا يعني أنّ مسرح عمليّات حلف الناتو قريب جدًا -بالمقاييس الجغرافيّة البحتة-من المِنطقة العربيّة؟

الاختراق الاستعماري على كل حال فإن ما يسمّى بمبادرة "اسطنبول حول الشرق الأوسط الكبير" والتي تبنّاها حلف الناتو في مؤتمره الأخير باسطنبول ٢٨، ٢٩ ، يونيو ٢٠٠٤ تكشف الكثير من الحقائق حول طبيعة هذا الإصلاح والتعاون والدور الحقيقي لحلف الناتو في هذا الصدد . وقد تضمّنت تلك المبادرة:

إنشاء قواعد عسكريّة لحلف الناتو بحيث ترتبط تلك القواعد الجديدة بالقواعد الموجودة "الأمريكية" .

. من حق هذه القوات التدخّل بدون استشارة الحكومات المعنيّة في حالة وجود أزمة.

. إنشاء مكاتب لجمع المعلومات والتحليل . وإنشاء المكاتب الفنيّة المتخصصة التي تقدم توصيات في مجالات الأمن، والاقتصاد، والإصلاح الداخلي، والتعليم، والبيئة، ومحو الأميّة، والحقوق السياسيّة، والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وأنّ هذه المكاتب الفنيّة ستنتشر في الجهات العلمية والجامعات ومراكز الأبحاث والمؤسسات الوطنيّة المختلفة.

وبدهيّ أنّ الترجمة الحقيقيّة لهذه المقترحات هي الاختراق السياسيّ والاقتصاديّ والثقافيّ والعلميّ، والاحتلال العسكريّ أيضًا إذا لزم الأمر.

ومن المقترحات أيضًا في مبادرة إسطنبول:

إقامة علاقات شراكة وتعاون بين الدول العربيّة وإسرائيل، ويصل الأمر إلى حدّ إقامة مناورات عسكريّة مشتركة بين تلك الدول وإسرائيل، ومشاركة هذه الدول وإسرائيل مع أمريكا في عمليّاتها العسكريّة ضد الإرهاب.

تغيير مناهج التعليم والتثقيف بما يتلاءم مع دعم ثقافة السّلام وتجفيف منابع الإرهاب.

التدرّج في الإصلاح السياسيّ وحقوق الإنسان بما يتلاءم مع ظروف كل دولة.

التحكم في تسليح الجيوش العربيّة بما يحقّق التوازن العسكريّ مع إسرائيل . والتفتيش الدوريّ على أسلحة الدمار الشامل في تلك الدول باستثناء إسرائيل.

وهكذا فإن مبادرات الإصلاح والديمقراطية وحقوق الإنسان وحماية الأقليات ...الخ التي رفعت بها أمريكا وحلفاؤها وعملاؤها عقيرتهم طويلاً قد تمخضت عن تأجيل هذا الإصلاح والتدرج فيه، ولكن الإسراع بفرض إسرائيل، والتعاون معها على دول المنطقة، واختراق هذه الدول أو حتى احتلالها إذا لزم الأمر

الباب الرابع
الإصلاح العقدي للفرد والمجتمع

{قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} (سورة الأنعام، الآية (١٦١-١٦٢).).

اقرأ في الصفحات الآتية:

* صور من الفساد العقدي.

* الإصلاح العقدي.

* التوحيد أول منازل إصلاح العبيد.

* إقامة القوافل الدعوية والبرامج الإعلامية لتبصرة العباد بالعقيدة الصحيحة.

* القضاء على مظاهر الشرك.

الباب الرابع: الإصلاح العقدي للفرد والمجتمع

اعلم -علمني الله و إياك-: أن أساس الإصلاح الإسلامي هو التوحيد الخالص لله (تعالى) ، فهو الذي يرتقي بالإنسان المكان اللائق به ، وهو الذي ينقذه من رق العبودية لغير الله ،ويحرره من استعباد الإنسان ، ومن استعباد الخرافة والأهواء ، وهو الذي ينقذه من المحتالين الدجالين أحبار السوء الذين يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً ، وإذا لم يتعبد الإنسان لله (تعالى) فسوف يقع في الوثنية - لا محالة - بشتى صورها وأشكالها ؛ فإن الإنسان كما جاء في الحديث (حارثٌ وهمّام) ، فلا بد أن يمتلئ بشيء ، فإذا لم
تكن العبودية لله فهي لغيره مهما تظاهر بأنه حر، فالعبودية هي عبودية القلب كما يقول ابن تيمية (رحمه الله)، فمن ركض وراء الشهوات فهو الأسير المملوك، ولو كان حاكماً يستعبد الناس.

الفصل الأول: صور من الفساد العقدي

واقع الأمة اليوم:

يقول الدكتور ناصر العمر – حفظه الله -في رسالة التوحيد أولا -نقف وقفة مناسبة مع واقع الأمة ليتضح لنا مدى التزامها بالتوحيد أو بعدها عنه، حيث إن بعض طلاب العلم قد لا يتصور خطورة الأمر، نظراً لأنه يعيش بين أناس هم على عقيدة التوحيد، وتقل بينهم البدع والشركيات، فيتوهم أن أغلب المسلمين هم على هذه الحالة، بينما الحقيقة بخلاف ذلك، وإليك بيان ذلك:

١-الرافضة ودورهم الخطير في العالم الإسلامي:

لست في حاجة إلى بيان منافاة عقيدة الرافضة للتوحيد، وأنهم يضيقون ذرعاً بدعوة التوحيد، فهذا الأمر أشهر من أن يوقف عنده، وإن تجاهل هذه الحقيقة من لم يترب على هذا المنهج وانجرف في تيار المناهج الأخرى.

وإنما أردت أن أبين أن الرافضة يقومون الآن بدور خطير في أنحاء المعمورة، وبخاصة بعد قيام دولتهم.

وقد بلغ أثرهم مشارق الأرض ومغاربها، وهذه حقيقة وليست مبالغة، فالمجاهدون في أفغانستان يعانون من تسلط الرافضة على انتصارهم وهم جادون في الحيلولة دون قيام دولتهم، وفي الجمهوريات الإسلامية الأمر أشد وأنكى، وفي السودان استغلوا الظروف فولجوا من خلالها.

وفي إفريقيا يعاني منهم أهل السنة الأمرين، وفي أوروبا وأمريكا أقاموا مؤسساتهم ومراكزهم ونشروا كتبهم وصحفهم، بل لقيت وفداً من الدعاة في أستراليا فإذا هم يشكون من تسلطهم وطغيانهم، وقل أن نجد بلداً إلا ولهم فيه موطئ قدم، فإذا ثبتت لنا هذه الحقيقة، علمنا ما يكاد لدعوة التوحيد ولعقيدة السلف على يد هؤلاء، وأدركنا خطورة الأمر ووجوب المبادرة إلى علاجه، ولن يكون ذلك إلا إذا كان (التوحيد أولاً).

٢-الخرافيون وتأثيرهم الذي لا ينكر:

معارك الخرافيين مع التوحيد ليست جديدة، وسعيهم الحثيث لتأصيل البدع ونشر الشرك في بلاد المسلمين يعرفها القاصي والداني، وخدمتهم للاستعمار قديماً وحديثاً ليست بحاجة إلى شرح أو بيان، والذي يتأمل خارطة العالم الإسلامي، ويضع لوناً مميزاً للمناطق التي يكثر فيها هؤلاء يذهل من النتيجة التي سيراها.

وقد نشطوا في الآونة الأخيرة، وأقاموا عدداً من المؤسسات التي تدعوا إلى منهجهم وتنفق على مشاريعهم بسخاء.
ويكفي أن نعلم أن مؤسسة واحدة من مؤسساتهم قد خصصت ما يعادل (٥٠٠) مليون ريال لإنفاق استثمارها وريعها على ما يدعم منهجهم وعقيدتهم،
وفي إحدى البلاد الإسلامية بلغ عدد المسجلين في الجمعيات الخرافية أكثر من خمسة ملايين عضواً.

٣-الخوارج من أول الفرق التي نبتت في هذه الأمة، ولقد عانى منهم الجيل الأول معاناة شديدة، وأعلنوا وقوفهم أمام السلف وحربهم لمنهج أهل السنة والجماعة.
فشقوا عصا الطاعة، وابتدعوا في دين الله ما ليس منه، ووقف لهم السلف وقفة حازمة، ودخلوا معهم في معارك كثيرة، حتى ضعفت شوكتهم وقل أثرهم.
ولكنهم كانوا يعودون بين فينة وأخرى، وفي هذا الزمن عادت سوق الخوارج رائجة، وبخاصة مع وجود دولة تدعمهم وتدافع عن مذهبهم وتربي الناس على منهجهم.

٤-الشركيات والبدع المنتشرة في العالم الإسلامي، ومن مظاهرها:
دعاء الأموات والاستغاثة بهم، والطواف حول القبور، والذبح للأولياء، ولو ألقينا نظرة سريعة على واقع البلاد الإسلامية لوجدنا في كل بلد قبراً أو أكثر يعبد صاحبه من دون الله، فمثلاً في بعضها يوجد قبر علي بن أبي طالب، وكذلك قبر الحسين، وفي أخرى رأس الحسين، وفي ثالثة قبر زينب والبدوي، وكذلك قبر أبي أيوب في بلد أخرى.
وقبور الصحابة المنتشرة في كثير من البلاد الإسلامية، وقبور بعض الصالحين والأولياء، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد، وذلك في عدة أحاديث صحيحة، منها: ما رواه جندب بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: " ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجداً، ألا فلا تتخذوا القبور مساجداً فإني أنهاكم عن هذا" (١)
وقال صلى الله عليه وسلم في مرض موته: " لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجداً-يحذر ما صنعوا-" (٢) .
ويكفي أن نعلم أنه في بلد من البلاد الإسلامية يزور قبر رجل فيها في كل سنة أكثر من مليوني نسمة، ويرتكب عند هذا القبر من الشركيات والبدع ما لا يعلمه إلا الله، فكم عدد الذين يزورون القبور من أهل البدع في أنحاء العالم الإسلامي؟

٥-وجود النصارى في كثير من الدول الإسلامية، بل حتى في دول الخليج، حتى إنه يوجد لهم كنائس معلنة في بعض تلك الدول، والله-جل وعلا-يقول: "وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ" (البقرة: من ال آية ١٢٠).

٦-الوثنيون، وبخاصة عن طريق العمالة الآسيوية، وقصة الهندوس مع المسجد البابري خير شاهد على ما نقول.

---

١ – أخرجه مسلم ٦٧/٢(١١٢٥) و"النسائي"، في "الكبرى" ١١٠٥٨

٢ – أخرجه أحمد ٢١٨/١(١٨٨٤) و٣٤/٦ (٢٤٥٦١) و"البخاري" ١١٨/١(٤٣٥ و٤٣٦) و"مسلم" ٦٧/٢ (١١٢٤)

٧-انتشار السحرة والمشعوذين: حتى وصل الأمر إلى أن رجلا جاء يسأل ويقول: أين بيت الساحرة فلانة؟

وقد أجرت بعض الصحف الخليجية مقابلات مع عدد من هؤلاء السحرة، وهناك صحف تنشر عناوين وهواتف هؤلاء مع نشر صورهم أحياناً.

وما ينشر تحت زوايا النجوم والأبراج يدخل في هذا الباب.

٨-انتشار بعض الألفاظ البدعية:

انتشار بعض الألفاظ البدعية أو الشركية والأعمال المحرمة المنافية للتوحيد أو كماله؛ كالحلف بغير الله، والاعتقاد أن غير الله ينفع أو يضر، وأعياد الميلاد، وتعليق التمائم، وقراءة الكف، والاعتقاد بأثر الأبراج والنجوم، وهلم جرا.

هذه صورة مجملة عن واقع العالم الإسلامي تبين خطورة الأمر، ووجوب المبادرة إلى إنقاذ هؤلاء، سواء أكانوا ممن وقع في الشرك، وهم يحسبون أنهم مسلمون؛ لأنهم يصلون ويحجون، أم كانوا ممن وقع في البدع والخرافة، ويظنون أنهم من أهل السنة والجماعة.

ولو توجهت هذه الصحوة المباركة إلى العناية الفائقة بهذه القضية لتغيرت الأحوال، وهذا لن يكون إلا إذا كانت هناك أولويات وكان "التوحيد أولاً".([1])

٩-ضعف الولاء والبراء:

و من أخطر صور الانحراف العقدي ضعف عقيدة الولاء و البراء، فالناظر إلى العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه و من أقصاه إلى أدناه تجده يخطب ودَّ الكفرة و المجرمين الذين يحادون الله تعالى ورسوله و لو كان ذلك على حساب دينه و عقيدته و لو كان ذلك على حساب أمته و اخوته من المسلمين و المسلمات

قال _تعالى_: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ" (المائدة: من الآية٥١)}، وقال سبحانه:{ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ"(المجادلة: من الآية٢٢)}.

وقال: "وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ" (هود: من الآية١١٣)} وقال -صلى الله عليه وسلم - : " أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله، والمعاداة في الله" ([2]).

وقال صلى الله عليه وسلم : "من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان " ([3]). رواه أحمد عن معاذ وأنس وغيره.

---

[1] – رسالة التوحيد اولا للدكتور ناصر العمر

[2] – أخرجه الطبراني في "الكبير" : (رقم ١٠٣٥٧ ، ١٠٥٣١)، والحديث حسنه الألباني في تعليقه على كتاب "الإيمان" لابن أبي شيبة : (ص٤٥) .

[3] – السنن)) رقم (٤٦٨١)، و أخرجه الضياء في ((المحتارة)) كما في ((الكنز)) (١٠/٩)، ومن حديث سهل بن معاذ: أخرجه أحمد في ((المسند)) (٤٣٨/٣، ٤٤٠)، و الترمذي في ((الجامع)) رقم (٢٥٢٣) و قال: حديث حسن.

والذي يتأمل في أحوال المسلمين اليوم يلحظ ضعف الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين، وهذا ينافي كمال التوحيد، وقد يصل بصاحبه إلى الكفر "وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ" (المائدة: من الآية٥١).

ومن علامات ضعف هذا الجانب ما يلي:

١-ضعف نصرة المسلمين بعضهم لبعض، رأينا ونرى التناحر والتدابر والتقاطع حتى وصل في أحوال كثيرة إلى القتال فيما بينهم.

٢-التشبه بالكفار في اللباس والعادات، و " من تشبه بقوم فهو منهم ".

٣-مجالسة الكفار استئناساً بهم وحبهم، ومن ذلك استقدامهم مع عدم الضرورة إلى ذلك، وخصوصاً أنه يوجد في المسلمين من يقوم مقامهم، في البيوت والشركات والزراعة والتجارة ونحوها.

٤-الإعجاب بالغرب، وتمني اللحاق به، وطلب الحماية منه، ونصرته، ومعايشته يومياً عبر وسائل الإعلام، وخصوصاً البث المباشر.

٥-السعي لكسر الحاجز النفسي مع اليهود والنصارى.

٦-الابتعاث لبلاد الكفار دون حاجة تدعو إلى ذلك.

أخي الكريم: أليست هذه المظاهر مما ينافي ويضاد التوحيد أو كماله؟ فأين المخرج؟

١٠-العلمنة تعصف بالعالم الإسلامي

مما ينافي التوحيد ترك الحكم بما أنزل الله، والحكم بسواه من أنظمة البشر، قال -تعالى-: "وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ" (المائدة: من الآية٤٤)، وقال: "فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً" (النساء:٦٥)، وقال: "أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ" (المائدة:٥٠)، والآيات في هذا كثيرة معروفة.

وفصل الدين عند الدولة، وإبعاد حكم الله وشرعه أن يكون حاكماً على الناس هو السائد الآن في أغلب بلاد المسلمين، حيث يحكمون بشرائع وقوانين بشرية ما أنزل الله بها من سلطان، وهناك من يهون من هذا الأمر ويقلل من شأنه مع أنه كفر بواح.

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن في (فتح المجيد): فمن خالف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله، أو طلب ذلك اتباعاً لما يهواه ويريده فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان من عنقه، وإن زعم أنه مؤمن، قال -تعالى-: {لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً" (النساء:٦٠)}.

وهناك أمر آخر ينافي كمال التوحيد، وهو أنه توجد في بعض الدول التي تعلن التزامها بالإسلام أنظمة مصلحية لا تخالف كتاب الله ولا سنة رسوله، كبعض التنظيمات الإدارية والمالية والمرورية والبلدية، وليست الخطورة في وجود هذه التنظيمات، وإنما واقع الناس حيالها، حيث إنهم يعطونها من الاحترام ما لا يعطونه لأمر الله ونهيه، فيعظمون من شأنها ويجرمون مخالفها ويشنعون عليه مما لا يفعلون مثله لو خالف أمر الله وحكمه، بل تجدهم تجاه أحكام الشرع يبحثون له عن الرخص، ويأخذون بأدلة عامة تذهب ريح أحكام الشرع وتقلل من هيبتها، وتهون

مخالفتها، فيعظم في نفوس الناس أوامر البشر وأحكامهم، ويضعف عندهم وازع الدين وهيبة الشرع، وهذا فيه من منافاة كمال التوحيد ما فيه، بل قد يصل إلى الخروج عن التوحيد إلى الكفر والشرك {وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }النور:٤٨-٥١)}.

الحلف بغير الله: أخي المسلم من صور الانحراف العقدي عند كثير من المسلمين الحلف بغير الله تعالى وله صور كثيرة: منها الحلف بالنبي-صلى الله عليه وسلم –

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "تنازع الناس هل يحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم؟ مع اتفاقهم بأنه لا يحلف بشيء من المخلوقات المعظمة كالعرش والكرسي والكعبة والملائكة. فذهب جمهور العلماء كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد في أحد قوليه إلى أنه لا يحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولا تنعقد اليمين، كما لا يحلف بشيء من المخلوقات، ولا تجب الكفارة على من حلف بشيء من ذلك وحنث. فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت" [١].

ومن صور الحلف: الحلف بالأضرحة والحلف بالآباء والكعبة وعتبة فلان وغير ذلك مما هو شائع على السنة الناس ويحسبونه هينا وهو عند الله تعالى عظيم من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله أو ليصمت» (٢) وقوله صلى الله عليه وسلم : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » (٣)

قوله: (فقد كفر أو أشرك)؛ يحتمل أن يكون هذا شكا من الراوي، ويحتمل أن يكون " أو " بمعنى الواو، فيكون قد كفر وأشرك، ويكون من الكفر الذي هو دون الكفر الأكبر، كما أنه من الشرك الأصغر.

وقد كثر من الناس اليوم من يحلف بغير الله؛ كمن يحلف بالأمانة، أو يحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم، أو يقول: وحياتي، وحياتك يا فلان . . . وما أشبه هذه الألفاظ، وقد سمعنا ما ورد في الأحاديث من النهي عن الحلف بغير الله **عز** وجل، واعتباره كفرا أو شركا؛ لأن الحلف بالشيء تعظيم له، والذي يجب أن يعظم ويحلف به هو الله عز وجل، والحلف بغيره شرك وجريمة عظمى.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقا.

---

١ –**خرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم حديث (٦٦٦٤٦) انظر فتح الباري (١١/ ٥٣٠). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى (٥/ ٨٠).**

٢ –صحيح البخاري المناقب (٣٦٢٤) ،صحيح مسلم الأيمان (١٦٤٦)،سنن الترمذي النذور والأيمان (١٥٣٤)،سنن النسائي الأيمان والنذور (٣٧٦٦)،سنن أبو داود الأيمان والنذور (٣٢٤٩)،سنن ابن ماجه الكفارات (٢٠٩٤)،مسند أحمد بن حنبل (٨٧/٢)،موطأ مالك النذور والأيمان (١٠٣٧)،سنن الدارمي النذور والأيمان (٢٣٤١).

٣ – سنن الترمذي النذور والأيمان (١٥٣٥) ،سنن أبو داود الأيمان والنذور (٣٢٥١)،مسند أحمد بن حنبل (٦٩/٢).

ومن المعلوم أن الحلف بالله كاذبا كبيرة من الكبائر، لكن الشرك -وهو الحلف بغير الله -أكبر من الكبائر -وإن كان شركا أصغر -.
فيجب على المسلم أن يتنبه لهذا ولا تأخذه العوائد الجاهلية.
السحر: ومنور المنتشرة في بعض البلاد الإسلامية السحر والتعامل من الجن وهذا من الأمور الخطيرة بحيث انه يمثل فتنة للناس وهو من الأمور الكفرية التي تخرج صاحبها من الإسلام كما أخبر بذلك نبينا الهمام – صلى الله عليه وسلم -
الله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ} [البقرة: ١٠٢] وقوله: {يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا } [النساء: ٥١] قال عمر: (الجبت): السحر، (والطاغوت): الشيطان. وقال جابر: الطواغيت: كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد.
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اجتنبوا السبع الموبقات) قالوا: يا رسول الله: وما هن؟ قال: (الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات).[١]
السحر نوعان: نوع يكون كفراً، ونوع يكون فسقاً. فالسحر الذي يكون بالاستعانة بالشياطين والأرواح الخبيثة هذا كفر؛ لقول الله تبارك وتعالى: (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ). والنوع الثاني يكون فسقاً، وهو السحر بالأعشاب ونحوها مما يضر المسحور، فهذا عدوان وفسق، لكن لا يصل بصاحبه إلى حد الكفر. وأياً كان الساحر فإنه يجب قتله؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (حد الساحر ضربة بالسيف) ([٢]).
ولأن عدوانه وضرره عظيم على الأمة. ثم إن كان كافراً-أي: إن كان سحره مكفراً- فإنه لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن مع المسلمين، وإن كان غير مكفر فإنه يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن مع المسلمين.
الكهانة: واعلم أن من الأمور الشركية المحرمة التي تنتشر في بعض البلدان الكهانة، و هي كما يقول إبراهيم الحربي ([٣])- رحمه الله -: "الكاهن الذي يخبر بما يكون برأيه وظنه"([٤])
وقال الخطابي -رحمه الله -: "الكاهِنُ هو الذي يدعي مطالعة علم الغيب، ويخبر الناس عن الكوائن ([٥])
فالكاهن إذاً لفظ عام، يدخل فيه كل من يدعي علم الغيب، ويخبر الناس عن الكوائن في مستقبل الزمان، من طريق الجن أو غيرهم، ويدخل في ذلك العراف، والمنجم، والذي يضرب

---

[١] – أخرجه البخاري (٢٧٦٦) و (٥٧٦٤) و (٦٨٥٧) ومسلم (٨٩).

[٢] –ضعيف مرفوعا ، صحيح موقوفا) رواه الترمذي (١٤٦٠) ، والدارقطني (٣ / ١١٤) ، والحاكم (٤ / ٣٦٠) ، والبيهقي (٨ / ١٣٦) ، والطبراني في الكبير (١٦٦٥) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

[٣] –هو الشيخ الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام أبو إسحاق، إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير البغدادي الحربي صاحب التصانيف، توفي سنة خمس وثمانين ومئتين وكانت جنازته مشهودة. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٥٦/١٣ –٣٧٠.

[٤] – غريب الحديث للحربي ٥٩٤/٢.

[٥] –معالم السنن للخطابي ٢١١/٤، وانظر: المفردات للراغب ص٧٢٨.

بالحصى أو يخط في الأرض، وقد يختص العراف بمن يدعي معرفة الأمور الماضية، والكاهن من يدعي علم الغيب من حيث معرفة الكوائن في مستقبل الزمان.

فهي ادعاء علم الغيب كالإخبار بما يقع في الأرض، مع الاستناد إلى سبب، وهو استراق السمع يسترق الجني الكلمة من كلام الملائكة فيلقيها في أذن الكاهن، فيكذب معها مائة كذبه، فيصدقه الناس بسبب تلك الكلمة. والله هو المتفرد بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركته بشيء من ذلك بكهانه أو غيرها، أو صدق من يدعي ذلك، فقد جعل لله شريكا فيما هو من خصائصه وهو مكذب لله ولرسوله. وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلوا من الشرك والتقرب الى الوسائط التي يستعين بها على دعوى العلوم الغيبية.

فالكهانة شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي أختص به، ومن جهة التقرب الى غير الله.

حكم الكهانة: سبق ذكر قوله -صلى الله عليه وسلم -: "من أتى عرافاً أو كاهناً، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد"، وهذا الحديث يبين بجلاء حكم الكهانة وأنها محرمة، فإذا كان قد أطلق الكفر على من يأتي الكاهن ويصدقه، فالكاهن نفسه أولى بذلك الحكم. وقد اختلف الفقهاء في الكاهن، والعراف، هل يلحقون بالسحرة الذين يقتلون أم يعزرون فقط، على قولين: أحدهما أنه لا يكفر بذلك، ولا يقتل بل يعزر، وهو الصحيح من المذهب - كما يقول ابن قدامة -، والوجه الثاني أن حكمهم حكم السحرة الذين يقتلون(١).

والذي يأتي إلى الكاهن ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يأتي إلى الكاهن فيسأله من غير أن يصدقه، فهذا محرم، وعقوبة فاعله أن لا تقبل له صلاة أربعين يومًا؛ كما ثبت في «صحيح مسلم»: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً"[١].

القسم الثاني: أن يأتي إلى الكاهن فيسأله ويصدقه بما أخبر به، فهذا كفر بالله عز وجل؛ لأنه صدقه في دعوى علمه الغيب، وتصديق البشر في دعوى علم الغيب تكذيب - لقول الله تعالى: {قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ}[النَّمل: ٦٥] ولهذا جاء في الحديث الصحيح: "مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ"(٢)

القسم الثالث: أن يأتي إلى الكاهن فيسأله ليبين حاله للناس، وأنها كهانة وتمويه وتضليل؛ فهذا لا بأس به، ودليل ذلك: أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه ابن صياد، فأضمر له النبي صلى الله عليه وسلم شيئًا في نفسه، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم ماذا خبأ له ؟ فقال: الدُّخ: يريد الدخان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ"(٣).

إذن فأحوال من يأتي إلى الكاهن ثلاثة:

الأول: أن يأتي فيسأله بدون أن يصدقه، وبدون أن يقصد بيان حاله فهذا محرم، وعقوبة فاعله أن لا تقبل له صلاة أربعين ليلة.

---

١ – انظر في حكم الكاهن: المغني ٣٥/٩ – ٣٧، الفروع ١٦٨/٦، الإنصاف٣٥١/١٠ – ٣٥٢، حاشية ابن عابدين ٢٤٠/٤.

٢ – أخرجه أحمد (٤٢٩/٢)، وأبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩). وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٣٠٤).

٣ – البخاري (٦١٧٢، ٦١٧٣) ومسلم (٢٩٣٠).

الثانية: أن يسأله فيصدقه، وهذا كفر بالله عز وجل، يجب على الإنسان أن يتوب منه ويرجع إلى الله عز وجل وإلا مات على الكفر.
الثالثة: أن يأتيه فيسأله ليمتحنه ويبين حاله للناس؛ فهذا لا بأس به.

دعاء غير الله: ومن صور الانحراف العقدي عند الناس دعاء غير الله تعالى

يقول الله تعالى:(ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك) وقوله صلى الله عليه وسلم:" الدعاء هو العبادة ". وكما هي عباده فإنه لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل لأن الله هو المجيب لدعاء الداعين المفرج لكربات المكروبين ومن دعا غيره من نبي أو ملك أو ولي أو غيرهم أو أستغاث بغير الله فيما يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر قد خرج عن دائرة الإسلام ولا يعود إليها إلا بالتوبة النصوح لأن الله سبحانه وتعالى يقول منكرا على الذين يدعون غيره:(إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين) والله المستعان.

لا شك أن دعاء غير الله تعالى هو الضلال بعينه قال تعالى: { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ } [الأحقاف: ٥]. واسمع ما يقال لهم عند الموت حين تتوفاهم الملائكة قال تعالى: { حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ } [لأعراف: ٣٧].

والكافر حابط عمله كما قال تعالى: { وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا } [الفرقان: ٢٣]. وذلك لأنه خالف أمر الله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمخالفة أمر الله تعالى كما مر معك في الآية السابقة ومخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، تكمن في معصيته، حيث أمر أن لا يسأل إلا الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم: «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله (١)

التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم:

التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم ليس بجائز على الراجح من قول أهل العلم فيحرم التوسل بجاه النبي صلي الله عليه وسلم فلا يقول الإنسان اللهم إني أسألك بجاه نبيك كذا وكذا وذلك لأن الوسيلة لا تكون وسيله إلا إذا كان لها أثر في حصول المقصود وجاه النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة للداعي ليس له أثر في حصول المطلوب فجاه النبي صلي الله عليه وسلم هو مما يختص به النبي صلى الله عليه وسلم وحده وهو مما يكون منقبه له وحده أما نحن فلسنا ننتفع بذلك وإنما ننتفع بالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ومحبته وما أيسر الأمر على الداعي إذا قال اللهم إني اسألك بإيماني بك وبرسولك كذا وكذا بدلا من أن يقول أسألك بجاه نبيك . ومن نعمة الله عز وجل ورحمته بنا أنه لا ينسد باب من الأبواب المحظورة إلا وأمام الإنسان أبواب كثيره من الأبواب المباحة. والحمد لله رب العالمين.

عبادة القبور واعتقاد أن الأولياء الموتى يقضون الحاجات ويفرِّجون الكربات والاستعانة والاستغاثة بهم: عبادة القبور واعتقاد أن الأولياء الموتى يقضون الحاجات ويفرِّجون الكربات والاستعانة والاستغاثة بهم والله سبحانه وتعالى يقول: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [الإسراء: ٢٣]. وكذلك دعاء الموتى من الأنبياء والصالحين أو غيرهم للشفاعة أو

١- رواه الإمام أحمد (١ / ٣٠٦) من حديث ابن عباس < وهو حديث صحيح، انظر صحيح الجامع، (٧٩٥٧).

للتخليص من الشدائد. والله يقول: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) [النمل: ٦٢].

وبعضهم يتخذ ذكر اسم الشيخ أو الولي – مستغيثاً به – عادتَه وديدنه إن قام وإن قعد وإن عثر، وكلما وقع في ورطة أو مصيبة أوكربة، فهذا يقول: يا محمد، وهذا يقول: يا علي، وهذا يقول: يا حسين، وهذا يقول: يا بدوي، وهذا يقول: يا جيلاني، وهذا يقول: يا شاذلي، وهذا يقول: يا رفاعي، وهذا يدعو العيدروس، وهذا يدعو السيدة زينب، وذلك يدعو ابن علوان، والله يقول: (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين) [الأعراف: ١٩٤].

وبعض عُبَّاد القبور يطوفون بها، ويستلمون أركانها، ويتمسَّحون بها، ويقبِّلون أعتابها، ويُعفِّرون وجوههم في تربتها، ويسجدون لها إذا رأوها، ويقفون أمامها خاشعين متذللين متضرعين سائلين مطالبهم وحاجاتهم، من شفاء مريض، أو حصول ولد، أو تيسير حاجة، وربما نادى صاحب القبر: يا سيدي! جئتك من بلد بعيد فلا تخيبني، والله عز جل يقول: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ) [الأحقاف: ٥].

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار » ، (١)

وبعضهم يحلقون رءوسهم عند القبور، وعند بعضهم كتب بعناوين مثل: "مناسك حج المشاهد" ويقصدون بالمشاهد القبورَ وأضرحةَ الأولياء، وبعضهم يعتقد أن الأولياء يتصرفون في الكون وأنهم يضرون وينفعون. والله عز وجل يقول: (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [يونس: ١٠٧].

ولا تجوز الصلاة في المسجد إذا كان فيه أو في ساحته أو قبلته قبر؛ فقد سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، السؤال التالي: ما حكم الصلاة في المسجد إذا كان فيه قبر، أو بساحته، أو في قبلته؟

الجواب: إذا كان في المسجد قبر فالصلاة فيه غير صحيحة سواء كان خلف المصلين أو أمامهم أو عن أيمانهم أو عن شمائلهم؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" (٢)

ولقوله صلى الله عليه وسلم: "ألا وإنّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك"(٣)

ولأن الصلاة عند القبر من وسائل الشرك والغلو في أهل القبور، فوجب منع ذلك عملاً بالحديثين المذكورين وما جاء في معناهما وسدًّا لذريعة الشرك.

اعتقاد أن الأولياء يتصرفون في الكون:

---

١ – صحيح البخاري (٤٤٩٧)

٢ – رواه الإمام أحمد في «مسنده»(٥/١٨٦، ١٨٤).

٣ – أخرجه مسلم ٢/٦٧(١١٢٥) و"النسائي" ، في "الكبرى" ١١٠٥٨

في سؤال وجه إلى اللجنة الدائمة للإفتاء هذا نصه: هل للأولياء كرامة، وهل يتصرفون في عالم الملكوت في السموات والأرض، وهل يشفعون وهم في البرزخ لأهل الدنيا أم لا؟
فكان هذا الجواب من اللجنة: الكرامة أمر خارق للعادة يظهره الله -تعالى- على يد عبد من عباده الصالحين حيا أو ميتا إكراما له، فيدفع به عنه ضرا، أو يحقق له نفعا، أو ينصر به حقا، وذلك الأمر لا يملك العبد الصالح أن يأتي به إذا أراد. كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك أن يأتي بالمعجزة من عند نفسه، بل كل ذلك الى الله وحده قال الله -تعالى {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ} [العنكبوت: ٥٠].
ولا يملك الصالحون أن يتصرفوا في ملكوت السموات والأرض إلا بقدر ما آتاهم الله من الأسباب كسائر البشر من زرع وتجارة ونحو ذلك مما هو من جنس أعمال البشر بإذن الله-تعالى- ولا يملكون أن يشفعوا وهم في البرزخ لأحد من الخلق أحياء وأمواتاً قال الله تعالى {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الزمر: ٤٤].
وقال: {وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [الزخرف: ٨٦]).
وقال :{مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } [البقرة: ٢٥٥] ومن اعتقد في أنهم يتصرفون في الكون أو يعلمون الغيب فهو كافر لقول الله عز وجل { لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المائدة: ١٢٠].
وقوله سبحانه:(قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) وقوله سبحانه آمرا نبيه صلى الله عليه وسلم بما يزيل اللبس ويوضح الحق:(قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون). ([1])

---

[1] – (فتاوى مهمة لعموم الأمة جمع وإعداد إبراهيم بن عثمان الفارس)

الفصل الثاني الإصلاح العقدي

أخي المسلم بعد أن تعرفنا على صور من الانحراف العقدي و على فساد اعتقاد كثير من الناس كما قال الله تعالى {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} [يوسف: ١٠٦] كان لزاما و أجل مسمى أن نقف مع الإصلاح العقدي، و لا يكون ذلك إلا بعدة أمور هي:

المبحث الأول: بيان فضل التوحيد

اعلم علمني الله تعالى و إياك: أن توحيد الله تعالى هو العاصم من القواصم و هو سفينة النجاة من بحار الشبهات و الشهوات، و فيه السعادة حيث معرفة الله تعالى بأسمائه و صفاته و معرفة نعوت الجلال و صفات الكمال، و معرفة ما يجب و ما يستحيل عليه -سبحانه و تعالى-، فإذا استقرت كلمة التوحيد في قلوب العبيد أثمرت الثمار اليانعة في الدنيا و الآخرة .

تعال أخي الحبيب لنرى بعض تلك الثمار التي بينها لنا العزيز الغفار والنبي المختار – صلى الله عليه وسلم -

أولا: الأمن في الدنيا و الأخرة: فمن علم انه إذا وحد الله سبحانه و تعالى – فانه ينال تلك الجائزة التي يبحث عنها جميع البشر ألا و هي نعمة الأمن فان ذلك يعوه الى توحيد الغني الحميد – سبحانه و تعالى - أن الموحدين لهم الأمن وهم مهتدون؛ قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } [الأنعام: ٨٢].

وقول الله تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } الآية [الأنعام: ٨٢].

قوله: { لم يلبسوا } ، أي: يخلطوا.

قوله: { بظلمٍ } ، الظلم هنا ما يقابل الإيمان، وهو الشرك، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ} قلنا: يا رسول الله: أينا لم يظلم نفسه؟ قال: "ليس كما تقولون: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ} بشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: {يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.

][1]). والظلم أنواع

١-أظلم الظلم، وهو الشرك في حق الله.

٢-ظلم الإنسان نفسه؛ فلا يعطيها حقها، مثل أن يصوم فلا يفطر، ويقوم فلا ينام.

٣-ظلم الإنسان غيره، مثل أن يتعدى على شخص بالضرب، أو القتل، أو أخذ مال، أو ما أشبه ذلك.

وإذا انتفى الظلم، حصل الأمن، لكن هل هو أمنٌ كامل؟ الجواب: أنه إن كان الإيمان كاملاً لم يخالطه معصيةٌ؛ فالأمن أمنٌ مطلق، أي كامل، وإذا كان الإيمان مطلق إيمانٍ - غير كامل -؛ فله مطلق الأمن؛ أي: أمن ناقص. مثال ذلك: مرتكب الكبيرة، آمنٌ من الخلود في النار، وغير آمن من

---

[1]– أخرجه البخاري برقم (٣٣٦٠) ومسلم برقم (١٢٤).

العذاب، بل هو تحت المشيئة، قال الله تعالى: يغفر {إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء} [(٤٨) سورة النساء]. وهذه الآية قالها الله تعالى حكماً بين إبراهيم وقومه حين قال لهم: { وكيف أخاف ما أشركتم... } إلى قوله: { إن كنتم تعلمون } [الأنعام: ٨١، ٨٢]؛ فقال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢]، على أنه قد يقول قائلٌ: إنها من كلام إبراهيم ليبين لقومه، ولهذا قال بعدها: { وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه } [الأنعام ٨٣].

قوله: { الأمن }، أل فيها للجنس، ولهذا فسرنا الأمن بأنه إما أمن مطلق، وإما مطلق أمن حسب الظلم الذي تلبس به.

قوله: { وهم مهتدون }، أي: في الدنيا إلى شرع الله بالعلم والعمل؛ فالاهتداء بالعلم هداية الإرشاد كما قال الله تعالى في أصحاب الجحيم: { احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم } [الصافات: ٢٢-٢٣]. والاهتداء بالعمل: هداية توفيق، وهم مهتدون في الآخرة إلى الجنة. فهذه هداية الآخرة، وهي للذين ظلموا إلى صراط الجحيم؛ فيكون مقابلها أن الذين آمنوا ولم يظلموا يهدون إلى صراط النعيم. وقال كثير من المفسرين في قوله تعالى: { أولئك لهم الأمن } : إن الأمن في الآخرة، والهداية في الدنيا، والصواب أنها عامةٌ بالنسبة للأمن والهداية في الدنيا والآخرة.

ثانيا: توحيد مفزع العبيد عند كل خطب شديد ويقول سبحانه و تعالى في وصف حال نبيه يونس عليه السلام { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)(الأنبياء }فلما أصبح تلك الظلمات لجأ إلى رب الأرض و السموات و إلى مفرج الكروب فكان جُل كلامه توحيد تعالى

***و التوحيد مفزع الإنسان و إن كان كافرا بالملك الديان:** يقول الله تعالى واصفا حال هؤلاء المشركين { هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣) يونس }

حتى إذا كنتم راكبين في الفلك (السفينة أو السفن) وجرت بكم في البحر بسبب ريح طيبة مواتية للاتجاه في جهة السير، وفرحتم بما تحقق لكم من راحة وقطع مسافة، ثم جاءت تلك السفن ريح عاصفة شديدة قوية، فاضطرب البحر، وتلاطمت بالأمواج العالية من مختلف الجهات، وظننتم أي اعتقدتم أنكم هالكون لا محالة بسبب إحاطة الموج، فلم تجدوا ملجأ إلا اللّه، فدعوتموه مخلصين له الدعاء والعبادة والتضرع، ولم تتجهوا إلى آلهتكم من الأوثان، وقلتم: لئن أنجانا اللّه من هذه المخاطر الجسيمة، لنكونن من جماعة الشاكرين النعمة، الموحدين اللّه، ثم بعد النجاة عدتم إلى الكفر، كما قال تعالى في الآية السابقة: {وَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ، دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً، فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ، مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنا إِلى ضُرٍّ مَسَّهُ} [يونس ١٠/ ١٢].

وقال هنا: فَلَمَّا أَنْجاهُمْ... أي فلما نجاهم من تلك الورطة، عادوا فجأة إلى سيرتهم الأولى من البغي وإلحاق الظلم بالنفس وبالآخرين، وكأن شيئا لم يكن، كقوله تعالى: {وَإِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ، ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ، فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ، وَكانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً }[الإسراء ١٧/ ٦٧].([١])

بالتوحيد تغفر الذنوب و تكفر السيئات: - يغفر الله بالتوحيد الذنوب ويكفر به السيئات، ففي الحديث القدسي عن أنس رضي الله عنه يرفعه: ((يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة)([٢])

((يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء)) أذنبت الذنوب الكثيرة العظيمة التي ملأت الأرض وارتفعت إلى عنان السماء، إلى السحاب، إلى الأفق فإنك يقول: لو بلغت ذنوبك كثرة إلى عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، لكن بالشروط المعروفة، مع انتفاء الموانع المعروفة، غفرت لك ((يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض)) يعني بملء الأرض أو بما يقارب ملئها ((خطايا، ثم لقيتني)) بشرط ((لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة)) لا تشرك بي شيئاً نكرة يشمل قليل الشرك وكثيره، صغيره وكبيره، وبهذا يستدل جمع من أهل العلم أن الشرك الأصغر لا يغفر {إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء} [(٤٨) سورة النساء] الكبائر كلها تحت المشيئة، لكن الشرك لا يقبل المغفرة، لكن الفرق بين الشرك الأصغر والذنوب أنه لا بد من أن يعذب عليها، والفرق بينه وبين الأكبر أن صاحب الشرك الأكبر مخلد في النار، لكن صاحب الشرك الأصغر إذا عذب مآله إلى الجنة.

((لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة)) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وهذا يبين عظمة التوحيد، وتحقيق التوحيد، وتصفية التوحيد من شوائب الشرك صغيره وكبيره، من البدع من المعاصي ليدخل الجنة وينجو من النار، وهنا أيضاً وعيد لمن لا يشرك بالله شيئاً، يعني جميع صور الشرك كفيلة بأن يغفر للإنسان ما اقترفه من ذنوب،)([٣])

شهادة ضمان لدخول جنة الرحمن يدخل الله به الجنة، فعن عبادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)))([٤])

---

[١] – التفسير المنير للزحيلي ١١/ ١٤٥

[٢] – سنن الترمذي(٣٨٨٥) والصحيحة (١٩٥١) وصحيح الجامع (٤٣٣٨) صحيح لغيره

[٣] – شرح الأربعين النووية – عبد الكريم الخضير

[٤] – خرجه أحمد (٣١٣/٥ ، رقم ٢٢٧٢٧) ، والبخاري (١٢٦٧/٣ ، رقم ٣٢٥٢) ، ومسلم (٥٧/١ ، رقم ٢٨) ، وابن حبان (٤٣١/١ ، رقم ٢٠٢) . وأخرجه أيضًا : النسائي (٣٣١/٦ ، رقم ١١١٣٢) .

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: ((من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة))([1]).
-براءة من النار التوحيد يمنع دخول النار بالكلية إذا كمل في القلب ففي حديث عتبان رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم: ((... فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله))([2]).

المبحث الثاني: التوحيد أول منازل إصلاح العبيد

اعلم علمني الله وإياك : أن أولى خطوات الإصلاح و هي اللبنة الأساسية التي منها تتفرع و تتنوع جميع أشكال الإصلاح وبها تنموا تلك الأشكال و تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها الإصلاح العقدي ،فهو المحرك لجميع أفعال الإنسان و هو الزاجر له عن كل فساد أو إفساد ، و بدونه تنطمس الفطر و تنقلب الموازين و يصبح الإنسان لا يعرف معروفا و لا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه ، و تتحكم فيها الأهواء و تقوده الشهوات حتى يرى الجميل القبيح و القبيح جميلا ،والذي يستقرا التاريخ يرى حقيقة ما أقول ويدرك مرارة بعد الإنسان عن عبودية الملك الديان
و اعلم زادك الله علما: أن أول واجب على العبيد هو معرفة الغني الحميد و إفراده بتوحيد القصد و توحيد الطلب فالمتأمل في جميع دعوة الأنبياء يجد أن أول شيء دعوا إليه أقوامهم هو عبادة الله وحده، مع العلم بأنهم جاءوا إلى أقوامهم و قد أخذهم الله تعالى بالسنين و القحط و غير ذلك و لكن كانت المهمة العظمى هي إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد، و من ضيق الدنيا إلى سعة الأخرة، و من جور الأديان إلى عدل الإسلام
ولكن ماذا نعني بإصلاح العقيدة؟
الذي نعنيه بإصلاح العقيدة هو: نهج الطريق الذي سلكه الأنبياء صلى الله عليهم وسلم، وعلى رأسهم نبينا محمد، في دعواتهم لأممهم التي أرسلهم الله إليها، فهذا هو الطريق الأمثل الموصل إلى الغاية المرجوة ومحورها الأصيل العبودية المطلقة لله وحده، وتحقيق الألوهية له -جل جلاله-ودعوة الناس إليها، وتربيتهم عليها قبل أي شيء آخر، وهذه هي دعوة الرسل جميعاً: معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتحقيق الحاكمية في التشريع له، والولاء والبراء على ذلك. وينبني على هذه المعرفة مطالب الرسالة كلها.
إن كل داعية مخلص يجب أن ينطلق في دعوته من أصول أهل السنة والجماعة المعتبرة، بعيداً عن المناهج البدعية من: صوفية، وكلامية، وعقلانية بحتة، فهي التي أدت بالأمة إلى التشرذم والتفرق. إننا حقاً بحاجة ماسة إلى العودة إلى سنن الأنبياء في الدعوة، وقد وضّحت لنا السيرة النبوية المنهاج الصحيح لبناء مجتمع إسلامي،
فمتى يتعاون الدعاة فيما بينهم ؟!

---

[1] – أخرجه أحمد (١٦١/٥، رقم ٢١٤٧١) ، ومسلم (٦٨٨/٢ ، رقم ٩٤) ، والترمذي (٢٧/٥ ، رقم ٢٦٤٤) ، وقال : حسن صحيح . والنسائي في الكبرى (٢٧٤/٦ رقم ١٠٩٥٥) ، وابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٤٤ ، ٣٣٥) ، وابن حبان (٣٩٤/١ ، رقم١٧٠) . أخرجه أيضًا : البزار (٣٩٤/٩ ، رقم ٣٩٨١) ، وابن منده في الإيمان (٢٢١/١ ، رقم ٨٢) .

[2] – أخرجه البخاري برقم "٤٢٥" ومسلم برقم "٣٣" وأحمد في مسنده "٤٤/٤"، "٤٤٩/٥".

ومتى يصل الدعاة والعلماء العدول إلى كلمة سواء بدلاً مما هو حاصل في أحيان كثيرة من جفاء وعدم مودة، لمسنا آثارها السيئة على واقعنا الدعوي، مما جعل الأعداء يشمتون بنا، وجعل الأصدقاء لا يملكون سوى الدموع حيال ما حصل ويحصل،

إننا بحاجة حقاً إلى التوقف والمراجعة والعودة إلى المنهاج النبوي كما رسمته لنا السيرة الصحيحة.

فحسن النية والإخلاص وحده لا يكفي في توصيل الدعوة إلى الناس وقبولهم لها، نعم العقيدة أولاً، ولكن لابد من التزام الأساليب الدعوية الحكيمة، واقتفاء آثار الوحيين، وتجريد المتابعة للرسول -صلى الله عليه وسلم-. لقد جرب الناس كثيراً من المناهج الجديدة التي ألمحنا إلى بعضها غير أن الحال لا يسر، ولم يبق سوى منهج الأنبياء في الدعوة كما فصله بأوضح بيان نبينا وأسوتنا وقائدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-في سيرته وسنته ونقَلَهُ عنه أصحابه والتابعون لهم بإحسان: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ} سورة الأنعام: ٩٠) .

واعلم زادك الله علما: انه قد دلَّ على ثبوت هذا المبدأ الكتاب والسنة وعمل سلف هذه الأمة الصالح رضوان الله عليهم.

إذ قص الله تعالى علينا في كتابه الكريم قصص الأنبياء وأخبارهم مع أقوامهم، فكان كل واحد منهم يبدأ بدعوة قومه إلى توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له وحده ونبذ الشرك وأهله.

فهذا نبي الله نوح عليه السلام جاء إلى قومه و قد أصابهم ما أصابهم من انحراف عن الصراط المستقيم و عبادة الأصنام و حلت عليهم النكبات الاقتصادية و الاجتماعية فكانت أولى خطوات الإصلاح إصلاح العقيدة و توحيد الله تعالى و إفراده بالعبادة و الدعاء و النذر و الخوف و الرجاء: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}(سورة الأعراف، من الآية (٥٩).).

و قرر لهم نوح عليه السلام – أن الرفاهية و الاستقرار و المعيشة الطيبة في عبادة الله تعالى وحده يقول الله تعالى { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا } [نوح: ١٠ - ١٤]

يقول سيد قطب – رحمه الله-وفي أثناء ذلك كله أطمعهم في خير الدنيا والآخرة . أطمعهم في الغفران إذا استغفروا ربهم فهو سبحانه غفار للذنوب: { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا } . . وأطمعهم في الرزق الوفير الميسور من أسبابه التي يعرفونها ويرجونها وهي المطر الغزير، الذي تنبت به الزروع، وتسيل به الأنهار، كما وعدهم برزقهم الآخر من الذرية التي يحبونها وهي البنين والأموال التي يطلبونها ويعزونها: { يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا } . .

وقد ربط بين الاستغفار وهذه الأرزاق. وفي القرآن مواضع متكررة فيها هذا الارتباط بين صلاح القلوب واستقامتها على هدى الله، وبين تيسير الأرزاق، وعموم الرخاء .... جاء في موضع : { ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون } وجاء في موضع : {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ

وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ } [المائدة: ٦٥، ٦٦] وجاء في موضع : {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} [هود: ٢، ٣] وهذه القاعدة التي يقررها القرآن في مواضع متفرقة ، قاعدة صحيحة تقوم على أسبابها من وعد الله ، ومن سنة الحياة؛ كما أن الواقع العملي يشهد بتحققها على مدار القرون . والحديث في هذه القاعدة عن الأمم لا عن الأفراد.

وما من أمة قام فيها شرع الله، واتجهت اتجاهاً حقيقياً لله بالعمل الصالح والاستغفار المنبئ عن خشية الله. ... ما من أمة اتقت الله وعبدته وأقامت شريعته، فحققت العدل والأمن للناس جميعاً، إلا فاضت فيها الخيرات ، ومكن الله لها في الأرض و استخلفها فيها بالعمران وبالصلاح سواء .)([1])

نبي الله هود -عليه السلام -– و ها هو هود -عليه السلام – يفتتح قضية الإصلاح بإصلاح العقيدة أولا ليقرر ما قرره من قبله نوح عليه السلام وقال سبحانه عن هود عليه السلام: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}(سورة الأعراف، من الآية (٦٥).

ثم يبن أن الرخاء الاقتصادي و الصحة في الأبدان لا تكون إلا في الاعتقاد الصحيح بان الرازق و الشافي هو الله تعالى {يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥١) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ } [هود: ٥١، ٥٢]

يقول العلامة محمد رشيد بن علي رضا- رحمه الله - ثم قال حكاية عن نبيه هود - عليه السلام - : (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) (٥٢) وقال حكاية عن نوح في سورته : {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} [نوح: ١٠ - ١٣]

ولم يخطر في بال رجال الدين ولا غيرهم في الولايات المتحدة وإنكلترة أن يذكروا الناس بغضب الله - تعالى - عليهم بفسقهم وظلمهم عندما اشتد القيظ ومنع المطر واحترقت الزروع وهلكت المواشي ، ويدعوهم إلى التوبة والاستغفار والاستسقاء العام ، {فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ } [الأنعام: ٤٣، ٤٤] أي : خائبون متحسرون أو يائسون .

وقال في مشركي أهل مكة : {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: ٣٢، ٣٣] فلما أخرج - صلى الله عليه وسلم - منهم ودعا

---

[1] –[في ظلال القرآن ٧/ ٣٤٦،]

عليهم أصابهم القحط الشديد حتى أكلوا العلهز(١)وأرسلوا إليه يستشفعون به ، حتى كان أبو سفيان أعدى أعدائه هو الذي كلمه واستعطفه على قومه ، وفيهم أنزل الله - تعالى - {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } [النحل: ١١٢] وما جعل الله هذا مثلا إلا لأنه يشمل الأولين والآخرين ، حتى كانت أغنى عواصم الأرض وقراها كلندن وباريس ذاقت ألم الجوع والخوف في سني الحرب العامة {ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ } [التوبة: ١٢٦].

الأفكار المادية المانعة من الاتعاظ بالنوازل :

فإن قيل : إن أكثر الظالمين في هذا العصر ماديون ، يعتقدون أن طوفان نوح الذي اختلف فيه ، هل كان عاما هلك به جميع أهل الأرض إلا من نجا في السفينة ، أو خاصا بقوم نوح ، يعتقدون أنه حدث بأسباب طبيعية كما حدث في هذا العام في مواضع في فرنسة وغيرها من أوربة وفي اليابان والهند والصين فأهلك كثيرا من الناس والحيوان ، وأتلف من المباني والمزارع ما قدرت قيمته بألوف الألوف من الدراهم والدنانير ، وهم يعتقدون أن الطوفان العام لم يحدث في الأرض بعد ، فإن طوفان نوح إنما كان عظيما - عاما كان أو خاصا - لأنه كان قريب العهد بتكوين الأرض ، إذ كان أكثرها مغمورا بالمياه ثم صار يتقلص وتتسع اليابسة بالتدريج . وقد صرح المتكلمون من علمائنا بهذا الرأي، ففي كتاب المواقف وغيره: الأشبه أن هذا المعمور كان مغمورا بالمياه بدليل ما يوجد في أعالي الجبال من الأصداف البحرية والأسماك المتحجرة.

وهكذا يقولون فيما يعذبون به من الأحداث الجوية كقحط المطر وانحباسه ، وجفاف المياه وغئورها ، وشدة صخد الشمس ورمضائها ، وقد اشتد هذا في أكثر بلاد الإنكليز وأمريكة ، فاحترق جل زرعهم الصيفي وهلك به كثير من مواشيهم ، بل مات به ألوف ، منهم مئات من أهل مدينة نيويورك وحدها وهي أعظم ثغور العالم ، فأكثر بلاد الإفرنج في هذا العام في سخط الله - تعالى - بين حريق وغريق جزاء بما أفسدوا في الأرض بالقتل والتخريب والتدمير في سني الحرب الأربع الأخيرة ، ثم بما أسرفوا بعدها في الفجور والشرور وإباحة الفواحش والمنكرات ، وإنفاق ما زاد من أموالهم على الاستعداد لحرب شر منها ، وباشتداد ظلمهم للمستضعفين في مستعمراتهم الرسمية وغير الرسمية ، ولا يعتبر أحد بهذه المصائب فيتوبوا من ظلمهم وفسقهم ؛ لأنهم لا يؤمنون بأنها عذاب ولا نذر من الله - تعالى - ، فأما الماديون منهم فأمرهم ظاهر ، وأما المؤمنون بوجود إله للعالم فلا يسندون إلى مشيئته وحكمته إلا ما يجهلون له سببا من نظام الطبيعة ، ويظنون أن كل ما يجري في نظام الأسباب فليس لله - تعالى - فيه مشيئة وحكمة غير سببه ، وأن الأسباب لا تتبدل باختلاف الناس صلاحا وفسادا ، بل يعد الماديون هذه المعرفة بنظام الأسباب برهانا على الكفر والتعطيل ، وعلى جهل المؤمنين بترقي العلوم . وجملة القول فيهم أن المستحوذ على عقولهم هو ما يسمونه ((نظرية الميكانيكية)) وخلاصة معناها أن العالم كله كآلة كبيرة تدار بقوة كهربائية فيتحرك بعض أجزائها بحركة الآخر ، وليس للقوة المحركة لها

---

١ – العلهز : طعام من الدم والوبر كان يتخذ في المجاعة ، ونبات ينبت في بلاد بني سليم. (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٣٠٣ ، ٣٠٤.

كلها علم ولا إرادة ولا اختيار في شيء منها ، ونقول لهم : من أوجد القوة ومن يحركها ويحفظ وحدة النظام فيها ؟ !

وأما قولهم : إن لكل شيء من أحداث العالم سببا ، وإن لهذه الأسباب نواميس وسننا ، وإنها عامة لا خاصة ، فصحيح تدل عليه آيات القرآن المحكمة ، وأولها آيات القدر والتقدير ، التي يفهمها الجماهير بضد معناها ، ومنها الآيات الناطقة بأن سنن الله لا تتبدل ولا تتحول ، ومنها قوله - تعالى - في المصائب والنقم {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [الأنفال: ٢٥] وقوله في الأرزاق والنعم : {كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا} [الإسراء: ٢٠] أي ما كان ممنوعا عن أحد من مؤمن وكافر ، ولا بر ولا فاجر .

ولكنه أخبرنا مع هذه القواعد العامة، أن له في بعض المصائب مشيئة خاصة وحكمة بالغة كقوله : {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [الروم: ٤١] وقوله : {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى: ٣٠] فإن كان هذا في أسباب المصائب الطبيعية ، فمما جاء في الأسباب المعنوية)([1])

و هكذا صار الأنبياء يدعون أقوامهم إلى التوحيد أولا فكلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة

وقال - جلَّ ذكره - عن صالح - عليه السلام- : {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}(سورة الأعراف، من الآية (٧٣)).

وقال عن إبراهيم عليه السلام: {وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}(سورة العنكبوت، الآية (١٦).)

وقال تعالى عن يعقوب عليه السلام: {أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}(سورة البقرة، الآية (١٣٣).)

وقال تعالى عن يوسف عليه السلام: {وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ يا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}(سورة يوسف، الآيات (٣٨-٤٠).)

وقال تعالى عن شعيب عليه السلام: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}(سورة الأعراف، من الآية (٨٥)،).

وقال عن موسى عليه السلام: {قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} (سورة الأعراف، الآية (١٤).).

وقال عن عيسى عليه السلام: {إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} (سورة آل عمران، الآية (٥١).).

---

[1] – [تفسير المنار ١٢/ ٩٣– ٩٤]

هذا المنهج هو الذي سار عليه خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله رحمة للعالمين، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا، فقد بدأ صلى الله عليه وسلم بما بدأ به كل الأنبياء، وانطلق من حيث انطلقوا بدعوتهم من عقيدة التوحيد والدعوة إلى إخلاص العبادة لله وحده.

وقد أمره ربه . تبارك وتعالى . أن يدعو الناس جميعاً إلى التوحيد، فقال تعالى: {قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (سورة الأعراف، الآية (١٥٨).

وقال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} (سورة الأنعام، الآية (١٦١-١٦٢).).

قال تعالى: {يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يا تِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (سورة الممتحنة، الآية (١٢).).

وهذه الآية وإن كانت في بيعة النساء فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبايع على مضمونها الرجال(١).

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس، فقال: تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم" والآية التي أخذت على النساء {إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ} فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه"(٢).

أما السنة ففيها الشيء الكثير الدال على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتتح دعوته بالتوحيد ويختتمها بذلك، واستمراره على ذلك طيلة حياته صلى الله عليه وسلم بلا كلل أو ملل.

١-عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال: "كنت وأنا في الجاهلية، أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً جُرءَاءُ عليه قومه فتلطفت، حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟.

فقال: "أنا نبي" فقلت: وما نبي؟

قال: "أرسلني الله" فقلت: وبأي شيء أرسلك؟

قال: "أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحدوا الله لا يُشْرَكُ به شيء" فقلت: ومن معك على هذا ؟.

---

١ – انظر منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل، للدكتور ربيع المدخلي، ٥٧–٥٨.

٢ – صحيح البخاري مع الفتح، ٦٤/١، كتاب الإيمان، باب ١١، حديث ١٨، وصحيح مسلم ١٣٣٣/٣، كتاب الحدود، باب الحدود والكفارات لأهلها، حديث ١٧٠٩، والنسائي، ١٤٢/٧، كتاب البيعة على الجهاد.

قال: "حر وعبد"، قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به ..." الحديث([1]) .
٢-قول جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي ملك الحبشة: "أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يا كل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ماكنّا نحن نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة، والأوثان..." الحديث([2]) .

*****

المبحث الثالث: بيان خطر الشرك

و من وسائل إصلاح العقائد بيان خطر و أضرار الشرك على الفرد و المجتمع في الدنيا و الأخرة فان المسلم اذا عرف ما يلحقه من شر و من عذاب إذا هو أشرك برب الأرباب – سبحانه و تعالى -

الضلال في الدنيا والآخرة:قال الله عز وجل: {وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا}(سورة النساء، الآية: ١١٦.).

- الآية وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً. أي: عن الحق. فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة.
وإنما ذكر في الآية الأولى فَقَدِ افْتَرى لأنها متصلة بقصة أهل الكتاب. ومنشأ شركهم كان نوع افتراء. وهو دعوى التبني على الله تعالى بقولهم نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قاله القاضي.
وفي (السمين): ختمت الآية المتقدمة بقوله فَقَدِ افْتَرى وهذه بقوله فَقَدْ ضَلَّ لأن الأولى في شأن أهل الكتاب وهم عندهم علم بصحة نبوته، وأن شريعته ناسخة لجميع الشرائع، ومع ذلك فقد كابروا في ذلك وافتروا على الله. وهذه في شأن قوم مشركين ليس لهم كتاب ولا عندهم علم. فناسب وصفهم بالضلال.
وأيضا قد تقدم هنا ذكر الهدى وهو ضد الضلال. انتهى.([3])
الشرك الأكبر لا يغفره الله إذا مات صاحبه قبل التوبة: قال الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا}(سورة النساء، الآية: ٤٨.).

يقول القاسمي – رحمه الله-عقيدة أهل السنة أن الشرك غير مغفور البتة. وما دونه من الكبائر مغفور لمن يشاء الله أن يغفره له. هذا مع عدم التوبة. وأما مع التوبة فكلاهما مغفور. والآية إنما

---

[1] – صحيح مسلم، ٥٦٩/١، كتاب صلاة المسافرين، باب إسلام عمرو بن عبسة، رقم ٢٩٤، وأحمد في المسند، ١١٢/٤.

[2] – انظر الإمام أحمد في المسند، ٢٠٢/١، والسير والمغازي، لابن إسحاق، ٢١٣–٢١٧، وسيرة ابن هشام، ٢٨٩/١–٢٩٣، بإسناد حسن إلى أم سلمة رضي الله عنها، وانظر السيرة النبوية، لابن كثير ١١/٢، وفتح الباري، لابن حجر، ١٨٩/٧، وانظر السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، ١٧٣/١–١٧٤.

[3] – محاسن التأويل ٣/ ٣٤١]

وردت فيمن لم يتب ولم يذكر فيها توبة كما ترى. فلذلك أطلق الله تعالى نفي مغفرة الشرك وأثبت مغفرة ما دونه مقرونة بالمشيئة، كما ترى. فهذا وجه انطباق الآية على عقيدة أهل السنة.
وأما القدرية فإنهم يظنون التسوية بين الشرك وبين ما دونه من الكبائر. في أن كل واحد من النوعين لا يغفر بدون التوبة، ولا شاء الله أن يغفرهما إلا للتائبين. فإذا عرض الزمخشريّ هذا المعتقد على هذه الآية ردته ونبت عنه. إذ المغفرة منفية فيها عن الشرك وثابتة لما دونه مقرونة بالمشيئة فأما أن يكون المراد فيهما من لم يتب، فلا وجه للتفصيل بينهما بتعليق المغفرة في أحدهما بالمشيئة وتعليقها بالآخر مطلقا.
إذ هما سيّان في استحالة المغفرة.
وأما أن يكون المراد فيهما التائب فقد قال في الشرك إنّه لا يَغْفِرُ والتائب من الشرك مغفور له.
وعند ذلك أخذ الزمخشريّ يقطع أحدهما عن الآخر.
فيجعل المراد مع الشرك عدم التوبة ومع الكبائر التوبة.
حتى تنزل الآية على وفق معتقده فيحملها أمرين لا تحمل واحد منهما: أحدهما-إضافة التوبة إلى المشيئة وهي غير مذكورة ولا دليل عليها فيما ذكر.
وأيضا لو كانت مرادة لكانت هي السبب الموجب للمغفرة على زعمهم عقلا،ولا يمكن تعلق المشيئة بخلافها على ظنهم في العقل،فكيف يليق السكوت عن ذكر ما هو العمدة والموجب، وذكر ما لا مدخل له على هذا المعتقد الرديء؟
الثاني-أنه بعد تقريره التوبة احتكم فقدرها على أحد القسمين دون الآخر.
وما هذا إلا من جعل القرآن تبعا للرأي. نعوذ بالله من ذلك.
وأما القدرية فهم بهذا المعتقد يقع عليه بهم المثل السائر (السيد يعطي والعبد يمنع) ، لأن الله تعالى يصرح كرمه بالمغفرة للمصرّ على الكبائر، إن شاء.
وهم يدفعون في وجه هذا التصريح ويحيلون المغفرة بناء على قاعدة الأصلح والصلاح، التي هي بالفساد أجدر وأحق. انتهى.
عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئا. وديوان لا يترك الله منه شيئا. وديوان لا يغفره الله.
فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله. قال الله عز وجل: إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ الآية. وقال: إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ [المائدة: ٧٢] .
وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئا، فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها. فإن الله عز وجل يغفر ذلك ويتجاوز، إن شاء. وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا، فظلم العباد بعضهم بعضا، القصاص لا محالة» . رواه الإمام أحمد. وقد تفرد به.([1])
الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، قال الله عز وجل: {وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}(سورة الأنعام، الآية: ٨٨.)، وقال تعالى: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}(سورة الزمر، الآية: ٦٥.).

[1] – محاسن التأويل ٣/ ١٤٩

وقوله:(وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ) يقول تعالى ذكره: ولقد أوحى إليك يا محمد ربك، وإلى الذين من قبلك من الرسل(لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) يقول: لئن أشركت بالله شيئا يا محمد، ليبطلنّ عملك، ولا تنال به ثوابا، ولا تدرك جزاء إلا جزاء من أشرك بالله، وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم.. ومعنى الكلام: ولقد أوحي إليك لئن أشركت ليحبطنّ عملك، ولتكوننّ من الخاسرين، وإلى الذين من قبلك، بمعنى: وإلى الذين من قبلك من الرسل من ذلك، مثل الذي أوحي إليك منه، فاحذر أن تشرك بالله شيئا فتهلك.

ومعنى قوله:(وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ولتكونن من الهالكين بالإشراك بالله إن أشركت به شيئا.([1])

الشرك الأكبر يوجب الله لصاحبه النار ويحرم عليه الجنة، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: "من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار"[(٢)].

وقد قال الله عز وجل: {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ}(سورة المائدة، الآية: ٧٢.).

الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار، قال الله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ}(سورة البينة، الآية: ٦.).

الشرك أعظم الظلم والافتراء، قال الله سبحانه وتعالى يحكي قول لقمان لابنه: {يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}(سورة لقمان، الآية: ١٣.)،

يقول العلامة ابن عاشور – رحمه الله-وجملة إن الشرك لظلم عظيم تعليل للنهي عنه وتهويل لأمره، فإنه ظلم لحقوق الخالق، وظلم المرء لنفسه إذ يضع نفسه في حضيض العبودية لأخس الجمادات، وظلم لأهل الإيمان الحق إذ يبعث على اضطهادهم وأذاهم، وظلم لحقائق الأشياء بقلبها وإفساد تعلقها. وهذا من جملة كلام لقمان كما هو ظاهر السياق، ودل عليه الحديث في «صحيح مسلم» عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم([3])

وقال سبحانه: {وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا}(سورة النساء، الآية: ٤٨.).

الله تعالى بريء من المشركين ورسولُهُ صلّى الله عليه وسلّم، قال عز وجل: {وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ}(سورة التوبة، الآية: ٣.).

الشرك يطفئ نور الفطرة؛ لأن الله عز وجل فطر الناس على توحيده وطاعته، قال سبحانه: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}(سورة الروم، الآية: ٣٠.).

---

[1] – تفسير الطبري–ط الرسالة–ت أحمد شاكر ٢١/ ٣٢٣

[(٢)] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات مشركًا دخل النار، ١/٩٤، برقم ٩٣.

[3] – التحرير والتنوير ٢١/ ١٥٥]

قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه"[1]، وفي الحديث القدسي أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال فيما يرويه عن ربه تعالى: "إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزل به سلطانًا"[2].

الشرك الأكبر يبيح الدم والمال؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم:" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم **على الله**"[3].

المبحث الرابع

إقامة القوافل الدعوية والبرامج الإعلامية لتبصرة العباد بالعقيدة الصحيحة

و اعلم علمني الله وإياك : أنه ينبغي للدعاة أن يكثفوا عملهم في ميدان الدعوة إلى الله تعالى سواء كان ذلك من خلال الفضائيات أو من خلال المنابر الدعوية و القوافل التي تجوب المدن و القرى لتبصرة العباد بالعقيدة الصحيحة و نبذ الخرافة و الشرك ، فإن هذا العمل ليس من المستحبات بل هو من الواجبات المحتمات على الدعاة و العلماء و ولاة الامر

يقول الإمام الدهلوي – رحمه الله- - قال اللّه تعالى : { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ }{ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ } [هود : ٢٥ - ٢٦] .

فقد دلت هذه الآية على أن الصراع بين المسلمين والكفار بدأ من عهد نوح عليه السلام فما زال الصادقون من عباد اللّه ينهون عن أن يعظم أحد من الخلق تعظيما يليق بالله تعالى، وعن أن تصرف إليه أعمال تقصد منها غاية التعظيم، والذل والتواضع، وهي مختصة بالله تعالى ، وظلت الحرب قائمة بين الفريقين على قدم وساق ، لم تضع أوزارها .([4])

يقو الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان : فقال- يعني الإمام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله- : [باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله]، وقصده بالدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله الدعاء إلى الإسلام، والدعاء إلى التوحيد؛ لأن الإسلام مبناه على هذه الكلمة -شهادة أن لا إله إلا الله-، والرسل صلوات الله وسلامه عليهم كلهم كانوا يدعون إلى هذه الكلمة، بل أول ما يبدؤون به هو هذه الكلمة، وهذا هو الذي يجب على الداعي، وهو أن يدعو الإنسان إلى تصحيح عقيدته أولاً، وإلى تصحيح العلم الذي ينطوي عليه قلبه، بأن يعتقد الحق ويعلمه، ثم يبعث الجوارح للعمل بهذا العلم؛ لأن العلم قبل القول والعمل، كما قال الله جل وعلا: { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ } [محمد:١٩]، فبدأ بالعلم أولاً.

---

[1] متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، ١١٩/٢، برقم ١٣٥٨، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ٢٠٤٧/٤، برقم ٢٦٥٨.

[2] مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار، ٢١٩٧/١، برقم ٢٨٦٥.

[3] متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب {فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ}، ١٤/١، برقم ٢٥، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ٥٣/١، برقم ٢٠.

[4] –.[رسالة التوحيد – الدهلوي ص: ١٠١]

فيجب على الداعي أن يبدأ بالأهم فالأهم، والأهم هو: الأصل الذي يبنى عليه غيره، والذي يبنى عليه غيره هو التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله، وقد اتفق العلماء على أنه لا يعتبر الإنسان مسلماً حتى يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ولابد أن ينطق بها، أما لو علم بقلبه أن الإسلام هو الدين الصحيح وأحبه في قلبه ورأى أنه هو الحق ولكنه لم ينطق بالشهادتين فهو كافر، وإذا مات على ذلك فهو في النار، ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله)، فلابد من القول.

ويبني على هذه الشهادة سائر الأعمال، فإذا كان الإنسان -مثلاً-مخلاً بمعنى هذه الشهادة، كأن يتوسل بالصالحين، أو يدعو أصحاب القبور ويرى أنهم يشفعون له، وأنهم يسمعون دعاءه ويستجيبون له فلا يصح أن تذهب إليه وتقول: صل الصلوات.

أو: قم الليل وتصدق وصم.

لأن صلاته وصومه وصدقته باطلة وهو يدعو غير الله، فلابد أن يخلص أولاً عقيدته، وأن تكون خالصة لله، ويعلم أنه لا يجوز أن يُصرف من الدعاء شيء لغير الله جل وعلا، بل يكون الدعاء خالصاً لله جل وعلا، فالدعاء الغيبي النفعي أو الخوف الغيبي لا يكون لغير لله جل وعلا، فإذا لم يكن مخلصاً فهو ما عرف التوحيد كما ينبغي، فيجب أن يدعى إليه أولاً، كما سيأتي في الأحاديث التي تنص على هذا.) ([1])

[1] –شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد – للغنيمان ٢١/ ٢،

المبحث الخامس: القضاء على مظاهر الشرك

اعلم علمني الله وإياك: أنه ينبغي للأمة بل يجب عليها أن تحاب مظاهر الشرك و إلا تدع باب من أبوابه إلا أغلقته و حاربت من يسعى لفتحه، و يكون الإصلاح بالقضاء على تلك المظاهر التي ذكرناها أنفا و يشمل عدة أمور:

أولا: سن قانون يمنع ويجرم بناء المساجد على القبور: وذلك امتثالا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم واجتنابا لنهيه – صلى الله عليه وسلم-

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قاتل الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»([1]).

وعن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن من شرار الناس، من تدركهم الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد» ([2])

وعن ابن عباس ٣قال: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج» ([3])

ففي «الصحيحين» عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا»)([4])

عن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها».([1])

---

[1] – رواه الإمام أحمد في «مسنده»(٢/٤٥٣، ٣٩٦، ٣٦٦، ٢٨٥، ٢٨٤–٥١٨، ٤٥٤) والبخاري في «صحيحه» (٤٣٧) ومسلم(٥٣٠) وأبو داوود في« سننه»(٣٢٢٧) والنسائي(٢٠٤٧)

[2] – أبو داود(٣٢٣٦) والترمذي(٣٢٠) والنسائي(٢٠٤٣) وابن ماجه(١٥٧٥).

[3] – **رواه أحمد في «المسند».(١/٣٢٤، ٢٨٧، ٢٢٩)، وأهل السنن الأربعة(٢)، وأبو حاتم ابن حبان في« صحيحه»(٣١٧٩)،(٣١٨٠).**

[4] – [أخرجه البخاري ح(٤٣٢)، (١١٨٧) ومسلم ح (٧٧٧)].

وعن أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه قال:(كان آخر ما تكلم به نبي الله صلى الله عليه وسلم : أن أخرجوا يهود الحجاز من جزيرة العرب ، واعلموا أن شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد) ([٢])

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم لا تجعل قبري وثنا، لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»([٣]).

(١٦) وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»([٤])

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لعن الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ([٥])

ثانيا إصدار قانونا يمنع و يحرم إقامة الموالد : فهي أعياد شرك و فسق حيث النذر و الطواف و الاستغاثة بغير الله تعالى و الاختلاط و شرب الخمور و المخدرات فهي ستار لكل معصية و ذريعة لكل شرك

الموالد عامة وحكم الإسلام عليها: إن كلمة الموالد جمع مولد مدلولها لا يختلف بين إقليم إسلامي وآخر إلا أن كلمة مولد لا تَطَّرِدُ في كل البلاد الإسلامية إذ أهل بلاد المغرب الأقصى (مراكش) يسمونها بالمواسم فيقال : موسم مولاي إدريس مثلا ، وأهل المغرب الأوسط " الجزائر " يسمونها بالزرد جمع زردة فيقال زردة سيدي أبي الحسن الشاذلي مثلا ، وأهل مصر والشرق الأوسط عامة يسمونها الموالد فيقولون مولد السيدة زينب ، أو مولد السيد البدوي مثلا ، وسماها أهل المغرب بالمواسم لأنهم يفعلونها موسميا أي في العام مرة . وسماها أهل الجزائر بالزردة باعتبار ما يقع فيها من ازدراد الأطعمة التي تطبخ على الذبائح التي تذبح للولي، أو عليه بحسب نيات المتقربين، وسماها من سماها بالحضرة إما لحضور روح الولي فيها ولو بالعناية والبركة، أو لحضور المحتفلين لها وقيامهم عليها.

هذا بالنسبة إلى مجرد التسمية أما بالنسبة إلى ما يجري فيها من أعمال فإنها تختلف كيفا وكما بحسب وعي أهل الإقليم، وفقرهم وغناهم والقاسم المشترك بينهم فيها ما يلي:

١-ذبح النذور والقرابين للسيد أو الولي المقام له الموسم أو الزردة أو المولد أو الحضرة.

٢-اختلاط الرجال الأجانب والنساء الأجنبيات.

٣-الشطح ([٦]) .

---

[١] – أخرجه مسلم ح٩٧٢

[٢] – **رواه الإمام أحمد في«مسنده»(١٩٥/١)، ورواه الدارمي (٢٤٩٨) بشطره الأول دون الأخير.**

[٣] – **رواه الإمام أحمد في «مسنده»(٢٤٦/٢)**

[٤] – **رواه الإمام أحمد في «مسنده»(٣٦٧/٢) وأبو داوود في«سننه»(٢٠٤٢)، وحسنه شيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ ابن حجر، ووفاقهما الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وغيرهم .**

[٥] – **رواه الإمام أحمد في «مسنده»(١٨٦/٥، ١٨٤).**

[٦] – الشطح كالرقص الذي هو لغة الانخفاض والارتفاع ، والرقص محرك الراء والقاف مصدر رقص غير أن الشطح لم يذكر له في اللغة فعل فيما علمت من بحثي ، وإنما الشطح بكسر الشين والطاء المشددة لفظ يزجر به العريض من أولاد المعز . وهو من أتى عليه سنة.

٤-إقامة الأسواق للبيع والشراء وهذا غير مقصود غير أن التجار يستغلون التجمعات الكبرى ويجلبون إليها بضائعهم لعرضها وبيعها وعندما يوجد الطلب والعرض تقوم السوق على ساقها ، وناهيك بأسواق منى وعرفات .
٥-دعاء الولي أو السيد والاستغاثة به والاستشفاع وطلب المدد وكل ما تعذر الحصول عليه من رغائب وحاجات وهو شرك أكبر والعياذ بالله.
٦-قد يحصل شيء من الفجور وشرب الخمور، ولكن لا يطرد هذا لا في كل البلاد ولا في كل الموالد.

ثالثا: اصدر فتوى من علماء الأمة بتسوية الأضرحة و قيام ولي الأمر بمباشرة ذلك :

ولا يكون بتسوية إلا لولي الأمر حتى لا تحدث فتنة بين الناس ولا يكون ذلك أيضا إلا بعد بيان الحكم الشرعي الذي جاء على لسان الحبيب النبي – صلى الله عليه وسلم –
والأدلة على وجوب هدمها ما يلي:
لقد بين لنا فيما سبق في الآثار السيئة التي نشرها المتصوفة في العالم الإسلامي بأن الغلو في الصالحين وبناء القباب والمساجد على قبورهم كان من أهم الأسباب التي ساعدت على انتشار دعاء غير الله عز وجل وما دام ألأمر كذلك فلا يمكن أن يقف هذا الزحف الصوفي إلا إذا أزيلت هذه القباب والمساجد المبنية على القبور والتي أصبح الناس يتوجهون إليها من دون الله سبحانه وتعالى .
وليس هذا بشيء غريب فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر بهدم مسجد الضرار الذي بناه المنافقون من أجل التفريق بين المسلمين والإضرار بهم وكذلك كثير من الصحابة كانوا يحرصون على القضاء على كل شيء يخالفون منه الفتنة في الدين وكذلك كثير من العلماء الكبار أمر بهدم أشياء كانت سببا لفتنة الناس في عقائدهم بل منهم من هدمها بنفسه وهدم مسجد الضرار دليل قوي واضح على وجوب هدم ما هو أعظم منه فسادا مثل هذه المساجد المبنية على القبور والتي نراها منتشرة في عالمنا الإسلامي من شماله إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه ووسطه إلى ما شاء الله من البلاد التي أنعم الله عليها بدعوة التوحيد السلفية وذلك لأن حكم الإسلام في هذه المساجد والقباب المبنية على القبور هو أن تهدم كلها حتى تسوي بالأرض لأنها هي أولى بالهدم من مسجد الضرار الذي أمر الرسول بهدمه فهدم وكذلك القباب المبنية على القبور يجب هدمها لأنها أسست على معصية الله ورسوله وذلك كما علمنا سابقا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهي نهيا قاطعا عن البناء على القبور وأمر بتسوية ما بني منها عليه وذلك حتى يقضي على كل المظاهر التي تكون سببا في وقوع الأمة في الإشراك بالله تعالى .
فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي رضي الله عنه قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ((ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته))(١)

---

١ – أخرجه مسلم برقم "٩٦٩"، وأبو داود برقم "٣٢١٨"، والترمذي برقم "١٠٤٩"، وأحمد "٩٦/١، ١٢٩".

فهذا الحديث دليل قاطع على وجوب إزالة كل الأشكال التي تكون سبب للوقوع في عبادة غير الله تعالى من التماثيل والمباني التي تشيد على القبور.
وأخرج الإمام مسلم أيضا في صحيحه عن ثمامة بن شفي قال:"كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم بروس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها"([1])
وهذا الحديث دليل قاطع على وجوب تسوية القبور والتحذير من رفعها فما بالك بالبناء عليها المساجد والقباب طبعا هذا من باب أولى ممنوع شرعا وإذا كان كذلك فينبغي هدم ما بني عليه منها وذلك إزالة للفتنة.
وعن عبد الله بن شرحبيل بن حسنة قال: « رأيت عثمان بن عفان يأمر بتسوية القبور، فقيل له هذا قبر أم عمرو بنت عثمان! فأمر به فسُوّي» ([2]).
ولهذا روي عن عمرو بن شرحبيل أنه قال عند موته: «لا ترفعوا جدثي -يعني القبر-فإني رأيت المهاجرين يكرهون ذلك» ([3]).
؟ وعن أبي بردة قال: «أوصى أبو موسى حين حضره الموت فقال: إذا انطلقتم بجنازتي فأسرعوا المشي... ولا تجعلوا على قبري بناءً» ([4]).
؟ روى ابن جرير بإسناده عن مجاهد: { أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالعُزَّى } [النجم: ١٩] قال: كان رجل صالح يلتُّ السويق للحجاج فلما مات عكفوا على قبره([5]).
قال الإمام الشافعي-رحمه الله-: (ولم أرَ قبور المهاجرين والأنصار مجصصة قال الراوي عن طاووس: أن رسول الله (نهى أن تبنى القبور أو تجصص (قال الشافعي) وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم أرَ الفقهاء يعيبون ذلك)
وقال العلامة ابن حجر الهيتمي في "الفتاوى الكبرى " في جواب سؤال يتعلق بهذا الموضوع: (المنقول المعتمد كما جزم به النووي في شرح المهذب حرمة البناء في المقبرة المسبلة، فإن بُني فيها هُدم ولا فرق في ذلك بين قبور الصالحين والعلماء وغيرهم، وما في الخادم مما يخالف ذلك ضعيف لا يلتفت إليه، وكم أنكر العلماء على باني قبة الإمام الشافعي- رحمه الله - وغيرها، وكفى بتصريحهم في كتبهم إنكاراً) انتهى محل الغرض منه ([6])
وقال في جواب سؤال آخر: (يحرم بناء القبر في المقبرة المسبلة؛ وهي التي اعتاد أهل البلد الدفن فيها، ومثلها الموقوفة لذلك، سواء كان مدماكاً أم مدماكين لأن الكل يسمى بناء ولوجود علة تحريم البناء في ذلك وهي تحجير الأرض على من يدفن بعد بلاء الميت إذ الغالب أن البناء يمكث إلى ما بعد البلى، وأن الناس يهابون فتح القبر المبني، فكان في البناء تضييق للمقبرة ومنع

---

[1] – رواه مسلم رقم (٩٦٨) ٦٦٦/٢ .

[2] –رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٣٨/٤ قال الألباني: وسنده صحيح .

[3] –رواه ابن سعد في طبقاته ١٠٨/٦ بإسناد صحيح .

[4] –رواه أحمد في المسند ٣٩٧/٤ قال الألباني "وسنده قوي" .

[5] –تفسير القرطبي ٦٦/١٧ تفسير الطبري مجلد ١١ ج٢٧ ص٣٥ .

[6] –**الفتاوى الكبرى للإمام العلامة أحمد بن محمد الهيثمي المكي (١٧/٢)طبع دار الفكر ببيروت (١٤٠٣هـ–١٩٨٣م)**

الناس من الانتفاع بها فحرم، ووجب على ولاة الأمر هدم الأبنية التي في المقابر المسبلة، ولقد أفتى جماعة من عظماء الشافعية بهدم قبة الإمام الشافعي -رحمه الله-وإن صُرفت عليها ألوف من الدنانير لكونها المقبرة المسبلة وهذا - أعني البناء في المقابر المسبلة - مما عمّ وطم، ولم يتوقّه كبير ولا صغير فإنا لله وإنا إليه راجعون) ([1])

وقال شيخ الإسلام الشوكاني -رحمه الله- في النيل في شرح حديث علي: قوله:" ولا قبراً مشرفاً إلا سويته " فيه أن السنة أن القبر لا يرفع رفعاً كثيراً من غير فرق بين من كان فاضلاً ومن كان غير فاضل، والظاهر أن رفع القبور زيادة على القدر المأذون فيه محرّم، وقد صرح بذلك أصحاب أحمد وجماعة من أصحاب الشافعي ومالك، والقول بأنه غير محظور لوقوعه من السلف والخلف بلا نكير – كما قال الإمام يحيى ([2])والمهدي في الغيث - لا يصح لأنه غاية ما فيه أنهم سكتوا عن ذلك والسكوت لا يكون دليلاً إذا كان في الأمور الظنية، وتحريم رفع القبور ظني، ومِن رفعِ القبور الداخل تحت الحديث دخولاً أولياً القبب والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي (فاعل ذلك كما سيأتي.

وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام، منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج وملجأً لنجاح المطالب وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدّوا إليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا.

وبالجملة إنهم لم يدَعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه - فإنا لله وإنا إليه راجعون - ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف لا عالماً ولا متعلماً ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإن قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه- تعالى- ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة، فيا علماء الدين، و يا ملوك المسلمين، أي رزء للإسلام أشد من الكفر، وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله؟ وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجباً:

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو ناراً نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رمادِ ([3])

وقال صديق حسن خان: (أقول: الأحاديث الصحيحة وردت بالنهي عن رفع القبور، وقد ثبت من حديث أبي الهياج ما تقدم فما صدق عليه أنه قبر مرفوع أو مشرف لغة فهو من منكرات الشريعة التي يجب على المسلمين إنكارها وتسويتها، من غير فرق بين نبي وغير نبي وصالح وطالح، فقد مات جماعة من أكابر الصحابة في عصره (ولم يرفع قبورهم، بل أمر علياً بتسوية المشرف منها،

---

[1] –المرجع السابق (٢/٢٥)

[2] –ستأتي ترجمته في الباب الأول (ص ١٠٢).

[3] –نيل الأوطار (٤/٩٥)

ومات (ولم يرفع قبرَه أصحابُه، وكان من آخر قوله:((لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))،ونهى أن يتخذ قبره وثناً، فما أحق الصلحاء والعلماء أن يكون شعارهم هو الشعار الذي أرشدهم إليه (، وتخصيصهم بهذه البدعة المنهي عنها تخصيص لهم بما لا يناسب العلم والفضل؛ فإنهم لو تكلموا لضجوا مِن اتخاذ الأبنية على قبورهم وزخرفتها لأنهم لا يرضون بأن يكون لهم شعار من مبتدعات الدين ومنهياته، فإن رضوا بذلك في الحياة كمن يوصي من بعده أن يجعل على قبره بناء، أو يزخرفه فهو غير فاضل، والعالم يزجره علمه عن أن يكون على قبره ما هو مخالف لهدي نبيه (،فما أقبح ما ابتدعه جهلة المسلمين من زخرفة القبور، وتشييدها، وما أسرع ما خالفوا وصية رسول الله (عند موته فجعلوا قبره على الصِفة التي هو عليها الآن وقد شدَّ من عضد هذه البدعة ما وقع من بعض الفقهاء من تسويغها لأهل الفضل حتى دوّنوها في كتب الهداية والله المستعان...) ([1])

كما في قصة ذات أنواط والحديث بذلك أخرجه الترمذي -رحمه الله-في سننه في كتاب الفتن، باب " لتركبن سنن من كان قبلكم " من حديث أبي واقد الليثي (:(أن رسول الله (لما خرج إلى حنين مرَّ بشجرة للمشركين يقال لها: ذاتُ أنواط، يعلِّقون عليها أسلحتهم، قالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط، فقال لهم النبي (:((سبحان الله هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة. والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم)))([2]) .

فانظر-رحمك الله-كيف عظَّم رسول الله (سؤالهم له أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها كما يفعل المشركون وذلك بعدة أمور، منها: التسبيح الذي يقال عند سماع الأمر العظيم، ومنها: تشبيه طلبهم ذلك بطلب قوم موسى حين قالوا له:(اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة (الأعراف (١٣٨).

ومنها: الإخبار بالسُنَّة الماضية من اتِّباع هذه الأمة لغيرها من الأمم السابقة فيما وقعوا فيه من الفتن والضلال وإقسامه على ذلك .

فهذا كله برهان واضح على خطورة تلك المظاهر الوثنية وماتجرُّه على الأمة من انحراف في عقيدتها ولهذا حذر العلماء - رحمهم الله- من وجود مثل تلك الأماكن التي يعظِّمها العوام ويتبركون بها ويعتقدون فيها شيئاً من النفع والضر، أو يقومون عندها بشعائر تعبدية مبتدعة أو شركية، قال الإمام أبوبكر الطرطوشي([3]) - رحمه الله - في كتابه " الحوادث والبدع " بعد سياق هذا الحديث:(فانظروا - رحمكم الله - أينما وجدتم سدرة وشجرة يقصدها الناس ويعظمون من

---

[1] – الروضة الندية شرح الدر البهية للسيد صديق حسن خان (١٧٥–١٧٦) طبع دار الندوة الجديدة ببيروت (١٤٠٤هـ–١٩٨٤م) .

نقلا عن القبورية في اليمن ١/ ٤٤

[2] –سنن الترمذي (٤٧٥/٤) طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط الأولى (١٣٨٢هـ – ١٩٦٢م)تحقيق وتعليق إبراهيم عطوه عوض ، وقال الشيخ الألباني في صحيحه (٢٣٥/٢) : (صحيح) ، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط الأولى (١٤٠٨هـ –١٩٨٨م) .

[3] –الإمام العلامة محمد بن الوليد بن محمد الفهري المعروف بالطرطوشي، ولد بطرطوشه ببلاد الأندلس، ثم رحل إلى أهل بلده في طلب العلم ثم إلى المشرق العربي، واستقر به المقام بالإسكندرية حتى توفي بها رحمه الله ، ولد سنة (٤٥١هـ) وتوفي سنة (٥٢٠هـ) انظر الأعلام (١٣٣/٧–١٣٤) ومقدمة كتابه الحوادث والبدع تحقيق عبدالمجيد تركي،طبع دار الغرب الإسلامي ط الأولى (١٤١٠هـ–١٩٩٠م) .

شأنها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، وينوطون بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط فاقطعوها) ([1])

الباب الخامس: الإصلاح الأخلاقي

قال الله تعالى {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت: ٤٥]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ "([2])

اقرأ في الصفحات الآتية

* أهمية الأخلاق ومكانتها من الدين.

---

[1] – الحوادث والبدع للإمام محمد بن الوليد الطرطوشي (ص١٠٥) ٠

[2] – أخرجه أحمد (٣٨١/٢، رقم ٨٩٣٩)، وابن سعد (١٩٢/١). وقال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٣٤٩ في صحيح الجامع.

* العقائد الإسلامية والأخلاق.

* العبادات الإسلامية والأخلاق.

*الأخلاق والاقتصاد.

* صور من الفساد الأخلاقي وأسبابه.

* الإصلاح الأخلاقي.

الباب الخامس: الإصلاح الأخلاقي

اعلم علمني الله و إياك أن الإصلاح الأخلاقي من الأمور التي بها تنهض الأُمم و تنال الرفعة في الدنيا و الأخرة و لم لا ؟ و النبي – صلى الله عليه و سلم – علل رسالته لإتمام مكارم و صالح الأخلاق - عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ "([1])

الفصل الأول أهمية الأخلاق ومكانتها من الدين

اعلم زادك الله علما: أن للأخلاق مكانة متينة بالدين الإسلامي فالدين كله خلق، خلق مع الله وخلق مع الناس وخلق مع النفس دين و دنيا، دنيا و آخرة.

واعلم علمني الله وإياك: أنه جرت عادة الباحثين في رسالة الإسلام أن يقسموه إلى شعب أربع : عقائد وعبادات، ومعاملات، وأخلاق، وربما أوهم تأخير شعبة الأخلاق أنها آخر ما يهتم به الإسلام، وأنها لا ترقى إلى مستوى الشعب الأخرى. والحقيقة التي تتجلى لمن يتدبر الإسلام في آيات كتابه وسنة نبيه، ويتأمل نصوصها وروحها: أن الإسلام في جوهره رسالة أخلاقية، بكل ما تحمله هذه الكلمة من عمق وشمول. ولا غرو أن تكون "الأخلاقية" خصيصة من خصائصه العامة.

وليس ذلك لمجرد أن الإسلام حث بقوة على الفضائل، وحذر بقوة من الرذائل، ووصل في هذا وذاك إلى أعلى درجات الإلزام، ورتب على ذلك أعظم مراتب الجزاء، ثوابا وعقابا، في الدنيا

---

[1] – أخرجه أحمد (٣٨١/٢، رقم ٨٩٣٩) ، وابن سعد (١٩٢/١) . وقال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٣٤٩ في صحيح الجامع

والآخرة. وليس ذلك أيضا لمجرد أن الإسلام عنى بالأخلاق عناية بالغة حتى أن القرآن حين أثنى على الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجد أبلغ ولا أرفع من قوله :وإنك لعلى خلق عظيم)
وحتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليلخص الهدف من رسالته فيقول في إيجاز بليغ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق."
ليست الأخلاقية من خصائص الإسلام لمجرد هذا وذاك. ولكن . بالإضافة إلى ذلك . لأن الأخلاقية تسري في كيان الإسلام كله، وفي تعاليمه كلها، حتى في العقائد والعبادات والمعاملات، وتدخل في السياسة والاقتصاد، والسلم والحرب.

العقائد الإسلامية والأخلاق

اعلم -علمني الله وإياك-: أنَّ الأخلاق الإسلامية تنبثق من تلك العقيدة الإسلامية الخالصة من شوائب الشرك والشهوات والشبهات فالذي يتدبر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يرى أن العقيدة تأسس الأخلاق القويمة وهيا لنرى ذلك:
فالعقيدة تربي المسلم على العدل مع الله ومع النفس ومع الناس، لذا جعل الله تعالى الشرك جور وظلم فقال سبحانه وتعالى {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣]
يقول ابن عاشور – رحمه الله-وجملة إن الشرك لظلم عظيم تعليل للنهي عنه وتهويل لأمره، فإنه ظلم لحقوق الخالق، وظلم المرء لنفسه إذ يضع نفسه في حضيض العبودية لأخس الجمادات، وظلم لأهل الإيمان الحق إذ يبعث على اضطهادهم وأذاهم، وظلم لحقائق الأشياء بقلبها وإفساد تعلقها. وهذا من جملة كلام لقمان كما هو ظاهر السياق، ودل عليه الحديث (١)
والنبي –صلى الله عليه وسلم جعل الإيمان الحقيقي هو الذي يدفع صاحبة إلى الأخلاق القويمة عن فضالة بن عبيد الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع: " هذا يوم حرام، وبلد حرام، فدماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، مثل هذا اليوم وهذا اليوم إلى يوم تلقونه وحتى دفعة دفعها مسلم مسلما يريد بها سوءا وسأخبركم من المسلم. المسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله ". (٢)
ونفى النبي – صلى الله عليه وسلم عمن أساء إلى جاره ومن لم يأمنه الناس ومن لم يسلم المسلمون من لسانه ويده ومن لم يكرم ضيفه كل هذه الأحاديث تربط بين الإيمان وبين الأخلاق.
فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله (المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء، والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه) (٣)

---

١ – التحرير والتنوير ٢١/ ١٥٥

٢ – أخرجه أحمد ٢١/٦(٢٤٤٥٨و"ابن ماجة"٣٩٣٤، وقال الألباني(صحيح) انظر حديث رقم : ٦٦٥٨ في صحيح الجامع .

٣ – المستدرك على الصحيحين، برقم (٢٥) وقال: "وزيادة أخرى صحيحة سليمة من رواية المجروحين في متن هذا الحديث ولم يخرجاها"

* وأقسم صلى الله عليه وسلم على نفي هذا الإيمان عمن خان جاره، فلم يأمن شروره ومفاسده، كما عن أبي شريح [وأبي هريرة رضي الله عنهما، أن النبي قال:
(والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن) قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: (الذي لا يأمن جاره بوائقه) (١)
ومعنى هذه الأحاديث أن الإيمان الصادق إنما يظهر للناس من معاملة صاحبه لهم، و من أبرز الأدلة على صدق إيمانه أن يأمنوه على دمائهم وأموالهم وأسرارهم، فلا يخون أمانته، وليست دعوى الإنسان الإيمان كافية على صدق إيمانه.
والمنافقون يفقدون الصدق كما يفقدون الأمانة، كما قال الله تعالى عنهم: ((أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)) [الحشر (١١)]
وقال تعالى: ((إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢))
والأحاديث النبوية كذلك تربط الفضائل الأخلاقية بالإيمان، وتجعلها من لوازمه وثمراته: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت."
عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(الإيمان بضعٌ وستون شُعبة .أو بِضعٌ وسبعون شعبة . فَأَرْفَعُهَا لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)(٢)
,"ونفى الإيمان عمن وقع في جريمة عن جابرٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ ، وأبي هريرة ، وابن عمر - رضي الله عنهم - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ ، ولا يسرق حين يسرقُ وهو مؤمنٌ -" هذا لفظ فضيل بن غزوان . وزاد جابرٌ الجعفي: ولا ينتهب نهبة ذات شرفٍ وهو مؤمنٌ، فإن تاب، تاب الله عليه".(٣)

العبادات الإسلامية والأخلاق

أخي المسلم: إذا نظرنا إلى العبادات نجد أنها تربي المسلم على الأخلاق الفاضلة والأخلاق القويمة فالصلاة وهي العبادة اليومية الأولى في حياة المسلم، لها وظيفة مرموقة في تكوين الوازع الذاتي، وتربية الضمير الديني: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت: ٤٥]
يقول السعدي – رحمه الله-ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أن العبد المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في

---

١ – صحيح البخاري، برقم (٥٦٧٠) وصحيح مسلم، برقم (٤٦)]

٢ –رواه البخاري في صحيحه ١٢/١ ح (٩) ، ورواه مسلم ، باب (١٢): بيان عدد شعب الإيمان ٦٣/١ ح (٣٥).

٣ – أبي يعلى في مسنده ج ١١/ ص ٢٤٧ حديث رقم: ٦٣٦٤ ،و البيهقي في سننه الكبرى ج ١٠/ ص ١٨٦ رقم: ٢٠٥٤٢، و الطبراني في معجمه الأوسط ج ٧/ ص ٢٧٤ رقم: ٧٤٨٢

الخير، وتقل أو تعدم رغبته في الشر، فبالضرورة، مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه، تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصدها وثمراتها. وثَمَّ في الصلاة مقصود أعظم من هذا وأكبر، وهو ما اشتملت عليه من ذكر اللّه، بالقلب واللسان والبدن. فإن اللّه تعالى، إنما خلق الخلق لعبادته، وأفضل عبادة تقع منهم الصلاة، وفيها من عبوديات الجوارح كلها، ما ليس في غيرها، ولهذا قال: { وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ }

ويحتمل أنه لما أمر بالصلاة ومدحها، أخبر أن ذكره تعالى خارج الصلاة أكبر من الصلاة، كما هو قول جمهور المفسرين، لكن الأول أولى، لأن الصلاة أفضل من الذكر خارجها، ولأنها -كما تقدم- بنفسها من أكبر الذكر.

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} من خير وشر، فيجازيكم على ذلك أكمل الجزاء وأوفاه. (١)

*والزكاة تطهر المسلم من الشح والبخل والأثرة {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (التوبة ١٠٣)

وللشيخ الشعراوي – رحمه الله-فهم عميق في هذه الآية نذكره – يقول: على من يعود قوله الحق: {تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ}؟ السطحيون في الفهم يقولون: إنها تطهر من نأخذ منه المال، وتزكّى المال الذي نأخذ منه.

لكن من يملك عمقاً في الفهم يقول: ما دامت هناك في هذه الآية عناصر، فضروري أن يعود التطهير والتزكية عليها، وإنها تطهر وتزكي المأخوذ منه صاحب المال، وكذلك تطهر وتزكي المال المأخوذ، وأيضاً تظهر وتزكي المأخوذ له وهو الفقير، لأن التطهير معناه إزالة قَذَر، والتزكية نماء. القذارة أمر عارض على الشيء الذي نغسله ونطهره، وتنمية له بشيء عائد عليه فيزداد، وهكذا تُطهر الصدقة وتزكى عناصر الفعل كلها.

والتطهير لمن يعطي، له معنى مع، والزكاة لها معنى معه؛ لأنك إن أخذت منه المال، فقد يكون قد أدخل في ماله شيئاً فيه شبهة، فالصدقة والزكاة تطهران هذا المال {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣)

أما كيف تنمّي صاحب المال؟ أنت إن أخذت منه وهو قادر، معنى ذلك أنك تطمئنه أنه إذا احتاج فستعطيه، وبهذا يعرف أنه لا يعيش في المجتمع بمفرده، ولا يخاف أن يضيع منه المال، واطمأن لحظة أن أخذت منه المال وهو قادر كي تعطي المحتاج، فكأنك تطمئنه وتقول له: أنت لو احتجت فلن تضيع، وبذلك تُنمّي تواجده وثقته، وطهرته أيضاً من أن يكون في ماله شبهة، هذا من ناحية صاحب المال.

أما من ناحية المال نفسه، فالصدقة تطهر المال؛ لأن المال قد يزيد فيه شيء فيه شبهة فالزكاة تطهره.

وقد يخيل إليك أنك حين تأخذ من المال فهو ينقص، عكس الربا الذي يزيد المال، فالربا مثلاً يحقق زيادة للمائة جنيه فتصبح مائة وعشرة مثلاً، أما المزكّي فالمائة جنيه تصير سبعة وتسعين ونصفاً، والسطحي يرى أن الزكاة أنقصت المال وأن الربا يزيده، ولكن هذا بمقاييس البشر، لا

---

١ – تفسير السعدي ص: ٦٣٢

بمقاييس من يملك الأشياء؛ فالزكاة التي تعتبرونها نقصاً تنمّي ، والربا الذي تعتبرونه ينمّي إنما يُنقص ، والحق يقول : { يَمْحَقُ الله الربا وَيُرْبِي الصدقات . . . } [البقرة : ٢٧٦]
إذن: فهناك مقاييس عند البشر، ومقاييس أخرى عند الحق، فما رأيته منقصاً لك، هو عند الله زيادة ، وما رأيته مزيداً لك ، هو في الواقع نقصٌ ، كيف؟ لأن الناس لا ينظرون إلا إلى رزق الوارد الإيجابي، ويظنون أن هذا هو الرزق، ولا يتذكرون أن هناك رزقاً اسمه «رزق السلب»، فرزق الإيجاب قد يزيد دخلك مثلاً من مائة إلى مائة وعشرة.
وزرق السلب يتمثل في أنك تصرف سبعين فقط، بدلاً من أن تصرف مائةً، فيبقى لك ثلاثون، بالإضافة إلى أنه يمنع عنك مصارف الشر ، هذا من ناحية المال .
والحق يقول: { وَمَآ آتَيْتُمْ مِّن رِّباً لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ الناس فَلاَ يَرْبُو عِندَ الله وَمَآ آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ الله فأولئك هُمُ المضعفون } [الروم : ٣٩]
وكيف تكون الصدقة تطهيراً للآخذ وهو لم يذنب ذنباً يحتاج إلى تطهير، بل هو مُعطىً له لأنه محتاج؟ ونقول: إن الآخذ حين يأخذ من مال غيره، وهو عاجز عن الكسب فهو يتطهر من الحقد على ذي النعمة؛ لأنه وصله بعض من المال الذي عند ذي النعمة، فلا يحقد عليه ولا يحسده، فهو إن رأى عنده خيراً، دعا له بالزيادة؛ لأن بعضاً من الخير يعود عليه.
والفلاحون في ريف مصر يهدون بعضهم بعضاً من لبن ماشيتهم، أو بعضاً من الخير الخارج من لبنها، وساعة أن تمرَّ إحداهما على أهل القرية يدعون الله بحمايتها، وهكذا تتطهر نفس الفقير من الحقد والحسد.
هذا عن التطهير، فماذا عن التزكية والنماء؟ إن الفقير ساعة يرى نفسه فقيراً، ويرى أن المجتمع الإيماني يقوم برعايته ولا يتركه وحيداً، ويتسابق أهل الخير لنجدته، فنفسه تنمو بالاطمئنان؛ لأنه في مجتمع إيماني.
إذن: فقوله الحق: {تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ} راجع لكل العناصر في الآية ([1])
والصيام يربي في نفسية الصائم التقوى والمراقبة وترك المحرمات والبعد عن الشهوات والشبهات وكذا سائر فرائض الإسلام فإنها تغرس في النفوس المسلمة الأخلاق السوية.

الأخلاق والاقتصاد

أما صلة الأخلاق بالمعاملات المالية فهي صلة وثيقة مبنية على التراحم والتضامن وحب الخير للغير ولنضرب على ذلك أمثلة
أخلاق المسلم في البيع والشراء مبنية على الصدق و الأمانة النصيحة، كيف ذلك؟
الجواب بعون الملك الوهاب:
أما الصدق فاسمع إلى التوجيهات النبوية الكريمة عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ-صلى الله عليه وسلم - قَالَ: التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ.)([2])

---

[1] – الشعراوي ص: ٣٧٢١ –٣٧٢٢

[2] – أخرجه عَبْد بن حُمَيْد (٩٦٦) و"الدارمِي" ٢٥٣٩ قال : أخبرنا قَبيصة. والتِّرْمِذِيّ" ١٢٠٩ ، وقال الألباني (ضعيف) انظر حديث رقم : ٢٥٠٣ في ضعيف الجامع .

كتب معاوية إلى عبد الرحمن بن شبل: أن علم الناس ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجمعهم فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " تعلموا القرآن، فإذا علمتموه فلا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به ". ثم قال: " إن التجار هم الفجار ". قالوا: يا رسول الله، أليس قد أحل الله البيع وحرم الربا؟

قال: " بلى، ولكنهم يحلفون ويأثمون ". ثم قال: إن الفساق هم أهل النار. قالوا: يا رسول الله، من الفساق؟ قال: " النساء ". قالوا: أو ليس أمهاتنا وبناتنا وأخواتنا؟

قال: " بلى، ولكنهن إذا أعطين لم يشكرن، وإن ابتلين لم يصبرن ".

ثم قال: " يسلم الراكب على الراجل، والراجل على الجالس، والأقل على الأكثر، فمن أجاب السلام كان له، ومن لم يجب فلا شيء له ". (١)

وترتب النبي – صلى الله عليه وسلم حصول البركة على الصدق فعن حكيم بن حزام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، أو قال: حتى يتفرقا، فإن صدقا وبينا، بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا، محقت بركة بيعهما. (٢)

وحرم الله سبحانه وتعالى الربا لأن الأصل في المعاملة بين المسلمين التكافل والتراحم

{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠)} [البقرة: ٢٧٥ - ٢٨٠]

و حرم الغش و تبرأ النبي – صلى الله عليه وسلم – ممن يغش في بيعه أو شرائه عن أبي هريرة * أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - مر على صبرة من طعام فأدخل يده فيه فنالت أصابعه بللا فقال ما هذا يا صاحب الطعام فقال أصابته السماء يا رسول الله قال أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ثم قال من غشنا فليس مني وقد أخرج مسلم حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من غشنا فليس منا وأما)(٣)

وحرم الرشوة وتوعد الراشي والمرتشي والرائش بالطرد من رحمة الله أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم» (٤)

---

١ – أخرجه أحمد ح(١٥٧٥١و١٥٧٥٢و ١٥٧٥٣و ١٥٧٥٤) . وعبد بن حميد (٣١٤) وقال الألباني

(صحيح) انظر حديث رقم : ١٥٩٤ في صحيح الجامع .

٢ أخرجه أحمد ٤٠٢/٣(١٥٣٨٨)) و"البخاري" ٧٦/٣(٢٠٧٩) و"مسلم" ١٠/٥(٣٨٥٣) و"أبو داود" ٣٤٥٩ والترمذي" ١٢٤٦. و"النسائي" ٢٤٤/٧

٣ –) أخرجه مسلم ح ١٦٤ – (١٠١) ، (و أحمد ح) ٩٣٨٥الحاكم في مستدركه ج ٢/ ص ١٢ حديث ح: ٢١٥٥

٤ – خرجه الطبراني (٣٩٨/٢٣، رقم ٩٥١) . قال الهيثمي (١٩٩/٤) : رجاله ثقات .

وفي باب الأكل والشرب حرم التبذير والتقتير فالمسلم وسط بين طرفي نقيض {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧} [الإسراء: ٢٦، ٢٧]

الحرب والأخلاق

والإسلام الذي جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور رسم لهم الأخلاق الحسنة في الحرب كما رسمها لهم في حال السلم فلا يجوز للمسلم أن يتخلى عن الأخلاق الإسلامية في أي حال من الأحوال وهيا لنرى كيف كانت صلة الأخلاق بالحرب

نهاهم عن العدوان والاعتداء على الغير {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [البقرة: ١٩٠]

يقول الشيخ الشعراوي – رحمه الله- وعندما نتأمل قوله تعالى : { وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ الله } فإننا نجد أن الحق سبحانه يؤكد على كلمة { فِي سَبِيلِ الله } لأنه يريد أن يضع حداً لجبروت البشر ، ولابد أن تكون نية القتال في سبيل الله لا أن يكون القتال بنية الاستعلاء والجبروت والطغيان فلا قتال من أجل الحياة ، أو المال أو لضمان سوق اقتصادي ، وإنما القتال لإعلاء كلمة الله ، ونصرة دين الله ، هذا هو غرض القتال في الإسلام .

{وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ الله الذين يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تعتدوا إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ المعتدين } والحق ينهى عن الاعتداء ، أي لا يقاتل مسلم من لم يقاتله ولا يعتدي .

وهب أن قريشا هي التي قاتلت، ولكن أناساً كالنساء والصبيان والعجزة لم يقاتلوا المسلمين مع أنهم في جانب من قاتل، لذلك لا يجوز قتالهم، نعم على قدر الفعل يكون رد الفعل. ماذا؟ لأن في قتال النساء والعجزة اعتداء، وهو سبحانه لا يحب المعتدين، لكن قتال المؤمنين إنما يكون لرد العدوان، ولا بداية عدوان.([1])

و نهاهم عن الخيانة و إن كانت في حق قوم كافرين فقال سبحانه وتعالى {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (الأنفال ٥٨) }

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره:(وإما تخافن)، يا محمد، من عدو لك بينك وبينه عهد وعقد، أن ينكث عهد. وينقض عقده، ويغدر بك =وذلك هو "الخيانة" والغدر فانبذ إليهم على سواء)، يقول: فناجزهم بالحرب، وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم، بما كان منهم من ظهور أمار الغدر والخيانة منهم، حتى تصير أنتَ وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب، فيأخذوا للحرب آلتها، وتبرأ من الغدر (إن الله لا يحب الخائنين)، الغادرين بمن كان منه في أمان وعهد بينه وبينه أن يغدر به فيحاربه، قبل إعلامه إياه أنه له حرب، وأنه قد فاسخه العقد.([2])

عن سليم بن عامر، قال: كان معاوية يسير في أرض الروم، وكان بينه وبينهم أمد، فأراد أن يدنو منهم، فإذا انقضى الأمد غزاهم، فإذا شيخ على دابة يقول: الله أكبر [الله أكبر] وفاء لا غدرا، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ومن كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلَّنَّ عقدة ولا يشدها

---

[1] – الشعراوي ص: ٥٠٣]

[2] – تفسير الطبري–ط الرسالة–ت أحمد شاكر ١٤/ ٢٥

حتى ينقضي أمدها، أو ينبذ إليهم على سواء" قال: فبلغ ذلك معاوية، فرجع، وإذا الشيخ عمرو بن عبسة، رضي الله عنه.([1])

****

الفصل الثاني: صور من الفساد الأخلاقي

أخي المسلم: بعد أن رأينا أن الإسلام جاء ليُقوم و يتمم الأخلاق كما قال رسول الله – صلى الله - عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ "([2])

هيا أخي المسلم لنرى صورا من الانهيار الأخلاقي في مجتمعنا الإسلامي ليدرك المسلم مدى الفساد الذي حل بأخلاق كثير من العباد – إلا من رحم الله- تعالى –

إن المتأمل في أحوال العالم الإسلامي يجد أنه أصيب في كثير من المجالات و من تلك المجالات المجال الأخلاقي فما ترفع بصرك في أي ماكن إلا وجدت هناك صورا عديدة من الانحلال الأخلاقي و لنضرب على ذلك أمثلة :

التبرج و السفور: و هذه صورة من أخطر الفتن التي تسبب الإضلال و الانحراف عن المنهج القويم كما أخبر بذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحديث الصحيح عن أبي هريرة-رضي اللّه عنه- أنّه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: «صنفان من أهل النّار لم أرهما. قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها النّاس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهنّ كأسنمة البخت المائلة. لا يدخلن الجنّة ولا يجدن ريحها. وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»)([3])

والتبرج هتك لستر الله، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت سِتر ما بينها وبين الله» رواه أحمد.

وقد تفنن أعداء الإسلام في تزيين الرزيلة و إلباسها ثوب الحق و الجمال حتى أضحى من يدعو إلى الحجاب و العفة إنما يدعو إلى التخلف و الرجعية و انساقت وراء دعوى التحرر كثير من بنات المسلمين و أصبح ذلك مألوفا لدى هؤلاء

---

[1] – أخرجه أحمد (١١١/٤ ، رقم ١٧٠٥٦) ، وأبو داود (٨٣/٣ ، رقم ٢٧٥٩) ، والترمذي (١٤٣/٤ رقم ١٥٨٠) وقال : حسن صحيح . والبيهقي في شعب الإيمان (٨١/٤ ، رقم ٤٣٥٩) . وأخرجه أيضًا : ابن أبى شيبة (٥١٢/٦ ، رقم ٣٣٤٠٨) ، وابن الجارود (ص ٢٦٨ ، رقم ١٠٦٩) ، والبيهقي (٢٣١/٩ ، رقم ١٨٦٢٧) .

[2] – أخرجه أحمد (٣٨١/٢ ، رقم ٨٩٣٩) ، وابن سعد (١٩٢/١) . و قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٢٣٤٩ في صحيح الجامع

[3] – مسلم (٢١٢٨).

وقال آخر:

قل للجميلة أرسلت أظفارها إنّي لخوفي كدت أمضي هاربا
إنّ المخالب للوحوش تخالها فمتى رأينا للظّباء مخالبا؟
بالأمس أنت قصصت شعرك غيلة ونقلت عن وضع الطّبيعة حاجبا
وغدا نراك نقلت ثغرك للقفا وأزحت أنفك رغم أنفك جانبا
من علّم الحسناء أنّ جمالها في أن تخالف خلقها وتجانبا؟«[1]».

يقول الشيخ مصطفى العدوي – حفظه الله -خطورة تفشي التبرج في المجتمع
قد آل الأمر بنساء زماننا إلى ما هو أبشع، فإن النبي صلى الله عليه وسلم بعث في أمة مشركة تشرك بالله، ومع ذلك يقول: (صنفان من أمتي من أهل النار لم أرهما: نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ...) الحديث، فمع أن الأمة التي بعث فيها الرسول عليه الصلاة والسلام كانت مشركة لكن لم يعهد منها هذا التبذل وهذا التعري المزري الذي تفعله المتفحشات من النساء؛ حيث يرتدين البناطيل اللاصقة بالأجساد، فهي أمور لم يرها رسولنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وتنظر إلى بعض الفتيات - مع أن آباءهن مسلمون وأمهاتهن مسلمات- يمشين ببناطيل وردت من بلد الكفر تجسد العورات، وتظهر الخفي -والعياذ بالله-، ولا يستحين ومعهن آباؤهن وأمهاتهن، كأن الغيرة قد انعدمت في قلوب آبائهن وأصبح كل منهم ديوثاً لا يغار على عرضه.
فالرجل يحكم عليه بما يصدر منه، وبما يصدر من أهل بيته كذلك، فإذا رؤيت فتاة تخرج بهذه الصورة المزرية فليُعلم أن أباها فيه شيء من الدياثة، وفيه انعدام غيرة وقلة إيمان -والعياذ بالله- ؛ لأن الرجل يفترض فيه أنه مسئول عن أهل بيته لقول الله تعالى: { قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا } [التحريم:٦]، ولقول النبي عليه الصلاة والسلام: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)، فإذا جئت تزن الأشخاص فتصف شخصاً من الناس بأنه طيب وفي أحسن حال مع أنه ترك ابنته تخرج متبذلة ساقطة على هذا النحو المزري فأي طيب هذا؟ إنما الطيب الذي يمتثل أمر الله وأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام.
قال الله سبحانه: {وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى} [الأحزاب:٣٣]، فنهاهن الله عن المنكر، ثم أمرهن بالمعروف فقال: {وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب:٣٣].(٢)

ومن الصور المعاكسات والتحرش الجنسي:

يقول الشيخ نواف بن عبيد الرعوجي-حفظه الله -أسباب المعاكسة:
١-التساهل في رد الفتاة على الهاتف وهذا مما يقع في بعض البيوت، فالواجب والأولى أن يرد الرجل على الهاتف-إن كان متواجدا في البيت- فهذا أسلم للطرفين، ويقطع الأمر من أوله إلا في حالة تعذر من يقوم بالرد عنها، فترد المرأة الكبيرة العاقلة أو الصبي المدرك.

---

[1] –بواسطة التبرج لنعمان صدقي (٣٤).

[2] – دروس للشيخ مصطفى العدوي ٤٧/ ٤،

٢-التقليد الأعمى لما يسمع ويشاهد من الشاب والشابة فحينما يسمع الشاب والشابة من الكلمات الماجنة الساقطة والكلمات التي تتحدث عن الحب والغرام فتتشبع نفسه بها ويحاول محاكاة ما يسمعه ويشاهده فالمرة الأولى يتعلم والمرة الثانية يطبق فيتفنن في أسلوبه واحتياله بعد ما كان لا يعرف شيئا في هذا.

٣-الخضوع في القول أو زيادة الكلام من غير حاجة فالمرأة مأمورة في كتاب ربها بعدم الخضوع في القول لأنه يوجد من في قلبه مرض، كما قال تعالى ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[سورة ا لأحزاب: ٣٢]. فبعض النساء تتدلل في كلامها وتتغنج في صوتها وهذا لا يجوز شرعا، فأحيانا يكون هذا من غير قصد، أو أنها تزيد في الكلام من غير حاجة وهذا يوقع في المحذور فالكلام ما دعت له الحاجة فلا زيادة.

٤-الترقيم من الشاب وهذا وللأسف يفعله بعض الشباب وهو رمي رقم هاتفه للفتيات وهذا من وقاحة المرء وقلة حيائه إذ كيف يرمي برقمه من غير فكر ولا روية فمن الممكن أن يتعرض للمساءلة والعقوبة لأنه تصرف أحمق وشاذ.

٥-النزول للأسواق من غير محرم أو النزول مع طفل صغير لا يدرك فهذا مما يجرئ الفسقة على النساء خاصة إذا كانت بمفردها بخلاف ما لو كانت مع وليها فهي عزيزة ولا أحد يتجرأ عليها، وغالبا ما يبحث هؤلاء الذئاب عن مقصودهم في الأسواق عند المرأة التي تكون بمفردها.

٦-المراسلة، وهي التي تكون في بعض المجلات بين الجنسين، كما يسمى بالتعارف وهذا يجعل بعض الرجال يراسلون النساء باسم الصداقة والزمالة صداقة مزعومة بنيت على شفا جرف هار، صداقة ليس فيها حدود ولا قيود، صداقة بدون مقدمات.

٧-عدم وجود الرقيب أثناء خروج الطالبات ودخولهن، ويتصور هذا الشيء بالدوران المستمر عند مدارس البنات، وتراهم بين غاد ورائح، وحول مجمعات النساء ويتحينون أي التفاته أو نظرة منها، فهو يتسنح أي فرصة تتاح له فترى بعض الشباب يمشي الهوينة، وقد أشغل المسجل وأطال الصوت على أغنية لمطربه المفضل، وربما اكتفى هذا المسكين بالنظر ثم رجع.

٨-الرفقة السيئة عن طريق الزملاء أو الزميلات، وهذا معلوم بالضرورة أن الجليس يؤثر على جليسه عن أبي هريرة، رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل (١).

وقديما قيل: من جالس دانس. فيعرف الشاب المعاكسة عن طريق زميل الدراسة أو أصدقاء السوء في الحي، أو القريب الذي يسلك هذا المسلك، وكذلك تكون الفتاة تعرف هذا الطريق المشين عن طريق زميلات السوء فليحذر الشاب والشابة من هؤلاء، فهم أصدقاء السوء فمعرفتهم في الدنيا خسارة، ومشاكل ومصائب، وفي الآخرة يلعن بعضهم بعضا قال تعالى:{حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين} [الزخرف: ١٦٧] ويقول تعالى: {الأخلاء بعضهم يومئذ لبعض عدو إلا المتقين}.

---

١ – أخرجه أبو داود (٢٥٩/٤ ، رقم ٤٨٣٣) ، والترمذي (٥٨٩/٤ ، رقم ٢٣٧٨) وقال : حسن غريب . وأخرجه أيضًا : عبد بن حميد (ص ٤١٨ ، رقم ١٤٣١) .و قال الشيخ الألباني: (حسن) انظر حديث رقم : ٣٥٤٥ في صحيح الجامع

٩-عدم ا لإرشاد والتوجيه وعدم التربية الصالحة في البيت، وهذا يجعل الشاب أو الشابة يقع في هذا الداء نتيجة الجهل أو التربية غير الصالحة، فعلى الأب والأم تبيين هذا الضرر ونتائجه لكي يكون الابن على علم ودراية بهذا الشيء. وفرق أيها الأحبة بين من تربى على المسجد والذهاب إليه، أو تربى على مائدة القران، وبين من تربى على المرقص والذهاب إليه، أو الدش، والمكوث عنده، فمن زرع خيرا حصد خيرا.

١٠-المعاملة السيئة في البيت، أو القسوة من الوالدين فهذا السبب يجعل الابن أحيانا يهرب من واقعه الذي يعيشه إلى واقع آخر ربما أن يجد فيه ما لا يجده في بيته وربما يقع الابن في المعاكسة وغيرها من الجرائم نتيجة قسوة الوالدين، وقد يقع أحد الأبناء في خطأ واضح ويعاقب الوالدان على هذا الخطأ ولكن دون مراعاة لعواقب الأمور ودون وضع العقاب في مكانه الصحيح.

١١-الفراغ القاتل، فلو كان وقته مشغولا ومليئا بأمر دينه أو دنياه لم يجد وقتا يعبث فيه بالهاتف، فكم من معاكسة أولها كانت من الفراغ، ضرب الأرقام بطريقة عشوائية ثم وجد شريكة حياته صدفة، وكان هو فارس الأحلام.... تفكير جاهل، عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه و سلم (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ) ([1])

وقال الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

وقال الآخر:

الوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع

فكم من شخص يعيش فراغا كبيرا وآخر يتمنى أن يجد وقتا، فلو كان الوقت يباع لاشتراه قليل من الناس، ولابتاعه كثير من الناس لزهدهم بالوقت وأهميته، وما علموا أن الوقت هو الحياة.

١٢-تأخير الزواج: وتأخير الزواج بحد ذاته مشكلة لأنه مخالف للهدي النبوي، فهو أحد الأسباب للوقوع في هذه الجريمة، فقد يكون الابن هو المسؤول عن تأخير الزواج أو قد تكون الدراسة أو غيرها من الأسباب ا لأخرى.

١٣-المال: فالمال يستخدم في كثير من الجرائم بالإيقاع بالضحية، فهو وسيلة مؤثرة، فكل بيت له ظروفه المالية التي يعيشها وربما نقص المال وتقصير الولي في الإنفاق على أهله سبب من الأسباب للوقوع في المعاكسة، فحينما تجد المرأة المتزوجة المال عند غير زوجها وتوفر كل المتطلبات لها تجد أنها تقع في شراك المعاكس، وذلك بسبب المال.

١٤-عدم وجود الولي المسؤول في البيت، وهذا يتمثل غالبا في المطلقة أو اليتيمة أو المعلقة، فهو يجرئ مريض القلب على هؤلاء النسوة.

١٥-السهر: فخفافيش الليل لا تظهر إلا في الليل، فهي تبحث عن ضحاياها، فالسهر يعطي لهؤلاء فرصة خاصة إذا كان يسهر بمفرده.

---

[1] – أخرجه البخاري (٢٣٥٧/٥، رقم ٦٠٤٩)، و هناد (٣٥٦/٢، رقم ٦٧٣)، وأحمد (٣٤٤/١، رقم ٣٢٠٧)، والترمذي (٥٥٠/٤، رقم ٢٣٠٤) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٣٩٦/٢، رقم ٤١٧٠). وأخرجه أيضًا: ابن أبى شيبة (٨٢/٧، رقم ٣٤٣٥٧)، وعبد بن حميد (ص ٢٢٩، رقم ٦٨٤).

١٦-فضول النظر سواء من الرجل أو المرأة، فهو سهم من سهام إبليس، عن حذيفة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة فمن تركها من خوف الله أثابه جل وعز إيمانا يجد حلاوته في قلبه»،([1]) ولو امتثل لأمر الله ما وقع الشخص في هذا الأمر.

١٧-الأطفال: فهؤلاء قد يستغلون من المعاكسين وذلك بسؤال الطفل عن اسمه واسم أخته وأمه واسم العائلة فيجيب الطفل بكل براءة بالحقيقة، فتكون فرصة ومدخلا لهذا المعاكس على هذا البيت ليبدأ مسلسل الإزعاج وأحيانا التهديد والتلفيق، وذلك عن طريق المعلومات التي تحصل عليها عن طريق الطفل.

١٨-التبرج والسفور: فإذا رأى الشاب المرأة المتبرجة يجعله في كثير من الأحيان يجزم بأنها لا تمانع من المعاكسة لأن سلوكها الداخلي جسده منظرها الخارجي.

١٩-الثقة العمياء: الإسلام أيها الأحبة لا إفراط فيه ولا تفريط، فالشك والوسواس منبوذ والثقة العمياء مرفوضة، فالمرء قد يضعف في وقت من الأوقات وفي ظروف معينة، فالبعض يترك الحبل على الغارب بحجة أنه يثق في أهله ويعرفهم فلا يهمه أن يكون الهاتف مشغولا باستمرار أو المرأة متبرجة، فأول من يجني ثمار هذا الشيء هو بنفسه.

٢٠-وصف أحد الجنسين للآخر عند الأجانب وهذا يقع في كثير من الأحيان جهلا من أحد الطرفين فربما يصف الشاب أخته لزميله غير قاصد أو الشابة تصف أخوها لزميلتها، فإذا سمعت صوته أو سمع صوتها يرسم الشيطان صورتها في مخيلته فيستمر الشيطان ليواصل خطواته بعد هذه الخطوة الأولى.

٢١. الاختلاط بين الجنسين: وهذا معلوم بالضرورة.

إن الاختلاط مجرة للهاوية وهذا يقع من البعض بسبب العادات أو التقاليد أو البعد عن الدين، أو ما يسمى-وللأسف-باسم الحضارة، فكل ذلك باطل، فكونه يحتج بأنه قد تكون عادة من عادات آبائه فهذه صفة من صفات المشركين احتجاجهم لآبائهم {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ} [الزخرف: ٢٣] وقوله تعالى: {قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} [الشعراء: ٧٤] ٢٢. الزواج من غير ثقة: فإذا كان الزوج صاحب علاقات غير شريفة والعياذ بالله، صاحب سفريات مستمرة لغرض سيئ، فإن الزوجة في الغالب تسير على نهجه وطريقته، لأنها عقوبة وهذا يقع في الأصل على أولياء الأمور الذين لا يجتهدون في إيجاد الزوج الصالح لبناتهم.

فالمسألة أيها الأحبة قد تكون عند البعض بيع وشراء، أو بيع أثاث، وهذا خطأ فادح، فالمسألة ليست بالهينة، وإنما هي حياة إنسانة لها إحساس وشعور، فعلى الولي أن يتحرى الرجل صاحب الخلق والدين فيزوجه. قال الشعبي: ((من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها)). ([2])

٢٣-الدش: وهذا يدخل أو قد يدخل في أحد الأسباب المتقدمة، وهو التقليد لما يسمع ويشهد، ولكن أخصه وأفرده بالذكر؛ لأن تأثيره سريع وعجيب، ومدمر في نفس الوقت، وهذا مما عمت

---

[1] – أخرجه الحاكم (٣٤٩/٤ ، رقم ٧٨٧٥) وقال : صحيح الإسناد . وأخرجه أيضًا : القضاعى (١٩٥/١ ، رقم ٢٩٢) .و قال الألباني ضعيف جدا [السلسة الضعيفة ٣/ ١٧٧]

[2] – [الإفصاح عن أحاديث النكاح ص: ١٧ ، [الطيوريات ٤/ ٢٨]و وأخرجه اللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد" (٧٣٣/٤)

به البلوى في هذا الزمان والله المستعان، ومن كيد الشيطان وحيله أن يدخل على صاحب الدش حيلا وأعذارا مرة من أجل لأخبار، ومرة من أجل متابعة الرياضة. أعذار أوهن من بيت العنكبوت، ولسنا بصدد الرد عليها، ولكن أقول نسي المسكين أنه قضى على دينه وأخلاق أولاده، فالدش جامع لأخلاق وعادات الكفر، فوا لله يا إخوة إنها مصيبة، وكم من جريمة وقعت، جرها الدش، وكم من جريمة قتل، علمها الدش، ولعلنا نذكر بعض هذه الأبيات لأحد الأخوة عن الدش، حينما صور أن الأب استدعته الشرطة إلى المخفر ووجد ابنته واقفة بعد أن قبضوا عليها مع أحد الشباب وقف الأب أمام ابنته وقد تمنى الموت قبل أن يراها في ذلك الموقف. صرخ في مجمع من رجال الأمن دعوني أقتلها، لقد شوهت سمعتي، لقد دمرت شرفي، لقد سودت وجهي أمام الناس، رفعت البنت رأسها وواجهت أباها بهذه الكلمات تقول:

كفى لوما أبي أنت الملام كفاك فلم يعد يجدي الملام
بأي مواجع الآلام أشكو أبي من أين يسعفني الكلام
عفافي يشتكي وينوح طهري ويغضي الطرف بالألم اهتشام
أبي كانت عيون الطهر كحلي فسال بكحلها الدمع السجام
تقاسي لوعة الشوكى عذابا ويجفو عين شاكيه المنام
أنا العذرى يا أبتاه أمست على الأرجاس يبصرها الكرام
سهام العار تغرس في عفافي وما أدراك ما تلك السهام
أبي من ذا سيغضي الطرف عذرا وفي الأحشاء يختلج الحرام
أبي من ذا سيقبلني فتاتا لها في أعين الناس اتهام
جراح الجسم تلتئم اصطبارا وما للعرض إن جرح التام
أبي قد كان لي بالأمس ثغر يلف براءتي فيه ابتسام
بألعابي أداعبكم وأغفو بأحلام يطيب بها المنام
يقيم الدار بالإيمان حزم ويحملها على الطهر احتشام
أجبني يا أبي ماذا دهاها ظلام لا يطاق به المقام
أجبني أين بسمتها لماذا غداء للبؤس في فمها ختام
بأي جريرة وبأي ذنب يساق لحمأة العار الكرام
أبي هذا عفافي لا تلمني فمن كفيك دنسه الحرام
زرعت بدارنا أطباق فسق جناها يا أبي سم وسام
تشب الكفر والإلحاد نارا لها بعيون فطرتنا اضطرام
نرى قصص الغرام فيحتوينا مثار النفس ما هذا الغرام
فنون إثارة قد أتقنوها بها قلب المشاهد مستهام
ترى الإغراء راقصة وكأسا وعهرا يرتقي عنه الكلام
كأنك قد جلبت لنا بغيا تراودنا إذا هجع النيام
فلو للصخر يا أبتاها قلب لثار فكيف يا أبتي الأنام
تخاصمني على أنقاض طهري وفيك اليوم لو تدري الخصام
زرعت الشوك في دربي فأجرى وما الأقدار وانهد القوام

جناك وما أبرئ منه نفسي ولست بكل ما تجني ألام
أبي هذا العتاب وذاك قلبي يؤرقه بآلامي السقام
ندمت ندامة لو وزعوها على ضلال قومي لاستقاموا
مددت إلى إله العرش كفي وقد رهفت من الألم العظام
إلهي إن عفوت فلن أبالي وإن أفزعني من الناس الكلام
أبي لا تغض رأسك في ذهول كما تغطيه في الحفر النعام
لجاني الكرم كأس الكرم حلو وجنى الحنظل المرء الزوام
إذا لم ترض بالأقدار فاسأل ختام العيش إن حسن الختام
وكبر أربعا بيديك واهتف عليك اليوم يا دنيا السلام
أبي حطمتني وأتيت تبكي على الأنقاض ما هذا الحطام؟
أبي هذا جناك دماء طفل فمن فينا أيا أبت الملام؟

٢٤- الغفلة ونسيان الموت: وهذا سبب قوي فلو تذكر صاحب المعصية أن الموت بالمرصاد وأن له نهاية يرى نتائجها من بعدها ويرى حصيلة أيامه الخالية لم يعمل العمل هذا، ولكنه نسي. قال تعالى {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } [الكهف: ٢٨] نعم عاش مع الناس، أكل وشرب وسهى ولهى وهذه هي حياة البهائم، كما قال تعالى { أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [الأعراف: ١٧٩] ٢٥- الشماتة والتهكم في أصحاب المعاصي: وهذا لا يجوز، فالواجب أن يحمد الإنسان الله عز وجل حينما يرى مثل هذا المبتلى ويقول: ((الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا)).(١) أما الشماتة في هؤلاء والسخرية بهم فلا تجوز، فقد يعافيه الله ويبتليك، وكم من شخص تشمت وتهكم بأصحاب المعاصي. ثم في يوم من الأيام صار مثلهم، أو جعل الله ذلك في ذريته من بعده والله المستعان.

٢٦-عدم إدراك الجزاء والعقوبة ونسيان الجزاء بهذا: فالذي يعاكس يعاقبه الله عز وجل ويجازيه في ذريته أجلا أو عاجلا، إذا لم يتب، فالذي يزني يزنى بجداره ولو بعد حين.

ثم مما يروى أن شابا أراد السفر عن بلده لغرض التجارة فأوصاه أبوه بالمحافظة على دينه وخلقه وعدم اقتراف الزنى، لأنه مجازاة، فسار هذا الشاب إلى سفره وفي يوم من الأيام وهو في السفر كان عند الأب شاب يحمل الماء يأتي به إلى البيت كعادته ويسمى السقا، فكالعادة طرق الباب وفتحت البنت له وفجأة وبدون مقدمات قبل البنت وهرب، وكان صاحب البيت (أي الأب) ينظر لهذا الموقف وبعد رجوع ابنه من السفر سأله الأب عن سفره وعن أخباره وتجارته فأجابه الابن بكل شيء ثم سأله الأب عن ماذا فعل في سفره من المعاصي، فأنكر الابن، ولكن إلحاح الأب عليه جعله يعترف أنه رأى امرأة شابة فظفر منها بقبلة، فقال له أبوه حبة بحبة، ولو زدت لزاد السقا.

قال الشاعر:

يا هاتكا حرم الرجال وتابعا طرق الفساد فأنت غير مكرم

---

١ – أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٧/٤، رقم ٤٤٤٣) وقال الشيخ الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: ٥٥٥ في صحيح الجامع

من يزن في قوم بألفي درهم في أهل يزني بربع الدرهم
إن الزنا إذا استقرضته كان ألوفا من أهل بيتك فاعلم

٢٧-الشهوة الجامحة: فثوران وهيجان الشهوة له أسباب: فإذا هاجت الشهوة انغلق التفكير والنظر في العواقب والحل والتحريم، فيقدم على مطلوبه دون تردد فهو في هذه الحالة يعيش حالة شبيهة بالهستيريا. وهذا يقع غالبا عند غير المتزوجين، لذا أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصوم، كما في حديث ابن مسعود: ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء))[١] ،. وليبتعد عن أسباب هيجان الشهوة من صورة أو نظرة أو كلمة أو تفكير أو جليس ويشغل نفسه وفكره بأمر دينه ومعاشه. عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له الجنة)) [٢]

٢٨- ضعف الوازع الديني: فضعيف الدين ترى منه العجائب والمصائب، فهذا الدين مصدر العزة، فمتى تخلى المرء عنه أذله الله، كما قال عمر نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله)).فضعف الوازع الديني قاتل لكل الحضارات والشخصيات مهما كانت، وضعيف الدين لا يرح صاحبه ولا يجعله يخاف من عقوبة أو أحد، ولا يستحي من عمله، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا لم تستح فاصنع ما شئت)) [٣]، ونسي أنه تعرض أعماله في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وقال تعالى{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} (٤٩) سورة الكهف. ويقول تعالى: {أحصاه الله ونسوه} [المجادلة: ٦]، عملوا أعمالا نسوها، ولكن الله أثبتها وأحصاها.

٢٩-الاغترار بالمظاهر البراقة في هذه الدنيا الزائلة: كالسيارة الفارهة والبيت الجميل، أو المحل الشهير، وغيرها من المظاهر البراقة، وهذا وللأسف يقع من بعض الفتيات وأصبح معروفا عند بعض الفتيات أن السيارة الفلانية معروفة أنها تستخدم للمعاكسة، وغيرها من الأعمال المشينة. والاغترار والإعجاب بالمنصب، ولو علمت أن هذا كله سراب وزائل وأنه مجرد وقت ويندثر ويزول، لما انساقت خلفه، فالسيارة قد تكون أحد أداة القتل لصاحبها، فالدنيا كلها فانية ويعلم هذا الشيء من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، كما قال تعالى {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [ق: ٣٧]

ثانيا: -آثار المعاكسة:

لا تعد ولا تحصى، ولكن لعلي أجملها باختصار:

١-دمار وشتات للأسر.

٢-مضيعة للوقت وإهداره دون فائدة.

٣-يجر إلى المحرم وهذا يؤدي إلى النار.

---

١ – أخرجه البخاري خ) ٤٧٧٩ ، ١٨٠٦ ، (و مسلم) ١ – (١٤٠٠) ، (و الترمذي) ١٠٨١ ، (النسائي) ٢٢٤٠ ، (و أحمد) ٤٢٧١

٢ – **أخرجه أحمد ٥/٣٣٣(٢٣٢١١) و"البخاري" ٨/١٢٥(٦٤٧٤).**

٣ – أخرجه : البخاري ٤/٢١٥ (٣٤٨٣) .

٤. ربما يجني صاحبه عقوبته في الدنيا قبل الآخرة بحد أو سجن.
٥-ربما يجني من المعاكسة السفاح والعياذ بالله.
٦-إزعاج للمسلمين ومصدر قلق لهم.
٧-التعرض لدعوة من أحد المسلمين.
٨-تشويه لسمعة الشخص وسمعة أهله.
٩-التعود على الجبن والخوف وعدم المواجهة.
١٠-الكذب وهذا يؤدي إلى النار.
١١-الانعزالية والاكتئاب والشعور بالوحدة، لأنه يعتقد أن من يشاركه الهم والمحبة هو حبيبه فلذا ينعزل عن أسرته ومجتمعه.
١٢-تبذير المال والإنفاق دون شعور ولأجل حبيبه صرف المال في وجه غير شرعي.
١٣-الفضولية في جميع الأمور فهو عود نفسه على الفضول والتطفل في أموره كلها، فانعدم الأدب عنده فهو دنيء النفس يسقط عند كل كلمة وعند كل حركة.
١٤-إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا وقد توعد الله هؤلاء بالعقوبة. قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (١٩) سورة النور
١٥-اختلاط الأنساب والأحساب وربما ضاعت الأنساب واختلطت بسبب هذا الشيء.
١٦-عدم الواقعية فهو يعيش في عالم وخيال واسع أحيانا، وكما يسمونه ((يعيش في الرومانسية)).
١٧-الابتلاء والعقوبة لمثل عمله. قال تعالى:{جزاء وفاقا} [النبأ: ٢٦].
١٨-انعدام وفقدان المروءة والشهامة والرجولة.
١٩-الإصابة بالأمراض الحسية والمعنوية. قال كعب: ((إذا رأيتم الوباء قد فشا فاعلموا أن الزنا قد فشا)).
٢٠-الفساد الأخلاقي.
٢١-الشك والوسواس حتى بعد الزواج.
وأذكر قصة تدل على ذلك.
نشرت هذه القصة في جريدة البلاد، العدد ١٥٢٨٧ بعنوان:
الطلاق يريحني من عناء الماضي أنا وسيم جدا كنت أطارد النساء أينما حللن وكانت لي مغامرات لا يعلم بها إلا الله.. هذه المغامرات التي فتحت لي اليوم أبواب المشاكل وعصفت بنفسيتي وجعلتني أستعيد كل لحظة عشتها مع إحداهن فحياتي الزوجية مهددة بسبب تلك العلاقات وعندما قلت سابقا أنني أستعيد كل لحظة مع إحداهن.. فإنني أقولها حقيقة وأقولها بمرارة كبيرة لأنني أتصور أن زوجتي الآن تمارس نفس الدور.. وأن حركة يدها في السوق مثلا تعني شيئا لواحد ينتظرها.. أو أن لفتتها.. حتى لو كانت عفوية في السيارة تعني شيئا.. بل أكثر ما يطحن في نفسي هو أنها إذا أمسكت بسماعة الهاتف وتحدثت لإحدى أخواتها أو صديقاتها.. إلخ. أظل ساكنا متابعا لكل كلمة تنطقها.. وكثيرا ما جلست أحلل كلماتها ومعانيها.. إذ أنها ربما تعمل مثل صاحباتي السابقات اللاتي كن يتحدثن معي على أنني إحدى زميلاتهن أو صديقاتهن.. ودوما

يكون حديثهن مؤنثا.. مثلا ((ما تدرين يا فلانة)) كل هذا وغيره كثير مما أوجهه مع نفسي.. ولا أدري ماذا أصنع حيال هذا الموقف العجيب.. الذي أعيشه.. إن بي رغبة في أن أريح نفسي من هذا العناء إلى درجة أنني فكرت في تطليق زوجتي وهو الحل الأسلم الذي أراه أمامي.. وفكرت بعد طلاقها أن لا أتزوج بعدها.. ([1])

ثانيا: الاغتصاب: وهذه الظاهرة قد انتشرت في كثير من البلاد الإسلامية و خاصة في فترت الثورات حيث غاب الأمن و انتشار البلطجية فأصبح كثير من الآباء يرتجف فؤاده إذا تأخرت ابنته قليلا

انتشرت في الآونة الأخيرة وكأنها موضة حالات اغتصاب عده في مصر حتى أصبحت ظاهره جديدة

تسمي ظاهره اغتصاب المدارس

(ماذا يحدث في مصر)

واليك أخي المسلم بعض الأخبار التي نشرتها الصحف لجرائم الاغتصاب في المدارس

١-مدرس يغتصب تلميذ

القاهرة: أمرت النيابة العامة بمحافظة حلوان المصرية بعرض التلميذ الذي قام أستاذه باغتصابه داخل المدرسة على الطب الشرعي لتحليل ملابسه الداخلية لبيان إن كان هناك آثار تفيد تعرضه للاغتصاب من عدمه.

كما تم سحب عينات من المدرس المتهم بالاغتصاب لمضاهاتها بما ينتج عنه تحليل الملابس الداخلية للتلميذ المجني عليه للتأكد من صحة الواقعة، وحتى الآن لم يتم الانتهاء من إعداد التقرير الخاص بالطب الشرعي لتقديمه إلى النيابة العامة، حتى تظهر نتائج تحليل الملابس والعينات لتقديم تقرير مفصل للبت فيه ومن ثم تتخذ النيابة قرارها، ومازال المتهم محبوسا على ذمة التحقيقات.

وكانت إحدى مدارس منطقة ١٥ مايو بمحافظة حلوان قد شهدت قيام مدرس لغة عربية بالتعدي الجنسي علي أحد تلاميذه داخل الفصل عقب انتهاء اليوم الدراسي.

بدأت أحداث الواقعة المثيرة ببلاغ تلقته أجهزة الأمن من عماد "٤٦ سنة-محام" اتهم فيه وليد "٣٩ سنة- مدرس لغة عربية" بالتعدي الجنسي علي نجله " ١١ سنة" الطالب بالصف الخامس الابتدائي داخل المدرسة .

وتبين من التحريات أن المدرس قام بالتعدي علي المجني عليه أكثر من مرة داخل الفصل فألقي القبض عليه وبمواجهته أنكر الاتهام الموجه إليه فأحيل للنيابة التي أصدرت قرارها المتقدم.

وتبين أن التلميذ كان يتأخر في موعد العودة للمنزل خاصة أن بعض زملائه من الجيران يعودون قبله بفترة طويلة وعندما سألته امه كان يختلق أسباباً وهمية فشكت لوالده الذي ضربه لمعرفة الحقيقة فأخبره بواقعة التعدي عليه.

وقال التلميذ أن المدرس طلب منه البقاء بعد انتهاء اليوم الدراسي في أحد الأيام بدعوي أنه يريده في أمر هام وبعد انصراف الجميع فوجئ به يقترب منه ويتحسس جسده ثم جرده من

---

[1] – ثلاثون سبباً للمعاكسة لنواف بن عبيد الرعوجي

ملابسه فأخذ يبكي وأمره بالصمت وتعدي جنسياً عليه بعد أن هدده بالقتل لو علم أحد بما حدث.
وأضاف المجني عليه أن الواقعة تكررت ثلاث مرات بنفس الأسلوب، وأكد عدد من التلاميذ أن المدرس كان يطلب من زميلهم عدم الانصراف بعد انتهاء اليوم الدراسي.
٢-عامل يغتصب تلميذ بالمدرسة:
القاهرة: قررت النيابة العامة بمدينة المنصورة بمحافظة الدقهلية المصرية إخلاء سبيل عامل الأحذية المتهم باغتصاب تلميذ داخل إحدى المدارس بضمان محل إقامته نظراً لصغر سنه "حدث".
وكانت أجهزة الأمن بمحافظة الدقهلية "١٨٠ كم شمال القاهرة" قد تلقت إخطاراً باغتصاب الطفل محمد "٦ سنوات" بالصف الأول الابتدائي داخل مدرسة الفردوس الابتدائية.
وتبين أن وراء الواقعة محمد "١٧ سنة-عامل أحذية"، وأكد الطب الشرعي صحة الواقعة، وتحرر المحضر رقم ٩٦٦٧ إداري أول المنصورة لسنة ٢٠١٠.
وأكدت تحريات المباحث، أن المتهم قام باقتحام المدرسة واختطف الطفل إلى أحد الفصول الفارغة وكمم أنفاسه وقام باغتصابه وترك الطفل في حالة إعياء شديدة، وفر هارباً، وأدلى الطفل بأوصاف الشاب.
٣ -اغتصاب ٣ تلاميذ لزميلهم داخل مدرسة "مصر الجديدة الإعدادية بنين"
القاهرة: استعجلت النيابة العامة بمنطقة مصر الجديدة في القاهرة تقرير الطب الشرعي الخاص بواقعة اغتصاب ٣ تلاميذ لزميلهم داخل مدرسة "مصر الجديدة الإعدادية بنين"، كما استعجلت تحريات المباحث حول الواقعة، وطلبت صورة التحقيق الإداري الذي تم مع مدير المدرسة بشأن الواقعة نفسها، كما استعلمت عن نقل ٨ مدرسين من المدرسة.
وقالت مصادر قضائية في مكتب النائب العام إن النيابة العامة حققت في الواقعة منذ وصول البلاغ إليها، واستمعت إلى أقوال المبلغ ونجله، والمتهمين والمسؤولين على إدارة المدرسة، وانتقلت وأجرت معاينة للبدروم الموجود أسفل غرفة التأمين الصحي، المخصص "على حد قول المسؤولين" كغرفة لمدرسي اللغة العربية.
وقال والد الضحية إن ما يحدث من إدارة مصر الجديدة التعليمية حملة مدبرة ضد ابنه، وإن مديرة الإدارة توجهت إلى المدرسة، وأحضرت طلاب الفصل الذي يدرس فيه ابنى، وطلبت منهم الخوض في عرضه، وأثبتت في تحقيقات إدارية أن ابنى سيئ السلوك، وأنه معتاد ممارسة الشذوذ.
وأضاف إن كل ما تقوم به إدارة مصر الجديدة من محاولات للنيل من ابني انتقام منى لأنني تحدثت إلى الصحف التي نشرت الموضوع واهتمت به، في الوقت الذي نفت مصادر بإدارة مصر الجديدة التعليمية أن تكون هناك محاولات لتحفيظ زملاء المجنى عليه أي أقوال، وقالت إن الإدارة قامت بالتحقيق ونقلت ٨ مدرسين، وقررت إيقاف المدير عن العمل وإلحاقه بعمل إداري في إدارة النزهة التعليمية.
ثالثا: تفشي مساوئ الأخلاق من كذب ونميمة وغش وخداع وخيانة وأصبح ذلك أمرا مألوفا لدى كثير من الناس إلا من رحم الله تعالى.

****

الفصل الثالث أسباب الفساد الأخلاقي

اعلم علمني الله وإياك: أن لظاهرة الفساد الأخلاقي أسباب عديدة نذكر منها

أولا: ضعف الوازع الديني: وهو نقص الإيمان، وقلّة الخوف من الله والفراغ الروحي وخلو النفس من التعلق بالله وكذلك من ذكر الله ومحبته. فمن ملأت قلبها بالله وتقواه وذكره ما وجد في قلبها مكان لمحبة غيره بل قلبها وكيانها كله لله تعالى ولسانها لا يذكر إلا الله وتفكيرها مشغول بالتأمل في عظيم صنع الله سبحانه.

يقول ابن القيم -رحمه الله -: (القلب إذا أخلص عمله لله لم يتمكن منه العشق فإنه يتمكن من القلب الفارغ).

وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا لم تستح فاصنع ما شئت)) (١)

ومن ضعفِ الدِّين ضعف الغيرة، التي بسبب ضعفها أُضيعت الحُرمات، وهُتكت الأعراض، وفُرّط في الأمانة.

والغيرة خُلُقٌ كريم لا يتّصف به سوى كرام الرجال وكرائم النساء.

وهي صفة من صفات الكمال.

ولذا قال صلى الله عليه وسلم لسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ لما قال له سعدٌ: لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح عنه، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أتعجبون من غيرة سعد؟

فوالله لأنا أغير منه، والله أغير مني، من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شخص أغير من الله، ولا شخص أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين، ولا شخص أحب إليه المدحة من الله، من أجل ذلك وعد الله الجنة.)(١)

---

١ – سبق تخريجه

قال ابن القيم رحمه الله: فَجَمَعَ هذا الحديثُ بين الغيرةِ التي أصلُها كراهةُ القبائح وبُغضُها، وبين محبةِ العُذرِ الذي يوجبُ كمالَ العدلِ والرحمةِ والإحسانِ ... فالغيورُ قد وافقَ ربَّهُ سبحانه في صفةٍ من صِفاتِه، ومَنْ وافقَ الله في صفه من صفاتِه قادته تلك الصفة إليه بزمامه وأدخلته على ربِّه ، وأدنته منه وقربته من رحمته ، وصيّرته محبوباً له . اهـ .

قال علي رضي الله عنه: أما تغارون أن تخرج نساؤكم؟ فإنه بلغني أن نساءَكم يخرجن في الأسواق يزاحمن العلوج.) (٢) .

كيف بك يا أبا الحسن لو رأيت النساء يزاحمن الرجال في كلِّ سوق وميدان ؟!

بل كيف بك لو رأيت نساء المسلمين اليوم في الأسواق بصُحبة السائقين.

وإن المرأة إذا عرفت الغيرة من وليها جعلت ذلك في حسبانها، كما قالت أسماء رضي الله عنها حيث قالت: فلقيتُ رسولَ صلى الله عليه وسلم ومعهُ نَفَرٌ من الأنصار، فدَعاني ليحمِلَني خَلفَه، فاستحيَيتُ أن أسيرَ معَ الرّجال، وذكرتُ الزّبيرَ وغَيرته وكان أغيَرَ الناس.)(٣) .

فلا تتمادى المرأة -غالبا -إلا إذا كان وليها متساهلا في القوامة، غاضا بصره عن كثير من الأمور، باردَ الغيرة على محارمه.

ومن تأمل قصة يوسف عرف ذلك، فلما خلت امرأة العزيز بيوسف عليه السلام راودته عن نفسه لأنها عرَفت عن زوجها أنه ليس بغيور، وهذا ما ظهر بعد انكشاف أمرها فلم يزِد على أن قال له: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۖ﴾ [يوسف: ٢٩] ، وقال لها : ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ﴾ [يوسف: ٢٩].

ومن برود الغيرة أن يسمح الرجل لزوجته أو ابنته أن تركب مع السائق ويخلو بها ويُحادثها سواء كان سائقا خاصّاً أو كان سائقا عاما كأصحاب سيارات الأجرة.

ومن ضعفِ الغيرة أن تُترك المرأة تخرج متى شاءت من غير أن يُعلم إلى أين تذهب ومع من تذهب.

ومن مظاهر ضعف الغيرة أن تترك المرأة في الأسواق تروح وتغدو من غير حسيب ولا رقيب، فتخلو بالباعة وتُحادثهم وربما تُمازحهم وتُلين لهم القول.

بل إن بعض الآباء أو الأزواج يترك زوجته تذهب مع السائق لعملها من بعد الفجر ولا ترجع إلا قبيل العصر أو بعده.

فلا بد من شغل هذا الفراغ فيما يعود على الإنسان بالخير والمنفعة في الدنيا والآخرة.

ثانيا: غياب دور الأسرة: فمن الأسباب التي تجر الأبناء إلى الانحراف الخلقي أن كثيرا من الآباء تخلوا عن مسؤولية التربية وتركوا أبنائهم وبناتهم إلى الفضائيات لتعلمهم الفسق والعربدة، وتركوهم إلى المقاهي والنوادي التي لا تخلوا من معصية من المعاصي.

ثالثا: الإعلام الفاسد الذي لم يكن له هم بالليل والنهار إلا بث السموم في جميع فقراته وقد وزعوا الأدوار في جميع هذه القنوات الرسمية و غير الرسمية فهذا يحارب الختان و هذا يحارب

---

١ – أخرجه أحمد (٢٤٨/٤، رقم ١٨١٩٣) ، والبخاري (٢٦٩٨/٦ ، رقم ٦٩٨٠) ، ومسلم (١١٣٦/٢ ، رقم ١٤٩٩) . وأخرجه أيضًا: ابن أبى شيبة (٤٥٠/٥ ، رقم ٢٧٨٨٤) ، وعبد بن حميد (ص ١٥١ ، رقم ٣٩٢) ، وأبو عوانة (٢١٥/٣ ، رقم ٤٧٢١) .

٢ – [غاية المقصد في زوائد المسند ١/ ٣٠٤٤]

٣ – البخاري في صحيحه ج ٥/ ص ٢٠٠٣ حديث رقم: ٤٩٢٦

النقاب و هذا يحارب اللحية و آخر يبث أفلاما تظهر المنقبات و أصحاب الدين بالتطرف و التشدد و التخلف و آخر يبث العهر و التبرج و السفور و يظهر المرأة المتبرجة باهنا المرأة المثالية التي ينبغ أن يقتدى بها و آخر يدعو الى الاختلاط و الثقافة الجنسية و هلم جرى

يقول عبد العزيز محمد السريهيد : لنا أن نتصور الأجر العظيم الذي يناله الإعلاميون فيما لو وجهوا جهودهم في توعية الأمة بدينها وتهذيب أخلاقها، ولنا أن نتصور كذلك الوزر العظيم الذي يرتكبه الإعلاميون في حق أنفسهم وفي حق أمتهم المسلمة حين توجه الجهود إلى إفساد الأمة في ضرورياتها الدين والنفس والعقل و العرض ولمال ويشترك مع الإعلاميين في الظلم كل من مكن لهم أو أعانهم، ومن فتح قلبه وبيته لتلقي ما يبث في وسائل الإعلام المختلفة من أنواع الشر والفساد.

لقد أجرم الإعلام والإعلاميون في حق الأمة ومن ذلك:

١ - المساهمة في إثارة الشبهات والشكوك حول الدين وأهله سواء كان ذلك عن طريق الكتاب المقروء أو الكلمة المسموعة أو المشهد المرئي في فيلم أو مسرح ويتبع ذلك الاستهزاء بالدين وأهله واستنقاص الشريعة الإسلامية أو الدعاية للنظم والأديان الباطلة وأهلها، وتحبيب النفوس إلى ذلك وتزيينه. وكذلك المساهمة في ترويج البدع والعقائد الباطلة وكل ما من شأنه إبعاد الأمة عن منبعها الصافي، كما يدخل في ذلك الترويج لمذهب العلمانية وأفكارها الخسيسة. كما يدخل في ذلك العبث والاستهتار بالناس وجعلهم في صراع داخلي وازدواجية تشوه الدين وبخاصة في نفوس الناشئة، ومن ذلك ما يعرض عبر التلفزة والقنوات الفضائية من البرامج المتعلقة بالإحكام الشرعية والحلال والحرام، ثم ما إن ينتهي هذا البرنامج حتى يعقبه مسلسل أو تمثيلية تعج بالمناظر المحرمة والسماع المحرم الذي سبق وأن بين تحريمه البرنامج الذي سبقه بقليل.

إن جعل الأمة تعيش في مثل هذا التناقض والصراع والترويض على عدم تعظيم حرمات الله عز وجل، إنه والله الظلم المبين والعبث المهين بدين الأمة القويم. وهذا ظلم وجريمة كبيرة.

٢ -مساهمة الإعلام في نشر الجريمة والاعتداء على الأنفس والأموال بما يبثه من الأفلام البوليسية واللصوصية.

٣ -ومن جرائم الإعلام وظلمه للأمة تقديم الساقطات والساقطين من مغنين ومغنيات وراقصين وراقصات على أنهم نخبة المجتمع وصفوته وإطلاق الألقاب الفخمة عليهم مثل: النجوم، والأبطال، وتسليط الأضواء على حياتهم وسيرتهم الخاصة والعامة مما ينعكس أثره على جهلة الأمة وخاصة الشباب والشابات فيسعون إلى تقليد أولئك النجوم!!

ومات أحد هؤلاء النجوم الأبطال!!!! سودت الصفحات بسيرتهم العفنة وصوروا على أنهم عظماء الأمة!

وهذه والله جريمة أن تربط الأمة بهذه الرموز الخبيثة وكأن ليس للأمة أبطالها الذين فتحوا الدنيا بنور الإسلام ونقلوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

٤ -ومن جرائم الإعلام التضليل الذي تتعرض له الأمة من بعض الإعلاميين من تزوير الحقائق وتلميع الباطل وأهله والاستخفاف بعقول الناس، ونقلهم للأخبار والتحليلات السياسية دون تمحيص أو تدقيق وإنما يرددونها كالببغاوات كما وردت بصيغتها مما يجعل الأمة تنظر لأمورها وواقعها بمنظار عدوها.

٥ -سقوط قيمة الكلمة وامتهان شرفها وبيعها لمن يدفع أكثر، وأصبحت الاتجاهات المختلفة اليوم تتحكم في ذلك النوع من الإعلام، فصديق اليوم قد يصبح عدو الغد مثلما أصبح عدو الأمس صديق اليوم. فاليوم يذم هذا الرجل وغدا يمدح، واليوم تمدح هذه الدولة وغدا تذم. إنها صحافة بلا مبادئ وإعلام لا يقوم على أسس أخلاقية.

٦ -ومن جرائم الإعلام مساهمته بنصيب وافر في جريمة الدعوة إلى ما يسمى بتحرير المرأة كما يزعمون، وذلك بعرضه ونشره لأنماط مختلفة من حياة المرأة الغربية وتلميعها لتبدو في أعين النساء المسلمات براقة زاهية. وتمجيده لتحرير المرأة من قيود دينها وأخلاقها عن طريق أبواب ثابتة وزوايا ومقالات وقصص وبرامج تستهدف جميعها جر المرأة المسلمة إلى تقليد غيرها في نزع حجابها وهجر بيتها والاختلاط بالرجال وتزيين ذلك لها وحثها عليه باسم التطور والتمدن والرقي والمساواة وإعطاء المرأة حقها المسلوب!

٧ -ومن تلك الجرائم مساهمة الإعلام في استباحة الغناء والمعازف والمزامير وشغل وقت الأمة به؛ فلا يكاد يخلو من الغناء والموسيقى برنامج ولا حديث ولا ندوة ولا لقاء مما يقدم في إذاعة أو تلفاز أو قناة فضلا عن البرامج المتخصصة بكاملها في الغناء والعزف والموسيقى.

وفي ذلك كله الجرأة على محارم الله عز وجل وما فيه من إثارة الشهوات بالغناء والعزف و ما يؤول إليه من نشر للفاحشة وفساد الأعراض.

٨ -ومن جرائمه المساهمة في تبذير أموال الأمة ودفعها إلى ذلك بما يبثه من الإعلانات والدعايات الكاذبة المبهرجة لكثير من المنتجات التجارية وغيرها بأسلوب يخدر العقول ويدفع الناس دفعا إلى شرائها وملأ البيوت منها من غير حاجة إليها.

٩ -ومن ظلم الإعلام للأمة في اقتصادها أيضا دعايتهم للبنوك الربوية وبعض البيوع المحرمة، وحث الناس للمساهمة فيها وتزيين ذلك لهم.)([1])

رابعا: و من أسباب فساد الأخلاق فساد التعليم : فالناظر إلى المداس و الجامعات حيث الاختلاط بدون قيد أو شرط فيجلس الشاب بجنب الفتاة و كم رأينا من حالات الزنا و العياذ بالله من جراء الاختلاط فكثير من الجامعات تحولت إلى ملتقي غرامي بين الطلبة و الطالبات فظهر الزواج العرفي

ومن مظاهر فساد التعليم:

أ. تقليص المواد الشرعية، وتقليل نصابها في الحياة الدراسية التعليمية

ب. منع تدريس النصوص التي تذكر أبناء المسلمين بعداوة اليهود والنصارى للإسلام وأهله. وطمس عقيدة الولاء البراء في المناهج

ج. الاختلاط في التعليم بين الرجال والنساء

د. انتشار المدارس الأجنبية " التنصيرية " في بلاد المسلمين

قامت عدة دراسات ميدانية في عدة دول عربية وأفريقية لدراسة آثار الاختلاط وقد وقفت على بعضها فمن تلك الدراسات:

---

[1] – أرشيف منتدى الألوكة.

الدراسة الأولى: قامت الباحثة فاطمة محمد رجاء مناصرة بدراسة أثر مشكلة الاختلاط على تعليم الفتاة المسلمة في الجامعات الأردنية فخرجت بالنتائج التالية) ([1]):

السؤال الأول: هل يعد الاختلاط في الدراسة بنظرك مشكلة؟

.أجاب ٧٧ % من الطلاب والطالبات بنعم.

السؤال الثاني: إذا كان الاختلاط مشكلة، أذكر أهم السلبيات التي تعانيها بسببه؟

فذكرت المشكلات التالية:

أ. مشكلات أخلاقية:

١. إثارة الفتنة.

٢. التصنع في التصرفات من قبل الجنسين.

٣. تعرض الفتيات لمضايقات الشباب.

٤. ضعف الوازع الديني بسبب تعود الطلبة على الممارسات الخاطئة واستباحة المنكرات لكثرة تكرارها.

٥ . انتشار ظاهرة السفور، بسبب تبرج الطالبات ولباسهن المخالف للزي الإسلامي، فطالبات الجامعة اللاتي يرحن ويرجعن بين البيت والجامعة سافرات متبرجات يلبسن ثياب رقيقة قصيرة.

٦ . انتشار الجرائم الأخلاقية مثل الزنا، فإن كثرة المخالطة مع وجود عوامل الفتنة تؤدي إلى ارتكاب الفاحشة.

٧ . فساد الأخلاق عند الطرفين.

ب . مشكلات أكاديمية:

١ . عدم الحرية في النقاش أثناء المحاضرات، وهذا يظهر في عدم رغبة الطلاب والطالبات بالمشاركة في الدرس خيفة أن يخطئ أحدهم فيخرج أمام الجنس الآخر، فتشوه صورته أمام من يود كسب رضاه من الجنس الآخر.

٢ . تعاطف المدرسين مع الطالبات وذلك على حساب الطلاب.

٣ . التغيب عن المحاضرات وعدم الالتزام بحضورها بسبب انشغال كل جنس مع الآخر.

٤ . صعوبة ممارسة النشاطات الجادة والفاعلة وخاصة التي تمارس في ساحات الجامعة.

٥ . تحويل الجامعة عن الغاية الأساسية التي وجدت من أجلها.

٦ . فيه قتل للوقت لكثرة التفكير بالجنس الآخر.

٦ . ضعف التحصيل العلمي.

ج . مشكلات اقتصادية

وقد حددها الطلبة بما يلي:

١ . محاولة إظهار كل من الجنسين كرمة وسخاءه أمام الجنس الآخر، وبذلك يتحمل كل منهما مسؤوليات مادية كثيرة قد تضطره لإرهاق نفسه بالديون، أو اللجوء إلى تصرفات غير مرغوب بها لتحصيل المال.

---

[1] –موقع تربيتنا على شبكة الإنترنت.

٢ . المبالغة في النفقات على اللباس والمظهر الخارجي من قبل الجنسين وخاصة الطالبات.

د . مشكلات اجتماعية:

وتتلخص آراء الطلبة فيما يلي:

١ . التقليل من قدر المرأة في المجتمع حيث تصبح عارضة أزياء تلفت الأنظار، فتعتبر نفسها كسلعة قابلة للعرض.

٢ . له آثار سلبية في الحياة الأسرية للطلاب والطالبات المتزوجين، فقد يكون سببا في دمار هذه الأسرة وتشتيت شملها بسبب تعرف الشاب على فتاة أخرى غير متزوجة مثلا!

٣ . عزوف الشباب عن الزواج والاكتفاء بالعلاقات غير المشروعة.

وهذه المشكلات هي جزء من معاناة الشباب، والضغوطات التي يسببها الاختلاط لهم والمآسي التي تترتب على ذلك.

هـ مشكلات نفسية:

ولقد ذكر الطلبة بعضاً من المشكلات النفسية منها:

١ . القلق والاضطراب والخوف من الجنس الآخر نتيجة ما يرى من ممارسات خاطئة.

٢ . الصراع الداخلي في نفس الشاب.

السؤال الثالث: اذكر أهم المعوقات التي يسببها الاختلاط على تحصيلك العلمي؟

هناك من اعتبر أن للاختلاط معوقات، ومنهم من يرى أن ليس للاختلاط معوقات وكانت النسب على النحو التالي:

. أجاب ٧٥ % بأن للاختلاط معوقات.

. وأجاب ٢٥ % ليس للاختلاط معوقات.

ويبدو أن أهم المعوقات في نظر هذه المجموعة التي تعتبر أن للاختلاط معوقات هي:

١. الخوف من السؤال بصراحة خوفاً من التعرض لسخرية الآخرين واستهزائهم.

٢ . تكرار التغيب عن المحاضرات للانشغال بالجنس الآخر.

٣ . عدم المشاركة في المحاضرة خوفا من الوقوع في الخطأ.

٤ . تعرض الأستاذ للحرج وعدم توضيح الكثير من القضايا لوجود الطالبات.

٥ . إعطاء الأستاذ أكبر قدر من الاهتمام للطالبات على حساب الطلاب.

٦ . إذا كان المعلم أنثى، فهذا يؤثر على نفسية الطلاب ولا يقبلون تلقي العلم من امرأة.

وبالتالي فإن كل هذا يؤدي إلى انخفاض مستوى التحصيل العلمي عند الطلبة.

السؤال الرابع: يدعي البعض أن العلاقة التي تنشأ بين الجنسين تحفز على زيادة التحصيل العلمي لكونها باعثاً للتعلم، فما رأيك في ذلك؟

. فأجاب ٩٠ % : ليس للاختلاط حافز على التعليم.

. أجاب ١٠ % : الاختلاط يشكل حافزاً باعثاً على التعليم .

السؤال الخامس: هل وجود الجنسين في قاعة واحدة يعيق حرية الأستاذ في إيضاح عناصر الموضوع؟

. أجاب ٨٦ % يعيق.

. أجاب ١٤ % لا يعيق.

السؤال السادس: ما الآثار التي يسببها الاختلاط على حياتك الاجتماعية؟ أذكرها؟
.أجاب ٨٦ % أن له آثارها سلبية.
فمن تلك الآثار:
١ . عدم الثقة الشباب بالفتيات وبالتالي العزوف عن الزواج.
٢ . تفكك الروابط الاجتماعية وبروز المشكلات الأسرية.
٣ . عدم قدرة الشباب على الزواج وبالتالي يتعرضوا للانحراف والفساد.
يجب أن يلتزم بها.
٥ . البعض يحبذ عند ذلك الانعزال والوحدة والابتعاد عن الآخرين حتى من بني جنسه لقلة ثقته بهم.
٦ . قد يؤدي إلى الخجل والخوف من التعامل مع الجنس الآخر. ٧ .
آثار سلبية على علاقاتهم مع أهلهم في البيت ومع الآخرين في المجتمع.
الدراسة الثانية: قام عبد الحليم محمود السيد وآخرون بدراسة المشكلات النفسية والاجتماعية لدى عينة من طلاب جامعة القاهرة حجمها(٣٩٨٧) طالباً وطالبة، وكشفت نتائج هذه الدراسة فيما يتعلق بالمشكلات مع الزملاء من الجنس الآخر عن أن أكثر مشكلات الطلبة أهمية مع زميلاتهم تتمثل:
. المبالغة في الملبس.
. عدم الالتزام بتعاليم الدين.
. والتحرر من السلوك.
. والاختلاط الزائد عن الحد بين الجنسين.
. والخروج عن العادات والتقاليد.
أما بالنسبة إلى المشكلات التي تعاني منها الطالبات في علاقتهن بزملائهن من الطلبة الذكور فتتمثل في:
*عدم الالتزام بتعاليم الدين.
*والتحرر في السلوك.
*والاختلاط الزائد عن الحد بين الجنسين.
.*وعدم مراعاة مشاعر الزملاء.
*وسوء الفهم المتبادل ([1]) .
الدراسة الثالثة: (قام فهد الثاقب بدراسة هدفت إلى الكشف عن موقف الكويتيين من مكانة المرأة، وقد أجريت عام ١٩٧٥م على عينة حجمها (٤٣١) أسرة كويتية، منها ٤٨% ربات أسر، و ٥٢ % أرباب الأسر ، وأوضحت نتائجها أن معظم المتعلمين . فيما عدا الجامعيين . يفضل عدم الاختلاط ، مقابل ٣٦ % أبدوا رغبتهم في هذا الاختلاط) ([2]) .

---

[1] – انظر: المجلة العربية للتربية المجلد السادس عشر ـ العدد الأول ١٤١٧هـ بحث بعنوان (الاتجاه نحو الاختلاط بين الجنسين لدى عينة من طلاب جامعة الكويت) د . عبد اللطيف محمد خليفة.

[2] – جريدة السياسة ٢ /أكتوبر /٢٠٠١م.

ومن يتتبع أقوال أهل التربية والتعليم يلحظ أن أقوالهم تكاد تتفق على خطورة الاختلاط على مستوى دين وثقافة الطالب والطالبة، فمن تلك الأقوال:

ـ يقول الأديب الأريب على الطنطاوي-رحمه الله-: (إني لا أرى الاختلاط بين الجنسين في المدارس، ولا في كليات الجامعة، لا لموانع الدين فقط، فقد يكون من القراء من لا يحرص مع الأسف على تتبع أوامر الدين ونواهيه، بل لأنَّ هذا الاختلاط إذا قلَّت نتائجه السيئة في فرنسا وانجلترا وأمريكا لطول اعتياد أهلها عليه، فإنَّ خطره شديد في بلاد خرجت رأساً من الحجاب السابغ إلى هذا الاختلاط، على قوة الغريزة، وشدة الرغبة، وطول الحرمان. وهذه مصر جرَّبت الاختلاط في الجامعة قبلنا ولا تزال إلى اليوم تشعر بأضراره، وقد ظهرت فيها رغبة طوية من الطالبات أنفسهن في الانفصال عن الشباب، ومن شاء فليقرأ خبر ذلك في جرائد مصر، وفي آخر عدد وصل إلى الشام من (أخبار اليوم).

وأنا مستعد للمناقشة في هذا الموضوع بلسان الواقع والعلم لا بلسان الدين، فمن شاء فليناقشني. أمَّا التسرع إلى الرد عليّ بأنَّ هذه رجعية وجمود، فلا ينفع شيئاً، لأنَّه لو كان كل جديد نافعاً، وكان كل قديم ضاراً، لكان أشدّ الأشياء ضرراً العقل؛ لأنَّ العقل أقدم من التسرع، وكان أنفع الأشياء في هذا الباب مذهب العري وأن نمشي في الجامعة وغيرها مثل الحيوانات؛ لأنَّ مذهب العري أحدث المذاهب!!) (١)

. ويقول رئيس الاتحاد الوطني لطلبة جامعة الكويت محمد الرشيد (إن الأبحاث العلمية أكدت أن الاختلاط ما بين الجنسين يؤثر سلبا على تحصيل الطلبة دراسيا.) (٢) .

ـ وقال الدكتور جاسم العمر . مرشح الدائرة الانتخابية العاشرة للانتخابات التكميلية .: (إن الاختلاط بجامعة الكويت يعتبر سبباً رئيسيا لتراجع مستوى المخرجات التعليمية من مدرسين ومدرسات ذات تخصصات علمية حيث مازال أولياء الأمور يسعون إلى إدخال بناتهم في كليات التطبيقي كونها بعيدة عن الاختلاط الأمر الذي أدى إلى تكدس الطالبات في كلية التربية الأساسية فأصبحت المخرجات التعليمية للمدرسين من الإناث) (٣).

ويقول الأستاذ أحمد مظهر العظمة وقد أوفدته وزارة التربية السورية إلى بلجيكا في رحلة علمية زار فيها المدارس البلجيكية، وفي إحدى الزيارات لمدرسة ابتدائية للبنات سأل المديرة: لماذا لا تخلطون البنين مع البنات في هذه المرحلة؟

فأجابته: قد لمسنا أضرار اختلاط الأطفال حتى في سن المرحلة الابتدائية. (٤)

ـ تقول الدكتورة أسماء الحسين الأستاذ المساعد بكلية التربية: (إن الاختلاط بين الجنسين لا يستند على قاعدة شرعية أو اجتماعية وهو فكرة غير سائغة. فالمرأة لم تسلم من المشاكسات وهي تحت الحجاب فكيف بالاختلاط!) (٥) .

---

١ – جريدة السياسة ٢ /أكتوبر /٢٠٠١م.

٢ – جريدة السياسة ٢ /أكتوبر /٢٠٠١م.

٣ – جريدة السياسة /٢٠/نوفمبر /٢٠٠٠ م.

٤ – انظر: مكانك تحمدي ص ٨٩ ـ ٩٠.

٥ – موقع لها أون لاين: مقال بعنوان: (التعليم المختلط) .

خامسا : أصدقاء السوء:

والأصدقاء هم ثاني المحطات الأساسية التي يستمد من خلالها الفرد ثقافته وتوجهاته الفكرية فكثيرا ما سمعنا عن شباب في غايه الالتزام والخلق ولكن بعد ذلك نفاجئ بتردي خلقهم وانجذابهم لأفعال أصدقائهم وتركهم لدراستهم وانجذابهم التام لسوء الخلق و العادات السيئة ففي دراسة أعدت عن سبب إقبال الشباب على التدخين أظهرت أن ٧٠ % من الشباب المدخن كانت بداية تدخينهم عن طريق أصدقائهم مما يبن مدى قوه و تأثير الصديق على صديقه وللأسف يفتقر مجتمعنا إلى ثقافة اختيار الصديق فليس كل من تحدثنا إليه صديق وليس كل من نلقاه في صباح كل يوم صديق لابد من وضع حدود لكل من نعرفهم وتصنيفهم حسب ما نعتبره قريب منا من حيث ثقافته وفكره وأفعاله ، ومن يختلف معنا في بعض الأمور، ومن لا نتفق مع إطلاقا ، كل هذه الأشياء مهمه حتى لا نقع فريسه التجربة التي يحثنا عليها من الممكن أن ندعوهم أصدقاء.

****

الفصل الرابع: الإصلاح الأخلاقي

أخي المسلم: بعد أن تعرفنا على الداء وتعرفنا على أسبابه نقف الآن لنصف له الدواء من كتاب رب الأرض والسماء، إن أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متفاهمين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة.

ولو فرضنا وجود مجتمع من المجتمعات على أساس تبادل المنافع المادية فقط، من غير أن يكون وراء ذلك غرض أسمى، فإنه لا بد لسلامة هذا المجتمع من خلقي الثقة والأمانة على أقل التقدير.

فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لابد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا، وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ثم الدمار. فإذا كانت الأخلاق ضرورة في نظر المذاهب والفلسفات الأخرى، فهي في نظر الإسلام أكثر ضرورة وأهمية، ولهذا فقد جعلها مناط الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، فهو يعاقب الناس بالهلاك في الدنيا لفساد أخلاقهم. قال تعالى: ((﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ [يونس: ١٣])) وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود: ١١٧] بل إن الإسلام يخضع الأعمال العلمية للمبادئ الأخلاقية، سواء كان ذلك في مجال البحث، أو في مجال النشر لتوصيله للناس.

ولقد اهتم الإسلام بالأخلاق لأنها أمر لابد منه لدوام الحياة الاجتماعية، وتقدمها من الناحيتين المادية والمعنوية، فالإنسان -دائما -بحاجة ماسة إلى نظام خلقي يحقق حاجته الاجتماعية، ويحول دون ميوله ونزعاته الشريرة ويوجهه إلى استخدام قواه في مجالات يعود نفعها عليه وعلى غيره. إن الإسلام يدرك تمام الإدراك ماذا يحدث لو أهملت المبادئ الأخلاقية في المجتمع، وساد فيه الخيانة والغش، والكذب والسرقة، وسفك الدماء، والتعدي على الحرمات والحقوق بكل أنواعها، وتلاشت المعاني الإنسانية في علاقات الناس، فلا محبة ولا مودة، ولا نزاهة ولا تعاون، ولا تراحم ولا إخلاص.

إنه بلا شك سيكون المجتمع جحيما لا يطاق، ولا يمكن للحياة أن تدوم فيه، لأن الإنسان بطبعه محتاج إلى الغير، وبطبعه ينزع إلى التسلط والتجبر والأنانية والانتقام. قال تعالى: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ} [البقرة: ٢٠٥].

لذا: جاء الإسلام بأسس ومعايير يتحتم علينا السير وفقا لها، وهي ليست أسسا ومعايير وضعية، وإنما وحي يوحى على هيئة أوامر ونواه ومباحات ومحظورات، فمن أطاع الله أثابه ومن عصاه عاقبه.

وتمتاز الأخلاق الإسلامية بأنها واقعية عملية وليست مثالية، كما أنها تؤكد حرية الإنسان واختياره ومسئوليته عن فعله، وتتميز أيضا بأنها إيجابية شاملة بعيدة عن الانحراف والغلو، وهي بذلك صالحة لكل زمان ومكان. كما أن الإسلام شرع أحكاما لحماية المجتمع من التردي الخلقي الذي يؤدى إلى الهلاك، وذلك واضح في العقوبات الحدية والتعزيرية.)([1])

أولا: إصلاح الفرد وذلك يكون بتنمية مراقبة الله تعالى في الأقوال والأفعال و في جميع الأحوال:

اعلم-بارك الله فيك-: أنّ حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرّقيب وانصراف الهمم إليه، فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره، يقال إنّه يراقب فلانا، ويراعي جانبه، ويعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة، وتثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب. أمّا الحالة فهي مراعاة القلب للرّقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إيّاه وانصرافه إليه. وأمّا المعرفة الّتي تثمر هذه الحالة فهي العلم بأنّ اللّه مطّلع على الضّمائر، عالم بالسّرائر، رقيب على أعمال العباد، قائم على كلّ نفس بما كسبت، وأنّ سرّ القلب في حقّه مكشوف كما أنّ ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشدّ من ذلك. فهذه المعرفة إذا صارت يقينا-أعني أنّها خلت عن الشّكّ-ثمّ استولت بعد ذلك على القلب قهرته؛ فربّ علم لا شكّ فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت، فإذا استولت على القلب استجرّت القلب إلى مراعاة جانب الرّقيب وصرفت همّه إليه؛ والموقنون بهذه المعرفة هم المقرّبون، وهم ينقسمون إلى الصّدّيقين وإلى أصحاب اليمين «[2]».

عن أبي هريرة-رضي اللّه عنه-، عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم قال: «سبعة يظلّهم اللّه في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه: الإمام العادل، وشاب نشأ بعبادة اللّه، ورجل قلبه معلّق في المساجد، ورجلان تحابّا في اللّه اجتمعا عليه وتفرّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنّي أخاف اللّه، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتّى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر اللّه خاليا ففاضت عيناه)» «[3]».

أَقْسَمْتُ بِالله لو أَنْصَفْتَ نَفْسُكَ مَا ... تَرَكْتَهَا بِاكْتِسَابِ الوِزْرِ في ثِقَلِ
اَمَـا عَلِمْتَ بأنَّ الله مُـطَّلِعٌ ... عَلَى الضَّمَائِرِ وَالأَسْرَارِ والحِيَلِ
وكُلُّ خَيْرٍ وَشَرٍّ أَنْتَ فَاعِلُهُ ... يُحْصَى وَلَو كُنْتَ فِي الأَسْتَارِ وَالكَلَلِ

---

[1] – الأخلاق في الإسلام ص: ٩–١٠

[2] – انظر إحياء علوم الدين للغزالي (٤/ ٣٩٨).

[3] – أخرجه أحمد (٤٣٩/٢ ، رقم ٩٦٦٣) ، والبخاري (٢٣٤/١ ، رقم ٦٢٩) ، ومسلم (٧١٥/٢ ، رقم ١٠٣١) ، والنسائي في الكبرى (٤٦١/٣ ، رقم ٥٩٢١) ، وابن حبان (٣٣٨/١٠ ، رقم ٤٤٨٦) . وأخرجه أيضًا : ابن خزيمة (١٨٥/١ ، رقم ٣٥٨) .

أَمَا اعْتَبَرْتَ بِتَرْدَادِ المَنُونِ إِلى هَذِي الخَلِيقَةِ في سَهْلٍ وَفِي جَبَلِ)(١)

قال عبد اللّه بن دينار: خرجت مع عمر بن الخطّاب-رضي اللّه عنه-إلى مكّة فعرّسنا في بعض الطّريق فانحدر عليه راع من الجبل، فقال له: يا راعي، بعني شاة من هذه الغنم؟ فقال: إنّي مملوك، فقال: قل لسيّدك: أكلها الذّئب؟

قال: فأين اللّه؟

قال: فبكى عمر-رضي اللّه عنه-ثمّ غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه، وأعتقه وقال: أعتقتك في الدّنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك في الآخرة) «[٢]».

(قال أبو عثمان: قال لي أبو حفص: إذا جلست للنّاس فكن واعظا لنفسك وقلبك، ولا يغرّنّك اجتماعهم عليك فإنّهم يراقبون ظاهرك واللّه رقيب على باطنك) «[٣]».

قال ابن الجوزيّ-رحمه اللّه-: الحقّ عزّ وجلّ-أقرب إلى عبده من حبل الوريد. لكنّه عامل العبد معاملة الغائب عنه البعيد منه، فأمر بقصد نيّته، ورفع اليدين إليه، والسّؤال له. فقلوب الجهّال تستشعر البعد، ولذلك تقع منهم المعاصي، إذ لو تحقّقت مراقبتهم للحاضر النّاظر لكفّوا الأكفّ عن الخطايا. والمتيقّظون علموا قربه فحضرتهم المراقبة، وكفتهم عن الانبساط) «[٤]».

ثانيا: تقوية وازع الديني من خلال إقامة الشعائر التي تزكي النفوس و تصلح الأخلاق:

أولا المحافظة على الصلوات الخمس في جماعة: فإنها

تزكية النفوس أهميتها ووسائلها: إنَّ أهم ما ينبغي للناس أن يتعاهدوه تزكية نفوسهم، ولا سيما في هذه الأزمان المتأخرة التي استحكمت فيها الشهوات، وارتطمت فيها أمواج الفتن والشبهات، والتي لم يسلم منها إلا من عصمه الله جل وعلا.

والحديث عن تزكية النفوس كما لا يخفى طويل الذيول، ولذلك فسأقتصر في كلامي عليه على ثلاث نقاط: معنى تزكية النفس لغة وشرعًا، ثم أهمية التزكية، وأخيرا وسائل تزكية النفس.

معنى التزكية:

التزكية لغة: الطهارة والنماء والزيادة.

والمراد بها في الشرع: تطهير النفوس وإصلاحها بالعلم النافع والعمل الصالح، وفعل المأمورات وترك المنهيات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: في معرض حديثه عن أمراض القلوب وشفائها:

«والزكاة في اللغة النماء والزيادة في الصلاح، يقال: زكا الشيء إذا نما في الصلاح، فالقلب يحتاج أن يتربى فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح، كما يحتاج البدن أن يربَّى بالأغذية المصلحة له، ولا بدّ مع ذلك من منع ما يضرّه فلا ينمو البدن إلَّا بإعطائه ما ينفعه ومنع ما يضره، كذلك القلب لا

---

١ – مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار ١/ ١٦٦

٢ – انظر إحياء علوم الدين للغزالي (٤/ ٣٩٦).

٣ – المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

٤ – صيد الخاطر (٢٣٦).

يزكو فينمو ويتم صلاحه إلا بحصول ما ينفعه ودفع ما يضره، وكذلك الزرع لا يزكو إلا بهذا» اهـ ([1])

وقد ثبت في تفسير التزكية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رواه الطبراني في «المعجم الصغير» وغيره عن عبد الله بن معاوية الغاضِري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ ذَاقَ طعْمَ الإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ فِي كُلِّ عَامٍ... وَزَكَّى نَفْسَهُ»، فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال: «أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ» ([2]).

تزكية النفوس وأهميتها: لقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة ببيان أهمية تزكية النفوس وما لها من مكانة عالية ومنزلة رفيعة، ولعل من أبرز تلك النصوص وأظهرها قوله تعالى في سورة الشمس:﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١ . ١٠].

فتأمل معي أيها القارئ الكريم في هذه الآيات البينات تجد أن الله عز وجل قد أقسم فيها أحد عشر قسما على أن صلاح العبد وفلاحه منوط بتزكية نفسه.

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى في موضع آخر من الكتاب: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[الأعلى: ١٤ . ١٥].

كما أخبر الله جل وعلا بفوز من حقق هذه التزكية بالدرجات العلى، فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى﴾[طه: ٧٥ . ٧٦].

وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على أنَّ مهمة الرسل كانت دعوة الناس إلى تزكية نفوسهم، قال تعالى لموسى في خطابه لفرعون:﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى﴾[النازعات:١٨].

وقال سبحانه عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾[الجمعة: ٢].

وسائل تزكية النفس: قبل الخوض في تفاصيل وسائل التزكية لا بدَّ من العلم أن تزكية النفوس لا سبيل إليها إلا عن طريق الشرع المطهر باتباع ما جاءت به الرسل عن رب العالمين جل وعلا.

وقد أشارت آية الجمعة السابقة إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾[الجمعة: ٢].

قال ابن القيم: «فإن تزكية النفوس مُسلَّم إلى الرسل، وإنما بعثهم الله لهذه التزكية وولاَّهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوة وتعليما وبيانا وإرشادا... فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم... وتزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشد، فمن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة، التي لم يجئ بها الرسل فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه، وأين يقع رأيه من معرفة الطبيب؟ فالرسل

---

[1] –] المجموع (٩٦/١٠).

[2] – أخرجه الطبراني في " المعجم الصغير " (ص ١١٥) و البيهقي في " السنن " (٤ / ٩٥) و صححه الالباني في الصحيحة (١٠٤٦).

أطباء القلوب فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم، وعلى أيديهم، وبمحض الانقياد والتسليم لهم، والله المستعان» اهـ ([1]).

وتزكية النفوس تتحقق بأمور كثيرة، ومن أهمها ما يلي:

١-التوحيد: وقد سماه الله تعالى زكاة في قوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فُصِّلَت: ٦ . ٧]، وهذا التفسير مأثور عن البحر ابن عباس رضي الله عنه حيث قال في قوله تعالى: ﴿لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: لا يشهدون أن لا إله إلا الله. ([2])

قال ابن القيم رحمه الله: «قال أكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم: هي التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان الذي به يزكو القلب فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب وذلك طهارته وإثبات إلهيته سبحانه، وهو أصل كل زكاة ونماء» ... إلى أن قال: «فأصل ما تزكو به القلوب والأرواح هو التوحيد» اهـ ([3]).

كما سمى الله تعالى الشرك رجسا ووسمه بالنجاسة، قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

فدل مفهوم الآيتين على أن الطهارة والتزكية في التوحيد الخالص لله جل وعلا.

ولذلك قال موسى لفرعون وهو يدعوه إلى التوحيد:﴿ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [النازعات: ١٨ . ١٩].

٢-الصلاة: وهي من أعظم ما تزكو به النفوس ولذلك قرن الله تعالى بينها وبين التزكية في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[الأعلى: ١٤ . ١٥].

وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم تطهير الصلاة للنفوس بتطهير الماء للأبدان فعن **أبي هريرة، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :(أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، ما تقولون؟ هل يبقى من درنه؟**

قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: ذاك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا.)".([4])

٣ . الصدقة: قال تعالى:﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[التوبة: ١٠٣].

قال الشيخ السعدي: «وفيها أن العبد لا يمكنه أن يتطهر ويتزكى حتى يخرج زكاة ماله، وأنه لا يكفرها شيء سوى أدائها؛ لأن الزكاة والتطهير متوقف على إخراجها "أهـ([5]).

٤ . ترك المعاصي والمحرمات: قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ أي: زكى نفسه بفعل الطاعات، ثم قال: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ أي: خسر من دساها بالفجور والمعاصي.

---

[1] –] مدارج السالكين (٣٥٦/٢).

[2] –انظر: المجموع لشيخ الإسلام (٦٣٣/١٠).

[3] – إغاثة اللهفان (٤٩/١).

[4] – أخرجه أحمد ٣٧٩/٢(٨٩١١) و((الدارمي)) ١١٨٣ و((البخاري)) ١٤٠/١(٥٢٨) و((مسلم)) ١٣١/٢ و((النسائي)) ٢٣٠/١ ، وفي ((الكبرى)) ٣١٩ و((ابن حبان)) ١٧٢٦

[5] – تفسير السعدي (٢٩٣/٣).

قال شيخ الإسلام: «فكذلك النفس والأعمال لا تزكو حتى يزال عنها ما يناقضها، ولا يكون الرجل متزكيا إلا مع ترك الشر، فإنه يدنس النفس و يدسيها»([1]) .
وقال تلميذه ابن القيم: «والمقصود أن زكاة القلب موقوفة على طهارته، كما أن زكاة البدن موقوفة على استفراغه من أخلاطه الرديئة الفاسدة، قال تعالى:﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيم﴾[النور:٢١]، ذكر ذلك سبحانه عقيب تحريم الزنا والقذف ونكاح الزانية، فدل على أن التزكي هو باجتناب ذلك» اهـ([2]) .

٥ . **محاسبة النفس:** قال ابن القيم: «فإن زكاة (النفس) وطهارتها موقوف على محاسبتها، فلا تزكو ولا تطهر ولا تصلح البتة إلا بمحاسبتها...» إلى أن قال: فبمحاسبتها يطلع على عيوبها ونقائصها فيمكنه السعي في إصلاحها» اهـ([3]) .

٦ . **الدعاء:** على العبد أن يلجأ إلى الله تعالى بالدعاء والتضرع ليصلح له نفسه ويزكيها ولذلك كان من دعاء نبينا صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا» ([4]) .

ثانيا دور الأسرة: المسؤولية الإيمانية الملقاة على الوالدين:

اعلم علمني الله و إياك: أن من الواجب على الوالدين أن يلقنا الأبناء تعاليم شرع الله تعالى و ذلك من باب قوال الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: ٦]
وقال العلامة الألوسي: ووقاية النفس عن النار بترك المعاصي وفعل الطاعات، ووقاية الأهل بحملهم على ذلك بالنصح والتأديب، وروى أن عمر قال حين نزلت : يا رسول الله نقي أنفسنا فكيف لنا بأهلينا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: " تنهوهن عما نهاكم الله عنه وتأمروهن بما أمركم الله به فيكون ذلك وقاية بينهن وبين النار " .)([5])
وأخرج ابن المنذر. والحاكم وصححه. وجماعة عن علي كرم الله تعالى وجهه أنه قال في الآية: علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم،) ([6]) والمراد بالأهل على ما قيل: ما يشمل الزوجة والولد والعبد والأمة.
واستدل بها على أنه يجب على الرجل تعلم ما يجب من الفرائض وتعليمه لهؤلاء، وأدخل بعضهم الأولاد في الأنفس لأن الولد بعض من أبيه، وفي الحديث " رحم الله رجلاً قال: يا أهلاه

---

[1] –المجموع (٦٢٩/١٠).

[2] – إغاثة اللهفان (٤٩/١).

[3] –] مدارج السالكين (٥٧٦/٢).

[4] – رواه مسلم (٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم.

[5] – لم اقف عليه

[6] – أخرجه ابن جرير (١٦٥/٢٨) ، والحاكم (٥٣٦/٢ ، رقم ٣٨٢٦) .

صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معه في الجنة " وقيل: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من جهل أهله .([1])

يقول العلامة السعدي – رحمه الله تعالى -أي: يا من من الله عليهم بالإيمان، قوموا بلوازمه وشروطه.

ف{ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا } موصوفة بهذه الأوصاف الفظيعة، ووقاية الأنفس بإلزامها أمر الله، والقيام بأمره امتثالا ونهيه اجتنابًا، والتوبة عما يسخط الله ويوجب العذاب، ووقاية الأهل [والأولاد]، بتأديبهم وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيما يدخل تحت ولايته من الزوجات والأولاد وغيرهم ممن هو تحت ولايته وتصرفه.)([2])

وهيا أخي الحبيب نرى تلك الوصايا الجامعة التي جاءت على لسان لقمان الحكيم وهو يضع لنا منها ربانيا ودستورا أبويا {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩) } [لقمان: ١٣ - ١٩]

فقد تضمنت تلك الوصايا محاور رئيسية في الاصلاح وهي:

المحور الأول الإصلاح العقدي للأبناء: فهو يغر في نفسية الولد توحيد الله تعالى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - {يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} .

و من قبله أوصى الانبياء ابناءهم بتوحيد الله تعالى {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة: ١٣٢، ١٣٣]

المحور الثاني البر بالآباء و الآمهات :{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ... } الْآيَة.و بر الوالدين هو قرين عبودية الله تعالى في كتابه {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا } [الإسراء: ٢٣ - ٢٥]

---

١ –[تفسير الألوسي ٢١/ ١٠١]

٢ – [تفسير السعدي ص: ٨٧٤]

المحور الثالث تنمية المراقبة لله تعالى في نفسية الأبناء أَن يراقب العَبْد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي حركاته وسكناته وَجَمِيع أَعماله، فَالله عز وجل لَا تخفى عَلَيْهِ خافية لَا فِي الأَرْض وَلَا فِي السَّمَاء {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ... } الْآيَة.

و تامل قوله تعالى {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [يونس: ٦١]

الحور الرابع: إقامة شعائر الدين و من إقامة الصَّلَاة وَالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر، وَالصَّبْر على تحمل المشاق فِي سَبِيل ذَلِك {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ... } الْآيَة.

الحور الخامس التمسك بالأخلاق الرفيعة من التَّوَاضُع لعباد الله والإقبال عَلَيْهِم بِوَجْه طليق والابتعاد عَن مظَاهر الْكبر والغرور، وخفض الصَّوْت أثْنَاء الحَدِيث مَعَهم وَعدم رَفعه {وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ....} الْآيَة {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِك.....} الْآيَة

تِلْكَ هِيَ وَصَايَا لُقْمَان الْحَكِيم لِابْنِهِ ذكرهَا لنا الْقُرْآن الْكَرِيم للتفكر وَالِاعْتِبَار فَهَل من مدَّكر، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}

المحور السادس -التحذير من الأخلاق الهابطة: إن مسؤولية الآباء في هذا المجال مسؤولية شاملة بكل ما يتصل بإصلاح نفوسهم، وتقويم اعوجاجهم، وترفّعهم عن الدنايا، وحسن معاملتهم للآخرين.

فهم مسؤولون عن تخليق الأولاد منذ الصغر على الصدق، والأمانة، والاستقامة، والإيثار، وإغاثة الملهوف، واحترام الكبير، وإكرام الضيف، والإحسان إلى الجار، والمحبة للآخرين.

ومسؤولون عن تنزيه ألسنتهم من السباب، والشتائم والكلمات النابية القبيحة، وعن كل ما ينبئ عن فساد الخلق، وسوء التربية.

ومسؤولون عن ترفعهم عن دنايا الأمور، وسفاسف العادات، وقبائح الأخلاق، وعن كل ما يحط بالمروءة والشرف والعفة.

ومسؤولون عن تعويدهم على مشاعر إنسانية كريمة، وإحساسات عاطفية نبيلة، كالإحسان إلى اليتامى، والبر بالفقراء، والعطف على الأرامل والمساكين.

إلى غير ذلك من هذه المسؤوليات الكبيرة الشاملة التي تتصل بالتهذيب، وترتبط بالأخلاق.

وإذا كانت التربية الفاضلة في نظر الإسلام تعتمد في الدرجة الأولى على قوة الملاحظة والمراقبة. فجدير بالآباء والأمهات والمعلمين، وكل من يهمه أمر التربية والأخلاق. أن يلحظوا في الأولاد ظواهر أربعة، وأن يعيروها اهتمامهم لكونها من أقبح الأعمال، وأحط الأخلاق، وأرذل الصفات

ثالثا: إحياء دور المسجد الذي غيبته القوى الظالمة: إن للمسجد دوراً هاماً في حياة المسلمين، ومزايا جمة يجهلها كثير من الناس، فهو المدرسة الجامعة لكل معاني الحياة، من محراب للعبادة، ومنارة للعلم والمعرفة إلى دار للقضاء والصلح بين الناس وعقد ألوية الجهاد والدفاع عن الأمة وكرامتها، المسجد على مدار التاريخ ملاذ الحائرين، وملجأ التائبين، وآمال الباحثين عن الأمن والاستقرار، يقول تعالى: ((أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ). فجعل الله الأمن والأمان وطمأنينة القلوب مرتبطة بذكر الله سبحانه وتعالى، الذي هو شغل العابدين في بيوت الله،

يقول تعالى: ((فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ)). ففي هذا المكان الذي يعرج فيه العمل والدعاء إلى السماء، لا يعمره إلا الطاهرون الصادقون في توجههم إلى الله، لا يخافون ولا يخشون إلا الله لا يستعينون إلا بالله، قال تعالى: ((إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ))

ولهذا الدور العظيم في حياة الأمة، كان أول عمل فعله رسول الله -صلى الله عليه وسلم-بعد هجرته من مكة إلى المدينة هو بناء مسجد قباء، ليلفت الأنظار ويوجه القلوب إلى أهمية هذا المكان الطاهر الذي خرج الجيل الأول من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، الذين نشروا العلم والإيمان في مشارق الأرض ومغاربها، عندما جعلوا مخافة الله بين أعينهم، ورضا الله غايتهم، فكللوا جبين الدهر شرفاً وفخاراً.

فهذه ورقة عمل تحتوي مقترحات تتعلق بكيفية تفعيل أنشطة المسجد، وقد أحببنا أن وهذه بعض المقترحات لإحياء دور المسجد

١-إقامة حلقة للقرآن حسب ما تتفق عليه جماعة المسجد، وإن كان الأنسب إقامتها بصفة يومية باستثناء أيام العطل الأسبوعية، وينبغي الاهتمام بأمور منها:

أ-لابد أن تتناول الحلقات أربع فئات: ابتدائي -متوسط -ثانوي -غيرهم.

ب-عمل حفل فصلي للحلقة تقدم فيه الجوائز للمثاليين والمتفوقين في الحفظ، حيث يقام الحفل في المسجد ليرى الناس أثر جهد الحلقة ومستوى أبنائهم المتميز.

ج-عمل لوحة خاصة بالحلقة توضع فيها أسماء المتفوقين في الحفظ والمراجعة والأدب والحرص على أداء الصلاة، ويتم وضع اللوحة في مكان بارز ملفت للانتباه.

د-عمل رحلات للحلقة بعد استئذان الإمام وأولياء أمور الطلاب.

٢-عمل لوحات خاصة بالفتاوى والفوائد والإعلانات مثل المحاضرات والزكوات والمساهمة في برامج المسجد والتبرعات .....

٣-عمل برنامج استضافات أسبوعي أو نصف شهري أو شهري، وحث الجماعة على المشاركة والحضور، مع مراعاة التنوع والتجديد فيها، كاستضافة: طبيب، مسؤول، طيار، مرشد من مستشفى المخدرات ..... وغيرهم.

٤-توزيع مطويات شهرية خلال العام وخاصة ما يتعلق بالمناسبات الشرعية (عاشوراء -الحج - شعبان -نهاية العام -الامتحانات ... وغيرها) .

٥-حث من عنده قدرة من الجماعة على المشاركة في إلقاء الكلمات في المسجد وذلك بالترتيب مع إمام المسجد.

٦-إقامة معارض في المسجد عن: المخدرات، الجراحات، الأسرة الناجحة، الإسعافات الأولية ... وغيرها مع التنسيق مع الجهات المختصة، وذلك على حسب إمكانية المسجد.

٧-طبع جدول برامج إذاعات القرآن الكريم بشكل جذاب، وكذلك طبع أوقات الصلاة لكل شهر.

٨-إقامة محاضرات علمية شهرية أو حسب ما تراه جماعة المسجد في المسجد بحضور أحد المشايخ أو عن طريق الهاتف لأحد كبار العلماء.

٩-إقامة دورات علمية في جانب معين (كالأعلام المعاصرين، فن التحضير والإلقاء، فن الخطابة، النحو، التجويد، في العلوم الشرعية).

١٠-تعليق الأنشطة المتعلقة بشهر رمضان المقامة في المسجد.
١١-القيام بعمل إفطار جماعي في المسجد.
١٢-يعلن في نهاية شهر رمضان تقرير شامل لما تم عمله خلال الشهر، يقرأه الإمام على جماعة المسجد، أو يعلق في لوحات المسجد.
١٣-عمل برنامج للنشاط النسائي يعلق في مصلى النساء خاص بشهر رمضان.) ([1])

رابعا :إحساس ولاة الأمر بالأمانة التي هي في أعناقهم اعلم -علمني الله وإياك- : انه يجب على ولاة الأمر من الحكام و العلماء أن يتقوا الله تعالى و أن يعلموا انهم مسئولون أما الله تعالى عن رعيتهم عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ -رضى الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالأَمِيرُ الَّذِى عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهْىَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.([2])

وعَنْ عَبدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا، أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ.)([3])

فهناك واجبات أوجبها الله تعالى على كل راع وهي:

أولاً: إقامة الدين وحفظه: فإن مما يجب عل الأئمة: إقامة الدين وحفظه على الأصول التي أجمع عليها السلف الصالح، قال تعالى:﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾[الشورى:١٣].

وإقامة الدين تتحقق بما يلي:

١-نشر العلم بما بعث الله تعالى به نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق، وغيره من أنواع العلوم النافعة في المجتمع بإقامة دروس العلم، وحِلَق الذكر في المساجد، ودور العلم، ومؤسسات التعليم العام والخاص وغيرها؛ بحيث يتحقق بواسطة مناهجها ومقرراتها ومُدرِّسيها:

أ-تعليم عوام المسلمين ما لا يسعهم جهله من دين الإسلام، كالطهارة والصلاة ومهمات من أحكام الزكاة والصوم والحج، والمعاملات، وحقوق ذويهم عليهم.

ب-تنشئة الصغار على حب العلم الشرعي ومعرفة فضله وحسن عاقبته في العاجلة والآجلة، وفضل التوسع فيه وعلو منزلة أهله، ومقامهم في الدين وبين المسلمين، وعند رب العالمين يوم القيامة.

جـ-اختيار طائفة من الأمة تتأهل لحمل أمانة العلم بحفظه والعمل به وتعليمه، بحيث يكونوا مراجع للأمة في التعليم والإفتاء والقضاء والاجتهاد في بيان أحكام النوازل والأمور المستجدة.

---

[1] – برامج مقترحة لتفعيل المسجد

[2] – أَخْرَجَهُ أحمد ٢/٥(٤٤٩٥) والبخاري" ٣/١٩٦(٢٥٥٤) و"مسلم" ٧/٦(٤٧٥١) ،

[3] – أخرجه "أحمد" ٢/١٦٠(٦٤٩٥) و"أبو داود" ١٦٩٢صحيح الترغيب والترهيب ٢/٢٠٣.

د-توفير أعداد كافية من المتخصصين في العلوم المهنية المتنوعة، وفنون العلوم التجريبية التي تحتاجها الأمة.

٢-إظهار شعائر الملة، وإقامة أركان الإسلام الظاهرة.

٣-بناء المساجد وعمارتها بالصلاة والذكر، وتعليم العلم الشرعي، وربط الناس بها، وأن يقوَّم الناس ويقدروا حسْب تعلقهم وارتباطهم بها.

٤- العناية بالدعوة إلى الله تعالى بين المسلمين، وتقوية جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجتمعهم، ودعوة العالم إلى الإسلام ببيان مزاياه ومحاسنه، وقواعد ومقاصد شريعته، وحِكَم أحكامه وحسن نظامه، ودلالته على كل خير وسعادة في العاجل والآجل، وتأهيل طائفة يحصل بها مقصود الحسبة والدعوة وإعانة المحتسبين والدعاة بما يكون سببًا في نجاحهم في مهماتهم، وحصول المقصود من تكليفهم، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال -صلى الله عليه وسلم- : «بلغوا عني ولو آية» (١).

٥-إقامة الحدود، والقصاص، وأنواع التعزيرات.

فإن زاغ ذو شبهة عنه بُيِّنت له الحجة وأُوْضح له الصواب، فإن قبل ورجع وإلا أخذ بما يلزمه من الحقوق والحدود ليكون الدين محروسًا من التحريف والخلل، والأمة ممنوعة من الانحراف والزلل.

ثانيًا: الحكم بما أنزل الله: ومما يجب على الأئمة: الحكم في الرعية بما أنزل الله وبما لا يخالف الشرع المطهر، ونبذ كل ما يعارض الإسلام من القوانين الوضعية والأعراف والعادات العشائرية، والأنظمة البشرية الجائرة، فإن العدل بين الناس من أسباب استقامة أحوال الرعية واستقرار الدولة، فإن الدولة تدوم مع العدل ولو كانت كافرة، ولا تبقى مع الظلم ولو كانت مسلمة، ولذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٩٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء:٥٨].

ثالثًا: الرفق واللين في التعامل: ومما يجب على الإمام: سياسة الرعية باللين والرفق، وأن يجتهد في قضاء حوائج العباد وإيصال الخير إليهم، وكف الشرّ وإبعاد الضرر عنهم، ورعاية مصالحهم، والاهتمام بشؤونهم، والنصيحة لهم في جميع الأحوال.

قال -صلى الله عليه وسلم-: «من ولي من أمر أمَّتي شيئًا فشقَّ عليهم فاشْقُقْ عليه، ومن ولي مِنْ أمر أمَّتي شيئًا فَرَفَقَ بهم فَارْفُقْ بِهِ»(٢) ، وقال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ شرَّ الرِّعاء الْحُطَمَةُ»(٣) ، وقال صلى الله عليه وسلم: «ما مِنْ عبدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رعيَّةً يموتُ يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيَّتِهِ إلَّا حرَّم الله عليه الجنَّة»(٤) .

---

١ – أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

٢ – أخرجه مسلم برقم (١٨٢٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

٣ – جزء من حديث أخرجه مسلم برقم (١٨٣٠)، عن عائذ بن عمرو رضي الله عنه

٤ – أخرجه البخاري برقم (٧١٥٠، ٧١٥١)، ومسلم برقم (١٤٢)، من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه.

رابعًا: تعيين الأكفاء والأمناء: ومما يجب على الإمام: نصب وتولية الأكْفَاء الأمناء النصحاء، من القضاة والمفتين، وأمراء الجهات، وبقية أهل الولايات الذين يقومون خير القيام فيما يفوضه الإمام إليهم من ولايات وأعمال، وفيما يكِلُه إليهم من الأمانة والأموال؛ لتكون الأعمال مضبوطة، والأمانات والأموال محفوظة.

خامسا: توفير الأمن والاستقرار: ومما يجب على الإمام: توفير الأمن في المدن والقرى، وكافة جهات البلد، وتأمين الطرق والمرافق العامة وأموال الناس وسائر حرماتهم، وتأمين الضعفاء من الأقوياء، والأخيار من الأشرار، وذلك بتوفير كافة وسائل الأمن، وجهاد أهل البغي، وقطَّاع الطرق، وكل من تسوِّل له نفسُه العبث بأمن البلد وحرمات الأمة، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في العرنيين بتنفيذ حكم الله تعالى في المحارِبين الذين سعوا في الأرض فسادًا(١) ؛ منعًا لأهل الإجرام والجسارة مما يريدون من الفساد بهيبة السلطان وبارقة السيف والسنان.

سادسا: متابعة أمور البلاد بنفسه: ومما يجب على الإمام: متابعة أمور البلاد بنفسه، وذلك بأن يباشر الإمام الأعظم بنفسه مُشَارَفَة الأمور، ويتتبع الأحوال ليطلع على سير الأمور وأداء ذوي الولايات والعمَّال؛ اشتغالًا بسياسة الأمة وحراسة الملة وتحقيق الأمانة، ولا يعوِّل على تفويض الأمور إلى غيره تفرغًا لعبادة أو تشاغلًا بلهوٍ أو لذة، فقد يُخَوَّن الأمين، ويُغَشَّ الناصح، ويفرِّط القادر، فلا بد من متابعة ذوي الولايات ومسئولي الجهات، للاطمئنان على قيامهم بوظائفهم، وأدائهم لأماناتهم، وحسن سياستهم وعدلهم في رعيتهم على أكمل وجه؛ فمن أحسن شَكَرَه وكافأه وأعانه، ومن قصَّر أو عجز أو خان أو فرط عزَلَه وحاسبه، وولَّى خيرًا منه مكانه، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون وأتباعهم يهتمون بأمر العمال وذوي الولايات، فيجتهدون في اختيار الأكفاء، ويحاسبونهم على التقصير والتفريط أو الاعتداء.

إصلاح المناهج التعليمية: قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله تعالى-"فصل: ومن الأصول العظيمة المهمة لصلاح الدين والدنيا: السعي في إصلاح التعليم، وإصلاح الأخلاق، لهذا يجب العناية التامة في جميع المدارس والمعاهد والتعاليم الابتدائية والنهائية في تعاليم الدين، وفي تطبيق أخلاق الدين على المعلمين والمتعلمين، فلهذا أثره الفعال في حسن نتائج التعليم، وحصول ثمراته الدينية والدنيوية.

فتعاليم الدين إذا جعلت هي الأساس والأصل في التعليم، ثم طبقت التعاليم الأخرى عليها، وأنها من وسائلها ومما يعين عليها، وكلها ترجع إليها، فإن الدين يهدي ويرشد للتي هي أقوم وأصلح من جميع العلوم التي تفيد الناس في دينهم ودنياهم، ويستغنون بها عن الأجانب.

ويعلم بذلك غلط من قصر نظره وعلمه وضعفت بصيرته، حتى قدح في علوم الكون، وفي العلوم العصرية النافعة، وأعظم منه غلطاً من قبل جميع ما قيل أنه علوم عصرية نافعها وضارها، خيرها وشرها، فإن الواجب التمييز بين العلوم العصرية النافعة التي لا تؤثر في العقائد الدينية آثاراً ضارة، وبين العلوم العصرية التي سلكت ما لا سبيل لها إليه من النظريات الخاطئة الباطلة، المبنية على الجهل والضلال، وعلى خلاف المعلوم من دين الرسل، فكم لهذه العلوم

---

١ – أخرجه البخاري برقم (٢٣٣)، ومسلم برقم (١٦٧١).

الضارة من الآثار والنتائج القبيحة، وكم أهلكت من ضعفاء البصائر، ومن لا معرفة لهم بالدين من أمم، وكم كان المشتغلون بها أعداء لدينهم وقومهم وأوطانهم، وسلاحاً للأعداء عليهم.
ولهذا يجب الحذر والتحذير من دخول المدارس الأجنبية التي تدرس فيها هذه العلوم الضارة، وخصوصاً لمن لا معرفة لهم تامة في الدين، ولا بصيرة لهم فيه، فكيف يرضى من عنده دين وعقل أن يضع ولده وفلذة كبده ويسلمه لمدارس أجنبية قد عُلِمَ عداؤها لدين الإسلام، بل لجميع الأديان، ولم تؤسس إلا لصدّ الناس عن دين الله وتوحيده؟ كيف يُسْلِم العاقل موليه وهو خالي الذهن من التعاليم الدينية، ومن الأخلاق المرضية، إلى هؤلاء الذين يحشون ذهنه بالإلحاد والتشكيكات؟ والله يقول: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } [التحريم: ٦] أي بتعليمهم ما ينفعهم، وتهذيب أخلاقهم، فمن لم يعلمهم العلوم الدينية، ولم يقومهم بالأخلاق والآداب المرضية، فإنه لم يمتثل ما فرض الله عليه من جهتهم، فكيف مع هذا إذا سعى في تعليم العلوم الضارة، والأخلاق الرذيلة، فهذا من أعظم الناس جرماً، وأقلهم ديناً وأكبرهم إثماً، بل ومن أضعفهم عقلاً، فإن الأولاد أكبر مغنم ومكسب للإنسان، فكيف يرضى عاقل أن يفوِّت هذا المغنم، ويخسر أولاده خسارة لا تجبر، فإن الإنسان إنسانٌ بدينه وأخلاقه فإذا ذهب الدين والأخلاق صار أضل من الأنعام، وربما وجد هؤلاء الآباء الذين رضوا لأولادهم التعلم في المدارس الأجنبية نموذج ما عملوه معهم معجلاً: ربما احتقروا آباءهم كما احتقروا غيرهم، فإن قلوبهم مملوءة كبراً وتيهاً واحتقاراً لغيرهم، كما قال تعالى في مثل هذه العلوم: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [غافر: ٥٦] {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}[غافر: ٨٣].
فإن المراتب الدنيوية، والرياسات لا تتوقف على التعاليم بهذه المدارس، وكثيراً ما تكون حائلاً عن ذلك، كما كانت حائلاً عن الدين، ولو فرض وقدر حصول ما يؤملون من نيل الوظائف فلا خير في مراتب لا تنال إلا بذهاب الدين والأخلاق فاتقوا الله في أولادكم، فإنهم أمانات عندكم، لا يحل لكم أن تضيعوهم ولا تهملوهم ولا يحل لكم أن تضعوهم في مدارس تهلك دينهم وأخلاقهم، ويتبع ذلك فساد الدنيا واختلال الأحوال، فلابد أن تُسْألوا عن أولادكم، وعما عملتم معهم، فانظروا رحمكم الله ماذا تجيبون عن هذا السؤال، هل تقولون: يا ربنا حفظنا فيهم الأمانة، وبذلنا ما نستطيع نحوهم من العناية والصيانة، فربيناهم بالعلوم الدينية، ولاحظناهم بالآداب المرضية، وحفظناهم من كل ما يعود عليهم بالضرر في دينهم ودنياهم، فإن كان هذا صدقاً فأبشروا بالرحمة والرضوان، وبالثواب العاجل والآجل، ولكم الهناء والتهنئة بهؤلاء الأولاد الصالحين الأذكياء البارين، الذين ينفعونكم في أمور الدين والدنيا.
وإن كان الجواب بعكس هذا الجواب فبشراكم بالخيبة والخسران، ويا ويحكم من الحسرة والندم، قد فاتكم المطلوب، وحصل لكم كل شر ومرهوب، وغضب عليكم علاّم الغيوب، قد خسرتم دنياكم وأخراكم، وفاتكم رشدكم وتوفيقكم وهُداكم، فيا حسرة المفرطين، ويا فضيحة المجرمين.

لقد كان لكم في مدارس مملكتكم غنية كبرى عن سفركم إلى المدارس المنحرفة التي لا تعود عليكم إلا بكل شر.([1])

الباب السادس
الإصلاح الاجتماعي

" كلكم راع ومسئول عن رعيته، والأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"([2])

إذا الذئب استحال بمصر ظبيا فمن يحمي البلاد من **الذئاب؟**

اقرأ في الصفحات الآتية:

---

[1] – نصيحة مختصرة في الحث على التمسك بالدين والتحذير من المدارس الأجنبية": (ص/١١–١٦):

[2] – سبق تخريجه

* الفساد الاجتماعي وصوره في المجتمع.

* أسباب مشكله الطلاق في المجتمع المصري.

* الإدمان وأثره على المجتمع.

* الفقر وتدني دخل الفرد.

* الإصلاح الاجتماعي.

* كيف عالج الإسلام مشكلة الفقر.

الباب السادس: الإصلاح الاجتماعي

اعلم علمني الله وإياك: أن الناظر بعين البصر والبصيرة ليرى أن هناك صورا شتى من الفساد الاجتماعي الذي عم البلاد والعباد، فهناك فساد داخل الأسرة، وهناك فساد بين الجار وجاره، وهناك فساد في بنية تركيب المجتمع حيث العصبية الجاهلية أو ما يسمونها الوطنية، وهناك فساد عم الناحية المالية.... الخ

لذا نقف في هذا الباب لنتعرف على صور الفساد الاجتماعي وأسباب ذلك الفساد الاجتماعي ثم نرى كيف نصلح هذا الداء من كتاب رب الأرض والسماء ومن سنة سيد الأصفياء – صلى الله عليه وسلم –

الفصل الأول: الفساد الاجتماعي وصوره في المجتمع

اعلم علمني الله وإياك: أن المجتمع الإسلامي يعيش في أزمة طاحنة تعصف بالأسرة والمجتمع إلى هاوية الفساد الذي يهدهد بنيان ذلك المجتمع وبنظرة سريعة على الحالة الاجتماعية نرى هناك صورا عديدة للفساد الاجتماعي ولنأخذ بعضا من هذه الصور

أولا: الاختلافات الأُسرية: فالاختلافات الأسرية من أخطر صور الفساد وذلك لأن الأسرة هي اللبنة الأولى في أساس أي مجتمع من المجتمعات ومتى صلحت صلح سائر المجتمع ومتى اضطربت وتسرب إليها الفساد فقل على الدنيا السلام إن لم يتداركها لملك العلام – سبحانه وتعالى –.

وبنظرة سريعة نرى خطورة الخلل الذي بدب إلى الأسرة فهناك اختلافات طاحنة تدور بين الأزواج في ميادين المحاكم وما خفي كان أعظم.

ذكرت إحصائية رصدتها محاكم القاهرة للأحوال الشخصية حول حالات الطلاق للزيجات الحديثة أن عدد قضايا الطلاق المقامة حتى يناير ٢٠٠٣ وصلت إلى ٨١٨٢ حالة من بينها ٤٧١٧ قضية خلع ٨٠% من الزيجات الحديثة. وأظهرت وجود حالات خلع حدثت بعد شهر

واحد من الزواج مشيرا إلى أن قضايا الطلاق زادت من ٢١١٥ عام ٢٠٠٠ إلى اكثر من ٨ آلاف في عام ٢٠٠٢. وذكرت أن المسح الديموغرافى في مصر عن عام ١٩٩٦ والذى أجرى على سيدات مصر بداية من سن ١٨ وحتى ٤٠ سنه أشار إلى أن هناك سيده من بين ثلاث يتعرضن للعنف البدني وأن هناك ٤٦% تعرضن للعنف بأنواعه البدني أو النفسي أو المادي وأن هذا أدى إلى زيادة نسب الطلاق في المجتمع. ففي خلال الـ ٥٠ عاماً الماضية ارتفعت معدلات الطلاق من ٧ % إلى ٤٠ % طبقاً لإحصائيات الجهاز المركزي للتعبئة و الإحصاء و التي تُشير إلى وقوع ٢٤٠ حالة طلاق في اليوم الواحد ..

وإذا كان إجمالي عدد المطلقات في مصر يصل إلى ٢,٥ مليون مطلقة فإن النسبة الأكبر من هؤلاء تخص المتزوجات حديثاً ممن تتراوح أعمارهن بين العشرين والثلاثين.

أسباب مشكله الطلاق في المجتمع المصري

أكدت العديد من الدراسات والشواهد على أن أسباب الطلاق ف المجتمع المصر قد ترجع الي:-

١-الزواج المبكر وما ينتج عنه من عدم استقرار وبالتالي زيادة تصاعد حدة التوترات بين الزوجين([1])

---

[1] – أثر الزواج المبكر على الصحة والحياة :إن البحوث العلمية والدراسات العالمية تثبت أنه لا يوجد زيادة في مضاعفات الحمل عند النساء اللاتي تتراوح أعمارهن ما بين 15-19 سنة . وإن المضاعفات التي تحصل عند الحوامل أقل من ١٥ سنة هي نسبياً قليلة . هذا ما أثبته العالم الأمريكي Satin من "Parkland Hospital- Texas

إن إيجابيات الزواج والحمل والإنجاب في سن مبكر عديدة منها :

١– الإخصاب " : إمكانية الحمل " إن نسبة الخصوبة" أي الحمل خلال فترة الزواج " عند الفتيات في سن مبكر تفوق الفتيات في = = الأعمار الأخرى .

٢– الأورام الحميدة والخبيثة : إن أورام الثدي والرحم والمبايض هي أقل عند النساء اللواتي يبدأن الحمل والإنجاب في السنين المبكرة .

٣– الحمل المهاجر" خارج الرحم " : يثبت العالم الأمريكي Rubin في أبحاثه عام ١٩٨٣ أن حالات الحمل خارج الرحم هي ١٧,٢ /١٠٠٠ عند النساء اللواتي يزدن عن ٣٥ سنة ، وأن النسبة تقل إلى ٤،٥/١٠٠٠ عند النساء اللواتي تتراوح أعمارهن ١٥–٢٤ سنة .

٤– الإجهاض : في بحث للعالم الأمريكي Hawen تزيد نسبة الإجهاض من ٢–٤ أضعاف عند النساء بعد ٣٥ سنة من العمر .

٥– إن العمليات القيصرية والولادة المبكرة و التشوهات الخلقية ووفاة الجنين داخل الرحم ووفاة الأطفال بعد الولادة جميعها تزداد نسبياً كلما زاد عمر الحامل .

٦– إن الحمل والإنجاب هو عمل متكرر وإن المرأة بحاجة إلى فترة زمنية طويلة لإنجاب ما كتب الله لها من أطفال . فالمرأة التي تتزوج في سن متأخر فإنها سوف تنجب أطفالها وهي في سن متأخر ، ومن المثبت طبياً أن الأمراض المزمنة تبدأ بالظهور أو تزيد استفحالاً كلما تقدم الإنسان عمراً وهذه الأمراض المزمنة تزيد مخاطر الحمل والإنجاب وأحياناً تقف عائقاً للحمل والإنجاب. (نقلا عن منتديات ستوب)

حكم الزواج المبكر في الشريعة الإسلامية

السؤال س: الزواج المبكر هل يجوز في الشريعة الإسلامية؟

الاجابـــة الأخ بلقاسمي عبد الكريم الحاج حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد.

٢-صعوبة التفاهم بين الزوجين وكثرة تدخل الأهل والأقارب في شؤونهما الزوجية واستمرار بعض الخلافات التي سبقت الزواج إلى ما بعد الزواج كالخلاف على "قيمة المهر والمؤخر والشبكة ووتأثيث الشقة والهدايا والاستعداد للزفاف".

٣-ميل أحد الزوجين لاختلاق النزاع والمشاجرات، وكذلك تأخر الحمل والإنجاب مما يزيد من حدة التوترات والخلافات بين الزوجين وتدخل الآخرين في شؤون حياتهما، مما يؤدى إلى احتمال حدوث الطلاق.

٤-يرى البعض أن أغلب حالات الطلاق تكون عن طريق دعاوى الخلع وأنه قبل تطبيق قانون الأحوال الشخصية الجديد عام ٢٠٠٠ لم تكن حالات الطلاق بهذا الكم.

وأكد أن القانون الجديد ساهم في زيادة القضايا وذلك بسبب قصر فترة نظر القضية وعدم إعطاء الزوج حق الاستئناف والنقض.

٥-ارجع د. احمد المجدوب الخبير بمركز البحوث الاجتماعية والجنائية أن أسباب تزايد حالات الطلاق المبكر في مصر مرتبطة ببعضها وترجع لأسباب اقتصادية واجتماعية وصحية أيضا وهي التي تأتى في المقدمة موضحا أن اغلب الرجال وبسبب ظروف الحياة الصعبة يقصرون في أداء واجباتهم الزوجية على أكمل وجه.

٦-ويرى البعض أن أسباب زيادة نسبة السيدات اللاتي يفكرن في الطلاق يرجع إلى التحولات الاجتماعية الجديدة سواء على المستوى المحلي أو العالمي، بالإضافة إلى تمكين المرأة من حقوقها وخاصة التعليم الذي أيقظ عندها وعيها بحقوقها ومسؤولياتها وفرصها في الحياة وإدراكها للضغوط الواقعة عليها، كذلك لإدراكها بحقوقها سواء الاجتماعية أو القانونية ما أدى . كل هذا . إلى تغير نظرتها إلى الطلاق

٧- فالإعلام المرئي ينقل في كثير من الأحوال صوراً خيالية غير واقعية للحياة الزوجية، فالزوج شاب وسيم أنيق مترف مغداق للهدايا بمناسبة وبلا مناسبة، والزوجة جميلة حسناء جذابة متفرغة للعواطف والحفلات والنوادي هي وزوجها، وكأن هذه المرأة لا تعرف حملاً ولا وضعاً ولا رضاعاً ولا تربية أبناء ولا ترتيب شؤون المنزل، فهي فقط للشهوة واللذة فترسم صورة حالمة واهمة للحياة الزوجية من خلال هذه المشاهد الخيالية أو الهلامية، وسرعان ما يصطدم الخيال بالواقع، فلا يصمد الواقع أمام الخيال، ويخر السقف على رءوس حامليه، ومن هنا يجب العمل

والجواب: أنه مشروع عند القدرة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء فالمراد بالباءة مؤونة النكاح والقدرة على النفقة وحقوق الزوجة، فمن كان قادرًا على ذلك وخاف على نفسه من الوقوع في الفواحش وجب عليه المبادرة إلى الزواج ولو كان في الخامسة عشر من عمره. المفتي /عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

على تنقية وسائل الإعلام من كل ما يضر بأمن المجتمع وسلامته ويتنافى مع ديننا وقيمنا وأخلاقنا العربية الإسلامية، بعيداً عن المظاهر الزائفة، والمجون والخلاعة التي ينبذها الدين والعرف والعقل السليم، موكدين أن شباباً خليعاً لا يحمى وطناً، ولا يدافع عن أمة، ولله در حافظ حيث قال:

إذا الذئب استحال بمصر ظبيا فمن يحمي البلاد من **الذئاب**؟

٨-يرى البعض أن الأزمات الاقتصادية لها دور كبير في الشقاق الأسري الذي يصل ببعض الأسر إلى الطلاق، حيث لا تقف متطلبات بعض النساء عند حد، وتدعو المباهاة والمظاهر الكاذبة بعضهن إلى إجهاد الزواج بما لا قبل ولا طاقة له به

٩-إهمال الزوج لزوجته وعدم الإنفاق كانت من أهم أسباب الطلاق والخلع في المجتمع المصري

١٠-عدم إنجاب المرأة والمشاكل الصحية للزوج قد تحول البيت إلى جحيم فتزداد المشاجرات بين الزوج والزوجة فيلجأ الزوج أو الزوجة لإنهاء هذه العلاقة.

١١-إن الفقر .... الجهل .... و التدليل أو الرفاهية قد تكون عوامل مساعدة على حدوث الطلاق و ليست أسباباً رئيسية ، و يقول إن الطلاق المبكر ناتج عن زواج مبكر و هو يعنى أن الزوج و الزوجة قد يكونان في سن صغيرة و هو ما يعنى انعدام الخبرة الحياتية و خاصة إن كان سن الزواج صغيراً ، أما إذا كانت الزوجة صغيرة و الزوج يكبرها بسنوات كثيرة فليست هناك مشكلة فقد تمر سفينة الحياة بسلام لأن الرجل هو رمز المسئولية و العطاء و رمز القدوة في أسرته فيستطيع بخبرته و فطنته تجاوز بعض المشكلات و الخلافات التي قد تطرأ على الحياة الزوجية .

الآثار المترتبة على حدوث الطلاق في المجتمع المصري

يقول الدكتور أحمد المجدوب "خبير علم الاجتماع بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية المصري": لقد أصبح المجتمع مريضاً بأمراض اجتماعية خطيرة، ويعاني من تناقضات غريبة من ضمنها التعامل مع المرأة المطلقة "كعدوة"؛ ولذا يفضل الابتعاد عنها، ويعرض الرجال عن الارتباط بها لأسباب وهمية، مثل أن المرأة المطلقة مثل "الطبخة البائتة"

كما يوجد اعتقاد خاطئ لدى البعض مؤداه أن المرأة المطلقة احتمالية انحرافها كبيرة، ولا يؤمن جانبها، ولا يجب الاطمئنان إليها، ويعتبرها بعض الرجال فريسة سائغة لهم، غير أن المطلقة تكون على عكس ذلك تماماً، فهي الأكثر حرصاً لعلى كرامتها وعفتها من نظيراتهن اللائي يعشن في كنف أزواجهن.

ويضيف الدكتور المجدوب: الغريب في الأمر أن أكثر أعداء المطلقات هن النساء أنفسهن، وذلك لخوفهن على أزواجهن من أن تخطفه المطلقة؛ لأنهن يعتبرن السيدة المطلقة تبحث عن

أي فرصة للزواج، حتى لو كان زوج أعز صديقاتها، والشيء المدهش أيضا أن أسهم المرأة المطلقة بدأت تهبط، حيث لا يتقدم للزواج منها سوى زوج على المعاش، ويحتاج إلى سيدة تخدمه، أو مريض يحتاج إلى زوجة ممرضة، أو رجل مزواج، أو آخر طامع في مالها لو كانت غنية ويرى أن المطلقة لا تهدد المجتمع كما يدعي البعض، بل المجتمع هو الذي يهددها بإغلاقه جميع الأبواب أمامها، ووصمه لها بالانحراف، فضلا عن قيامه برصد خطواتها، ومقاطعة الصديقات لها لا لشيء سوى لأنها أصبحت مطلقة فكلهن في هذه الحالة يرفعن شعار "الباب الذي يأتيك منه الريح أغلقه وأستريح".

وترى الدكتورة سامية خضر "أستاذ علم الاجتماع بعين شمس" أن المطلقة من أكثر النساء حساسية، وهي أكثرهن تعرضاً للاكتئاب والقلق والاضطرابات النفسية، بسبب الهمسات والنظرات الغريبة التي تحيطها، وتشعر الكثيرات من المطلقات بالاكتئاب والعزلة الشديدين، نتيجة لابتعاد الصديقات عنهن، أو خوف النساء منهن، أو كثرة الشائعات حولهن. وحذرت من تجنب المطلقات، وضرورة التقرب منهن، وأن تعمل صديقاتهن على حثهن على العودة لأسرهن، وإصلاح الأخطاء السابقة إذا أمكن ذلك.

*كما أن الآثار المدمرة للطلاق لا تقتصر فقط على المرأة، وإنما تشمل الرجل أيضاً، حيث يعاني كثيراً منه شأنه شأن المرأة، فقد كشفت أحدث الدراسات النقاب عن تزايد نسبة الرجال المطلقين الذين يعانون أمراضاً جسدية ومشكلات نفسية بعد الطلاق، مقارنة بحالاتهم قبل وقوعه فالرجل غالباً ما يجد نفسه بعد الطلاق وحيداً، نتيجة طبيعة العلاقات الاجتماعية التي يبنيها حوله والتي تتسم عادة بالسطحية، فهو يشعر بالخيبة لفقدان دوره كأب وزوج، ويصدم نتيجة شعوره بالمسؤولية نتيجة انهيار العائلة، إضافة إلى عدم السماح له قانوناً بحضانة الأولاد في معظم الأوقات إلا في سن متأخرة للأبناء

*كما أن الأطفال هم المتضررون من انهيار العلاقات الزوجية، حيث يؤثر سلباً على عملية تنشئتهم النفسية والاجتماعية وفي بناء الشخصية السوية، ويفقدون الشعور بالأمان، ولا يحصلون على حاجاتهم الطبيعية من الشعور بالراحة والاستقرار والطمأنينة التي هي عصب عملية التنشئة النفسية والاجتماعية للطفل، كما يفقد المثل الأعلى
* ومن تأثيرات الطلاق على الأسرة المصرية هو زيادة أعباء المرأة المطلقة وشيوع ما يسمى بـ(تأنيث الأسرة) حيث تتعدد أدوار المرأة المطلقة فهي أم وعامله ومربيه وهى التي تقوم بالإنفاق على الأبناء وتربيتهم ومع تعدد أدوار المرأة المطلقة لا يمكنها القيام بوجبات التنشئة الاجتماعية للأبناء على أكمل وجه بالإضافة إلى زيادة المشكلات المادية التي تقع علي كاهل الزوجة.

ولخص علماء الاجتماع الآثار الخطيرة الناجمة عن انهيار العلاقات الزوجية في عدد من المخاطر، لعل أبرزها خروج جيل حاقد على المجتمع، بسبب فقدان الرعاية الواجبة له، وتزايد أعداد المشردين، وانتشار جرائم السرقة والاحتيال والنصب والرذيلة، وزعزعة الأمن والاستقرار في المجتمع فضلاً عن تفككه.

ويضيف هؤلاء العلماء إلى قائمة الآثار المدمرة للتفكك الأسرى على المجتمع، انتشار ظاهرة عدم الشعور بالمسؤولية، فضلاً عما يصيب القيم الأخلاقية والأعراف الاجتماعية السائدة فيه من مظاهر التردي والانحطاط، نتيجة عدم احترام تلك القيم والأعراف والتقيد بها كضوابط اجتماعية تنظم حياة المجتمع وتضبط سلوك أفراده وجماعاته)([1])

الإدمان وأثره على المجتمع

من مشكلات الأسرة الاجتماعية الإدمان: و قد يكون الإدمان من الوالد أو الوالدة أو من الأبناء : فهو من أخطر المشكلات التي تهدد الأسرة بالانهيار و الضياع و الفشل الذريع فعندما يكون أحد أركان الأسرة مدمنا للدخان أو المخدرات فإنه نذير خطر و ناقوس دمار و إليك بعض هذه الأثار

مشكلات المدمن الاجتماعية: يعاني المدمن من مشكلات اجتماعية عديدة نوجز فيما يلي أبرز تلك المشكلات:

١-اضطراب العلاقة مع الأسرة وفقدان الثقة فيه.

٢-المشاعر العدوانية المتبادلة بين المريض والأسرة وتأخذ مظاهر متنوعة ابتداء من العدوان اللفظي إلى الاحتكاك البدني وتحطيم أثاث المنزل.

٣-فقدان العمل وعادة لا يستطيع المدمن الجمع بين إدمانه وعمله، لأن نمط الحياة المعتمد على الكحول والمخدرات يجعل المدمن ينفق وقتاً طويلاً من أجل الحصول على المادة المخدرة ويفرض عليه شبكة علاقات واسعة تستهلك طاقته، فضلاً عن قلب عادة النوم حيث يسهر ليلاً وينام نهاراً.

٤-تبدد المال والثروة، يحتاج المدمن إلى توفير المادة التي يستعملها بكميات تكفي حاجته اليومية بشكل قهري، ويبذل في ذلك كل ما لديه، ويبدد مدخراته الشخصية ويبدأ في بيع أغراضه المنزلية ثم سيارته، ويلجأ إلى الاقتراض ثم السرقة أو ترويج المخدرات حتى يوفر لنفسه ما يحتاج إليه.

٥-غالباً ما تهدد حياة المدمن الأسرية وأحياناً يتعرض للطرد من منزل والديه، أو تتقبل الأسرة وجوده معها على ألم ومعاناة وقد تطلب الزوجة الطلاق أو الانفصال.

٦-يكتسب المدمن سلوكيات سلبية نتيجة إدمانه مثل الاندفاع والمراوغة والكذب والسرقة والتحايل لاقتراض المال وعدم الوفاء بالدين، وعدم الوفاء بالوعد.

---

[1] – موقع اجتماعي على الإنترنت.

٧-اضطراب المشاعر النفسية تجاه الآخرين، فيميل المدمن إلى العزلة واجتناب أسرته وجيرانه وأقاربه وتظهر لديه مشاعر انخفاض صورة الذات.

٨-ضعف الوازع الديني والتوقف عن تأدية العبادات، مما يتسبب في ضعف الجانب الأخلاقي والقيمي بكل نتائجه غير المستحبة.

٩-التورط في شبكة علاقات واسعة مع أشخاص مدمنين تضغط عليه وتقف عقبة في سبيل تعافيه، وتعرضه العلاقة معهم إلى المشكلات القانونية وتبعاتها.

١٠-قيادة السيارات تحت تأثير المخدر وما قد ينجم عنه من حوادث سير والوقوع تحت طائلة القانون.

١١-الإصابة بأمراض بدنية تنتقل بالعدوى وأبرزها التهاب الكبد الوبائي والإيدز.

الحرية المطلقة للفتيات عن قضية إدمان الفتيات يرى الدكتور هشام أبو المكارم أخصائي الطب النفسي أن التفكك الأسري يعد سببًا رئيسيًا في لجوء الفتيات إلى المخدرات، وذلك بسبب غياب أحد الوالدين وانشغال الآخر أو لانفصالهما بالطلاق، وأشار إلى أن امتناع الأم عن المشاركة في حل مشاكل بناتها يجعل الابنة تلجأ إلى صديقات السوء اللاتي يحرضنها على شرب السجائر والخمور لتنتهي بالإدمان، ويضيف أبو المكارم أن بعض الأسر باتت تطبق مبدأ «الحرية المطلقة» للفتيات، فلو وجدت الفتاة رقابة من الأهل لما انحرفت... فمنحهم الحرية لها دون ضوابط ينتج عنه انتشار ظواهر مثل الإدمان والدعارة والزواج العرفي، وسلسلة لا تنتهى من الظواهر السلبية التي انتشرت مؤخرا في المجتمعات العربية والإسلامية.

فهناك من يعتقد أن عودة الفتاة إلى المنزل مبكرًا يعني عدم انتهاج أي سلوك اجتماعي خاطئ، وهذا الأمر يلغي الرقابة العائلية التي يجب تواجدها بصفة دائمة خاصة في هذا العصر. وشدد أبو المكارم على أن الفراغ وعدم الانشغال بشيء مفيد يعد بيئة خصبة تشجع الفتاة وتدفعها على الإدمان، فيما تجد أخريات في المخدرات متنفسا للتعبير عن الإحباط الناتج عن شعورها بأنها غير مرغوب فيها، سواء من ناحية الشكل أو من الناحية الاجتماعية أو الثقافية أو المادية أو التعليمية، فتحاول أن تخرج من حالتها النفسية إلى الإدمان، سواء كان إدمان السجائر أو إدمان المواد الكحولية أو المخدرات

قصص واقعية

أخي أجبرني على تدخين الحشيش) تقول (ش، ع) عن سبب إدمانها المخدرات وتحديدا مادة الحشيش إلى إدمان أخيها الأكبر الذي كان يتعاطى الحشيش في المنزل وتقول أنها كانت تشم رائحة غريبة واعتقدت أن السجائر هي التي تؤدي إلى تلك الرائحة وتقول أخي هو العائل لنا بعد وفاة أبي وأعيش مع أمي المسنة وشقيقتين صغيرتين واكتشفت أن ما يشربه أخي هو الحشيش

بعد أن أخبرتني زميلة لي في الجامعة وصعقت من هذا الأمر وعشت فترة من الهم والحيرة بين إخبار أمي المريضة والسكوت وضياع أخي وبعد تفكير قررت إقناعه بالكف عن تعاطي الحشيش وفوجئ بمعرفتي لكن بدلا من أن أقنعه حاول إجباري على تناول المخدر وهدد بأنه سيحرمني حقوقي ويستولي على جوالي ويمنعني من الذهاب إلى الجامعة ورفضت لكنه كان يجلسني معه أثناء التدخين إلى أن أصبحت لا استغني عن استنشاق الأدخنة المتطايرة من الحشيش طوال تلك الجلسات كان الأخ يدعي لها أن للحشيش فوائد وانه يجعل من الإنسان مفكرا وانه يزيل الهم إلى أن جذبها الفضول لتجرب شرب سيجارة كانت أول محاولة مثل الموت وحست بألم كبير في صدرها لكنها لم تكف عن التجربة وخاضت في هذا العالم الأسود لترضي أخاها ويسمح لها بالذهاب إلى الجامعة والتمتع بكل حقوقها، أدمنت الفتاة الحشيش الذي اخذ أخوها يمولها به لأكثر من سنة ونصف السنة إلى أن تنازلت عن ممتلكاتها من ذهب وجهاز الكمبيوتر وأشياء أخرى مقابل الحصول على الحشيش وتغيرت حياتها فقدت طموحها وصحتها ومثابرتها على الدراسة بفعل الإدمان. وتضيف فكرت مرارا في التوبة والامتناع عن تعاطي الحشيش والذهاب إلى مستشفى الأمل للصحة النفسية لكنني أخاف الفضيحة وغضب أخي.

(فقدت عذريتها وتخشى على نفسها من القتل) تقول (س، خ) طالبة بالصف الثاني الثانوي أنها وقعت في إدمان المخدرات منذ ما يقارب ٨ أشهر ولا تزال في محاولة الإقلاع عنها، وتضيف أنها أدمنت مادة الحشيش المخدر بسبب والدها وتروي القصة قائلة أبي يتعاطى الحشيش بشكل يومي منذ سنوات طويلة في المنزل برفقة عدد من أصدقائه وتعلم أسرتي بهذا الأمر وفي احد الأيام بعد أن ترك والدي المجلس ذهبت إليه فوجدت بقايا سجائر بها الحشيش وأخذني الفضول لأجربه في الحقيقة كنت قد دخنت السجائر من قبل مع زميلاتي في المجمعات التجارية أو في الجلسات الخاصة المهم أحسست بدوار فور تدخيني الحشيش ثم بعد أيام كررت التجربة بالطريقة ذاتها لكنني دخنت سيجارة كاملة فأحسست بأن أمرا غريبا يحدث لي لكنه أعجبني فواصلت إلى أن أصبحت غير قادرة على الاستغناء عن تدخين الحشيش، أحيانا كنت اجلس خلف باب المجلس الخلفي أثناء تواجد والدي مع أصدقائه لاستنشق الدخان المتسرب من أسفل الباب، وتضيف الفتاة قائلة اطلعت صديقتي على امر الحشيش واكتشفت أنها تدخنه وأنها تحصل علية عن طريق شاب وقالت انه يمكن أن يمدني به مقابل أموال وبالفعل كنت ادفع له ليمدني بالمخدر ثم تعلمت شرب الخمور وغيرها من المواد المخدرة إلى أن حدثت الكارثة حين اخذ يسيطر عليها وعندها تمكن من الانقضاض عليها فأفقدها عذريتها ومع تلك الكارثة تحاول الآن الخروج من دوامتها تمنع نفسها من المخدر وتقول أنها تشعر الآن بتحسن في حالتها الجسدية والنفسية لكنها تخشى التوجه إلى العلاج حتى لا يفتضح أمرها خاصة أن المصيبة كبيرة ويمكن أن تعرضها للموت(١)

ثالثا من صور الفساد الاجتماعي داخل الأسرة العقوق

---

١ – صحيفة الرياض عدد رقم ٤١٩١٤

ففي دراسة أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية إلى أن مدينة القاهرة وحدها نظرت محاكمها عام ٢٠٠٣ فقط ألفى قضية حجر يرفعها الأبناء إلى الآباء وأن أكثر من ألف دعوة أخرى حركها أبناء ضد آبائهم وتم التنازل عنها في مراحل التقاضي الأولى وأن ٩٠% من هذه الدعاوى كيدية حكم القضاء فيها لصالح الآباء.

ولما كانت العملية التربوية تقع على كاهل الأبوين وكما جاء في الحديث الشريف عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " كلكم راع ومسئول عن رعيته، والأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"([1])

لذا فمسئولية الآباء واضحة تجاه أولادهم ولكن كثيراً من الآباء والأمهات لا يقدرون هذه المسئولية.

ثانيا: العصبية الجاهلية في المجتمع: ومن صور الفساد الاجتماعي الدعوة الى العصبية سواء كان عصبية قبلية أو عرقية وعصبية للون أو اللغة أو للجماعة وغير ذلك ومنها أيضا العصبية القومية والوطنية... الخ

مما أدى بالمجتمع إلى التفرق والتمزق وغير ذلك فما يرفع المرء طرفه إلا ويرى تلك النعرات التي نهى عنها نبينا – صلى الله ليه وسلم

فعن بِنْتِ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ أَنَّهَا سَمِعَتْ أَبَاهَا يَقُولُ قُلْتُ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْعَصَبِيَّةُ قَالَ أَنْ تُعِينَ قَوْمَكَ عَلَى الظُّلْمِ).([2])

وليس غريباً أن توجد أو تتفشى العصبية القبلية في كثيرٍ من المجتمعات الإسلامية وبخاصة العربية منها وفي جزيرة العرب تحديداً حيث أصل العروبة وجرثومتها فقد أنبأ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أربعة عشر قرناً فأخبر أن ثلاث خصال من خصال الجاهلية تظل في أمته ولا يدعها أهل الإسلام منها التفاخر بالأحساب والطعن في الأنساب فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاث لم تزلن بأمتي: التفاخر بالأحساب، والنياحة، و الأنوا ء([3]))

---

[1] – سبق تخريجه

[2] –(أخرجه أبو داود ح ٥١١٩ ، و الطبراني في معجمه الكبير ج ٢٢/ ص ٩٨ حديث رقم: ٢٣٦)قال الألباني : ضعيف ابن ماجة (٣٩٤٩) // (٨٥٥) ، غاية المرام (٣٠٥)

[3] – أخرجه أبو يعلى (١٧/٧ ، رقم ٣٩١١) ، قال الهيثمى (١٢/٣) : رجاله ثقات . والضياء (٢٨٢/٦ ، رقم ٢٢٩٦) :

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاث من فعل الجاهلية لا يدعهن أهل الإسلام: استسقاء بالكواكب، وطعن في النسب، والنياحة على الميت).([1])

وفي رواية أحمد بن حنبل رحمه الله (ثلاث من عمل الجاهلية لا يتركهن أهل الإسلام النياحة على الميت، والاستسقاء بالأنواء، وكذا، قلت لسعيد وما هو؟ قال دعوى الجاهلية يا آل فلان يا آل فلان يا آل فلان). ([2])

إذاً فالتعصب القبلي -كغيره من الخصال الثلاث -لايزال باقياً في أمة الإسلام كما أخبر بذلك نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، ولكن بقاءه لا يعني أنه أصبح أمراً مقبولاً أو واقعاً محتوماً يعذر المسلم إذا ما سايره أو انخرط فيه، فليس هذا هو المعنى المقصود من الأحاديث بل المقصود هو تحذير الأمة من اتّباع عادات الجاهلية والانسياق خلف دعاواها الباطلة. ومع هذا التحذير النبوي الشريف نرى كثيراً من الناس متأثرين بالعصبية القبلية حتى أصبحت حديث سامرهم وشغل شاعرهم.

إن ضرر الفرقة عظيم، وخطرها جسيم على المسلمين أجمع، ولعل القارئ لحظ معنا في الفصول الماضية كيف أن شرر الفرقة كان باديا، وضررها كان فاشيا ينهش في جسد الأمة، ومن هذه المضار:

أولا – تعطيل الجهاد في سبيل الله، وتسلط الأعداء على الأمة المسلمة:

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالجهاد في سبيله فقال عز من قائل: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ [التوبة:٧٣].

وقال سبحانه: انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ [التوبة: ٤١].

ولقد جعل الجهاد ذروة سنام الإسلام التي يعلو بها الأمم، كما في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد)) .ثم إن الذل والمهانة تقع على الأمة إذا تركت الجهاد في سبيل الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

[1] – أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢٣٢/٢) وقال : في إسناده نظر . والطبراني (٢٨٢/٢، رقم ٢١٧٨) ، قال الهيثمي (١٣/٣) : رواه البزار والطبراني في الكبير من طريق مصعب بن عبيد الله بن جنادة عن أبيه عن جده ولم أجد من ترجم مصعبًا ولا أباه . وابن قانع (١٥٦/١) . قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم : ٣٠٤٠ في صحيح الجامع

[2] – أخرجه أحمد ٢٦٢/٢(٧٥٥٠) . وابن حبان (٣١٤١) وصححه الألباني في الصحيحة ح ١٨٠١

((إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)) ([1]).

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماءة، وضرب على قلبه بالأسداد، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النصف ... فو الله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا" .

إن الأمة القوية والدولة المتماسكة العاملة بأمر الله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هي التي تستطيع أن تقيم الدين وترفع علم الجهاد، ومتى ما شغلت الأمة بهمومها، وانصرفت الدولة إلى تسكين الثائرة بين أبنائها، وتوطيد حكمها، فهي مشغولة عن جهاد عدوها.

وحينما تنشغل الأمة بآلامها، وتضعف لتفرقها وتترك جهاد أعداء الدين، فلا ريب أن العدو يتربص بها، ويتسلط عليها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال: يا محمد إني إذ قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا)) ([2]) .

ومعنى الحديث: إن الله تعالى لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح ما حازوه من البلاد. فالله لا يسلط الكفار على معظم المسلمين وجماعتهم وإمامهم ما داموا بضد هذه الأوصاف المذكورة في قوله: "حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا. فأما إذا وجدت هذه الأوصاف فقد يسلط الكفار على جماعتهم ومعظمهم وإمامهم كما وقع .فإن هذه الأمة لما جعل بأسها بينها تفرقت جماعتهم، واشتغل بعضهم ببعض عن جهاد العدو فاستولى .

وحاضر العالم الإسلامي برهان واقع، وتاريخها الماضي أصدق شاهد؛ أنه متى عز المسلمون دينهم، وأقاموا شرع الله تعالى، وامتثلوا أمره ونهيه علماء وأمراء وعامة، وائتلفوا واجتمعوا صفا واحدا ضد عدوهم فهم الأعلون الغالبون.

أما إذا ضعف الامتثال لأمر الشريعة، وتفرقت الأمة واشتغلت بقتال بعضها بعضا، فهنا يتسلط العدو ويغلب وينتصر.

---

[1] – أخرجه أبو داود (٢٧٤/٣ ، رقم ٣٤٦٢) . وأخرجه أيضًا : البيهقي (٣١٦/٥ ، رقم ١٠٤٨٤) ، وأبو نعيم فى الحلية (٢٠٩/٥) . و قال الألباني : صحيح ، الصحيحة (١١)

[2] – واه مسلم (٨ / ١٧١) و أبو داود (٤٢٥٢) و الترمذي (٢ / ٢٧) و صححه .و ابن ماجه (رقم ٢٩٥٢) و أحمد (٥ / ٢٧٨ و ٢٨٤)

يقول ابن كثير واصفا حال الخلافة الإسلامية من عز وجهاد عند اتحاد صف المسلمين في خلافة عمر وعثمان ووالية معاوية رضي الله عنهما، فيقول: "ولم تزل الفتوحات والجهاد قائما على ساقه في بلاد الروم والفرنج وغيرها، فلما كان من أمره وأمر أمير المؤمنين علي ما كان، لم يقع في تلك الأيام فتح بالكلية، لا على يديه ولا على يدي علي، وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخشاه وأذله، وقهر جنده ودحاهم، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب علي؛ تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: "والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك، ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت". فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف وبعث يطلب الهدنة.

ثم كان من أمر التحكيم ما كان، وكذلك ما بعده إلى وقت اصطلاحه مع الحسين بن علي فانعقدت الكلمة على معاوية، وأجمعت الرعايا على بيعته. فلم يزل مستقلا بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته؛ والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل، وصفح وعفو .هذا هو حال أعداء الإسلام يتربصون بنا الدوائر، فما أن تحل الفرقة بين المسلمين حتى يثوروا ويغزوا بلاد الإسلام، يقول ابن كثير: "ثم دخلت سنة ٧٠هـ فيها ثارت الروم واستجاشوا على من بالشام، واستضعفوهم لما يرون من الاختلاف الواقع بين بني مروان وابن الزبير، فصالح عبدالملك ملك الروم وهادنه على أن يدفع إليه عبدالملك في كل جمعة ألف دينار خوفا منه على الشام .([1])

فالله المستعان، بعد أن كان ملك الروم يدفع الجزية للمسلمين، صار المسلمون يدفعون له ثمن سكوته وكفه عن بلادهم، فأي ضرر أشد على الأمة من تسلط أعدائها بسبب فرقتها واختلافها فيما بينها، فهل ينظر المسلمون إلى تاريخهم، ويتعظوا بأسلافهم، ويعودوا إلى الاجتماع صفا مرصوصا ويدا واحدة وجماعة متحدة، تعمل بكتاب ربها وتهتدي بسنة نبيها صلى الله عليه وسلم ضد عدوها؟ نسأل الله ذلك.

ويعطينا شيخ الإسلام ابن تيمية صورا عدة تظهر تسلط العدو الكافر على الأمة المسلمة حينما تتفرق وتختلف فيقول: "وبلاد الشرق من أسباب بتسليط الله التتر عليها، كثرة التفرق والفتن بينهم في المذاهب وغيرها .ويقول: "وفي دولة بني بوية ونحوهم كان منهم أصناف المذاهب المذمومة، قوم منهم زنادقة، ومنهم قرامطة كثيرة، ومتفلسفة، ومعتزلة، ورافضة، وهذه الأشياء كثيرة فيهم غالبة عليهم، فحصل في أهل الإسلام والسنة في أيامهم من الوهن ما لم يعرف، حتى استولى النصارى على ثغور الإسلام، وانتشرت القرامطة في أرض مصر والمغرب والمشرق وغير ذلك، وجرت حوادث كثيرة .ويقول مبينا سبب هذا التسليط: "وهذا التفريق الذي حصل من الأمة – علمائها ومشايخها وأمرائها وكبرائها- هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها، وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله كما قال تعالى: وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ

[1] –[البداية والنهاية–دار إحياء التراث العربي ٨/ ١٢٧]

يَصْنَعُونَ [المائدة: ١٤] .نعم، إن الله يعاقب الأمة المسلمة حينما تعصيه، ويعذبها بما يدب بينها من فرقة وتناحر حينما تتهاون في العمل بكتابها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم، فهل من عودة إلى الدين والعمل به؟ ليعود للأمة مجدها وسيادتها ([1])

ثانيا-ذهاب قوة المسلمين إن من مضار الفرقة الجسيمة:والتي تقع على الأمة ما يحدث بسببها من ذهاب قوة المسلمين: القوة المعنوية، والقوة المادية، لما تسببه الفرقة من تناحر وتقاتل بين الجماعات المسلمة كما في الحديث: ((حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا)) ([2])

ولما نزل قوله تعالى: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ }[الأنعام: ٦٥].

فاستجاب الله دعاء نبيه وأعاذه من الأمرين الأولين، ولم يجبه في الأمرين الآخرين وهو أن يجعلهم فرقا مختلفين، ويذيق بعضهم بأس بعض بالحروب والقتل .

ثالثا: الهزيمة والفشل: مما لا شك فيه أن الهزيمة والفشل تصيب الجماعة المتفرقة، المختلفة فيما بينها، والمعترضة على قيادتها، إذ كيف ينتصرون ويغلبون وهم لم ينتصروا بعد على هوى أنفسهم، ولم يغلبوا شيطانهم.

ولقد نبه المولى العزيز سبحانه عباده المؤمنين على ذلك، وأمرهم بالاجتماع على طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ليتحقق لهم النصر على عدوهم، ولكن إن أبو إلا التفرق والاختلاف فالضرر لاحق بهم من الهزيمة والفشل.

يقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٥-٤٦].

فيا أيها المؤمنون أطيعوا ربكم ورسولكم فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تخالفوهما في شيء، وَلاَ تَنَازَعُواْ أي: لا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم.

فَتَفْشَلُواْ أي: فتضعفوا وتجبنوا. وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ أي: تذهب قوتكم وبأسكم ووحدتكم، وتنقطع دولتكم، ويدخلكم الوهن والخلل، والضعف عن جهاد العدو والانكسار له.

لذلك يوصيهم الله عز وجل بالصبر فيقول في ختام الآية: وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم في باب الشجاعة والائتمار بما أمرهم الله ورسوله، وامتثال ما أرشدهم

---

[1] – الفتاوى الكبرى ٢/ ١٠٩

[2] – تقدم تخريجه

إليه ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم، فإنهم ببركة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته فيما أمرهم فتحوا القلوب والأقاليم شرقا وغربا في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والجيوش وأصناف السودان والقبط وطوائف بني آدم، قهروا الجميع حتى علت كلمة الله وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت المماليك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها في أقل من ثلاثين سنة فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وحشرنا في زمرتهم إنه كريم تواب .

مثال ذلك ما حكاه الإمام ابن كثير رحمه الله يقول: "لما مات علي قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع، فعند ذلك أقام أهل العراق الحسن بن علي رضي الله عنه ليمانعوا به أهل الشام، فلم يتم لهم ما أرادوه وحاولوه، وإنما كان خذلانهم من قبل تدبيرهم وآراؤهم المختلفة المخالفة لأمرائهم، ولو كانوا يعلمون لعظموا ما أنعم الله به عليهم من مبايعتهم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد المسلمين، وأحد علماء الصحابة وحلمائهم وذوي آرائهم.

وعن الزهري أنه قال: لما بايع أهل العراق الحسن بن علي طفق يشترط عليهم أنهم سامعون مطيعون مسالمون من سالمت، محاربون من حاربت، فارتاب به أهل العراق وقالوا: ما هذا لكم بصاحب؟ فما كان عن قريب حتى طعنوه فأشووه، فازداد لهم بغضا وازداد منهم ذعرا، فعند ذلك عرف تفرقهم واختلافهم عليه" .

ثم كان ما كان من الصلح مع معاوية وتنازله عن الخلافة له، فرضي الله عنهم وأرضاهم. ([1])

رابعا-خروج الفرق، وفشو الفتن والبدع: ما أن تتفرق الأمة، وتخالف أمر الله تعالى لها بالتزام الجماعة وسلوك الصراط المستقيم إلا وتقوى الفرق، وتخرج على إمام المسلمين، وتقاتل الجماعة، وتوقد معها الفتنة، وتنشر معها البدعة مما يزيد الأمة وهنا، والمسلمين بلاء، ولقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخوارج: ((أنهم يخرجون في فرقة من الناس)) ([2])

وهذا شأن الفرق المبتدعة، شأن الضلالات والظلمات لا تجسر على الخروج إلا عند ضعف شمس الحق، يقول ابن تيمية رحمه الله: "وتجد الإسلام والإيمان كلما ظهر وقوي كانت السنة وأهلها أظهر وأقوى، وإن ظهر شيء من الكفر والنفاق ظهرت البدع بحسب ذلك، مثل: دولة المهدي، والرشيد ونحوهما ممن كان يعظم الإسلام والإيمان، ويغزو أعداءه من الكفار والمنافقين، كان أهل السنة في تلك الأيام أقوى وأكثر، وأهل البدع أذل وأقل ...وفي دولة أبي العباس المأمون ظهر "الخرمية" ونحوهم من المنافقين، وعرب من كتب الأوائل المجلوبة من

---

[1] –[البداية والنهاية–دار إحياء التراث العربي ٨/ ١٧]

[2] – النسائي في سننه الكبرى ج٥/ص١٥٨ ح٨٥٥٨

بلاد الروم ما انتشر بسببه مقالات الصابئين، وراسل ملوك المشركين من الهنود ونحوهم حتى صار بينه وبينهم مودة.

فلما ظهر ما ظهر من الكفر والنفاق في المسلمين، وقوي ما قوي من حال المشركين وأهل الكتاب، كان من أثر ذلك ما ظهر من استيلاء الجهمية والرافضة وغيرهم من أهل الضلال، وتقريب الصابئة ونحوهم من المتفلسفة ...فتولد عن ذلك محنة الجهمية حتى امتحنت الأمة بنفي الصفات والتكذيب بكلام الله ورؤيته، وجرى من محنة الإمام أحمد وغيره ما جرى مما يطول وصفه" . ([1])

خامسا – وقوع العداوة والبغضاء وذهاب المحبة والألفة: إن من أصول الدين العظيمة، وقواعده المهمة التي هي من جماع الدين ما وصى الله به من تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين.

ولكن يأبى أهل الفرقة والبدعة ذلك فما يزالون يهدمون الدين، ويفرقون قلوب المسلمين، ويوقعون بينهم العداوة والبغضاء بما يفعلونه من تفريق المسلمين شيعا وأحزابا، يقول الله تعالى: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}[الروم: ٣١ -٣٢].

ولقد أخبر الله عز وجل عن حال أهل الفرقة والاختلاف من التنازع والشقاق الواقع بينهم، والذي هو مظنة إلقاء العداوة والبغضاء، قال الله تعالى {فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [البقرة: ١٣٧]. وقال عز وجل: لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ [الحج: ٥٣].

فهؤلاء المفارقين للجماعة، المخالفين للحق في شقاق: عداوة ومنازعة للحق وأهله، وعداوة ومنازعة فيما بينهم، يسعون لشق عصا الطاعة ولصدع الكلمة، وكما وصفهم سبحانه: تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ [الحشر: ١٤].

إن كل هذه العداوة والبغضاء التي بين أهل الفرقة وبين أهل الحق، والتي هي فيما بين المختلفين أنفسهم كلها بسبب تركهم ما أمروا به من الجماعة وإقامة الألفة والمحبة في المجتمع المسلم، يقول الله تعالى: {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ }[المائدة: ١٤].يقول ابن تيمية رحمه الله: "فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة

---

[1] –مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ٢٠]

والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا، فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب" .([1])

ويبين الإمام الشاطبي كيف يوقع أهل الفرقة بتفرقهم العداوة والبغضاء في الأمة فيقول: "وقد بين عليه الصلاة والسلام أن فساد ذات البين هي الحالقة، وأنها تحلق الدين، هذه الشواهد تدل على وقوع الافتراق والعداوة عند وقوع الابتداع. وأول شاهد عليه في الواقع قصة الخوارج إذ عادوا أهل الإسلام حتى صاروا يقتلونهم، ويدعون الكفار كما أخبر عنه الحديث الصحيح، ثم يليهم كل من كان له صولة منهم بقرب الملوك، فإنهم تناولوا أهل السنة بكل نكال وعذاب وقتل أيضا، حسبما بينه جميع أهل الأخبار.

ثم يليهم كل من ابتدع بدعة فإن من شأنهم أن يثبطوا الناس عن اتباع الشريعة، ويذمونهم ويزعمون أنهم الأرجاس الأنجاس المكبين على الدنيا، ويضعون عليهم شواهد الآيات في ذم الدنيا وذم المكبين عليها، كما يروى عن عمرو بن عبيد أنه قال: "لو شهد عندي علي وعثمان وطلحة والزبير على شراك نعل ما أجزت شهادتهم"

وقيل له: كيف حدث الحسن عن سمرة في السكتتين؟

فقال: "ما تصنع بسمرة!! قبح الله سمرة".

بل قبح الله عمرو بن عبيد. فهكذا أهل الضلال يسبون السلف الصالح لعل بضاعتهم تنفق، {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [التوبة: ٣٢].

وأصل هذا الفساد من قبل الخوارج فهم أول من لعن السلف الصالح، وكفر الصحابة رضي الله عن الصحابة، ومثل هذا كله يورث العداوة والبغضاء.)([2])

رابعا: الفقر وتدني دخل الفرد

ومن أخطر المشكلات الاجتماعية التي تعصف بأمن المجتمع و باستقراره ما تفشى في الحقبة المظلمة خلا حكم عدد من الرؤساء و الملوك في العالم الإسلامي حيث علت الراس مالية و اطل الاستبداد المالي عند كثير من نظام تلك الحكومات و انقسم المجتمع إلى طبقات طبقة الحكام و من كان في حاشيتهم و هم يستولون على الثروة بجميع أشكالها ، و طبقة محمود الخل من له راتب و لكنه يعاني الفقر و الحاجة ، و طبقة معدومي الدخل وهم من لا يجد ما يسد رمقه و يقضي حاجته اليومية ن فظهر الفساد الإداري و الاقتصادي و نبع من بينهما تلك المشكلة الاجتماعية إلا و هي الفقر و العيلة و سو الأحوال الاقتصادية للفر و الأسرة

---

[1] – [مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣/ ٤٢١]

[2] –[الموافقات ٥/ ١٥٣]

ماهية الفقر وأنواعه يمكن تعريف الفقر لغة: بالنقص والحاجة، فالفرد لا يكون فقيرا إلى شيء ما إلا إذا كان في حاجة إليه لعدم توفره أو نقصانه دون الحاجة. أما المعنى الذي بواسطته يتمكن الإنسان من تلبية حاجاته من مأكل وملبس ومسكن...الخ.

ولقد صدر منشور في الأمم المتحدة في مارس ١٩٩٩ تعرض للصور والأشكال التي يتخذها الفقر والتي تتضمن انعدام الدخل والموارد المنتجة الكافية لضمان مستوى معيشي لائق. ومن مظاهره الجوع وسوء التغذية، وسوء الصحة ومحدودية التعليم، وغيره من الخدمات الأساسية. وانتشار الأمراض والوفيات وانعدام السكن غير المناسب، وعدم وجود الأمن. إضافة إلى انعدام المشاركة في صنع القرارات في الحياة المدنية والاجتماعية.

ورغم أن المفهوم الاقتصادي والاجتماعي حول هذه الظاهرة هو الشائع.

إلا أن الفقر كثيرا ما يضاف إلى أشياء أخرى كفقر الدم، والفقر الذهني...الخ. ولقد تطور مفهوم الفقر في العصر الحديث، باعتباره الحاجة إلى الشيء الغائب أو الناقص إلى غياب القدرة على تحقيق الحاجة، ولقد قامت الهيئات الدولية، بتحديد عتبة الفقر حسب محتوى المعيشة في كل بلد، مقدرة هذه العتبة بمعدل دخل فردي لا يتجاوز الدولارين في اليوم، أما دون الدولار الواحد فهو علامة على الفقر المدقع.

فالفقر أضحى حاليا إشكالية محيرة في العصر الراهن، فرغم التقدم التكنولوجي الكبير الذي شهده العالم، ارتفاع وتأثر الإنتاج العالمي بشكل غير مسبوق.

والتطور الاقتصادي المذهل في حياة البشرية. لازال الفقر يشكل التحدي الأكبر الذي يطرحه العالم، وضمن هذا السياق من المفيد الإشارة إلى أن كبار منظري السوسيولوجيا الدولية أمثال (Ferd Haliddie)و(AntonnieGuidenz) ، يعتبرون الفقر وسوء توزيع الدخل العالمي هما التحد ي الأكبر الذي يواجه عالم القرن الواحد والعشرين.

وهنا يمكننا ذكر هذه الأرقام التي تبين عمق مشكلة الفقر العالمي، فهي تشير إلى أن ما يقارب ١,٢ إلى ١,٣ مليار من البشر، أي ما يعادل خمس البشرية مازالو يعتبرون فقراء جدا، أي أنهم يعيشون على دولار واحد أو أقل في اليوم.

أسباب الفقر (من الناحية الديني): باعتباره عقوبة:

أولا: الحكم بغير ما انزل الله: واعلم أن من أسباب الفقر الحكم بغير ما انزل الله تعالى فعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال ك قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -يا معشر المهاجرين! خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا

القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم (١).

ثانيا: الانصراف عن عبادة الله: فالله تعالى توعد من اعرض عن ذكره بالمعيشة الضنك

فقال تعالى {مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: ١٢٤]

اختلف العلماء في المراد بهذا العيش الضيق على أقوال متقاربة، لا يكذب بعضها بعضا.

وقد قدمنا مرارا: أن الأولى في مثل ذلك شمول الآية لجميع الأقوال المذكورة.

ومن الأقوال في ذلك: أن معنى ذلك أن الله عز وجل جعل مع الدين التسليم، والقناعة، والتوكل على الله ، والرضا بقسمته فصاحبه ينفق مما رزقه الله بسماح وسهولة ، فيعيش عيشا هنيئا .
ومما يدل على هذا المعنى من القرآن قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[النحل: ٩٧]

وقوله تعالى : ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾[هود: ٣] كما تقدم إيضاح ذلك كله .

وأما المعرض عن الدين فإنه يستولي عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق، فعيشه ضنك، وحاله مظلمة.

ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة، والمسكنة بسبب كفره، كما قال ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]. وذلك من العيش الضنك بسبب الإعراض عن ذكر الله.

وبين في مواضع أخر أنهم لو تركوا الإعراض عن ذكر الله فأطاعوه تعالى أن عيشهم يصير واسعا رغدا لا ضنكا ، كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾[المائدة: ٦٦]
وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦] وكقوله تعالى عن نوح : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ

---

١ – قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١ / ١٦٧ : رواه ابن ماجه (٤٠١٩) و أبو نعيم في " الحلية " (٨ / ٣٣٣ – ٣٣٤

جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) ﴾ [نوح: ١٠-١٢] ، وقوله تعالى عن هود : ﴿وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ٥٢] وقوله تعالى : ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦] إلى غير ذلك من الآيات .

وعن الحسن أن المعيشة الضنك: هي طعام الضريع ، والزقوم يوم القيامة وذلك مذكور في آيات من كتاب الله تعالى ، كقوله : ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾[الغاشية: ٦] وقوله : ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٤] ونحو ذلك من الآيات . وعن عكرمة ، والضحاك ومالك بن دينار : المعيشة الضنك : الكسب الحرام ، والعمل السيئ . وعن أبي سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود وأبي هريرة: المعيشة الضنك : عذاب القبر وضغطته .

وقد أشار تعالى إلى فتنة القبر وعذابه في قوله﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال مقيده -عفا الله عنه وغفر له -: قد جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من حديث أبي هريرة : أن المعيشة الضنك في الآية : عذاب القبر . وبعض طرقه بإسناد جيد كما قاله ابن كثير في تفسير هذه الآية.

ولا ينافي ذلك شمول المعيشة الضنك لمعيشته في الدنيا. وطعام الضريع، والزقوم.

فتكون معيشته ضنكا في الدنيا، والبرزخ، والآخرة، والعياذ بالله تعالى.(١)

رباعا استبدال الأدنى بالأعلى: أعنى تعطيل الدولة لفريضة جمع الزكاة وتوزيعها على مستحقيها بجباية الضرائب التي لا تشكل عبئا على المجتمع

خامسا: التعامل بالربا: ومن أخطر الأسباب المؤدية الى الفقر والعناء التعامل بالربا وانعدام الرحمة في قلوب الاغنياء والله تعالى توعد الذين يتعاملون بالربا بالحرب الشاملة المدمرة

يقول الله تعالى {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ

---

١ – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٤/ ١٢٦

فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١) [البقرة: ٢٧٥]}

يقول سيد قطب – رحمه الله -إن العالم الذي نعيش فيه اليوم -في أنحاء الأرض -هو عالم القلق والاضطراب والخوف والأمراض العصبية والنفسية -باعتراف عقلاء أهله ومفكريه وعلمائه ودارسيه، وبمشاهدات المراقبين والزائرين العابرين لأقطار الحضارة الغربية .... وذلك على الرغم من كل ما بلغته الحضارة المادية، والإنتاج الصناعي في مجموعه من الضخامة في هذه الأقطار. وعلى الرغم من كل مظاهر الرخاء المادي التي تأخذ بالأبصار .... ثم هو عالم الحروب الشاملة والتهديد الدائم بالحروب المبيدة، وحرب الأعصاب، والاضطرابات التي لا تنقطع هنا وهناك! إنها الشقوة البائسة المنكودة، التي لا تزيلها الحضارة المادية، ولا الرخاء المادي ، ولا يسر الحياة المادية وخفضها ولينها في بقاع كثيرة. وما قيمة هذا كله إذا لم ينشئ في النفوس السعادة والرضي والاستقرار والطمأنينة؟

إنها حقيقة تواجه من يريد أن يرى ولا يضع على عينيه غشاوة من صنع نفسه كي لا يرى! حقيقة أن الناس في أكثر بلاد الأرض رخاء عاما .... في أمريكا، وفي السويد، وفي غيرهما من الأقطار التي تفيض رخاء ماديا .... أن الناس ليسوا سعداء .... أنهم قلقون يطل القلق من عيونهم وهم أغنياء! وأن الملل يأكل حياتهم وهم مستغرقون في الإنتاج! وأنهم يغرقون هذا الملل في العربدة والصخب تارة. وفي «التقاليع» الغريبة الشاذة تارة. وفي الشذوذ الجنسي والنفسي تارة. ثم يحسون بالحاجة إلى الهرب. الهرب من أنفسهم. ومن الخواء الذي يعشش فيها! ومن الشقاء الذي ليس له سبب ظاهر من مرافق الحياة وجريانها. فيهربون بالانتحار.

ويهربون بالجنون. ويهربون بالشذوذ! ثم يطاردهم شبح القلق والخواء والفراغ ولا يدعهم يستريحون أبدا! لماذا؟
السبب الرئيسي طبعا هو خواء هذه الأرواح البشرية الهائمة المعذبة الضالة المنكودة - على كل ما لديها من الرخاء المادي - من زاد الروح .. من الإيمان .... من الاطمئنان إلى اللّه .... وخواؤها من الأهداف الإنسانية الكبيرة التي ينشئها ويرسمها الإيمان باللّه، وخلافة الأرض وفق عهده وشرطه.

ويتفرع من ذلك السبب الرئيسي الكبير .... بلاء الربا .... بلاء الاقتصاد الذي ينمو ولكنه لا ينمو سويا معتدلا بحيث تتوزع خيرات نموه وبركاتها على البشرية كلها. إنما ينمو مائلا جانحا إلى حفنة الممولين المرابين، القابعين وراء المكاتب الضخمة في المصارف، يقرضون الصناعة والتجارة بالفائدة المحددة المضمونة ويجبرون الصناعة والتجارة على أن تسير في طريق معين ليس هدفه الأول سد مصالح البشر وحاجاتهم التي يسعد بها)(١)

---

١ – [في ظلال القرآن ـ ١/ ٣٢٦]

ويقول أيضا – رحمه الله -يا للهول! حرب من اللّه ورسوله .... حرب تواجهها النفس البشرية .... حرب رهيبة معروفة المصير، مقررة العاقبة .... فأين الإنسان الضعيف الفاني من تلك القوة الجبارة الساحقة الماحقة؟! ولقد أمر رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم -عامله على مكة بعد نزول هذه الآيات التي نزلت متأخرة أن يحارب آل المغيرة هناك إذا لم يكفوا عن التعامل الربوي. وقد أمر -صلى اللّه عليه وسلم - في خطبته يوم فتح مكة بوضع كل ربا في الجاهلية - وأوله ربا عمه العباس - عن كاهل المدينين الذي ظلوا يحملونه إلى ما بعد الإسلام بفترة طويلة ، حتى نضج المجتمع المسلم ، واستقرت قواعده ، وحان أن ينتقل نظامه الاقتصادي كله من قاعدة الربا الوبيئة. وقال صلى اللّه عليه وسلم في هذه الخطبة:

«وكل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين. وأول ربا أضع ربا العباس» .. ولم يأمرهم برد الزيادات التي سبق لهم أخذها في حال الجاهلية.

فالإمام مكلف -حين يقوم المجتمع الإسلامي -أن يحارب الذين يصرون على قاعدة النظام الربوي ، ويعتون عن أمر اللّه ، ولو أعلنوا أنهم مسلمون. كما حارب أبو بكر -رضي اللّه عنه - مانعي الزكاة ، مع شهادتهم أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه، وإقامتهم للصلاة. فليس مسلما من يأبى طاعة شريعة اللّه، ولا ينفذها في واقع الحياة! على أن الإيذان بالحرب من اللّه ورسوله أعم من القتال بالسيف والمدفع من الإمام. فهذه الحرب معلنة -كما قال أصدق القائلين - على كل مجتمع يجعل الربا قاعدة نظامه الاقتصادي والاجتماعي. هذه الحرب معلنة في صورتها الشاملة الداهمة الغامرة. وهي حرب على الأعصاب والقلوب. وحرب على البركة والرخاء. وحرب على السعادة والطمأنينة .... حرب يسلط اللّه فيها بعض العصاة لنظامه ومنهجه على بعض. حرب المطاردة والمشاكسة.

حرب الغبن والظلم... حرب القلق والخوف.... وأخيرا حرب السلاح بين الأمم والجيوش والدول. الحرب الساحقة الماحقة التي تقوم وتنشأ من جراء النظام الربوي المقيت. فالمرابون أصحاب رؤوس الأموال العالمية هم الذين يوقدون هذه الحروب مباشرة أو عن طريق غير مباشر. وهم يلقون شباكهم فتقع فيها الشركات والصناعات.

ثم تقع فيها الشعوب والحكومات. ثم يتزاحمون على الفرائس فتقوم الحرب! أو يزحفون وراء أموالهم بقوة حكوماتهم وجيوشها فتقوم الحرب! أو يثقل عبء الضرائب والتكاليف لسداد فوائد ديونهم، فيعم الفقر والسخط بين الكادحين والمنتجين، فيفتحون قلوبهم للدعوات الهدامة فتقوم الحرب! وأيسر ما يقع - إن لم يقع هذا كله - هو خراب النفوس ، وانهيار الأخلاق ، وانطلاق سعار الشهوات ، وتحطم الكيان البشري من أساسه ، وتدميره بما لا تبلغه أفظع الحروب الذرية الرعيبة! إنها الحرب المشبوبة دائما. وقد أعلنها اللّه على المتعاملين بالربا .... وهي مسعرة الآن تأكل الأخضر واليابس في حياة البشرية الضالة وهي غافلة تحسب أنها تكسب وتتقدم كلما رأت تلال الإنتاج المادي الذي تخرجه المصانع .... وكانت هذه التلال حرية بأن تسعد البشر لو أنها نشأت من منبت زكي طاهر ولكنها -وهي تخرج من منبع الربا الملوث -لا

تمثل سوى ركام يخنق أنفاس البشرية، ويسحقها سحقا في حين تجلس فوقه شرذمة المرابين العالميين، لا تحس آلام البشرية المسحوقة تحت هذا الركام الملعون! لقد دعا الإسلام الجماعة المسلمة الأولى، ولا يزال يدعو البشرية كلها إلى المشرع الطاهر النظيف، وإلى التوبة من الإثم والخطيئة والمنهج الوبئ: «وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوالِكُمْ. لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ» .... فهي التوبة عن خطيئة. إنها خطيئة الجاهلية. الجاهلية التي لا تتعلق بزمان دون زمان، ولا نظام دون نظام. (١)

الأسباب الاقتصادية للفقر:

*على المستوى الوطني: عادة ما يكون الفقر على مستوى الدولة مصحوبا بانخفاض في الدخل الفردي وعدم المساواة في توزيعه. ويمكن تقسيم الأسباب الاقتصادية إلى مباشرة وغير مباشرة (٢)

أ-المباشرة: تلك العوامل ذات الأثر المباشر على متوسط الدخل المتولد على المستوى الوطني وعلى نمط توزيع الدخل في الاقتصاد.

ب-غير المباشرة: هي التي تعمل من خلال الآثار المباشرة، والتي تتمثل في أربعة أسباب: (٣)

- انخفاض معدل النمو السنوي في نصيب الفرد من الناتج الوطني الإجمالي.

- انخفاض إنتاجية العمال.

- ارتفاع معدل أعباء الإعالة

- عدم المساواة في توزيع الدخل

وسنحاول التطرق إلى هذه الأسباب بشيء من التفصيل، بالنسبة للسبب الأول ، والمتمثل في انخفاض معدل النمو السنوي في نصيب الفرد من الناتج المحلي، الذي يؤدي إلى انخفاض في الإنتاج وتوليد الدخل، ومن ثم ارتفاع في الفقر، فعلى سبيل المثال خلال الفترة ١٩٧٠-١٩٩٩ كان متوسط معدل النمو السنوي لنصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي سالبا بنسبة بسيطة في الجزائر، وبلغ١,٥ % في المغرب، و٣,٢ % في تونس ، ونتيجة لذلك ارتفع معدل البطالة من ١٢ % عام ١٩٩٠ إلى ١٨,٨ % عام٢٠٠٠ متراوحا ما بين ١,٥ % في تونس

---

١ – في ظلال القرآن ،(ج ١ ، ص : ٣٣١/٣٣٠)

٢ – كريمة كريم، دراسات في الفقر والعولمة، مصر والدول العربية، مصر، المجلس الأعلى للثقافة (٢٠٠٥، ص٤١٠).

٣ – نفس المرجع السابق،ص٤١١).

و ٣٠ % في الجزائر وكان الفقر واسع الانتشار خلال التسعينات، فقد ازدادت حالات تفشي الفقر فعلا في كل من الجزائر والمغرب بينما تجمدت على حالها في تونس . ([1])

والعوامل التي يقوم عليها هذا السبب المباشر هي: ارتفاع معدل النمو السكاني، وعدم سلامة سياسات الاقتصاد الكلي، والعوامل الخارجية التي تؤثر في إمكانية الحصول على الموارد على مستوى الدولة وهذه العوامل الخارجية هي: ([2])

- تدهور شروط التجارة، وعبء الدين، والحروب ونقص التعاون الإقليمي والدولي وكذلك عدم سلامة السياسات الحكومية (السياسة النقدية والمالية مثلا).

أما السبب الثاني يمكن إرجاعه إلى انخفاض إنتاجية العمالة وتبين النظرية النيوكلاسيكية وجود علاقة نسبية بين الإنتاجية الحدية للعمال والأجور، وتتأثر إنتاجية العمال بثلاث عوامل هي: ([3])

- إمكان الحصول على التعليم.

- إمكان الحصول على الخدمات الصحية.

- إمكان الحصول على الأصول والائتمان.

السبب الثالث يتمثل في معدل عبء الإعالة، والذي يشير إلى عدد الأفراد الذين يعولهم كل عامل في المتوسط. وهناك علاقة مباشرة بين قيمة معدل عبء الإعالة في الدولة وبين مستوى الفقر فيها، بافتراض ثبات إنتاجية العمل، ويتأثر هذا المعدل بثلاث أسباب غير مباشرة للفقر وهي: ([4])

- معدل مشاركة القوى العاملة.

-مشاركة المرأة في القوى العاملة.

- البطالة.

بالنسبة للسبب الرابع يمكن تلخيصه في توزيع الدخل، والذي يتأثر بدوره بسببين غير مباشرين هما:

- عدم المساواة في توزيع الأصول المادية، والمالية بين السكان.

---

[1] – بول شابرييه، إستراتيجية نمو لمنطقة شمال إفريقيا، نهج إقليمي، مجلة التمويل والتنمية، ديسمبر ٢٠٠١،(مجلد٣٨، الع دد٤،ص)٢٦

[2]– كريمة كريمة، مرجع سبق ذكره. (ص: ٤١٢).

[3] – كريمة كريمة، مرجع سبق ذكره. (ص)٤١٣.

[4] – نفس المكان.

- عدم كفاية التحويلات إلى الفقراء

و تميل الدراسات التي مولتها الوكالات المتخصصة التابعة لمنظومة الأمم المتحدة إلى أن التنمية الريفية، سوق العمل، التعليم ...الخ، السبب الرئيسي للفقر في منطقة الوطن العربي ومن أهمها الاعتقاد السائد بأن الفقر من مكونات البنى والعمليات الاجتماعية والاقتصادية التي تساهم في خلق الثروة، وهي ذاتها التي تساهم أيضا في إنتاج الفقر ([1]).

****

الفصل الثاني: الإصلاح الاجتماعي

أخي المسلم بعد أن عرجنا على بعض صور الفساد الاجتماعي وتعرفنا أيضا على بعض تلك الأسباب هيا لنتعرف على وسائل الإصلاح وكيف يرقى المسلم بمجتمعه وبأُمته؟ ويكيف يحدث الوئام بين الأفراد والأسر والمجتمعات؟

وكيف تختفي مظاهر الفرقة والاختلاف؟ و كيف يصبح المجتمع المسلم كما صوره لنا النبي – صلى الله عليه وسلم – كالجسد الواحد اذا اشتكى من عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ([2]) فأنت إذا أحسست بألم في أطراف شيء من أعضائك فإن هذا الألم يسري على جميع البدن كذلك ينبغي أن تكون للمسلمين هكذا إذا اشتكى أحد من المسلمين فكأنما الأمر يرجع إليك أنت .

---

[1] – تقرير اجتماعات الخبراء القضاء على ظاهرة الفقر، وتوفير سبل العيش المستدام في الدول العربية، دمشق، سوريا، فيفري١٩٩٦، ص٥٣.

[2] – أخرجه الحميدي (٩١٩). و"أحمد" ٢٦٨/٤(١٨٥٤٥) و"البخاري" ١١/٨(٦٠١١) و"مسلم"٢٠/٨(٦٦٧٨)

١-إصلاح الأسرة واعلم علمني الله وإياك : أن الإصلاح الاجتماعي للأسرة يبدأ من اللحظة الأولى ألا و هي لحظة اختيار شريك الحياة فحتى تكون الأسرة صالحة مصلحة لابد أن تقوم على أساس متين من كتاب رب العالمين و سنة النبي الأمين

أولا: الزوجة الصالحة: عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدّين تربت يداك». «(١)
هذه هي أهم خطوة في طريق بناء الأسرة، فزوجة الرجل هي رفيقة عمره وأمينة سرِّه، وأم ولده وألصق شيء بنفسه وحسِّه، ولهذا كان على الزوج حين يريد ويعزم على اختيار شريكة حياته أن يتحرَّى عن الأسس التي تساعد على استقرار الحياة الزوجية ووقايتها من الاضطراب والانحلال، وتمكنه من حسن اختيار شريكة حياته لأن سعادة الإنسان وتعاسته يكون رهن هذا الاختيار، الذي ينبغي أن يخضع لمنطق العقل لا لحكم الهوى، وأن يصدر عن حكمه وروية، وذلك لأن من أكثر وأهم مشكلات الزواج يكون نتيجة التسرع في اختيار شريك أو شريكة حياة دون معرفة وبحث دقيق، فلهذا يجب بذل المزيد من الجهد في سبيل حسن اختيار الأم لما لها من أثر عميق ودور كبير في حياة الأسرة وتماسك بنيانها، فالأم الصالحة تنشئ أطفالاً متكاملين في تكوينهم العقلي والخلقي والنفسي والجسمي " (٢)

على المسلم أن يختار لأبنائه الأم المسلمة التي تعرف حق ربها، وحق زوجها، وحق ولدها، والأم التي تعرف رسالتها في الحياة، الأم التي تعرف موقعها في هذه المحن، الأم التي تغار على دينها، وعلى سنة نبيها -صلى الله عليه وسلم - .

وذلك لأن الأم هي المصنع الذي سيصنع فيه أبناؤك وهي المدرسة التي سيتخرجون منها فإن كانت صالحة أرضعتهم الصلاح والتقوى، وإن كانت غير ذلك فكذلك.

وصدق الشاعر حافظ إبراهيم إذ يقول:

لا تحسبنَّ العلم ينفعُ وحدهُ مالم يتوَّج ربُّهُ بخلاقِ

منْ لي بتربية النساءِ فإنَّها في الشرق علَّةُ ذلك الإخفاق

الأم مدرسةٌ إذا أعددتها أعددت شعباً طيّب الأعراقِ

---

١ – رواه البخاري في كتاب: النكاح، باب: الأكفاء في الدين (٥٠٩٠). و رواه مسلم في كتاب: الرضاع، باب: استحباب نكاح ذات الدين (٣٦٢٠). و رواه أبو داود في كتاب: النكاح، باب: ما يؤمر به من تزويج ذات الدين (٢٠٤٧). و رواه النسائي في كتاب: النكاح، باب: كراهية تزويج الزناة (٣٢٣٠). و رواه ابن ماجه في كتاب: النكاح، باب: تزويج ذات الدين (١٨٥٨).

٢ – سهام مهدي جبار،الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية ،ص ١٠٥–١٠٦

الأم روضٌ تعهّدهُ الحيا بالريّ، أورقَ أيَّما إيراق

الأمُّ أستاذُ الأساتذةِ الألى شغلت مآثرهم مدى الآفاق

فالنساء محاضن الأبطال ومدرسة إعداد الرجال وبصلاحها يكون صلاح الأسرة وبفسادها يكون دمار الأسرة.

وقد تغنى الشعراء بأوصاف المرأة الصالحة قال بعضهم:

وأول إحساني إليكم تخيري لما جدة الأعراق بادٍ عقافها

وقال بعضهم لبنيه «قد أحسنت إليكم صغاراً، وكباراً، وقبل أن تولدوا» قالوا له: «وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد ؟ »

فأجاب: «اخترت لكم من الأمهات من لا تسبون بها».

وقيل إن فاطمة بنت الخرشب رمت نفسها من الهودج حين أسرت، فماتت لساعتها وهي تقول: «المنية ... ولا الدنية».

وقال أحدهم: لا أتزوج امرأة حتى انظر الى ولدي منها، قيل له: كيف ذلك؟

قال: أنظر إلى أبيها وأمها.

فإنها تجر بأحدهما.

وأول خبث الماء خبث ترابه وأول خبث القوم خبث المناكح

يقول ابن قتيبة: بين أسدي وامرأة عن رجل من بني أسدٍ قال: أضللت إبلاً لي، فخرجت في طلبهنّ، فهبطت وادياً وإذا أنا بفتاةٍ أعشى نور وجهها نور بصري؛ فقالت لي: يا فتى، ما لي أراك مدلّها؟

فقلت: أضللت إبلاً لي فأنا في طلبها.

قالت: أفأدلّك على من هي عنده وإن شاء أعطاكها؟

قلت: نعم ولك أفضلهنّ.

قالت: الذي أعطاكهنّ أخذهنّ وإن شاء ردهنّ، فسله من طريق اليقين لا من طريق الإختبار. فأعجبني ما رأيت من جمالها وحسن كلامها، فقلت: ألك بعلٌ؟

قالت: قد كان، ودعي فأجاب فأعيد إلى ما خلق منه.

قلت: فما قولك في بعل تؤمن بوائقه، ولا تذمّ خلائقه؟

رفعت رأسها وتنفّست وقالت:

كنا كغصنين في أصل غذاؤهما ماء الجداول في روضات جنات

فاجتث خيرهما من جنب صاحبه دهرٌ يكر بفرحات وترحات

وكان عاهدني إن خانني زمن ألا يضاجع أنثى بعد مثواتي

وكنت عاهدته أيضا فعالجه ريب المنون قريبا مذ سُنيات

فاصرف عنانك عمن ليس يردعه عن الوفاء خلاب في التحيات(١)

هذه قصة امرأة ذات وفاء وإيمان، غرسه الإسلام في نفسها مع التقوى.

ثانيا الزوج الصالح المصلح : كثيرا من الناس من يهمل اختيار الزوج الصالح لابنته فهو يبحث لابنته عمن هو يملك الأموال و الأطيان و إن كان عاصيا للملك لديان ، أو من هو صاحب وظيفة مرموقة و إن كان لا يحسن الصلاة فالواجب على الآباء و الأمهات أن يختاروا لبناتهن الأزواج الصالحين لان البنت عند أبيها أمانة يجب ألا يضعها إلا في مكان يصونها فيه و تكون في مأمن من الفتن حالهم حال سيد التابعين سعيد بن المسيب رحمه الله - ن ابن حرملة من ابن أبي وداعة قال :كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً ، عندما جئته قال : أين كنت ؟!
قال : توفيت أهلي فاشتغلت بها .
فقال : ألا أخبرتنا فشهدناها ؟
قال: ثم أردت أن أقوم، فقال: هل استحدثت امرأة ؟
فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟!
فقال: أنا.
فقلت : أو تفعل ؟
قال : نعم .
ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين .أو قال : ثلاثة .
قال : فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح ، فصرت إلى منزلي وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن استدين ، فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلي ، واسترحت ، وكنت وحدي صائماً فقدمت عشائي أفطر كان خبزاً وزيتاً ، فإذا بآت يقرع ،

---

١ – عيون الأخبار ص: ٣٨٣،

فقلت : من هذا ؟
قال : سعيد .
قال : فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد ، فقمت فخرجت فإذا سعيد بن المسيب ، فظنت أنه قد بدا له فقلت : يا أبا محمد ، ألا أرسلت إلي فآتيك ؟!
قال : لأنت أحق أن تؤتى .
قال : قلت : فما تأمر ؟
قال: إنك كنت رجلاً عزباً فتزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك.
فإذا هي قائمة من خلفه في طوله ، ثم أخذها بيدها فدفعها بالباب ورد الباب فسقطت المرأة من الحياء ، فاستوثقت من الباب ثم قدمتها إلى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت إلى السطح ، فرميت الجيران ، فجاؤوني ، فقالوا : ما شأنك ؟
قلت : ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها على غفلة ؟
فقالوا : سعيد بن المسيب زوجك ؟
قلت : نعم ، وها هي في الدار .
قال: فنزلوا هم إليها وبلغ أمي فجاءت، وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام.
قال: فأقمت ثلاثة أيام ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس، وإذا هي أحفظ الناس لكتاب الله وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج. قال: فمكثت شهراً لا يأتيني سعيد ولا آتيه ، فلما كان قرب الشهر أتيت سعيداً وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تقوض أهل المجلس ، فلما لم يبق غيري ، قال : ما حال ذلك الإنسان ؟

قلت: خيراً يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو.

قال: إن رابك شيء فالعصا فانصرفت إلى منزلي فوجه إلي بعشرين ألف درهم.
قال عبدالله بن سليمان: وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبدالملك بن مروان لابنه الوليد بن عبدالملك حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبدالملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف.

قال عبد الله: وابن أبي وداعة هذا هو كثير بن المطلب بن أبي وداعة. أ هـ (١).

فسعيد –رحمه الله –رفض ابن الخليفة صاحب الأموال والمنصب والمكانة الاجتماعية ولم يزوجه ابنته وزوجها لطالب لا يملك من حطام الدنيا شيء فسعيد رحمه الله-علم أنه مسؤول عن ابنته يوم القيامة.

---

١ – الحلية لأبي نعيم (٢/١٦٧- ١٦٨)

وها هي صفات الزوج الصالح كما جاء ذلك في كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -

أولا: الدين :حيث إن المسلم العارف بدينه، الملتزم بأوامره ونواهيه، المتخلق بأخلاقه، المتأدب بآدابه وتعاليمه، يحفظ نفسه وأهله، ويصونهم عن الشبهات، ويراقب الله فيهم ويتقيه في سائر أعماله. كما أن هذا المؤمن إذا أحب زوجته أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها، لأنه ملتزم بكتاب الله الذي قال} : {فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} [البقرة: ٢٢٩]. كما أنه يعلم أن امرأته بشر وليست معصومة، فيقدر أن يجد منها بعض ما لا يعجبه، فيتحمل ذلك، عن عمر بن الحكم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر.(١)

عن سهل بن سعد الساعدي، قال: مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل.

فقال النبي: ما تقولون في هذا؟

قالوا: رأيك في هذا؟

نقول: هذا من أشرف الناس، هذا حري، إن خطب، أن يخطب، وإن شفع، أن يشفع، وإن قال: أن يسمع لقوله، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، ومر رجل آخر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما تقولون في هذا؟

قالوا: نقول: والله يا رسول الله، هذا من فقراء المسلمين، هذا حري، إن خطب، لم ينكح، وإن شفع، لا يشفع، وإن قال، أن لا يسمع لقوله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لهذا خير من ملء الأرض مثل هذا. (٢)

ثانيا: حسن الخلق: إذا فازت المرأة برجل حسن الخلق، فقد فازت برجل من أكمل المؤمنين إيمانًا .قال: صلى الله عليه وسلم :-أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم (٣).

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض.)(٤)

---

١ –– أخرجه أحمد ٣٢٩/٢(٨٣٤٥). و"مسلم" ٣٦٣٩ و"أبو يعلى" ٦٤١٨

٢ – أخرجه البخاري ٩/٧(٥٠٩١). و"ابن ماجة" ٤١٢٠

٣ – أخرجه ابن أبي شيبة ٣٢٧/٨(٢٥٣٠٩) و"أحمد" ٢٥٠/٢(٧٣٩٦) و"أبو داود" ٤٦٨٢ و"الترمذي" ١١٦٢ و"أبو يعلى" ٥٩٢٦

٤ – أخرجه ابن ماجة (١٩٦٧) و"الترمذي" ١٠٨٤، وقال الألباني: حسن، الإرواء (١٦٦٨)، الصحيحة (١٠٢٢)

وصاحب الخلق الحسن ينصف زوجته من نفسه، ويعرف لها حقها، ويعينها على أمور دينها ودنياها، ويدعوها دائمًا إلى الخير، ويحجزها عن الشر، والرجل إذا كان حسن الخلق، فلن يؤذي زوجته، ولن تسمع منه لفظًا بذيئًا، يؤذي سمعها، ولا كلمة رديئة تخدش حياءها، ولا سبًّا مقذعًا يجرح كبرياءها، ويهين كرامتها.

والرحمة من أهم آثار حسن الخلق، فلابد للمرأة من زوج، يرحم ضعفها، ويجبر كسرها، ويبش في وجهها، ويفرح بها ويشكرها ويكافئها إن أحسنت، ويصفح عنها، ويغفر لها إن قصَّرتْ، فالمرأة الصالحة تنصلح بالكلمة الطيبة دون غيرها.

ومن أهم مظاهر حسن الخلق في الزواج، ألا يغرِّر الزوج بزوجته، فالمسلم لن يخفي عيبًا في نفسه، ولن يتظاهر أمامها بما ليس فيه، كأن يخفي نسبًا وضيعًا، أو فقرًا مدقعًا، أو سنًّا متقدمة، أو زواجًا سابقًا أو قائمًا، أو علمًا لم يحصِّله، أو غير ذلك. أو أن يغير من خلقته باستعمال أدوات التجميل؛ ليحسنها أو ليظهر في سن أصغر من سنِّه.

فالتغرير ليس من أخلاق الإسلام، كما أنه محرم شرعًا. عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من غشنا فليس منا)([1])

عن جبير بن نفير، عن سفيان بن أسيد الحضرمي، قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب. ([2])

ثالثا: الباءة :وهي القدرة على تحمل مسؤوليات الزواج وأعبائه من النفقة والجماع عن عبد الله قال: قال لنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) ([3])

فمن يعجز عن الإنفاق على نفسه وأهله؛ قد يضيع من يعول، ويعرض نفسه وأهله لألم الحاجة، وذلِّ السؤال.

ومن عجز عن الجماع، فقد عجز عن إعفاف المرأة وإحصانها، ورجاء الولد من مثله مقطوع.

والمرأة قد لا تحتمل الصبر أمام عجز زوجها عن إعفافها، كما أن الزوج قد لا يقدر على تحمل فتور زوجته. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا ضرر ولا ضرار، من ضار ضاره الله، ومن شاق شاق الله عليه » ([4])

---

[1] – أخرجه مسلم ح ١٦٤ – (١٠١) ، (و أحمد ح) ٩٣٨٥الحاكم في مستدركه ج ٢/ ص ١٢ حديث ح: ٢١٥٥

[2] – أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) ٣٩٣ ، وأبو داود (٤٩٧١)و قال الألباني :ضعيف ، الضعيفة (١٢٥١)

[3] – أخرجه أحمد (٣٧٨/١، رقم ٣٥٩٢)، والبخاري (١٩٥٠/٥، رقم ٤٧٧٨)، ومسلم (١٠١٨/٢، رقم ١٤٠٠)، وأبو داود (٢١٩/٢، رقم ٢٠٤٦) ، والترمذي (٣٩٢/٣ ، رقم ١٠٨١) ، والنسائي (١٧٠/٤ ، رقم ٢٢٤٢) ، وابن ماجه (٥٩٢/١، رقم ١٨٤٥)، وابن حبان (٣٣٥/٩، رقم ٤٠٢٦).

[4] – أخرجه أحمد (٣١٣/١، رقم ٢٨٦٧)، وابن ماجه (٧٨٤/٢، رقم ٢٣٤١) قال البوصيرى (٤٨/٣): هذا إسناد فيه جابر (يعنى الجعفى) وقد اتهم. والطبراني (٢٢٨/١١، رقم ١١٥٧٦).

رابعا الكفاءة :الحق أن انتظام مصالح الحياة بين الزوجين لا يكون عادة إلا إذا كان هناك تكافؤ بينهما؛ فإذا لم يتزوج الأكفاء بعضهم من بعض لم تستمر الرابطة الزوجية، بل تتفكك المودة بينهما، وتختل روابط المصاهرة أو تضعف، ولا تتحقق بذلك أهداف الزواج الاجتماعية، ولا الثمرات المقصودة منه.
وقد أشارت بعض النصوص النبوية إلى اعتبار معنى الكفاءة بين الزوجين عند التزويج، ومن ذلك ما جاء عن علي -رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له :ثلاث لا تؤخرهن : الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت، والأيم إذا وجدت كفؤًا(١)

عن عروة ، عن عائشة. قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تخيروا لنطفكم وانكحوا الاكفاء ، وانكحوا اليهم.وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض)(٢).
خامسا وحسن أن يكون ذا مال يُعفّ به نفسه وأهل بيته ، فاطمة بنت قيس تقول قال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا حللت فآذنيني فآذنته فخطبها معاوية وأبو الجهم بن صخير وأسامة بن زيد فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم أما معاوية فرجل ترب لا مال له وأما أبو الجهم فرجل ضراب للنساء ولكن أسامة فقالت بيدها هكذا أسامة أسامة فقال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم طاعة الله وطاعة رسوله خير لك قالت فتزوجته فاغتبطت به * (٣).

ولا يشترط أن يكون صاحب تجارة وغنى، بل يكفي أن يكون له دخْل أو مال يعفّ به نفسه وأهل بيته ويغنيهم عن الناس.

وإذا تعارض صاحب المال مع صاحب الدين فيقدّم صاحب الدين على صاحب المال -ويستحب أن يكون لطيفا رفيقا بالنساء، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة بنت قيس في الحديث السابق: (أما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه) إشارة إلى أنّه يُكثر ضرب النّساء .

ثالثا استشعار المسؤولية الملقاة على عاتق الوالدين:

اعلم علمني الله و إياك : أن مسؤولية الآباء و الأمهات تجاه الأبناء مسؤولية عظيمة و هي مسؤولية ثقيلة يقول الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: ٦]أي يا أيها الذين صدّقوا باللّه تعالى ورسوله - صلى اللّه عليه وسلم-، أدبوا أنفسكم وعلموها، واتخذوا لها وقاية من النار، وحافظوا عليها بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه، وعلّموا أهليكم وأمروهم بطاعة اللّه وانهوهم عن معاصيه، وانصحوهم وأدبوهم حتى لا تصيروا معهم إلى النار

---

١ – خرجه البخاري في " التاريخ " (١ / ١ / ١٧٧)، والترمذي (١ /٢١٥ / ١٧١)، وابن ماجه (١ / ٤٧٦ / ١٤٨٦)، وابن حبان في " الضعفاء " (١ /٣٢٣)، وأحمد (١ / ١٠٥) ، وعنه الحاكم (٢ / ١٦٢ – ١٦) و قال الألباني في السلسلة الضعيفة : ضعيف رقم ٥٧٥١

٢ – رواه الترمذي ٨٦٦ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ١٠٨٤

٣ – رواه مسلم ١٤٨٠، عبد بن حميد في مسنده ج ١/ ص ٤٥٨ حديث رقم: ١٥٨٤

العظيمة الرهيبة التي تتوقد بالناس وبالحجارة، كما يتوقد غيرها بالحطب. قال قتادة: تأمرهم بطاعة اللّه وتنهاهم عن معصية اللّه، وأن تقوم عليهم بأمر اللّه وتأمرهم به، وتساعدهم عليه، فإذا رأيت معصية، قذعتهم عنها، وزجرتهم عنها.

ونظير الآية قوله تعالى: وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها [طه ٢٠/ ١٣٢] وقوله سبحانه مخاطبا نبيه: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [الشعراء ٢٦/ ٢١٤].
عن عبد اللّه بن عمرو عن النبي صلى اللّه عليه وسلم: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع». (١)

وقال صلى اللّه عليه وسلم فيما رواه الترمذي والحاكم عن عمرو بن سعيد بن العاصي: «ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن». (٢)

وروى أحمد وأبو داود والترمذي من حديث عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده (أي سمرة بن جندب) قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين، فاضربوه عليها».)(٣)

وقال الضحاك ومقاتل: حق على المسلم أن يعلّم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما فرض اللّه عليهم، وما نهاهم اللّه عنه. وقال ابن جرير: فعلينا أن نعلّم أولادنا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الأدب.

والمراد بالناس الكفار، وبالحجارة: الأصنام التي تعبد من دون اللّه، لقوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ} [الأنبياء ٢١/ ٩٨]، والأهل: هم الزوجة والأولاد والخدم.

و كما كان النبي –صلى الله عليه وسلم يعلم الأبناء طاعة و مراقبة رب الأرض و السماء كما صح عند الإمام عن ابن عباس، قال: كنت خلف رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يوما فقال: يا غلام ، اني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت ، فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف. (٤).
وكان يؤدب أصحابه على عدم الكذب على أبنائهم و يحذرهم من ذلك عن عبد الله ابن عامر انه

---

١ – أخرجه أحمد ٢/١٨٠(٦٦٨٩) قال: حدثنا وكيع. وفي ٢/١٨٧(٦٧٥٦) قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمان الطفاوي، وعبد الله بن بكر السهمي، المعنى واحد. و"أبو داود" ٤٩٥

٢ – عبد بن حميد في مسنده ج ١/ ص ١٤١ حديث رقم: ٣٦٢ قال الشيخ الألباني: (ضعيف) انظر حديث رقم: ٥٢٢٧ في ضعيف الجامع

٣ – خرجه أحمد ٣/٤٠٤ (١٥٤١٤). و"الدارمي" ١٤٣١ و"أبو داود" ٤٩٤

٤ – أخرجه عبد بن حميد (٦٣٦) الترمذي (٢٥١٦) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن صحيح، أحمد (١/ ٢٩٣، ٣٠٣) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٤/ ٢٦٩–٢٧٠) حديث (٢٧٦٣) صحيح، المشكاة (٥٣٠٢)، ظلال الجنة (٣١٦ –٣١٨)

قال زارنا رسول الله صلي الله عليه وسلم في بيتنا أنا غلام العب قال فخرجت العب فقالت أمي يا عبد الله تعالى هاك فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما أردت أن تعطيه قالت أردت أن أعطيه تمرا قال انك لو لم تفعليه كتبت عليك كذبه ([1])

رابعا: بروا آباءكم تبركم أبناؤكم: فإن ظاهرة العقوق الموجودة في كثير من بيوت المسلمين إنما هي دين يرد للآباء والأمهات وكما تدين تدان فعن انس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -بابان معجَّلان عقوبتهما في الدنيا البغي والعقوق ([2])

وتأمل في العقوبة عن أبي قزعة -رجل من أهل البصرة -: عنه أو عن غيره قال: (مررنا ببعض المياه التي بيننا وبين البصرة فسمعنا نهيق حمار فقلنا لهم: ما هذا النهيق؟ قالوا: هذا رجل كانت أمه تكلمه بالحسنى فيقول: انهقي نهيقك قال غير إسحاق: فكانت أمه تقول: جعلك الله حمارا فلما مات نسمع هذا النهيق عند قبره كل ليلة) ([3])

والجزاء من جنس العمل: قال الأصمعي: «حدثني رجل من الأعراب قال: خرجت من الحي أطلب أعق الناس، وأبر الناس، فكنت أطوف بالأحياء، حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل يستقي بدلو لا تطيقه الإبل في الهاجرة والحر شديد وخلفه شاب في يده رشاء «[4]» من قد «[5]» ملوي يضربه به، قد شق ظهره بذلك الحبل، فقلت: أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيف؟ أما يكفيه ما هو فيه من هذا الحبل حتى تضربه؟ قال: إنه مع هذا أبي. قلت: فلا جزاك الله خيرا. قال: اسكت فهكذا كان هو يصنع بأبيه، وهكذا كان يصنع أبوه بجده. فقلت: هذا أعق الناس» ([6])

فالواجب على الآباء أن يغرسوا في نفوس أبنائهم فضل البر وجزاؤه عند الله و يحذرهم من العقوق و أنه دين لابد أن يعجله الله تعالى لأصحابه في الدنيا مع ما يدخر لهم من العقوبة في الأخرة.

البر بالوالدين أو أحدهما من صفة الأنبياء:

---

[1] – أخرجه أبو داود (٢ / ٣١٣) وأحمد (٣ / ٤٤٧) والضياء المقدسي في " المختارة" (٥٨ / ١٨٤ / ١) والخرائطي أيضا في " مكارم الأخلاق " (ص ٣٣) البيهقي في سننه الكبرى ج ١٠/ ص ١٩٨ حديث رقم: ٢٠٦٢٨، الألباني: حسن، الصحيحة (٧٤٨)

[2]– خرجه الحاكم (١٩٦/٤، رقم ٧٣٥٠) وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه أيضًا: البخاري في الأدب المفرد (٣٠٨/١، رقم ٨٩٤). وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٨٠٧

[3]– [مجابو الدعوة ص: ٨٩]

[4] – الرشاء: الحبل.

[5] – القد: السوط، وهو في الأصل سير يقد أي يقطع من جلد مدبوغ

[6] –مساوئ الأخلاق (٢٥٢).

١- {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا } [مريم: ١٢ - ١٥] »

٢- { يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا } [مريم: ٢٨ - ٣٣]

بر الوالدين والإحسان إليهما مما أمر به المولى-عز وجل-:

ويقول الله تعالى {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (} [البقرة: ٨٣]

ويقول الله تعالى {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا } [النساء: ٣٦] يقول الله تعالى {قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١٥٠) قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [الأنعام: ١٥٠، ١٥١]

ويقول الله تعالى {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء: ٢٣، ٢٤] ويقول الله تعالى {} وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [لقمان: ١٤، ١٥]

ويقول الله تعالى {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦) وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

(١٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ } [الأحقاف: ١٥ - ١٨] عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: «الصلاة على وقتها». قال: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين». قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»)(١)

عن معاوية بن حيدة-رضي الله عنه-قال: قلت يا رسول الله! من أبر؟

قال: «أمك». قال: قلت: ثم من؟، قال: «أمك». قال: قلت: ثم من؟
قال: «أمك»، قال: قلت: ثم من؟ قال: «ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب» (٢)

عن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-قال: هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اليمن. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هجرت الشرك ولكنه الجهاد. هل باليمن أبواك؟». قال: نعم. قال: «أذنا لك؟» قال: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ارجع إلى أبويك فإن فعلا، وإلا فبرهما» (٣)

عن أبي أسيد الساعدي-رضي الله عنه-قال: فيما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: «نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما» (٤)

إصلاح الأسرة بالتشريعات المناسبة: ومِن ذلك: إصلاح الأسرة بالتشريعات القرآنيَّة المناسِبة لظروفها وأحوالها في الطلاق والنشوز، والإيلاء والظِّهار، وآداب الاستئذان، وحفْظ الفروج وغيرها؛ كما قال - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا * وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ [النساء: ١٩ - ٢٠].

وقال - تعالى -: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ

---

١ – البخاري–الفتح ١٠ (٥٩٧٠). ومسلم (٨٥) واللفظ له.

٢ – الترمذي (١٨٩٧) وقال: حديث حسن. أبو داود (٥١٣٩) وقال محقق جامع الأصول (١/ ٣٩٩): إسناده حسن. والحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

٣ – أبو داود (٥١٤٢). وابن ماجة (٣٦٦٤). وأحمد (٣/ ٤٩٨). والحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٥) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

٤ – الهيثمي في المجمع (٨/ ١٣٨) واللفظ له. وقال: رواه أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣١٥) وقال: رواه أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط وإسنادهما جيد.

وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا * وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤ - ٣٥].

وقال سبحانه:﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاَحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[البقرة: ٢٢٨].

وقال -عزَّ وجلَّ -:﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

وقال -تعالى -:﴿ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[النور: ٥٩].

وقال -تعالى -:﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[المجادلة: ٣ -٤].

رابعا: قضية التبرج و السفور :فقد تعرفنا أن من أخطر قضايا الفساد الاجتماعي قضية التبرج و السفور التي عصفت بالمجتمعات الإسلامية حتى انقلبت الموازين و أضحى التعفف و التستر رجعية جاهلية و أمسى لذلك العفن دعاة و منابر و أقلام مسمومة تبث و تنفث شرها ليل نهار ،لذا وجب على المجتمع الإسلامي أن يعود إلى كتاب ربه و تعاليم دينه و أن يبن للأمة زيف هذه الافتراءات و أن يستشعر كل مسلم بمدى المسؤولية الملقاة على عاتقه لإصلاح مجتمعه يقول الله - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وقال -تعالى -للرِّجال:﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[النور: ٣٠].

وقال في حقِّ النساء: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]وقال - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى ﴾ [الأحزاب: ٣٣].وقال سبحانه: ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ [الإسراء: ٣٢]وقال - تعالى -:

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

لما غاب دور الآباء والأُمهات وأهملوا الأمانة التي حملهم الله تعالى إياها خرجت البنات متبرجات سافرات مائلات مميلات فظهر الزنا والاغتصاب والتحرش الجنسي بالبنات في المدارس والطرقات والجامعات وغير ذلك.

واعلم -علمني الله وإياك-: أن جاء الإسلام بالمحافظة على كرامة المرأة وصيانتها ، ووضعها في المقام اللائق بها وحث على إبعادها عما يشينها أو يخدش كرامتها ، لذلك حرم عليها الخلوة بالأجنبي ونهاها عن السفر بدون محرم ، ونهاها عن التبرج الذي ذم الله به الجاهلية لكونه من أسباب الفتنة بالنساء وظهور الفواحش ، كما قال عز وجل : {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى}والتبرج إظهار المحاسن والمفاتن ، ونهاها عن الاختلاط بالرجال الأجانب عنها ، والخضوع بالقول عند مخاطبتهم حسما لأسباب الفتنة والطمع في فعل الفاحشة كما في قوله سبحانه : {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} والمرض هنا هو مرض الشهوة .

كما أمرها بالحشمة في لباسها وفرض عليها الحجاب لما في ذلك من الصيانة لهن، وطهارة قلوب الجميع فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}[٣] وقال سبحانه : {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ}الآية .

وقد امتثلن -رضي الله عنهن- لأمر الله ورسوله فبادرن إلى الحجاب والتستر عن الرجال الأجانب ، فقد روى أبو داود بسند حسن عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : (لما نزلت هذه الآية خرج نساء الأنصار كأن على رءوسهن الغربان من الأكسية وعليهن أكسية سود يلبسنها))[١]

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها من رأسها فإذا جاوزونا كشفناه)[٢].

حكم التبرج: التبرج محرم في كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-وإجماع المسلمين، فالمرأة كلها عورة لا يصح أن يرى الذين ليسوا من محارمها شيئاً من جسدها ولا شعرها ولا حليها ولا لباسها الباطن.

---

١ – أخرجه أبو داود (٤١٠١) الألباني: صحيح حجاب المرأة المسلمة ص (٣٨)

٢ – رواه أبو داود والأثرم (ص٢٤٧)، وأخرجه أبو داود (١٨٣٣)، وعنه البيهقي (٤٨/٥)، وهما عن أحمد (٣٠/٦)، وابن ماجة (٢٩٣٥)، وابن الجارود (٤١٨) ، والدارقطني (٢٨٦ ، ٢٨٧) ضعيف) المشكاة ٢٦٩٠ ، الإرواء ١٠٢٤ ، ضعيف ابن ماجه بمعناه ٦٣٧

وما تفعله أكثر نساء هذا الزمان من التهتك والتبرج وإظهار الزينة والذهب ما هو إلاّ مجاهرة بالعصيان وتشبه بالنساء الكافرات وإثارة للفتنة.

وذلك أن خروج المرأة وقد كشفت رأسها أو عنقها أو نحرها أو ذراعيها أو ساقيها من أعظم المنكرات المخالفة للشرع المطهر.

وكذلك خروجها بالثياب المظهرة للمفاتن أو الشفافة التي لا تستر ما تحتها فهذا ونحوه كله من التبرج الذي حرمه الله ورسوله.

ومن أعظم الذنوب وأضر الفتن ما تفعله أكثر نساء هذا الزمان من خروجهن من بيوتهن فاتنات مفتونات على حال من التبرج والزينة والطيب وإظهار المفاتن ومخالطة الرجال تسخط الله وتوجب غضبه وحلول نقمته.

الأدلة على تحريم التبرج: جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية اللذان هما المصدران الأساسيان للتشريع الإسلامي جاءت بالنهي عن التبرج وتحريمه والوعيد الشديد عليه لما يترتب عليه من المفاسد فمنها:

١-قول الله تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ) (الأحزاب: من ال آية٣٣) أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة لأنه أسلم وأحفظ لكُنّ. وعنه -صلى الله عليه وسلم-أنه قال: ((إن المرأة عورة فإذا خرجت من بيتها استشرفها (١)الشيطان)) (٢)

ويلاحظ في هذه الآية أن الخطاب موجه لنساء النبي -صلى الله عليه وسلم-خاصة والحقيقة أن الخطاب موجه إلى نساء النبي -صلى الله عليه وسلم-خاصة ولنساء المسلمين عامة؛ ذلك أن نساء النبي -صلى الله عليه وسلم-هن أمهات المؤمنين وهن القدوة الحسنة لغيرهن والنموذج الطيب لنساء المؤمنين جميعاً في كل زمان ومكان.

ويدل على ذلك عموم الأحكام المذكورة قبل هذه الآية وبعدها من عدم الخضوع بالقول للرجال والأمر لهن بالقول المعروف الذي لا مطمع فيه للرجال والنهي عن تبرج الجاهلية الأولى وهو إظهار الزينة والمحاسن، والأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله فإن هذه الأوامر أحكام عامة لنساء النبي -صلى الله عليه وسلم-وغيرهن.

قال القرطبي: معنى هذه الآية (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) الأمر بلزوم البيوت وإن كان الخطاب لنساء النبي -صلى الله عليه وسلم-فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى.

---

١ –استشرفها الشيطان: أي: زينها في نظر الرجال وقيل: رفع البصر إليها ليغويها أو يغوي بها فيوقع أحدهما أو كلاهما في الفتنة.

٢ –الترمذي (١١٧٣) وجامع الأصول (٦/ ٦٦٥): وقال الألباني **(صحيح) انظر حديث رقم: ٦٦٩٠ في صحيح الجامع.**

هذا لو لم يرد دليل يعم جميع النساء كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها إلاّ لضرورة

وذكر أن سودة بنت زمعة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم-قيل لها : لم لا تحجين ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك فقالت : قد حججت واعتمرت وأمرني الله أن أقرَّ في بيتي (قال الراوي فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت جنازتها رضوان الله عليها) وقوله تعالى : (وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) أي : لا تكثرن الخروج متجملات أو متطيبات كعادة أهل الجاهلية الأولى الذين لا علم عندهم ولا دين([1]) .

٢-من أدلة تحريم التبرج قول الله تعالى: (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) (النور: من الآية٣١) والزينة تطلق على ثلاثة أشياء:

(أ) الملابس الجميلة.

(ب) الحلي.

(ج) ما تتزين به النساء عامة في رؤوسهن ووجوههن وغيرها من أعضاء أجسادهن مما يعبر عنه في هذا الزمان بكلمة (التجميل).

فهذه الأشياء الثلاثة هي الزينة التي أمر النساء بعدم إبدائها للرجال إلاّ لمن استثنى الله منهم وقوله تعالى: (إِلَّا مَا ظَهَرَ) أي ما كان ظاهراً لا يمكن إخفاؤه كالثياب الظاهرة والعبادة أو ظهر بدون قصد . وهذه الآية تدل على أن النساء لا يجوز لهن أن يتعمدن إظهار هذه الزينة.

وقال القرطبي: الزينة على قسمين: خلْقية ومكتسبة، فالخلْقية: وجهها فإنه أصل الزينة وجمال الخلقة لما فيه من المنافع وطرق العلوم، وأما الزينة المكتسبة: فهي ما تحاوله المرأة في تحسين خلقتها كالثياب والحلي فهذا كله داخل في قول الله تعالى: (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ).([2])

٣-من أدلة تحريم التبرج قول الله تعالى: (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ) (النور: ٦٠) والقواعد من النساء هن اللاتي بلغن سن اليأس وقعدن عن الحيض والولد لكبرهن بحيث لا يبقى لهن مطمع في الزواج ولا يرغب فيهن الرجال.

وليس المراد بوضع الثياب أن تخلع المرأة كل ما عليها من الثياب فتصبح عارية فلأجل ذلك قد اتفق الفقهاء والمفسرون على أن المراد بالثياب في هذه الآية: الجلابيب التي أمر الله أن تخفى بها الزينة في (آية: ٥٩) من سورة الأحزاب (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِن) .

---

[1] – تفسير القرطبي (١٤/ ١٥٨).

[2] – الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٢٢٩)

وقوله: (غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ) أي غير مظهرات لزينتهن. وحقيقة التبرج: التكلف بإظهار ما يجب إخفاؤه إلاّ أن هذه الكلمة قد اختصت بالمرأة بنهيها أن تتكشف للرجال بإبداء زينتها وإظهار محاسنها.

فمعنى الآية ليس هذا الإذن في وضع الجلابيب والخمر إلاّ لأولئك النساء اللاتي لم يعدن يرغبن في التزين وانعدمت فيهن الغريزة الجنسية ولم يعد يرغب فيهن الرجال، ومع هذا فإن استعفافهن بعدم وضع جلابيبهن خير لهن، فإذا كان هذا الحكم في العجوز فكيف بالشابة التي تفتن الرجال ويفتنون بها.

ولهذا عن أسامة بن زيد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما تركت بعدي على أمتي فتنة ، أضر على الرجال من النساء.))[1].

عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه -قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم "؟ إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء؟" ([2]) .

الوعيد الشديد بالنار وحرمان الجنة للمتبرجات:

من أدلة تحريم التبرج ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-((صنفان من أهل النار ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد مسيرة كذا وكذا)([3])
وهذا تحذير شديد من التبرج والسفور ولبس الرقيق والقصير من الثياب وتحذير شديد من ظلم الناس والتعدي عليهم ووعيد لمن فعل ذلك بحرمان الجنة .

وقوله (لم أرهما) أي في حياته وهذا الحديث من معجزاته -صلى الله عليه وسلم-حيث وجدت النساء الكاسيات بما عليهن من ثياب قصيرة العاريات بما ظهر من أجسادهن، ووجدت النساء الكاسيات بما عليهن من ثياب وخمر شفافة لا تستر ما تحتها فهن عاريات بما يظهر من أجسادهن من وراء تلك الثياب، وشبيه بالعري بل قد يكون أبلغ منه في الفتنة لبس الثوب الضيق الذي يظهر مفاتن المرأة ومعازلها.

ومعنى (مائلات) قيل عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه و (مميلات) يعلمن غيرهن فعلهن المذموم . وقيل: (مائلات) يمتشطن المشطة الميلاء وهي مشطة البغايا و(مميلات) يمشطن

---

[1] – أخرجه الحميدي ٥٤٦. و"أحمد" ٢٠٠/٥(٢٢٠٨٩) و"البخاري" ١١/٧(٥٠٩٦). و"مسلم" ٨٩/٨(٧٠٤٥)

[2] – عبد بن حميد في مسنده ج ١/ ص ٢٧٥ حديث رقم: ٨٦٧ ، أخرجه مسلم ، ٢٤٤/٤.

[3] – أخرجه أحمد (٣٥٥/٢ ، رقم ٨٦٥٠) ، ومسلم (١٦٨٠/٣ ، رقم ٢١٢٨) . وأخرجه أيضًا : أبو يعلى (٤٦/١٢ ، رقم ٦٦٩٠) ، وابن حبان (٥٠٠/١٦ ، رقم ٧٤٦١) .

غيرهن تلك المشط (رؤوسهن كأسنمة البخت) أي يُكَبرنها ويعظمنها بلف عصابة أو نحوها كما هي حال كثير من النساء اليوم اللاتي يجمعن شعور رؤوسهن فوق هاماتهن أو في مقدمة رؤوسهن إلى غير ذلك نعوذ بالله من سوء الفتن ما ظهر منها وما بطن.

التكافل الاجتماعي وعلاج مشكلة الفقر

يوضح الدكتور عبد الهادي علي النجار المفكر الإسلامي وصاحب كتاب " الإسلام والاقتصاد" إن الإسلام عرض لمشكلة الفقر قبل أن تَتَطَوَّر هذه المشكلة؛ لتصبح الشُّغْلَ الشاغلَ للدُّوَلِة المتخلفة عمومًا، ومن هنا اعتبر الإسلام المالَ زينةَ الحياة الدنيا، فقال – تعالى-: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً} (الكهف ٤٦).

خطورة الفقر على العقيدة إن الإسلام ينظر للفقر على أنه خطر على العقيدة، فالفقر قد يدفع المرء إلى الاعتراض على قضاء الله تعالى وقدره وقد يجره إلى نسبة الجور إلى ملك الملوك وجبار السماوات والأرض وتأمل كفر أبي العلاء المعري حيث جره فقره إلى الاعتراض على الذات الإلهية فقال – قبحه الله-

إذا كان لا يحظى برزقك عاقل وترزق مجنونًا وترزق أحمقا

ولا ذنب يا رب السماء على امرئ رأى منك ما لا ينتهي فتزندقا(١)

فتأمل كيف دفعه جهله وفقره إلى كفره بالله تعالى.

وبنظرة سريعة الم حملات التنصير التي تجتح العالم الإسلامي يجدهم يركزون على أماكن المجاعات والحروب التي يكثر فيها الفقر والأمراض

ولنضرب على ذلك مثالا من واقع دولة الصومال

نماذج للأنشطة والمنظمات التنصيرية بالصومال:

ونظرًا للحالة الأمنية المتدهورة تدار معظم أنشطة تلك المنظمات من العاصمة الكينية 'نيروبي' والتي تعد مركز التنصير في شرق القارة الأفريقية

- منظمة [مجتمع التوراة] من أقدم المنظمات العاملة في الصومال حيث يعود نشاطها هناك إلى ما قبل عام ١٩٦٨، حيث طبعت أكثر من أربعين ألف نسخة من [العهد الجديد]، ووزع منها قرابة ثلاثة آلاف نسخة في حينها على الصوماليين في الداخل والخارج.

---

١ – [معجم الأدباء ١/ ٤٣١

- منظمة [آباء كونسولاتا] تمارس عملها التنصيري في ثوب إغاثي عبر إدارة وحدات طبية، ودور أيتام ومدارس.

- منظمة [أخوات كونسولاتا] في عام ٢٠٠٢ برنامجاً للإغاثة الكاثوليكية بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية يتضمن برامج غذائية إضافية للأطفال المصابين بالسل -الوباء الأكثر انتشاراً في الصومال -، ومستشفى للأطفال في العاصمة 'مقديشيو'، ويهدف هذا المشروع للوصول إلى تنصير ٣٠٠ طفل سنوياً، ويوزعون على الأهالي الأرز والذرة والسكر والحليب.

أما منظمة كاثوليك ريليف فقد آلت على نفسها مساعدة المنظمات التنصيرية المختلفة في الصومال منذ عام ٢٠٠٢، ومن بينها [أخوات كونسولاتا].

- منظمة [المينونايتيون]: وهي طائفة نصرانية تنتسب إلى القس الهولندي 'مينو سمونس' الذي تحول من الكاثوليكية إلى البروتستانية، وأضفى معايير جديدة عن أهمية التبشير الإغاثي، ويمارس المينونايتيون نشاطهم في الصومال منذ خمسين عاماً، حيث يعلنون عما يسمونه 'طريق يسوع بين الصوماليين' عبر الوسائل الإغاثية التي تتركز في:

* توزيع البذور والأغذية على شيوخ القبائل، دفع تكاليف المراقبة الصحية غير الحكومية لوباء الكوليرا الذي تفشى في منطقة 'جوبا'، ويركزون على التعليم بدعم المدارس المحلية، وإمدادها بالكتب الدراسية والمناضد والكراسي والأدوات التعليمية، وأحياناً بدفع الرواتب للمعلمين.

* الاهتمام الخاص بـ[الأيتام] -كعادة المنصرين -وذلك عبر مشروعهم المسمى [البرنامج العائلي العالمي]، كما يهتم هذا البرنامج بالنساء، حيث أقام لهن مركزاً في 'مقديشيو' يقوم بتعليم القراءة والكتابة والحياكة، أما النساء المتعلمات فيعلمهن مهارات الحاسب الآلي.

* تقديم خدمات اجتماعية يدربون شباب البدو فيها على أمور مثل: الصحة الإنسانية، والصحة الحيوانية والبيئية، بالإضافة إلى تعليم الشباب.

* توزيع الكتب الموجهة مثل كتيب [معاني السلام] هو كتيب طبعته المنظمة ليستعمل في قاعات التدريس الصومالية، حول أهمية السلام والطرق إليه.

- منظمة التطوير الإغاثية الكنسية [CRDE] تهدف إلى الدعوة الصريحة إلى المسيحية، وتقدم الدعم الإغاثي للصوماليين عبر مشاريع إنمائية زراعية شمال غربي الصومال، ويتم فيها إيواء ما يزيد عن ٣٠٠ ألف لاجيء.

الفقر و خطورته على الأخلاق : فالفقر الذي لا يصحبه قناعة ولا إيمان بما قدر الله سبحانه و تعالى يدفع المر إلى طرق غير شرعية مثل السرقة و الرشوة و الغش و الاختلاس و غير ذلك من صور تردي الأخلاق عند هؤلاء و ينتج عن ذلك الكذب و إخلاف المواعيد كما اخبرنا بذلك النبي – صلى الله عليه وسلم - عن عائشة أن النبي {صلى الله عليه وسلم} كان يدعو في الصلاة اللهم

إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات اللهم إني أعوذ بك من المآثم والمغرم قالت فقال له قائل ما أكثر ما تستعيذ من المغرم يا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف([1])

كيف عالج الإسلام مشكلة الفقر

اعلم علمني الله وإياك: أن الإسلام كما بين لنا خطورة الفقر وضع لنا العلاج النافع الناجع لتلك المشكلة ومتى أقامت الأمة هذه الضوابط التي وضعها الإسلام فلن يشكو أحد من أبنائها في يوم من الأيام الفقر والعيلة وهاك بيانها:

أولا دعوة الإسلام إلى العمل:

١-ربط العمل بالإيمان: بيان أن العمل يعدل الجهاد في سبيل الله: وفي ذلك يقول الحق – سبحانه - : ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] فقد ساوى الحق – سبحانه – بين المجاهدين في سبيل الله وبين الساعين ضربا في الأرض في سبيل الرزق .

٢-بيان أن العمل فطرة إنسانية: وفي ذلك يقول - تعالى- ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]ويقول - تعالى- : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[البلد: ٤] وهذا يعني أن التعطل عن العمل اختياريا مناف للفطرة الإنسانية ، ولذلك يقول الراغب الأصفهاني : " من تعطل وتبطل انسلخ من الإنسانية ، بل من الحيوانية ، وصار من جنس الموتى ([2])، فالمتقاعس عن العمل ميت في صورة الأحياء !! ولأن العمل فطرة إنسانية فقد رسم الإسلام كيفية تربية جسم الإنسان وعقله، وكيفية المحافظة على سلامتهما، وحرم كل ما يمثل اعتداء عليهما ، حتى يكون الإنسان مؤهلاً لخوض غمار ميادين العمل والقيام بدوره في التنمية الاقتصادية كما ينبغي أن يكون .

٤-بيان أن كل عمل يقابله أجر على قدر العمل : وهي قاعدة عامة وضعها الإسلام في كل الأعمال ، حتى أن العبد يوم القيامة يجازيه الله على قدر ما قدم من أعمال ، وفي ذلك يقول - سبحانه - : {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ } [هود: ١٥] ، ويقول - تباركت أسماؤه - {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} [الكهف: ٣٠]

{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا } [طه: ١١٢] وليوفيهم أعمالهم وهم ولا سبيل لتفاوت الأجر إلا حسب أهمية العمل وما يبذله فيه من طاقة وجهد ، يقول – سبحانه - {وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [الأحقاف: ١٩]

---

[1] – أخرجه البخاري ح ٢٣٩٧ ، ومسلم ح ٥٨٨

[2] – "(الذريعة إلى مكارم الشريعة ،الراغب الأصفهاني ، صـ ٣٨٢)

وهذه القاعدة من شأنها أن ترسي علاقات اجتماعية عادلة بين صاحب العمل والعامل ، حيث يأخذ كل منهما حقه :

* أما صاحب العمل فحقه إتقان العمل.

* وأما العامل فحقه أن ينال أجراً مكافئاً لعمله دون غبن أو بخس، ومما لا شك فيه أن تيقن العامل من أن كل عمل يقوم به سيمنح عليه ما يكافئه من الأجر يجعله يبذل قصارى جهده رغبة في تحصيل أعلى الأجور، مما يعود بالخير عليه وعلى المجتمع.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن العامل في الإسلام ينال على عمله – الذي تحكمه ضوابط العمل في الإسلام – أجرين:
* الأول : أجر دنيوي : ويشمل الأجر المادي الذي يتقاضاه الإنسان على عمله ، وتلبى به حاجاته وحاجات من يعولهم ، وهو من رزق الله وفضله ، كما قال -تعالى- {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك: ١٥] {إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [الجمعة: ١٠] ، وقد نهى الله – عز وجل– عن هضم حق العامل في هذا الأجر المادي ،و قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } [النساء: ٢٩] وتوعد - سبحانه- من يهضم حق الأجير بالخصومة يوم القيامة ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ـــ قال : قال الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره (١)
كما يشمل الأجر الدنيوي الأجر المعنوي الذي يتمثل في شعور الفرد العامل بقيمته الذاتية، وشعوره بالأمن والسكينة وعزة النفس ، وشعوره بالاحترام الاجتماعي الذي يفتقده العاطلون ، كما قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - : " إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول : له حرفة ؟ فإن قالوا : لا . سقط من عيني " (٢)، وصدق رسول الله –e– حيث قال : ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود – عليه السلام – كان يأكل من عمل يده)(٣)
* الثاني : أجر أخروي : ويعطيه الله – عز وجل – لكل من أخلص في عمله ابتغاء مرضاة الله ،) ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤١].
ومن هذا المنطلق يظل المسلم يعمل إلى آخر حياته وإن لم يدرك ثمرة أعماله الأخيرة في الدنيا ، حيث إنه ينطلق في عمله لأداء رسالته في تعمير الأرض ، ومشاركة منه في التنمية الاقتصادية

١– خرجه أحمد ٣٥٨/٢(٨٦٧٧) قال : حدثنا إسحاق . و"البخاري" ٢٢٢٧ قال : حدثني بشر بن مرحوم . وفي (٢٢٧٠) قال : حدثنا يوسف بن محمد . و"ابن ماجة" ٢٤٤٢ قال : حدثنا سويد بن سعيد . و"أبو يعلى" ٦٥٧١

٢ –(كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي المتقي ١٢٣/٤ رقم /٩٨٥٨)

٣ –(رواه البخاري في صحيحه رقم / ٢٠٧٢) .

الذاتية والاجتماعية ، منتظراً الأجرين ، فإن لم يحصل الأول فإنه سيحصل الثاني إن شاء الله ، ومن هنا يفهم قوله –صلى الله عليه وسلم – : إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسلة فليغرسها ([1]) هذه هي أبرز الدوافع الإسلامية إلى العمل ، والتي تدل على مدى حرص الإسلام على أن تعمل كل الطاقات القادرة في المجتمع الإسلامي حتى لا تصبح كلاًّ وعالة على غيرها .([2])

تفعيل دور الزكاة:

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلامية: فريضة الزكاة حق المال فيجب إخراجها إذا توفرت فيها الشروط من حولان الحول وبلوغ النصاب المقدر لها شرعاً، والأصناف التي تجب فيها الزكاة، ومن ثمَّ يأتي الوعيد لمن أنكر فرضيتها وجحدها أو امتنع عن أدائها بخلاً وشحاً، وإذا أخرجها الإنسان لابد أن تكون لأناس مخصوصين بينتهم الآيات الكريمات في سورة التوبة. فالحذر الحذر!! من التلاعب في إخراجها أو وضعها في غير محلها، فالإنسان يتعامل مع ربه جل وعلا الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

الوعيد الرباني لمانعي زكاة أموالهم : جاء في منعها والبخل بها الوعيد بالنيران، قال الله عز وجل:{ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [آل عمران:١٨٠]}

يقول القاسمي – رحمه الله – {"وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ } اعلم أنه تعالى لما بالغ في التحريض على بذل النفس في الجهاد في الآيات المتقدمة، شرع هاهنا في التحريض على بذل المال في سبيل الله، وبيّن الوعيد الشديد لمن يبخل ببذله فيه، وإيراد ما بخلوا به بعنوان (إيتاء الله تعالى إياه من فضله) للمبالغة في بيان سوء صنيعهم، فإن ذلك من موجبات بذله في سبيله كما في قوله تعالى:{ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ [الحديد: ٧] }. {بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ} لاستجلاب العقاب عليهم، والتنصيص على شريته لهم، مع انفهامها من نفي خيريته، للمبالغة في ذلك.

والتنوين للتفخيم سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ بيان لكيفية شرية مآل ما بخلوا به. وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن هذا الوعيد على طريق التمثيل أي سيلزمون وبال ما بخلوا به لزوم الطوق. وذهب آخرون إلى أنه على ظاهره، وأنه نوع من العذاب الأخرويّ المحسوس. وأيدوه

بما روى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته، مثّل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه- يعني شدقيه- ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا هذه الآية وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ ... إلى آخرها.)([3])

---

[1] –(رواه الإمام / أحمد في مسنده بإسناد صحيح رقم / ١٢٨٣٧).

[2] ––دعوة الإسلام إلى العمل للدكتور محمد هلال

[3] – أخرجه البخاري" ١٤٠٣ وعبد الرزاق (٦٨٦٣) و"أحمد" ٢/٢٧٩(٧٧٤٢) ٢/٣٥٥(٨٦٤٦) " و"النسائي" ٣٩/٥ ، وفي "الكبرى" ٢٢٧٣

وروى الإمام أحمد والنسائيّ عن ابن عمر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: إن الذي لا يؤدي زكاة ماله يمثّل الله عز وجل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع، له زبيبتان، ثم يلزمه يطوّقه يقول: أنا كنزك، أنا كنزك. (١)

عن عبد الله بن مسعود عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: لا يمنع عبد زكاة ماله إلا جعل له شجاع أقرع يتبعه، يفرّ منه وهو يتبعه، فيقول: أنا كنزك. ثم قرأ عبد الله مصداقه في كتاب الله: سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ. قال الترمذيّ: حسن صحيح. (٢) (٣)

و تأمل في ذلك العقاب الأليم الذي يحيط بالعبد من جميع اركانه يقول الله تعالى :{ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ [التوبة:٣٤-٣٥] }

يقول الشيخ الشعراوي – رحمه الله في بيان خصوصية تلك الاعضاء من بين سائر الجسد " { فتكوى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ } ، لماذا خَصَّ الله هذه الأماكن بالعذاب؟ لأن كل جارحة من هذه الجوارح لها مدخل في عدم إنفاق المال في سبيل الله .

كيف؟

مثلاً : تجدون الوجه هو أداة المواجهة ، وإذا رأيت إنساناً فقيراً متجهاً إليك ليطلب صدقة ، وأنت تعرف أنه فقير وقد جاءك لحاجته الشديدة ، فإن كان أول ما تفعله حتى لا تؤدي حق الله أن تشيح بوجهك عنه ، أو تعبس ويظهر على وجهك الغضب ، فإن هذا الفقير يحس بالمهانة والذلة؛ لأن الغني قد تركه وابتعد عنه ، فإذا لم تنفع إشاحة الوجه واستمر الفقير في تقدمه من الغني ، فإنه يعرض عنه بأن يدير له جنبه ليحس بعدم الرضا ، فإذا استمر الفقير واقفاً بجانبه فإنه يعطي له ظهره .

إذن: فالجوارح الثلاث قد تشترك في منع الإنفاق في سبيل الله، وهي الوجه الذي أداره بعيداً، ثم أعطاه جانبه ، ثم أعطاه ظهره . هذه هي الجوارح الثلاث التي تشترك في منع حق الله عن الفقير، ولذلك لا بد أن تُعذَّب فَتُكْوى الجباه والجنوب والظهور.

ثم يقول الحق تبارك وتعالى: {هذا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ } ، أي : هذا ما منعتم فيه حق الله ، فإن كنز الإنسان مالاً كثيراً فسيكون عذابه أشد ممن كنز مالاً قليلاً؛ لأن الكَيَّ سيكون بمساحة كبيرة ، أما إن كان الكنز صغيراً فتكون الكية صغيرة .(٤)

---

١ – أخرجه أحمد ٢/٩٨(٥٧٢٩). و"النسائي" ٥/٣٨ ، وفي "الكبرى" ٢٢٧٢

٢ – أحمد"١/٣٧٧ (٣٥٧٧) و ابن ماجة) ١٧٨٤ و"الترمذي" ٣٠١٢ و"النسائي" ٥/١ ، وفي "الكبرى" ٢٢٣٣ و ابن خزيمة(٢٢٥٦

٣ – محاسن التأويل ٢/ ٤٦٧

٤ – تفسير الشعراوي ص: ٣٤٨٥

قال النبي صلى الله عليه وسلم في بيان هذه الآية: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد) أخرجه مسلم. ([1])

تعتبر زكاة المال عصب النظام الاقتصادي الإسلامي ففيها الحلول للمشكلات الاقتصادية المعاصرة والتي فشلت النظم الاقتصادية الوضعية في علاجها، ومن بين هذه المشكلات مشكلة تكدس الأموال في يد فئة مما أدى إلى زيادة الفوارق بين الطبقات، ومشكلة عدم الاستقرار الاقتصادي، ومشكلة التضخم، ومشكلة الاكتناز، ومشكلة الفوائد الربوية.

ولقد أدت هذه المشكلات وغيرها إلى الحياة الضنك للطبقة الفقيرة، وانخفاض مستوى الدخول، وعدم توفير الحاجات الأساسية للحياة.

ويتمثل دور الزكاة في علاج مشكلة الفقر في أنه يساهم في تحويل الفقراء القادرين على العمل إلى منتجين، وأنها تزيد من القوة الشرائية للنقود بنقلها إلى الفقراء الذين ينفقونها على الضروريات والحاجيات بدلاً من أنها كانت تنفق على الكماليات، كما سوف توجه أموال الزكاة أحياناً إلى التنمية الاقتصادية الذاتية داخل البيوت الفقيرة من خلال تمويل المشروعات الصغيرة والمتناهية في الصغر وهذا بدوره يساهم في علاج مشكلة الفقر

مصارف الزكاة

اعلم -علمني الله و إياك-: أن الله تعالى جعل الزكاة أحد مباني الإسلام وأردف بذكرها الصلاة التي هي أعلى الأعلام فقال تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾[البقرة: ٤٣] الزكاة تولى الله تعالى بيان مصارفها بنفسه جل وعلا، فقال: { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [التوبة: ٦٠] فمن أدى الزكاة في غير أهلها لم تجزئه ولم تبرأ بذلك ذمته، كالذي يصلي قبل الوقت لا تجزئه الصلاة.

الفقراء والمساكين يعطون لحاجتهم وضابط ذلك على ما قاله الفقهاء: ألا يكون عند الإنسان ما يكفيه وعائلته لمدة سنة -فمثلاً- إذا قدرنا أن هذا الفقير أو أن هذا الرجل ينفق في السنة اثني عشر ألفاً، كل شهر ألف ريال وعنده ستة آلاف أيكون فقيراً؟ نعم يكون فقيراً نعطيه ستة آلاف فقط حتى يصبح وعنده ما يكفيه لعائلته لمدة سنة.

إنسان عنده راتب ثلاثة آلاف ريال في الشهر، لكنه ينفق كل شهر أربعة آلاف هل نعطيه أو لا؟

نعطيه، كم نعطيه؟

---

[1] – أخرجه مالك "الموطأ" ٢٧٥ . و"البخاري" ٢٣٧١ و"مسلم" ٢٢٥٢ و"النسائي" ٢١٦/٦ ، وفي "الكبرى" ٤٣٨٨ و"ابن حبان" ٤٦٧٢

نعطيه اثني عشر ألفاً يعني: ثلاثة آلاف وهو ينفق أربعة آلاف، إذاً: لابد أن نكمل له، نعطيه أربعة آلاف كل شهر وثلاثة عنده وألف من عندنا وهلم جرا.

الغارمون ومفردها غارم وهو: الذي عليه دين ولا يستطيع وفاءه ليس عنده دراهم نقدية سائلة، وليس عنده عقارات، وليس عنده صنعة، المهم أنه لا يستطيع أن يوفي دينه، هذا يوفى دينه من الزكاة ولنا في ذلك طريقان: -الطريق الأول: أن نعطيه وهو يسدد.

- والطريق الثاني: أن نسدد عنه، يعني: نذهب إلى الذي يطلبه ونعطيه، أيهما أولى؟ فيه تفصيل: إذا علمنا أن الرجل أمين وحريص على إبراء ذمته، وأننا إذا أعطيناه أوفى، فالأفضل أن نعطيه هو ويسدد؛ لأن في ذلك ستراً عليه وإبعاداً للرياء عن المعطي، وأما إذا علمنا أن الرجل مفسد للمال لو أعطيناه يقضي الدين يشتري به أشياء لا داعي لها، فهذا لا نعطيه وإنما يذهب إلى دائنه ويوفى عنه حتى وإن لم يعلم؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: { وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ } [التوبة: ٦٠] ولم يقل: وللغارمين، فلما لم يذكر اللام علمنا أنه لا يشترط تمليك المدين لقضاء دينه، فنذهب إلى الدائن ونقول: تطلب فلان ألف ريال هذه ألف ريال وننويها من الزكاة، وفي هذه الحال يجب أن نخرج الغريم فنقول: إنا أوفينا عنك، لماذا؟ لأن الدائن ربما ينسى ويطالب الغريم بالدين، وهو قد سدد ولأجل أن يطمئن الغريم بأن الله قضى دينه.

واعلم أنه متى وجدت الأوصاف في شخص من الناس فهو أهل للزكاة، سواء كان قريباً أم بعيداً، حتى أخوك أو ابنك أو أبوك أي شخص توجد فيه الأوصاف فهو مستحق، إلا إذا كان هذا الذي فيه الأوصاف ممن يجب عليك أن تنفق عليه فهنا لا تعطه لحاجته، مثل إنسان عنده أب هو في بيت وأبوه في بيت، أبوه يحتاج وهو غني واسع الغنى، هل يعطيه من زكاته؟ لا.

لماذا يجب عليه أن ينفق على أبيه ولا يحل له أن يعطيه من زكاته؛ لأنه لو أعطى من زكاته وفر على نفسه النفقة.

حسناً إنسان عنده مال كثير وأبوه أموره ماشية لا يحتاج إلى إنفاق، لكن عليه دين هل يقضي دين أبيه؟ يقضي دين أبيه، لماذا؟ لأنه لا يجب على الابن قضاء دين أبيه، فهو -إذاً- لا يوفر ماله، وإذا قدر أن هناك مدين آخر غير أبيه فأبوه أحق في قضاء دينه لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (صدقتك على القريب صدقة وصلة).([1])

دور الزكاة في معالجة أسباب الفقر.

حتى نؤكد ما قلناه من أن الأثر الاقتصادي المباشر للزكاة يتمثل في تعبئة الطاقات البشرية المعطلة في المجتمع المسلم، سنحاول فيما يلي عرض موجز لدور الزكاة في معالجة أسباب الفقر من خلال عرض أهم الأسباب التي تؤدي إلى الفقر، حيث أن الفهم العميق لتلك الأسباب

[1] – لقاء الباب المفتوح ١٤٨/ ٧

هو الأساس في عرض الدور الذي يجب أن تؤديه الزكاة في تجفيف منابع الفقر ومن ثم إثبات الأثر الناجم عن ذلك الدور.

ويمكن تقسيم أسباب الفقر إلى مجموعتين رئيسيتين([1])يمكن بيانها من خلال الشكل التالي

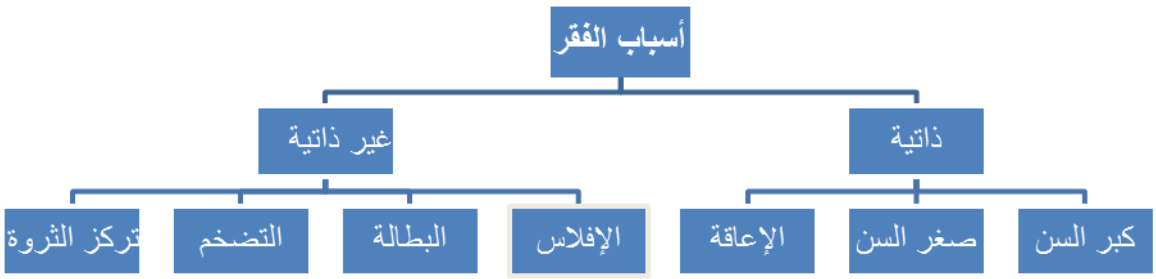

أولا دور الزكاة في معالجة الأسباب الذاتية للفقر:

إن فئة كبار السن، وفئة صغار السن الذين لا يجدون عائلاً، وكذلك فئة المعاقين تشترك جميعها في أنها عاجزة عن الحصول على دخل يضمن لهم المستوى اللائق من المعيشة ومن ثم فإنهم يندرجون ضمن مصرف الفقراء وبالتالي يجب على بيت مال الزكاة إعطائهم ما يكفيهم، إلا أن طبيعة الإنفاق عليهم من أموال الزكاة قد تختلف من فئة إلى أخرى ومن ثم فإن الأثر على ذلك الإنفاق بالتأكيد يختلف، فمثلاً الإنفاق في حال كبار السن يجب أن يتركز على تلبية حاجاتهم الاستهلاكية كالمأكل والمشرب والمسكن والتامين الصحي والخادم وغير ذلك من المتطلبات التي تعتبر ضرورية لتأمين مستوى لائق لهم من العيش، ومن ثم فإن الأثر الناجم عن الإنفاق على هذه الشريحة هو زيادة حجم الطلب الاستهلاكي في المجتمع، إلا أنه ولصغر حجم هذه الشريحة يصعب القول أن هذا الأثر قد يكون كبيراً بالدرجة التي يمكن أن تؤثر سلباً على الأثر العام للزكاة وهو تعبئة الطاقات البشرية في المجتمع.

أما فئة صغار السن: فمما لاشك فيه أن الإنفاق عليهم يجب أن يكون له بعداً أكبر من مجرد إشباع حاجتهم الاستهلاكية، إذ يجب أن يأخذ في الاعتبار ضمان حماية هؤلاء الصغار من الانحراف وضمان النشأة الصالحة لهم، وبالتالي فإن الإنفاق على هذه الفئة يجب أن يتوزع على تلبية حاجاتهم المادية الاستهلاكية، وتلبية حاجاتهم المعنوية كالتعليم والتأهيل والتدريب وتطوير قدراتهم والدعم المادي لهم في إنشاء مشروع يضمن لهم العيش الكريم إن صاروا من

---

[1] – أحمد العوران: الدور الاقتصادي التنوي للزكاة من خلال معاتلجتها لقضية الفقر، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، المجلد٢٦،العدد١، ١٩٩٩م، ص٩.

كمال حطاب: مرجع سابق، ص١٣٠٧–١٣٠٨.

يوسف القرضاوي: دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية، ندوة اقتصاديات الزكاة، المعهد الإسلامي لبحوث والتدريب، البنك الإسلامي للتنمية، جدة، ط٢، ٢٠٠٢م، ص٦٠٤.

أصحاب الحرف، وهو ما يدفعنا إلى القول أن أثر الزكاة على المدى الطويل في هذه الحالة هو توجيه تلك الطاقات وتعبئتها للمستقبل.

أما فئة المعاقين فإن طبيعة الإنفاق عليهم من أموال الزكاة يجب أن تعتمد على حالتهم فإن كانت ميئوس منها ويستحيل قدرتهم على العمل فإن موارد الزكاة يجب أن تضمن لهم كافة متطلباتهم الاستهلاكية من مأكل ومشرب ومسكن وعلاج، أما إن كانت إعاقتهم مؤقته أو أنهم قد يصبحوا قادرين على العمل فإن واجب بيت مال الزكاة أن يضمن لهم تلبية حاجاتهم الاستهلاكية والعمل على إعادة تأهيلهم وتدريبهم وتعليمهم واكتشاف مواهبهم وتنميتها حتى يصبحوا قادرين على الانخراط في فئة المنتجين في المجتمع ومن ثم يحققوا لأنفسهم المستوى اللائق الكريم من العيش[١]. ونظراً لقلة هذه الفئة فإنه يمكننا القول أن الأثر الذي قد ينشأ عن الإنفاق على هذه الفئة من موارد الزكاة يكاد يكون ضئيلاً ومتفاوتاً بحيث يكون من الصعب تحديده.

ثانياً: دور الزكاة في معالجة الأسباب غير الذاتية للفقر(٢).

وهي الأسباب التي لا تكون ناجمة عن عجز عضوي عند الإنسان كما في حالة الأسباب الذاتية وإنما عن ظروف خارجة عن إرادته، ويمكننا القول أن هذه الأسباب ناشئة أصلاً عن مشاكل اقتصادية وهو ما يعني أن دور الزكاة في معالجة هذه الأسباب دور اقتصادي بالأساس وهو ما يعني أن أثرها في معالجة هذه الأسباب سيكون اقتصادياً ويتمثل في إزالة العوائق التي تمنع الفقير من العودة لمزاولة النشاط الذي كان يشكل له مصدر دخل بما يضمن له معاودة نشاطه وكسب ما يؤمن له الحياة الكريمة، ففي حالة الإفلاس مثلاً من المتوقع أن يواجه الإنسان ظروف طارئة تجعله يفقد ما يملك من ثروة وبالتالي يصبح غير قادراً على العمل ومن ثم يصبح فقيراً تجب عليه الزكاة، ودور الزكاة في هذه الحالة يتمثل في إعطائه من حصيلة الزكاة ما يمكنه من خلال مؤسسته من العودة لمزاولة النشاط الذي يشكل له مصدر دخله، والأثر الناجم عن هذا الدور هو إعادة تأهيل تلك الطاقات لتعاود إنتاجها وعطائها بما يكفل تحقيق النفع لها وللمجتمع الذي تعيش فيه.

أما في حال البطالة فيختلف دور الزكاة في معالجتها بحسب اختلاف أنواعها فمثلاً ليس للزكاة دور في معالجة البطالة الاختيارية إذ أن الزكاة لا تجب على من توفر له عمل وهو قادر على العمل، فكما قال النبي صلى الله عليه وسلم - عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تحل الصدقة لغني ، ولا لذي مرة سوي.(٣) وقال عليه الصلاة والسلام: (لاحظ

---

[١]- العوران: مرجع سابق، ص٩.

[٣] – أخرجه ابن أبي شيبة ٢٠٧/٣(١٠٦٦٤) . وأحمد ٣٧٧/٢(٨٨٩٥) و"ابن ماجة" ١٨٣٩ و"النسائي" ٩٩/٥ ، وفي "الكبرى" ٢٣٨٩ و"أبو يعلى" ٦٤٠١ و"ابن حبان" ٣٢٩٠ قال الألباني(صحيح) انظر حديث رقم : ٧٢٥١ في صحيح الجامع .

فيها لغني ولقوي مكتسب)([1])، وإن لم يكن في هذه الحالة للزكاة دور وليس لها أثر إلا أن في الحديثين دلالة واضحة على تشجيع الزكاة على العمل والاستثمار والإنتاج وهو ما يؤكد أثر الزكاة في تشغيل الطاقات المعطلة في المجتمع، إلا أن الزكاة قد يكون لها دور في معالجة مشكلة البطالة الموسمية أو البطالة الهيكلية من حيث إعادة تأهيل العاطلين عن العمل وتدريبهم من أجل إكسابهم مهارات تمكنهم من العودة إلى سوق العمل، أو احتوائهم في مشاريع تتناسب وقدراتهم، وهو ما يعني أن الأثر المباشر للزكاة من خلال معالجتها لمشكلة البطالة باعتبارها أحد أهم أسباب الفقر في المجتمع هو إعادة تشغيل تلك الطاقات العاطلة بما يمكنها من تحقيق دخل يضمن لها المستوى اللائق من المعيشة([2]).

وللزكاة كذلك دور كبير في معالجة مشكلة التضخم في المجتمع من خلال استخدامها كأداة من أدوات السياسة المالية في الإسلام بهدف تحقيق الاستقرار الاقتصادي الذي يعد أساس الاستخدام الأمثل للموارد في المجتمع.

أما دور الزكاة في معالجتها لمشكلة تركز الثروة باعتبارها أهم أسباب الفقر فيتمثل في كون الزكاة الأداة الأبرز في إعادة توزيع الثروة في الإسلام، إذ تعتبر من وجهة نظر الباحثين في الاقتصاد الإسلامي قناة ناقلة للثروة من الأغنياء إلى الفقراء.

الأثر الاقتصادي الثاني: زيادة حجم الاستثمارات في المجتمع.

أسلفنا فيما سبق أن الأثر المباشر للزكاة فيما يتعلق بحل مشكلة الفقر هو تعبئة الطاقات المعطلة في المجتمع ومما لا شك فيه أن تعبئة تلك الطاقات تعني توجيهها نحو الإنتاج، وقد اتفق الكثير من الباحثين في اقتصاديات الزكاة على مجموعة من الصور الاستثمارية التي يمكن لبيت مال الزكاة تمويل الفقراء من خلالها، وأهم هذه الصور هي([3]):

١- تمويل الفقير برأس مال نقدي يعمل فيه ولا يستهلكه كثمن آلة حرفته.
٢- شراء أصول ثابته وتوزيعها على الفقراء.
٣- تدريب الفقراء على المهارات المختلفة.
٤- استثمار أموال الزكاة في مشاريع استثمارية ثم تمليكها للفقراء.
٥- تقديم الخدمات التي تدخل في برامج تنمية الموارد البشرية.
٦- شراء أسهم استثمارية وتوزيعها على الفقراء.

ويلاحظ من خلال هذه الصور الاستثمارية أن الزكاة بالتأكيد ستؤدي إلى زيادة حجم الاستثمارات في المجتمع من خلال استخدام هذه الصور الاستثمارية في دعم شريحة الفقراء، وهو ما يعني أن دالة الاستثمار في مجتمع يطبق الزكاة ستكون أعلى من دالة الاستثمار في مجتمع لا يطبق الزكاة من خلال الآثار المباشرة وغير المباشرة للزكاة على الاستثمار والتي يخصنا منها هنا ما يتعلق بأثر الزكاة فيما يتعلق بدورها في حل مشكلة الفقر.

---

[1]- لم اقف عليه

[2] – المرسي السيد حجازي: الزكاة والتنمية في البيئة الإسلامية، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الاقتصاد الإسلامي، المجلد١٧، عدد٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص ١٤-١٥.

[3] – محمد إبراهيم السحيباني: مرجع سابق، ص١٧٥.

الأثر الاقتصادي الثالث: تحقيق عدالة التوزيع.

لاشك ان وجود الثراء الفاحش في مجتمع إلى جانب الفقر المدقع يعد من أعظم الآفات في المجتمع، وقد حرص الإسلام على اجتثاث هذه الظاهرة من خلال تشريعه للعديد من الأحكام التي تهدف إلى تحقيق التوازن في توزيع الثروة والتي من أهمها الزكاة(١)، إذ أن من أهم أهداف الزكاة توسيع التملك وتكثير عدد الملاك وتحويل أكبر عدد مستطاع من الفقر والعوز إلى أغنياء مالكين لما يكفيهم ومن يعولونه طوال العمر(٢)، ولقد نص القرآن الكريم صراحة على أن منع تركز الثروة وتحقيق عدالة توزيع الثروة يعد هدف رئيسياً من أهداف الزكاة والفئ، قال تعالى: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) الحشر/٧.

ويتفق الكثير من الباحثين(٣) أن للزكاة أثر مباشر في تحقيق عدالة توزيع الثروة والدخل من خلال كونها أداة دورية تعمل على إعادة توزيع الثروة بين الأغنياء والفقراء كل عام، من خلال اقتطاع جزء من دخول الأغنياء وثرواتهم واعطاؤها للفقراء.

الثاني: الآثار الاجتماعية لدور الزكاة في حل مشكلة الفقر.

تعد الزكاة من وجهة نظر الكثير من الفقهاء والمتخصصين في الاقتصاد الإسلامي المؤسسة الأولى للضمان الاجتماعي في الإسلامي والأداة الأولى من أدوات التكافل الاجتماعي، وبنظرة سريعة إلى مصارفها كما نص عليها القرآن الكريم وفسرتها واقعاً السنة النبوية الشريفة يتجلى لنا بوضوح الدور الكبير الذي تؤديه الزكاة في تحقيق الأهداف الإنسانية للمجتمع المسلم وهو مايدفعنا إلى القول أن للزكاة آثاراً اجتماعية كبيرة على المجتمع لا يمكن إغفالها أهم هذه الأثار المترتبة على مواجهة الزكاة لمشكلة الفقر ما يلي:

أولاً: تنمية العلاقات الاجتماعية في المجتمع المسلم.

يشير الشيخ يوسف القرضاوي(٤)أن للزكاة دور كبير في تنمية العلاقات الاجتماعية في المجتمع المسلم من خلال معالجتها لأخطر آفتان تفسدان العلاقات الاجتماعية، وهي:

١- آفة التحاسد والتباغض.
٢- آفة التخاصم وفساد ذات البين.

---

١ -محمد أنس الزرقا: دور الزكاة في الاقتصاد الإسلامي والسياسة المالية، ندوة اقتصاديات الزكاة، المعهد الإسلامي لبحوث والتدريب، البنك الإسلامي للتنمية، جدة، ط٢، ٢٠٠٢م، ص٤٥٩.

٢يوسف القرضاوي: دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية، ص٥٧٦.

٣– إنظر: محمد أنس الزرقا: نظم التوزيع الإسلامية، مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة، المجلد٢، العدد١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤، ص ٢٤.

٤– القرضاوي: البحث، ص٣٥.

فأما بالنسبة لآفة التحاسد والتباغض فدور الزكاة في مطاردتها يتمثل من خلال غرس المحبة بين الفقراء والأغنياء إذ أن القلوب قد جبلت على حب من أحسن إليها والفقراء إذا علموا أن حقهم في مال الأغنياء غير محجوب عنهم أحبوه وتمنوا له زيادة الخير، بخلاف الغني الذي يرفل في حلل النعيم والفقراء من حوله لا يجدون ما يسدوا به رمقهم فإن نار الحسد والبغض تزيد اشتعالاً وتوهجاً.

وفيما يخص دور الزكاة في معالجة آفة التخاصم وفساد ذات البين فيتمثل في المخصصات المعتمدة من موارد الزكاة تحت بند الغارمين-وهم الفقراء المدينين([1]) والذي من مقتضياته دفع ما يقتضيه الصلح بين قبيلتين أو أسرتين من تعويضات وديات حتى تخمد الفتنة وتنتشر السكينة ويعم الأمن والاستقرار، وهو ما استخلصه الفقهاء من حديث قبيصة بن المخارق الهلالي الذي تحمل حمالة إصلاح ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله المعونة فيها – ولم يكن في ذلك حرج- فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها)([2]).

ثانياً: القضاء على التفاوت الطبقي: إذ أن الزكاة من خلال معالجتها لمشكلة الفقر تعمل على توسيع قاعدة التملك وتكثير عدد الملاك وتحويل أكبر عدد مستطاع من الفقراء المعوزين إلى أغنياء مالكين من خلال إخراجهم من دائرة الحاجة إلى دائرة الكفاية الدائمة انطلاقا من أن مبدأ عدم تركز الثروة في الإسلام الذي نص الله عز وجل عليه صراحة بقوله: (كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) الحشر-٧ [3])، وقد شهد التاريخ أن العالم الإسلامي لم يشهد وجود طبقات متفاوتة جداً في الفقر والغنى كما هو موجود الآن في أوروبا، وأن ما ظهر من تكدس للأموال عند المسلمين في العصور المتأخرة إنما جاء بسبب انتشار النظام الرأسمالي القائم على الفائدة والمشجع للاحتكار([4]).

ثالثا: انتشار الأمن في المجتمع: إن تنمية العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع وانتشار التكافل الاجتماعي والتآخي في المجتمع، لا شك يؤدي إلى انخفاض في معدلات الجريمة ونقصان في نسب عمليات السرقة والغش والاحتيال والسطو، وفي الزكاة وقاية للمجتمع من

---

[1] – إنظر علاقة مصرف الغارمين بمصرف الفقراء والمساكين في: رفيق المصري: مصرف الغارمين وأثره في التكافل الاجتماعي، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الاقتصاد الإسلامي، مجلد١٨، عدد١، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م، ص٢.

[2] – إنظر: القرضاوي: مرجع سابق، ص٣٨.

المصري: مرجع سابق، ص٢٠.

[3] – يوسف القرضاوي: فقه الزكاة، ج٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ٢٠٠٢م، ص٢٨٤.

[4] – محيي الدين مستور: مرجع سابق، ص٥٠.

التفكك والانحلال، كونها أداة لنشر الأمن والطمأنينة بين الآخذ والمعطي ولها دور فاعل في القضاء على الأحقاد والضغائن وهو ما يؤدي إلى إنتشار الأمن والاستقرار في المجتمع([1]).

زكاة البترول والركاز

اعلم -علمني الله و إياك-: أن من الأشياء التي لو طبقت و نفذت في العالم الإسلامي لما وجدت فقيرا و لا محتاجا يسأل الناس شيئا لأنها ستغطي كافة أبناء الأمة إنها زكاة البترول و المعادن فإن الإسلام أوجب في الركاز الخمس عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال _ في كنز وجد في خربة _ : " إن وجدته في قرية مسكونة فعرفه و إن وجدته في قرية غير مسكونه ففيه و في الركاز الخمس " . ([2])، تخيل لو أن خمس ما يخرج من البترول و المعدان صرف على الفقراء و المساكين و باقي الأصناف الثمانية لرأيت الرخاء و الهناء ،لذا أوصى أعضاء لجنة البحوث الفقهية بمجمع البحوث الإسلامية في اجتماعهم الاثنين ٢٦-٥-٢٠٠٨ برئاسة الدكتور محمد رأفت عثمان بضرورة تحصيل قيمة الزكاة على منتجات ومشتقات البترول بنسبة ٢٠ % لصرفها في مصارفها الشرعية .

خلفية القرار

وكشف محمد رأفت عثمان في تصريحات خاصة لـ"العربية .نت" عن أن الدكتور محمد شوقي الفنجري، أستاذ الاقتصاد في جامعة الأزهر، تقدم بطلب رسمي إلى مجمع البحوث الإسلامية لتحديد موقف الشريعة الإسلامية من تحصيل قيمة الزكاة على البترول ومشتقاته مشيرا إلى أنه حضر أيضا مناقشة لجنة البحوث الفقهية بالمجمع لهذه القضية إضافة إلى الدكتور عبدالله النجار عضو المجمع.

وأضاف عثمان: اتفق أعضاء لجنة البحوث الفقهية على ضرورة فرض الزكاة على البترول ومشتقاته بنسبة ٢٠ % في أي دولة إسلامية استنادا إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم (في الركاز الخمس) وكلمة الركاز تشمل كل ما يخرج من باطن الأرض سواء أكان جامدا مثل الذهب والفضة أو سائلا مثل البترول ، مؤكدا أنه ليس هناك ما يمنع من تحصيل قيمة الزكاة على البترول من الدولة باعتبارها المالك الوحيد لكل آبار وحقول البترول .

آراء معارضة :

وأضاف رأفت عثمان :كون الدولة تنفق من ميزانيتها على مصالح الشعب فإن هذا ليس كافيا لتغطية مصارف الزكاة لأن هناك أبوابا في مصارف الزكاة لا تدخل في اختصاص الدولة كالمؤلفة قلوبهم مثلا (وهم الذين دخلوا الإسلام حديثا فلهم الحق أن يأخذوا من أموال الزكاة حتى يتقوى إسلامهم) وكذلك أبناء السبيل والغارمين فهؤلاء لا تغطيهم ميزانية الدولة.

وأوضح عثمان أنه أثناء مناقشات اللجنة لتحصيل الزكاة على البترول كان هناك رأيان : الأول يرى أنه طالما كانت الدولة هي المالك الوحيد لآبار وحقول البترول فلا يجب عليها إخراج زكاته لأنها مسؤولة عن توفير حياة كريمة لكل المواطنين ، بينما رأى الفريق الآخر أن نص حديث الرسول

---

[1] – سامر مظهر قنطقجي: مرجع سابق، ص٥.

[2] –قال الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : ٥٦٥٨ في صحيح الجامع .

صلى الله عليه وسلم (في الركاز الخمس) يشمل كل ما يخرج من باطن الرض سواء اكان جامدا كالذهب والفضة او سائلا مثل البترول.
وأشار إلى أن أعضاء اللجنة اتفقوا في النهاية على الأخذ بالرأي الذى يجمع بين الأدلة كلها وأوصت بأن تكون قيمة الزكة على البترول ٢٠ % وعلى الذهب والفضة ربع العشر ٢,٥. %)([1])
زكاة البترول العربي تكفي للقضاء على الفقر
كشف الدكتور علي محيي الدين القرة داغي أستاذ الشريعة بجامعة قطر والخبير بالمجامع الفقهية وعضو المجلس الأوروبي للإفتاء عن دراسة قام بها تشير إلى أن زكاة دول الخليج الست قد تصل إلى ما يزيد على ١٠٠ مليار دولار، وذلك من واقع الأرقام التي قام بالاطلاع عليها؛ ودعا إلى إنشاء جهاز للزكاة يشرف عليه مجموعة من القضاة الثقات، "لأننا نعاني من عدم وجود جهات موثوق بها."
وحول قضية زكاة الركاز أو) الزكاة على المعادن) التي كانت قد قوبلت بالرفض من بعض الدول قال الدكتور القره داغي إنه لا يدري هل هناك من يعارض هذه الزكاة أم لا . غير أنه بالنسبة لهذه المسألة فإن زكاة الركاز تعني إخراج زكاة مقدارها الخمس من عائدات تصدير المعادن والبترول والذهب أو ما يستخرج من باطن الأرض. (٢)

الكفارات والقضاء على مشكلة الفقر

اعلم -علمني الله وإياك-: أن من وسائل محاربة الفقر والفاقة ما شرعة الله تعالى من كفارات تجب على المسلم إذا وقع في مخالفة من المخالفات وبين لنا – سبحانه وتعالى أن مصارف تلك الكفارات إلى الفقراء والمساكين وها هي تلك الكفارات:

أولا: كفارة اليمين: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة: ٨٩]

وعندما نتدبر هذه الآية التي اشتملت على كفارة اليمين نلاحظ أن الكفارات في الإسلام تساهم في
حل مشكلة الفقراء والمحتاجين، وذلك عندما وجهت الآية إلى إطعام عشرة مساكين أو تقديم الكسوة لهم، فمن وظائف الكفارة أنّها تساهم بجانبٍ من جوانب حل مشكلة الفقر والحاجة في المجتمع.
تحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع فالآية عندما وجّهت من أراد أن يكفّر عن يمينه لإطعام المساكين أو كسوتهم، ففي هذا دليلٌ على حرص الإسلام على تحقيق التكافل الاجتماعي

١- http://www.alarabiya.net/articles/2008/05/26/50464.html

٢- http://www.eslaah.net/?view=News_Details&ID=776

بين طبقات المجتمع وتعميق أسس المحبة بين الأغنياء والفقراء.
وروى مسلم في صحيحه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من حلف علي يمينٍ فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير "

فالله تعالى أوجب على المسلم إذا حنث في يمينه كفارة وهي مرتبة:

١- إطعام عشرة مساكين
٢- أو كسوتهم
٣- فان كان فقيرا لا يستطيع أن يطعم أو يكسو فانه يصوم ثلاثة أيام

فنرى في هذه الكفارة أنه أوجب إخراجها على الفقراء والمساكين لذا ينبغي للمسلم أن يتحرى في كفارته هؤلاء الذين لا يجدون ما يكفيهم

ثانيا: كفار الجماع في نهار رمضان فأوجب على من ينتهك حرمة ذلك الشهر بالجماع أن يصوم شهرين متتابعين فان لم يستطع فعليه بإطعام ستين مسكينا من أوسط ما يأكل

رابعا كفارة الظهار : الذين يظاهر من زوجته و يقول لها أنت علي كظهر امي اوجب عليه الله تعالى{ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤) }

الصداقة المستحبة والمسنونة والقضاء على الفقر

دعا الإسلام اتباعه إلى التصدق على الفقراء والمساكين بعد أداء الزكاة وهذه الصدقات مسنونة ومستحبة ولكن الله تعالى رتب عليها من الأجر والثواب العظيم وهيا لنرى كيف رغب الإسلام اتباعه على الصدقة ورتب عليها العطايا الربانية والجوائز السنية والحلل البهية

فالصدقة دواء من كل داء فهل داويت نفسك في يوم من الأيام بما وصفه لك خير الأنام – صلى الله عليه وسلم -هل تريد الشفاء من الأمراض؟ ... عليك بالصدقة

أصيبت بفشل كُلوي - نسأل الله السلامة والعافية والشفاء لمرضى المسلمين - عانت منه كثيرًا بين مراجعات وعلاجات فطلبت مَنْ يتبرعُ لها بكُلْيَة (بمكافأة قدرها عشرون ألف ريال) وتناقل الناس الخبر ومن بينهن تلك المرأةُ التي حضرت للمستشفى، موافقَّة على كافة الإجراءات وفي اليوم المحدد دخلت المريضةُ على المتبرعة فإذا هي تبكي فتعجبت وسألتها ما إذا كانت مكرهةً فقالت: ما دفعني للتَّبرع بكليتي إلا فقري وحاجتي للمال ثم أجهشتْ بالبكاء فَهَدَّأتها المريضة

وقالت: المال لك ولا أريد منك شيئًا، وبعد أيام جاءت المريضة للمستشفى وعند الكشف عليها رأى الأطباء العجب فلم يجدوا أثرًا للمرض فقد شفاها الله تعالى ولله الحمد. ([1])

قصة: رجع بصرها كما كان: كان يلعب مع أخته حاملاً بيده سكينًا وفجأة ضربها في عينها فنقلت على الفور للمستشفى ثم حولت منه إلا الرياض وبعد الفحوصات والأشعة قرر الأطباء أن إعادة (قرنية عينها) أمرٌ ضعيفٌ والأمل برجوع البصر ضئيل، وفي يوم تذكرت الأمُّ المرافقة مع ابنتها فضل الصدقة فطلبت من زوجها أن يحضر لها تلك القطعة من الذهب التي لا تملك غيرها وتصدقت بها على الرغم من ضعف حالتها المادية، ودعت ربها قائلة: ربِّي تعلم أنِّي لا أملك غيرها فاجعل صدقتي بها سببًا في شفاء ابنتي. وفي الغد جاء طبيب فَعُرِضَتْ عليه حالةُ البنت فكان قوله كسابقيه وأنَّه لا أمَلَ في الشفاء، وبعد أيام جاء طبيب آخر فعرضت عليه ففكر وتأمل وكانت المفاجأة أن أجريت لها العملية ونجحت بفضل من الله تعالى، وعادت الطفلة سليمة دون أي أثر على وجهها ورجع الإبصار كما كان ولله الحمد.([2])
و حث عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – وجعلها سببا من الأسباب التي ينال بها العبد المظلة الربانية يوم القيامة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله. ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه.)([3])

إن الصدقة تطفئ غضب الرب: عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن رسول الله قال إن صدقة السر تطفئ غضب الرب) ([4])

وحبب النبي – صلى الله عليه وسلم في الصدقة على الفقراء والمساكين وجعلها من أحب الأعمال إلى الله تعالى:

عن ابن عمر: " أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله وأي الأعمال أحب إلى الله؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس و أحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم أو يكشف عنه كربة أو يقضي عنه دينا أو تطرد

---

[1] – من_ عجائب_ الصدقة ص: ٣٢

[2] – من_ عجائب _الصدقة ص: ٣٥

[3] – أخرجه أحمد ٤٣٩/٢(٩٦٦٣) و"البخاري" ١٦٨/١(٦٦٠) و١٢٥/٨(٦٤٧٩). و"مسلم" ٩٣/٣ و"الترمذي" ٢٣٩١ و"النسائي" ٢٢٢/٨ ، وفي "الكبرى" ٥٨٩٠ و"ابن خزيمة" ٣٥٨

[4] – الطبراني في معجمه الأوسط ج ١/ ص ٢٨٩ حديث رقم: ٩٤٣

عنه جوعا و لأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد ، (يعني مسجد المدينة) شهرا و من كف غضبه ستر الله عورته و من كظم غيظه و لو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة و من مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام (و إن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل) "([1])

و حث على الصدقة الجارية و جعلها رصيد المسلم بعد موته عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال :إذا مات الإنسان ، انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة ، إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له.([2])

الوقف ودوره في محاربة الفقر تعريف الوقف: وهو حبس مال يمكن الانتفاع به، مع بقاء عينه، بقطع التصرف في رقبته من الواقف وغيره، على مصرف مباح موجود. أو بصرف ريعه على جهة بر وخير. تقرباً إلى الله تعالى. وعليه يخرج المال عن ملك الواقف، ويصير حبيساً على حكم ملك الله تعالى([3])

والوقف سنّة إسلامية حميدة، وهو من محاسن الإسلام وآثاره السامية، به يتحقق التكافل الاجتماعي وهو مورد اقتصادي مهم في بناء الفرد والمجتمع، شامل لجميع مناحي الحياة، تقوى به أواصر المحبة والترابط والتلاحم، يُصير المسلمون كالجسد الواحد، رحماء بينهم (المسلم أخ المسلم) يُكسب صاحبه الأجر والثواب ويخلد ذكره بين العالمين.
ومن رحمة الله بعباده المؤمنين أن شرع لهم أعمالاً صالحة تستمر بعد موتهم ويصل إليهم ثوابها، كما جاء في حديث مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)، والوقف: من الصدقة الجارية،([4])

والوقف كما في حديث ابن عمر (لا يُباع ولا يوهب ولا يُورث) ([5])

وأشار الفقهاء إلى ما يصح وقفه وهو العقار الثابت: كالدار، والبستان، والأرض وكذلك المنقول: كالكتب والمصاحف والسلاح والأثاث وكل ما يجوز الانتفاع به مع بقاء عينه.
والأصل في مشروعية الوقف الكتاب والسنّة والإجماع - في الجملة - قال تعالى: {وَافْعَلُوا الْخَيْرَ

---

[1] – خرجه الطبراني في " المعجم الكبير " (٣ / ٢٠٩ / ٢) و ابن عساكر في " التاريخ" (١٨ / ١ / ٢)وقال الألباني (حسن) انظر حديث رقم : ١٧٦ في صحيح الجامع .

[2] – أخرجه أحمد ٣٧٢/٢(٨٨٣١) و"الدارمي" ٥٦٥ و"مسلم" ٧٣/٥ و"الترمذي" ١٣٧٦ و"النسائي" ٢٥١/٦ ، في "الكبرى" ٦٤٤٥ و"ابن خزيمة" ٢٤٩٤ قال : حدثنا علي بن حجر السعدي .

[3] – مغني المحتاج: ٢/٣٧٦، كشاف القناع: ٤/٢٦٧، غاية المنتهى: ٢/٢٩٩.

[4] – سبق تخريجه

[5] – النسائي في سننه الكبرى ج ٤/ ص ٩٤ حديث رقم: ٦٤٢٨

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.. والوقف من فعل الخير المأمور به، ومن أفضل القرب المندوب إليها (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تسعدون وتفوزون بالجنة.
وقال تعالى: {لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ}، جاء في البخاري - ٢٧٦٩ - من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: (كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحبَّ مالِهِ إليه بَيْرُحاء مستقبلة المسجد، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيِّب، قال أنسٌ: فلما نزلت (لن تناولوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون) قام أبو طلحة فقال: يا رسول الله إن الله يقول: {لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ}وإن أحبَّ أموالي إليَّ بَيْرُحاءُ وإنها صدقة لله أرجو برَّها وذخرها عند الله فضَعْها حيث أراك الله فقال: بَخ ذلك مالٌ رابحٌ، وقد سمعتُ ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين قال أبو طلحة أفعلُ يا رسول الله ، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه)([1])
عن بن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب أصاب أرضا بخيبر فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يستأمره فيها فقال يا رسول الله إني أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندي منه فما تأمر به قال إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها قال فتصدق بها عمر أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث وتصدق بها في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متمول قال فحدثت به بن سيرين فقال غير متأثل مالا). ([2])

قال ابن عمر أول صدقة موقوفة كانت في الإسلام صدقة عمر،([3])

وفي الحديث صحة شرط الأكل من الوقف، واستثناء الفلة مدة حياته ونحو ذلك، فإن عمر رضي الله عنه كان هو الوالي على وقفه مدة حياته وكذا جماعة من الصحابة قال ابن القيم: وهذا جائز بالسنة الصحيحة والقياس الصحيح وهو مذهب فقهاء الحديث.
وأخرج ابن ماجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً نشره، أو ولداً صالحاً تركه، أو مصحفاً ورَّثه، أو مسجد بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته([4])
ووردت خصالٌ أخرى بالإضافة إلى هذه فيكون مجموعها عشراً، نظمها السيوطي فقال:

إذا مات ابن آدم ليس يجري ... عليه من فعالٍ غير عَشْرِ
علوم بثها، ودعاء نجلٍ ... وغرس النخل والصدقات تجري
وراثةُ مصحفٍ، ورباطُ ثغرٍ ... وحفر البئر أو إجراء نهر

---

[1] – خرجه مالك "الموطأ" ٢٨٤٥ . وأحمد ١٤١/٣(١٢٤٦٥). و"البخاري" ١٤٦١ و٢٧٥٢ و"مسلم" ٢٢٧٨ و"النسائي" ، في "الكبرى" ١١٠٠٠ و"ابن خزيمة" ٢٤٥٥

[2] – البخاري في صحيحه ج ٣/ ص ١٠٠٥ حديث رقم: ٢٥٨٦ الطبراني في معجمه الأوسط ج ٣/ ص ٦ حديث رقم: ٢٢٩٩

[3] – [فتح الباري – ابن حجر ٥/ ٤٠٢،[نيل الأوطار ٦/ ٩٢]

[4] – أخرجه ابن ماجة (٢٤٢) . وابن خزيمة (٢٤٩٠)

وبيتٌ للغريب بناه يأوي إليه، أو بناء محل ذكرِ

وقد وقف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار على هذا المسلمون في كل عصر ومصرفي كافة البلدان الإسلامية منذ عهد النبوة إلى يومنا هذا.

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على الوقف، قال جابر بن عبدالله رضي الله عنه: (لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو مقدرة إلا وقف([1]

التزامات اجتماعية

اعلم أن لأخيك عليك حقا في المال وفي الإعانة بالنفس وفي اللسان والقلب وفي العفو وفي الدعاء وفي الوفاء والإخلاص وفي التخفيف وفي ترك التكلف والتكليف وذلك يجعلها ثماني جمل الحق الأول في المال.

روي أن مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى ([2]) .

وذلك لأنهما يتعاونان على غرض واحد وكذلك الأخوان إنما تتم أخوتهما إذا ترافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في المآل والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار والمواساة بالمال مع الأخوة على ثلاث مراتب

أدناها أن تنزله منزلة خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فإذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال فإن أحوجته إلى السؤال فهو غاية التقصير في حق الأخوة

الثانية أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته في المال

والثالثة هي العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى رتبة المتحابين ومنتهى هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضا فإن لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الأخوة لم ينعقد بعد في الباطن وإنما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين فقد قال ميمون بن مهران من رضي من الإخوان بترك الإفضال فليؤاخ أهل القبور وأما الدرجة الأولى فليست أيضا مرضية عند ذوي الدين روي أن عتبة الغلام رحمه الله جاء إلى منزل رجل كان قد آخاه فقال أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف فقال خذ ألفين فأعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله أما استحييت أن تدعي الأخوة في الله

---

[1] –قال صاحب التحجيل في تخريج ما لم يخرج في إرواء الغليل (ص: ١٨١) ذكره الألباني في "الإرواء": (٢٩/٦) وأغفله من التخريج، وقد وقفت عليه ، فقد أخرجه أبو بكر الخصاف في "أحكام الأوقاف": (١٥)

[2] – بداية الهداية (ص: ٢٣،

وتقول هذا وأما الرتبة العليا فهي التي وصف الله تعالى المؤمنين بها في قوله { وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون } أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان منهم من لا يصحب من قال نعلي لأنه أضافه إلى نفسه وفهم من كان يعتق أمته إذا حدثته بمجيء أخيه وأخذه من ماله حاجته في غيبته سرورا بما فعل

وقال زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذن قال لا قال فلستم بإخوان (١)

وقال ابن عمر رضي الله عنهما أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال أخي فلان أحوج مني إليه فبعث به إليه فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة(٢)

وقال أبو سليمان الداراني لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقللتها له (٣)

ولما كان الإنفاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال علي رضي الله عنه لعشرون درهما أعطيها أخي في الله أحب إلي من أن أتصدق بمئة درهم على المساكين (٤) ومن الصفاء في الأخوة الانبساط في بيوت الإخوان كما كان عليه كثير من السلف وقد قال تعالى { أو صديقكم } وقال { أو ما ملكتم مفاتحه } إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض إليه التصرف كما يريد وكان يتحرج عن الأكل بحكم التقوى حتى أنزل الله هذه الآية وأذن لهم في الانبساط في طعام الإخوان والأصدقاء)(٥)

---

١ – الإخوان (ص: ٢٠٣)رقم ١٥٩

٢ – الترغيب والترهيب لقوام السنة (٢/ ٢٦٦) رقم ١٥٥٦ و مستدرك الحاكم (٣٧٩٩) تفسير سورة الحشر ، تعليق الحاكم "هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه" ، تعليق الذهبي في التلخيص "عبيد الله بن الوليد ضعفوه" .والجهاد لأبن المبارك (١١٦)

٣ – موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (ص: ٢٠٢)

٤ – علي بن أبي طالب (١/ ٣٤٢)

٥ – موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (ص: ٢٠١)

الباب السابع: إصلاح التعليم

{"اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ". سورة العلق: ١-٥.}

اقرأ في الصفحات الآتية

- مكانة التعليم في الإسلام.
- صور من فساد وإفساد المنظومة التعليمية.
- برنامج إصلاح المنظومة التعليمية.

الباب السابع: إصلاح التعليم

أخي المسلم : نقف الآن مع باب من أهم الأبواب التي يجب على الأُمة الاعتناء به و العمل الجاد على النهوض به ،لأن من خلاله تنهض الأُمم و الشعوب ،و بدونه تصبح الأُمم قطعانا من الأنعام لا تدري ما يُصلحها و ما يضرها ، إنه التعليم و الله تعالى رفع من شأنه في كتابه و حثنا عليه و جعل منزلة أهله أرفع المنازل و أجل الدرجات {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة: ١١]فهيا لنتعرف على مكانته ثم نقف مع صور مُؤلمة لفساد المنظومة التعليمة في العالم الإسلامي عامة و في مصرنا خاصة ، ثم نضع بين يدي القارئ برنامجا لإصلاح المنظومة التعليمية

الفصل الأول مكانة التعليم في الإسلام

اعلم -علمني الله و إياك- أن للعلم و التعليم مكانة سامية تسموا في مقصدوها و في هدفها و لم لا و أول آية نزلت على النبي – صلى الله عليه و سلم كانت تأمره و تحثه على القراءة و تبعث في نفوس اتباعه طلب العلم و المثابرة في تحصيله فكان أول ما نزل من القرآن {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)} [العلق: ١ - ٥]

وقد أقسم الله بالقلم أداة العلم والكتابة تكريما له وبرمز من رموز الكتابة والقراءة وهو حرف النون فقال سبحانه {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} [القلم: ١] وقد سميت هذه السورة باسم القلم في القرآن الكريم .

و لمنزلة العلم و مكانته جعله الله تعالى ميراث الأنبياء كما اخبر بذلك سيد الأصفياء – صلى الله عليه وسلم

ومن أجل مكانة العلم ومنزلته في الإسلام كان العلماء ورثة الأنبياء لقوله صلى الله عليه وسلم: (العلماء ورثة الأنبياء)) ([1]).

وطلب العلم في الإسلام فريضة واجبة على كل مسلم ومسلمة في كل مظهر من مظاهر الدنيا وبما لا غنى للناس عنه في تحقيق استخلاف الأرض والحياة وعمارتها على الوجه الأكمل وفي ذلك عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: طلب العلم فريضة على كل مسلم)([2]).

---

[1] – أخرجه أحمد ١٩٦/٥(٢٢٠٥٩) و"الدارمي" ٣٤٢ و"أبو داود"٣٦٤١ ، داود . و"ابن ماجة"٢٢٣ وقال الألباني : صحيح ، صحيح الترغيب والترهيب (١ / ٦٣ / ٦٨)

[2] – قال الألباني(صحيح) انظر حديث رقم : ٣٩١٤ في صحيح الجامع .

عن أبى أمامة الباهلى-رضي الله عنه -قال: ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير.(١)

وقد حث القرآن الكريم في آيات كثيرة على العلم منها قوله تعالى {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ } [الزمر: ٩] وقوله سبحانه: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ } [الزمر: ٩]

وقوله سبحانه: {نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ } [يوسف: ٧٦]

وقوله سبحانه: {فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } [البقرة: ٢٣٩]

وقوله سبحانه: "في علم الفقه والدين والحث عليه: {فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة: ١٢٢]

و اعلم أن من أراد الله تعالى خيرا يفقهه في الدين

أنه سمع معاوية ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، (٢)

وها هي ملائكة الرحمن تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع من سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض ، حتى الحيتان في الماء ، وإن فضل العالم على العابد ، كفضل القمر على سائر الكواكب ، إن العلماء هم ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر. (٣) .

يقول الدكتور نصر فريد – حفظه الله - الإسلام لا يفرق بين علوم الدين وعلوم الدنيا :

ولتكريم العلم في الإسلام فقد ساوى الإسلام فيه بين علوم الدين وعلوم الدنيا لدى المسلمين ولذلك فإن الإسلام لا يفرق بين علماء الدين وعلماء الدنيا إن كانوا سواء في الإيمان والإسلام وكان علمهم يخدم التشريع الإلهي والحياة الإنسانية لتحقيق الخلافة الشرعية لبني الإنسان في الأرض جميعا وذلك لأن علمهم جميعا يكمل بعضه البعض لخدمة الإنسانية وتحقيق الخير لكل البشرية وذلك لأن فوق كل ذي علم عليم ولا غنى لأحدهما عن الآخر تحقيقا وتصديقا لقوله تعالى: وقوله سبحانه: { فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ } [يوسف: ٧٦]

وقوله سبحانه :{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النحل: ٤٣]وقوله سبحانه:" {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)} [الإسراء: ٨٥]والتقدم العلمي والوصول به إلى أعلى مكان ومنزلة

---

١ – أخرجه الترمذي (٢٦٨٥) وقال الألباني :صحيح ، المشكاة (٢١٣ / التحقيق الثاني) ، التعليق الرغيب (١ / ٦٠)

٢ – أخرجه أحمد ١٠١/٤(١٧٠٥٥) و"الدارمي" ٢٢٤ و"البخاري" ٢٧/١(٧١) و"مسلم"٩٥/٣(٢٣٥٦)

٣ – أخرجه أحمد ١٩٦/٥(٢٢٠٥٩) و"الدارمي" ٣٤٢ و"أبو داود"٣٦٤١ ، داود . و"ابن ماجة"٢٢٣ وقال الألباني :

صحيح ، صحيح الترغيب والترهيب (١ / ٦٣ / ٦٨)

هو من الفروض الواجبة في الإسلام على كل مسلم ومسلمة، وذلك لقوله تعالى {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)} [الملك: ١٥]وقوله سبحانه {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) } [الجاثية: ١٣]وقد علم الله سبحانه وتعالى آدم أسماء العلوم كلها وأعطاه رموزها ومفاتيح أسرارها وتوارث ذلك العلم عنه من بعده ذريته، جنسه جيلا بعد جيل إلى أن تقوم الساعة وذلك أخذا من قوله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا } [البقرة: ٣١] والمراد أسماء كل كائن وموجود في الحياة الدنيا وما يستجد من علوم إلى أن تقوم الساعة فما من علم يخترع أو يكتشف ويوضع له تسميته واسمه إلا هو علم الله وهدايته لآدم وذريته من بعده توارثا عنه بواسطة الجينات الوراثية التي يتوارثها الأبناء عن الآباء جيلا بعد جيل إلى أن تقوم الساعة ويشهد لذلك قوله تعالى: { وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣) } [النساء: ١١٣]وعلماء الدين يستخرجون من النصوص الشرعية الأحكام الشرعية في الحوادث العملية للبشر على ضوء الأحكام الدنيوية والمادية التي بينها علماء المادة والتجارب البحثية التي يعول عليها في معرفة أحكام الشارع الوضعية التي لابد منها لمعرفة الأحكام الشرعية التكليفية معرفة صحيحة يترتب عليها التزام المكلفين بالأحكام الشرعية في مجال الأمر أو النهي في الأحكام التكليفية الخمسة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بأحكام الشارع الوضعية بأقسامها الثلاثة وهي: (شروطها وأسبابها، أو علاماتها، وموانعها الشرعية)

ومن هنا كان كل عالم في نظر الإسلام مطلوبا منه أن يكون فقيها في أمر دينه وعلمه بما يحقق له ولبني جنسه الجمع بين خيري الدين والدنيا معا ويبعده عن مزالق الشر والخطر من بحثه وعلمه لنفسه ولبني جنسه لأن العلم النافع هو الذي تدور عليه تحقيق الخلافة الشرعية لبني الإنسان ويتحقق معه الخير والنماء والسلام لكل إنسان في أي مكان وفي أي زمان تحقيقا لقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣]وقوله سبحانه وتعالى " {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا } [هود: ٦١]

وما أحوج العالم العربي والإسلامي والعلماء مع اختلاف مشاربهم العلمية النافعة في كل مكان الآن إلى تحقيق هذا الهدف العلمي لخدمة الإنسانية والتقدم من خلاله إلى باطن الأرض وإلى عنان السماء في سبيل رفعة العلم الديني والدنيوي والمعرفة المادية والمدنية ومجابهة هذا التحدي العالمي المخرب والمدمر في الكون ممن ملكوا العلم المادي الحديث وأسراره بغير ضوابط دينية ولا أخلاقية من غير المسلمين كما أمر الله، فضلوا وأضلوا وعاثوا في الأرض فسادا وخرجوا بالعلم النظري والتجريبي والعملي عن منهج الله في خلقه وأوشكوا بذلك أن يدمروا أنفسهم وبني جنسهم بأيديهم إلا من عصم ربك، وقد أفسدوا في الأرض التي أصلحها الله لهم، وقد نهينا جميعا نحن بني الإنسان عن ذلك الإفساد بقوله تعالى: ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها (١)

---

١ – موقع المسافرون مقال للدكتور نصر فريد واصل

فمجمل القول: إنّ للتعليم مكانة عظيمة سببها أنه يمثل أسّ الرسالة الخاتمة والغاية من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنّ في ذلك منّة عظيمة من الله سبحانه على المؤمنين. ونظراً لما تبوأه التعليم من مكانة وسموّ رتبة في الرسالة الخاتمة جعل المسلمين يهتمون بأمر التعليم والمحافظة عليه، وذلك بجعله عملية مستمرة من جيل إلى آخر عبر التاريخ الإسلامي. هذا، ولا شكّ أنّ التاريخ الإسلامي قد شهد تقدماً علمياً ورقياً وازدهاراً نتيجة لتعاليم هذا الدين التي تحثّ على العلم والتعليم وتحرّض عليهما، وترقى بهما إلى مرتبة الفرض التي لا تعلوها أيّ مرتبة أخرى أو تدانيها. ولذا، فأبعد في الاستحالة أنْ تكون تعاليم الدين الإسلامي هي التي ساهمت في تخلف التعليم لدى المسلمين مما أدى إلى تخلفهم، بل التاريخ يشهد بخلاف ذلك. والحاصل أنّ الحضارة الإسلاميّة كانت نتيجة نشاط الحركة التعليمية وازدهارها في العالم الإسلامي. وإذا أخذنا بمفهوم المخالفة في هذه المسألة، فنقول: إنّ التراجع الحضاري الذي يعيشه العالم الإسلامي اليوم إنما سببه الرئيس تراجع الحركة التعليمية وتخلّفها، أو قل، إن شئت: إنّ التعليم في العالم الإسلامي يمرّ بأزمة معضلة.

وبناء على ذلك، فإنّ حاضر العالم الإسلامي يعيش أزمة تعليمية بلغت مبلغاً قصياً، بحيث أصبحت داء متمكناً مستعصياً، من الصعوبة بمكان علاجها والخروج منها، نظراً لحدّتها واستفحالها في المجتمعات الإسلامية. ناهيك عن أنّ الأزمة التعليمية تفوق في حدّتها أيّ لون آخر من ألوان الأزمات، بوصفها الأزمة الأم في العالم الإسلامي، وإنْ كان عدم الاهتمام بها يُشعر كأنها أقلّ خطراً وأخفّ ضرراً من الأزمات الأخرى، ولا سيما الأزمة الاقتصادية. والسبب في ذلك راجع إلى ما أومأنا إليه من قبل من أنّ التنمية في العالم الإسلامي تكاد تكون محصورة في الجانب الاقتصادي دون غيره من الجوانب الأخرى، وقد بيّنت أنّ هذا المنظور للتنمية هو سبب فشلها. ومن ثَم، فليس غريباً أنْ تعدّ الأزمة التعليمية جرثومة التراجع الحضاري للأمة الإسلاميّة، وأن تنمية التعليم سبيل الخلاص من هذا التراجع الحضاري.

الفصل الثاني: صور من فساد وإفساد المنظومة التعليمية

أخي المسلم بعد أن تعرفنا على مكانة التعليم وأن الإسلام إنما جاء بالعلم وطالب اتباعه بتعلم ورتب على ذلك الأجر والثواب من الكريم الوهاب – سبحانه وتعالى، هيا لنرى صورا من الفساد الذي دب إلى التعليم والتعلم فشمل المنظومة التعليمة بأثرها فتخرج من أثر ذلك طالب عندهم أمية في كل شيء بل البضع منهم قد يحصل على الشهادة ويتوظف مدرسا وهو لا يحسن أن يقرا جملة واحدة صحيحة وبعضهم لا يعرف كيف يتلو آية القرآن فظهر الفساد في شتى ميادين المجالات التي يرتادها هؤلاء الأميون

أخطار ما يسمى بتطوير التعليم (١)

الأسباب التي دعت إلى الريبة في هذا التطوير، والأدلة ظاهرة على اتهام الأصابع الخفية وراء هذا التطوير، وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: سعي هذا التطوير إلى طمس عقيدة الأمة، وتزوير هويتها، وتغريب تقاليدها خلسة ومن خلف ظهر الجميع.

---

١ – المؤامرة على التعليم للعلامة الرباني محمد بن إسماعيل حفظه الله و نفع الله بعلمه العباد و البلاد

ثانياً: عدم صدور التطوير عن المتخصصين الشرعيين، بل صدوره عن جهات غامضة مجهولة تستمد نفوذها من الوزير مباشرة أو رئيس الوزراء المسئول عن الأزهر؛ وذلك بشكل فجائي، تليها خطوات جريئة بدون روية أو استطلاع أو تجريب أو استشارة مدرسي المواد والموجهين لهم أو المؤلفين أو الطلاب أو أولياء الأمور أو غيرهم.
ثالثاً: العزوف عن برامج التطوير الحقيقية والمأمونة والتي تنبع من حاجات الأمة وتقاليدها.
نفصل في الأمر الأول، وهو سعي التطوير إلى طمس عقيدة الأمة خلسة ومن خلف ظهر الجميع. قام التطوير بإدخال موضوعات تغريبية مع حذف عبارات وموضوعات إسلامية، بل وحذف كتب إسلامية بكاملها، كالتاريخ الإسلامي في المرحلة الابتدائية. وهذا بدون علم المؤلفين، أو مشورة المتخصصين، أو استطلاع رأي المعلمين أو غيرهم، فمن يا ترى هو الفاعل؟!
رئيس لجنة التعليم بمجلس الشعب المدعو صوفي أبو طالب بعد أن ترك منصبه صرح لبعض الجرائد: أنه لم يشترك في وضع كتب التاريخ المقررة على تلاميذ المرحلة الإعدادية أو الثانوية، ربما أراد أن يبرأ نفسه من هذه الجريمة، وقال: إن وزارة التعليم كتبت اسمه في هذه الكتب بدعوى أنه شارك في وضعها، وأكد أنه سيلجأ إلى القضاء لتبرئته مما نسب إليه، وأشار بأن مناهج التاريخ شوهت التاريخ الإسلامي وزيفته، حيث وصفت بعض الصحابة بأنهم مشيعو الفتنة رغم أنهم من المبشرين بالجنة، وطالب بضرورة إعادة كتاب التاريخ الإسلامي، وتنقية المناهج المقررة من الأخطاء التي تشوه عقول الطلاب في المرحلتين الإعدادية والثانوية. فيتبرأ صوفي أبو طالب من التحريف الذي أدخل على الكتب الدراسية التي شارك هو في تأليفها، كما أعلن بأن حذف موضوع: دور العرب والمسلمين في الحضارة الأوروبية -يعني: تأثير الحضارة الإسلامية على النهضة الغربية-تم بدون علمه رغم أنه مشارك في تأليفه!!

نماذج من المؤامرة على التعليم بحذف ما يخدم الدين:

الأزهر ألغى مواد التفسير والحديث، وألغت وزارة التربية الآيات القرآنية التي تحث على الجهاد، وتوجب الحكم بما أنزل الله، وحذفت كثيراً من موضوعات كتب القراءة والتربية الإسلامية، ووضعت مكانها موضوعات تشجع على التعامل مع البنوك الربوية، وتروج لفكرة تنظيم النسل وغير ذلك كما سنبين إن شاء الله.
ألغيت قصة عمرو بن العاص رضي الله عنه في الصف الثالث الإعدادي واستبدلت بغادة رشيد.
أيضاً قررت حياة طه حسين وتوفيق الحكيم والعقاد مكان عبقرية عمر وسعد بن أبي وقاص وأبي ذر الغفاري.
بالنسبة للتربية الإسلامية في الجامعة: أقر فيها قصة (دانويل...) والأمثلة كثيرة جداً، فتاريخ مصر الإسلامية ألغي ووضع مكانه تاريخ وطني مصر، فيخاطب التلاميذ ويقول لهم: آباؤك الفراعنة.... أجدادك الفراعنة.... وهكذا.
أيضاً في المرحلة الإعدادية ألغيت معالم التاريخ الإسلامي ووضع مكانه مصر والوطن العربي.
وفي المرحلة الثانوية ألغي تاريخ الدول الإسلامية إلى التاريخ الإسلامي والوسيط، والمقصود بالوسيط: دراسة تاريخ أوروبا في العصور الوسطى. وهكذا ألغي تاريخ صلاح الدين.

فكل ما يربط الطالب بدينه حذف، وقرر بدله موضوعات عن الرقص والغناء والقمار وقيم الحياة الغربية.
أيضاً مادة الفلسفة كان فيها تعليق إسلامي على ما في الفلسفة من شطط، فألغي هذا التعليق، وتركت الفلسفة هكذا تخرب عقيدة النشء.
وهكذا أشياء كثيرة لا نطيل بذكرها.
ويعلل المنشور الذي جاء فيه ذكر أسباب تطوير التعليم بقوله: إن دراسة هذه الموضوعات تثير قطاعاً عاماً في المجتمع.
يشير إلى هؤلاء الذين يستعملون من أجل التنازل عن عقيدة الأمة وهويتها الإسلامية.
ألغي اسم فلسطين من جميع الخرائط الجغرافية والتاريخية!
وألغيت كتب التفسير والحديث من الأزهر لإخلاء الأمة معنوياً قبل تصفيتها جسدياً، كما تم مضاعفة المقررات الدراسية في التعليم العام والأزهر؛ وذلك لأجل تضخيم الجانب النظري على الجانب التطبيقي، بحيث الزيادة تصل إلى نسبة (١٠٠%) يقول: والعجيب والمدهش حقاً أن مديري المناطق الأزهرية عندما أثاروا هذه القضية في مؤتمرهم مع شيخ الأزهر يوم: ٢٧/ ربيع الثاني/ ١٤١٠هـ قيل لهم: هذه المسألة غير قابلة للمناقشة! حتى قضية إلغاء مادتي الحديث والتفسير من الأزهر! فلابد من القطع بأن هذا التطوير أمر مريب جداً، وقد ذكر المؤلفان بعض الأمثلة مما فعله التطوير في التعليم العام والأزهر، ومما قالا: تم رفع آيات قرآنية وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخبار الرسل والأنبياء، والأناشيد الإسلامية، وأخبار الصحابة والتابعين من كتب القراءة المقررة على الصفوف الخمسة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي بوزارة التربية والأزهر، وكل ذلك بحجة التيسير على التلاميذ في حين أن ما تم حذفه لا يتفق مع تلك الحجة، فمثلاً: كتاب القراءة للصف الأول للتعليم العام والأزهري حُذف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)(١) بحجة التيسير على الطلاب؛ لأن هذا الحديث صعب! وكأنه كتب باللغة الهيلوغرافية التي لا يعرفها الأطفال ولا المدرسون، ولكنهم خافوا من هذه الفائدة العظيمة التي تشوق الأطفال إلى تعلم كتاب الله عز وجل، وتحببهم في كلام الله، وتدفعهم إلى الانتظام في مصاف الأخيار: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه). فأي صعوبة في هذا الحديث؟! وإذا سلمنا جدلاً بأن هذا الحديث صعب بالنسبة لهذه المرحلة فلماذا لا يقرر على مرحلة أعلى منها؟! لكنه حذف نهائياً.
كتاب القراءة للصف الثاني في التعليم العام والأزهري الابتدائي فيه موضوع بعنوان: (أهلاً وسهلاً)، حذفت منه عبارة (السلام عليكم)، وكان في الأصل: (إذا مررت بجماعة أقول لهم: السلام عليكم) فحل محلها: (إذا مررت بجماعة ألقي عليهم التحية)! لماذا هذا الحذف؟! أليس (السلام عليكم) تحية الإسلام التي ألقتها الملائكة على آدم عليه السلام، وقال له رب العالمين: هذه تحيتك وتحية ذريتك: (السلام عليك ورحمة الله)؟! كيف تم لهذه الثلة الذليلة القليلة أن تلغي هذه الشعيرة الإسلامية الظاهرة حتى لا يعلم أطفالنا آداب إسلامهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم؟! أيضاً: موضوع الأصدقاء السعداء في الصف الثاني الابتدائي عام وأزهري، كان فيه:

١- خرجه أحمد١/٥٨(٤١٢و"البخاري"٦/٢٣٦ (٥٠٢٧) و"أبو داود"١٤٥٢ و"ابن ماجة"٢١١ و"الترمذي"٢٩٠٧ "النسائي" في "الكبرى" ٧٩٨٢

(الخصام لا يحبه الله ولا يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم)، حذفت منه عبارة: (لا يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم)، وكأنه صعب على التلاميذ أن يعلموا أن الخصام لا يحبه رسول الله عليه الصلاة والسلام! كان الأولى بدل أن تحذف (ولا يحبه رسول الله) أن يضاف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)([1]) يوجد موضوع في الصف الثالث الابتدائي العام والأزهري يسمى: (النظافة من الإيمان)، حذفت منه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي: (النظافة من الإيمان)، وحديث: (وتسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب))([2])، وحديث: (بركة الطعام الوضوء قبله وبعده) ([3])، والحديث الأول لا يصح، والثالث ضعيف، ولكن بغض النظر عن هذا، فلماذا حذفت وهي تحث على آداب ما أحوجنا وأحوج أبنائنا إلى التحلي بها؟!

موضوع: طبيب الأسنان، حذفت منه عبارة: (سوف ألتزم بنصائح معلمنا في استعمال السواك مع كل صلاة)، كان يتعلم منها الأطفال هذا الأدب، لكن حذفت لأن فيها الصلاة وفيها السواك!

أيضاً موضوع: الشمس، حذفت العبارة التي تذكر بأوقات الصلاة، وكأن الصلاة عورة ينبغي لهم أن يخفوها ولا يظهروها!! موضوع: العطور، حذفت منه الفقرة التالية: (وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتطيب حين نذهب إلى المسجد للصلاة؛ لأن ذلك يجعل رائحة المسجد طيبة؛ ولهذا فإن معظم المصلين يوم الجمعة يتطيبون بالروائح العطرة أسوة بمحمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -حذفت هذه الفقرة لأنها صعبة على عقول التلاميذ!! موضوع في الصف الرابع من بالتعليم الابتدائي والأزهري يسمى: شجاعة مصرية، يتكلم عن حرب العاشر من رمضان مع اليهود، حذفت منه العبارة الآتية من التدريبات: (احتلال العدو المحتل وهم اليهود للأراضي المصرية لا أرضى به.. إلى آخره)، حذفت هذه العبارة لأنها تشير إلى أن اليهود أعداء. أيضاً موضوع: وطني العربي، حذفت منه عبارة: (ويرتبط العرب بالتاريخ واللغة والدين)؛ لأنها صعبة على عقول التلاميذ، فهم لا يريدون أن يعلم التلاميذ أن هناك رابطة اسمها رابطة الدين. الأناشيد المحذوفة كثيرة، حذف نشيد: (الله ربي) في الصف الثاني من التعليم الابتدائي العام والأزهري، وهو: إن سألتم عن إلهي فهو رحمن رحيم أو سألتم عن نبيي فهو إنسان عظيم أو سألتم عن كتابي فهو قرآن كريم أو سألتم عن عدوي فهو شيطان رجيم حذفت هذه الأنشودة لأنها صعبة على عقول التلاميذ! أيضاً حذف نشيد دعاء:

نتطيب حين نذهب

حذف هذا أيضاً! أيضاً: حذف نشيد: الصلاة في الصف الثالث من التعليم الابتدائي؛ لأنه يبدو لهم وكأنه كتب باللغة اللاتينية أو الهيلوغرافية وما يستطيع التلاميذ أن يفهموه، وهذا النشيد هو:

بني توضأ وقم للصلاة وصل لربك تكسب رضاه
إذا رضي الله عن مسلم نال السعادة طول الحياة

---

[1] – أخرجه مالك "الموطأ" ٢٦٣٨. و"الحميدي" ٣٧٧ و"أحمد" ٤١٦/٥(٢٣٩٢٥). و"عبد بن حميد" ٢٢٣ و"البخاري" ٢٦/٨(٦٠٧٧) ي (الأدب المفرد) ٣٩٩

[2]– أخرجه أحمد ٢٦٣/٥(٢٢٦٢٥) عن عبيد الله بن زحر. و"ابن ماجة" ٢٨٩، (صحيح) انظر حديث رقم : ٣٦٩٥ في صحيح الجامع

[3]– أخرجه أحمد ٤٤١/٥(٢٤١٣٣) و"أبو داود" ٣٧٦١، والترمذي" ١٨٤٦ ، وفي (الشمائل) ١٨٧، وقال الألباني :ضعيف ، الضعيفة (١٦٨) ، مختصر الشمائل (١٥٩) // ، ضعيف أبي داود (٨٠٤ / ٣٧٦١) ، ضعيف الجامع الصغير (٢٣٣١) //

بني توضأ وقم للفلاح ففي طاعة الله سر النجاح
بني توضأ بماء طهور فماء الوضوء لوجهك نور
إذا رضي الله عن مسلم أتاه الهناء ونال السرور

فحذف هذا؛ لأنه صعب على عقول التلاميذ!! وحذف أيضاً نشيد: (رباه) وهو مليء وحافل بالمعاني الجميلة، وكذلك حذف من نشيد (الفتاة المصرية)، هذه الأبيات وهو في الصف الرابع من التعليم العام:

يا فتاة ارفعي العلم وانشريه على الأمم
وأعدي له فتى يجمع السيف والقلم هيئيه لعالم
من كفاح ومن همم واطبعيه شجاعة وأطمعيه من الكرم
بنت مصر لا ترى في الجهالات والظلم

حذف هذا حتى لا يكون للمرأة أو الفتاة أو البنت رسالة موضوعية هادفة تهدف إلى تنشئة الجيل المسلم. أيضاً: حذف نشيد التسبيحة، وهو كلمات فيها ذكر لله عز وجل للشاعر محمود حسن إسماعيل، يقول فيه:

لك الملك والحمد أنت النصير وأنت الأمان لمن يستجير
وأنت لمن قال يا رب نور ترد السكينة للحائرين
وتسكب للروح نور اليقين وتمحو الأسى من ظلام الصدور
إلهي وما لي دعاءٌ سواك ولا لي مع الليل إلا ضياك
ولا عون للروح إلا لمداك إذا رفرفت كنت سر الدعاء

إلى آخره، حذف هذا النشيد لأنه صعب على عقول التلاميذ! الموضوعات الإسلامية والتربوية الأخرى حذفت بكاملها من التعليم العام والأزهري، وهي تحوي نصوصاً قرآنية وأحاديث نبوية، وموضوعات تربوية إسلامية، كلها مما يحض على فعل الخير، وترهب الطلاب من فعل الشر مثل موضوع في الصف الثاني الابتدائي بعنوان: (البطل الصغير) يحث على الجهاد دفاعاً عن الإسلام، ومن عباراته قول قائد الجيش: (إن جيشاً فيه مثل هذا الغلام لا يمكن أن يهزم، ولابد أن ينتصر بإذن الله)، فحذف هذا الموضوع؛ لأنه صعب على عقول التلاميذ! حذف موضوع: (فاعل خير) يحض الطلاب على إماطة الأذى عن الطريق. موضوع: (الولد الشجاع)، يحكي قصة عبد الله بن الزبير، وكيف فر أقرانه من الصبية حينما قدم عمر فصمد هو، وسأله عمر: لماذا لم تفر مثلهم؟ فقال: ليس الطريق ضيقاً فأوسع لك. وهو كنموذج لشجاعة عبد الله بن الزبير، فحذف هذا. موضوعات كثيرة في الصف الثالث الابتدائي حذفت، منها موضوع: (الكعبة المشرفة)، وهو موضوع يعرف الطلاب ببيت الله العتيق، وقبلتهم التي يتوجهون إليها في الصلاة، ويطوفون حولها في الحج والعمرة، حذف من المنهج؛ لأنه صعب على عقول الطلاب!!

نماذج من المؤامرة على التعليم بإدخال ما يطعن في الدين:

أما الموضوعات التي أضيفت فمنها: للصف الخامس الابتدائي موضوع: (التاجر والعفريت) مقتبس من قصص، (ألف ليلة وليلة)، ومعروف أن هذه الروايات تهدف إلى إفساد الشاب، وحضه على التحلل والمجون والفساد والاختلاط والاستغراق في الغناء وغير ذلك. وحرص مؤلف هذا الموضوع على تدعيم ارتباط الطلاب بهذه القصص عن طريق تكليفهم في نهاية

الموضوع بقراءة كتاب: (ألف ليلة وليلة) من مكتبة المدرسة، وتلخيص مضمونه، وإذاعتها إلى غيرهم من التلاميذ! موضوع بعنوان: (نجيب محفوظ -لا حفظه الله- وجائزة نوبل) للصف الأول الإعدادي، لا يحتوي إلا على دعاية لعدو الله نجيب محفوظ وقصصه المنافية للإسلام وعقائده، ومن الخبث أنها جاءت أسئلة عن الموضوع تدعم هذا الاتجاه، يقول السؤال للتلميذ: اكتب قائمة بقصص نجيب محفوظ وعلقها على مكتبتك، ومنها: (أولاد حارتنا)، فهذه تثبت بدل قصة عمر بن عبد العزيز و أحمد بن حنبل و علي بن أبي طالب وغيرهم من الشرفاء العظماء. أيضاً: حتى يشجع الولد أن يجلس ويخالط النساء، يذكر نجيب محفوظ أنه كان يجلس مع والدته ويستمع إلى الحكايات التي تروى في مجالس النساء، فيأتي السؤال للتلميذ ليكمل الفراغ: تأثر نجيب محفوظ بالحكايات التي كانت تروى في مجالس....؛ ليكتب التلميذ في الفراغ كلمة (النساء)؛ ليلفت نظره إلى الاستقراب من هذا النبع!! أضيف موضوع لنجيب محفوظ مقرر على ثالث إعدادي بعنوان: (أنا ابن حضارتين، يذكر فيه أن أخناتون كان نبياً، وأنه أول من هدى المصريين إلى الله تعالى، وأنه اخترع عقيدة التوحيد، وأنه وحد بعزمه جميع الآلهة في إله واحد هو: (آتون) أي: الشمس. ونسي إبراهيم عليه السلام ويوسف حينما كانا في مصر من قبل. قصة لنجيب محفوظ في الصف الأول الإعدادي بعنوان: (العجوز والأرض) يكرر فيها الدعاية لنجيب محفوظ فتقرر روايات وأفكار هذا الخبيث نجيب محفوظ ، وتحذف مواقف عبد الله بن الزبير و عمر بن عبد العزيز و صلاح الدين وغيرهم. قصيدة لنزار قباني بعنوان: (عند الجدار) وهذه أخيراً بضغط الشرفاء من المسلمين استطاعوا أن يحذفوها، لكن أين هذه من هذا الركام الهائل من هذه المؤامرة الخطيرة؟!

وهي عبارة عن قصة غرام يبن طفل وطفلة، ويحكي كيف أن الطفل وقع في محبة هذه الطفلة، ويحكي هذا الماجن القذر نزار قباني ما يستحي الإنسان أن يتلفظ به. فيذكر أول نظرة بينه وبين هذه الطفلة أن هذا الطفل الصغير يقول: ليلتها عدت إلى فراشي، فطار قلبي، واستحال نومي، واحترقت مخدتي بناري، وأقبلت على الدموع أمي تقول: يا شقي! كيف تغشى زاوية الجدار دون علمي؟! وهذه قصة لمن هم في بداية البلوغ، تخيل كيف يشرب الأطفال مثل هذه المفاهيم؟! أما الشارح الخبيث فيشرح هذه الأبيات ويقول: وفي المساء حين ينتهي اللقاء ويدخل الطفل في فراشه يعتصره الألم لفراقها، وتسيل من عينيه دموع الحب البريء حرة غزيرة تكاد تحرق مخدته، وحين أبصرت أمه هذه الدموع أشفقت عليه وتألمت لحاله، فقد أحست أن نيران الحب قد أدركته. هذا ما يتعلمه الأطفال في أول إعدادي، فهذا هو التطوير، تطوير فتح الشرور للتعليم، هذه سهلة على عقول الأولاد! سهل أن تدركها وتكتسبها العقول وتحشى في عقول أبناء المسلمين! أيضاً: قصيدة أضيفت للمنهج في الصف الأول إعدادي للدكتور أحمد هيكل يمدح فيها طه حسين أعمى البصر والبصيرة، وهي قصيدة طويلة يقول له: أنت أدركت كل سر خفي بذكاء الإلهام قبل العيان وكأنه إله! فهذه هي البدائل! فبدل عمر بن الخطاب و صلاح الدين و عبد الله بن الزبير و علي بن أبي طالب نأتي بنجيب محفوظ و نزار قباني و طه حسين وغيرهم! أيضاً: موضوع (شم النسيم) أضيف وسمي: (عيد شم النسيم). موضوع: (تحية إلى الأزهر) لأحمد شوقي في الصف الأول الإعدادي يقول في هذا الشعر:

قم في فم الدنيا وحي الأزهر وانثر على سمع الزمان الجوهر

واذكره بعد المسجدين معظماً لمساجد الله الثلاثة مكبرا

هو يتكلم عن الأزهر ويقول: واذكره بعد المسجدين معظماً لمساجد الله الثلاثة مكبرا وفي الشرح يقول الشارح: إن المسجدين هما: المسجد الحرام والمسجد النبوي، أما ثالث المساجد فهو الأزهر، وفي الحديث: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام والأزهر!! مسجد الأزهر بني في عهد الدولة الفاطمية الشيعية، وهذا يقول: إن المسجدين هما: المسجد الحرام والمسجد النبوي، أما الثالث فهو الأزهر! فأين المسجد الأقصى إذاً؟!

يقول المؤلفان في نهاية هذا العرض الموجز: فيا أمتنا! ويا شبابنا! ويا أيها المسئولون الذين حملتكم الأمة مسئولية تربية الأجيال وفق شريعة الله! هل هذا هو التطوير الحديث؟

إغفال الآيات من كتاب الله، والأحاديث النبوية، وجوانب من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته رضوان الله عليهم، يغتال كل ما يحض على الالتزام الديني والخلقي، ويضع بدلاً منها موضوعات أخرى مثل موضوع: (نجيب محفوظ وجائزة نوبل)، وقصة (العفريت) من (ألف ليلة وليلة)، وقصيدة نزار قباني ، وشباب الأمة اليوم يعانون من أزمات نفسية قاتلة دفعتهم إلى فساد خلقي ذميم بدت صوره في شيوع المخدرات. الشيء الوحيد الذي غلبنا فيه العالم كله ما عدا أمريكا هو المخدرات، فمصر ثاني دولة في العالم في شيوع المخدرات!! قالا: بدت صوره في شيوع المخدرات، وتفشي المجون، والعدوان على الحرمات، والاستهانة بالقيم، وفقدان الإحساس بالمسئولية، إذا كان ذلك كذلك فما هي مناهج التعليم التي تعالج هذه الأحوال عند الشباب؟! هذا هو التطوير!

أمثلة على حذف مواضيع دينية من المنهج :

المنهاج الجديد حذفوا (٢٢) موضوعاً من الموضوعات الإسلامية الضرورية، وأتوا بديلاً منها خمسة موضوعات، فيكون الباقي ١٧ موضوعاً، وليست قضية حشو، وإنما المقصود منها: التخطيط ضد الإسلام، واغتيال عقلية الأولاد المسلمين. فهذه الإحصائية بالنسبة للصف الثالث الابتدائي، أما بالنسبة للصف الثاني الابتدائي فقد استبعد ثمانية موضوعات إسلامية ليست حشواً، ولكنها ذات أهمية قصوى للناشئة، فالتطوير متحيز ضد المواضيع الإسلامية. في بعض الكتب حذفت عبارة: (الإسلام وحسن الخلق) وتغيرت إلى (الأمانة من حسن الخلق)، وكلمة: (أنا مسلم) تحولت إلى: (أنا متدين)، هل هذا تطوير؟!

حذفت آيات القرآن كلها بلا استثناء، حذفت أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، وحقوق الوالدين، والإنفاق في سبيل الله. موضوع: (الفلاح الأمين) حذف منه الخبيث الذي كان ينقش بالملقاط في هذه المناهج عبارة: (خرج من الماء وهو يحمد الله ويشكر فضله عليه)، لماذا حذفت هذه العبارة؟!

فلاح خرج من الماء وهو يشكر الله ويحمده، ما فيها حتى تحذف؟!

فيها ذكر الله {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ [الزمر:٤٥} أيضاً: في موضوع: (بور سعيد) بدل عبارة: (المعتدون من الإنجليز والفرنسيين واليهود) صارت: (المعتدون من الإنجليز والفرنسيين والإسرائيليين) بدل كلمة (اليهود)؛ لأن هذه فيها رائحة الدين. أيضاً: حذف التدريب الذي يكلف التلميذ بكتابة الحديث الشريف بخط النسخ وتعليقه في جدار الفصل. أيضاً بالنسبة للتعليم الأزهري حذف -تحت اسم التطوير في التعليم الأزهري-

التاريخ الإسلامي كلية من التعليم الإسلامي بنسبة (١٠٠%)، ألغي تماماً تعليم التاريخ الإسلامي بالأزهر، وأصبح يدرس بدلاً منه تاريخ الفراعنة بدل التاريخ الإسلامي، حتى في الأزهر!! كما ألغي التاريخ الإسلامي من التعليم الإعدادي بنسبة: (٧٥%)، وأصبح يدرس بدلاً منه تاريخ الوثنيات القديمة للوطن العربي، وهم لا يقولون: الوثنيات. أما التعليم الثانوي فقد حذف قدر كبير من كتاب التاريخ الإسلامي بعد أن أدمج فيه التاريخ الوسيط لأوروبا، حتى أن شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه صارت تدرس في سبعة أسطر فقط، وعثمان بن عفان في خمسة أسطر، حتى هذه الأسطر القليلة قد زيفت وحرفت وشوهت أشد ما يكون التحريف والتشويه.
وبالنسبة للتعليم الابتدائي الأزهري في مادة التاريخ الإسلامي، ألغت وزارة التعليم والأزهر كتاب: (صور من تاريخ مصر الإسلامية) للصف الخامس الابتدائي، ويشتمل على التاريخ الإسلامي من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى عصر المماليك، وقرر بدلاً منه تاريخ الفراعنة واسمه: (وطني مصر) للصف الرابع الابتدائي، ويعاد تدريسه أيضاً في الفصل الأول الثانوي، واستبدل الغلاف الذي كان يحمل كلمة: (الله أكبر) ومعه صورة القرآن الكريم، استبدل بهذه الصورة: وطني مصر، عليها صورة الفراعنة!! هل يمكن أن يكون الذي عمل هذه الجرائم مسلم أو شم رائحة الإسلام؟! ألغي من التعليم الإعدادي العام والأزهري كتاب: (معالم التاريخ الإسلامي) للصف الثاني الإعدادي، وهو يشتمل على التاريخ الإسلامي من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى عصر المماليك، وقرروا بدلاً منه: (مصر والوطن العربي)، ويشتمل على الوثنيات القديمة التي سماها المؤلفون بالحضارات، وهي وثنيات ليست إلا قليلاً من الحجارة، وعرضوها في الفصل السابع والثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر، أي: خمسة فصول، أما التاريخ الإسلامي فعرض بشكل موجز ومخل في الفصل الثاني عشر والثالث عشر فقط، علماً بأن تاريخ الحضارات القديمة يدرس أيضاً للصف الأول الثانوي، والذي يطلع على الفهرس يدرك أن المؤلفين قد تجاهلوا ذكر اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كما تجاهلوا اسم محمد صلى الله عليه وسلم حتى في عنوان الدرس الخاص به!!
أما المدارس الثانوية العامة والأزهرية فقد ألغي كتاب التاريخ الإسلامي للدول الإسلامية والعربية وحضارتها للصف الثاني الثانوي، وقرروا بدلاً منه كتاب: معالم التاريخ الإسلامي والوسيط يعني: تاريخ أوروبا في القرون الوسطى بعد أن اختصر التاريخ الإسلامي اختصاراً مخلاً.

تحسين صورة اليهود في المناهج:

أيضاً هناك بعض اللقطات تبين تشويه وتحريف وتزوير التاريخ الإسلامي، حذف اسم (فلسطين) من جميع الخرائط الجغرافية والتاريخية، مثل خريطة سيناء في كتاب (وطني مصر).
أغفل ذكر جميع أنبياء العرب: هود وصالح وإسماعيل وشعيب؛ وذلك جرياً على سياسة المستشرقين المعادين لكل ما هو عربي وإسلامي، فأي نبي عربي يلغى اسمه، لكن يبقى أنبياء بني إسرائيل، ونحن بحمد الله سبحانه وتعالى -عافانا الله من التعصب للعروبة وهذه الأشياء، لكن أقصد كشف هوية الذي خطط لهذا المنهج، وعرض تاريخ بعض الأنبياء في خمس صفحات، في حين عرض التاريخ الوثني القديم في خمسة وثلاثين صفحة في الصف الأول الإعدادي، وكأن وزارة التربية والتعليم تريد أن تجعل مساحة التاريخ الوثني في ذهن أبنائنا سبعة أضعاف تاريخ الرسل والأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام! وفيه أيضاً الطعن في أنبياء الله

مثل قوله عن نبي الله سليمان بأنه كان مسرفاً، وهذا موجود في الصف الأول الثانوي. وكذا الادعاء بأن أخناتون هو أول من نادى بالتوحيد.

أيضاً: الزعم بأن أول دين توحيدي هو الديانة اليهودية، لا يقولون: دين الإسلام أرسل به جميع الأنبياء، لكن يقولون: الدين اليهودي هو أول ديانة توحيدية ظهرت في هذه المنطقة. فأين رسالة نوح عليه السلام ومن جاء بعده من الأنبياء والرسل، وهل اليهودية رسالة توحيدية، والله عز وجل يقول: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ} [التوبة:٣٠]}، وقال عز وجل: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا [المائدة:٦٤]}. أيضاً: مذكور في كتب التاريخ أن مكة كانت مركزاً للوثنية الأولى، في حين أن مكة كانت المركز الإسلامي الأول ففيها البيت الأول الذي بناه إبراهيم عليه السلام:{ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا [آل عمران:٩٦]}، والله عز وجل أمر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن يبنيا هذا البيت بإذن الله، فهي مركز التوحيد في العالم كله، وأول مكان بني ليعبد فيه الله، فأول بيت اتخذ لعبادة الله وحده لا شريك له هو هذا البيت العتيق البيت الحرام، فكيف تكون مكة مركز الوثنيات وهي البؤرة التي شع منها التوحيد على أرجاء الأرض؟! عرض كتاب التاريخ الوصايا العشر لليهود على أنها نصوص حضارية، فهل اليهود قتلة الأنبياء هم المدافعون حقاً عن الله تعالى كما يذكر هذا الكتاب؟ وهل الله يحتاج إلى من يدافع عنه؟ وكيف يورد المؤلف نصوصاً من التوراة المحرفة في صفحتين في حين لم يورد من القرآن الكريم نصاً واحداً؟! فالتوراة أعز على المؤلف من القرآن الكريم!! إذاً: من هذه الأصابع الخفية التي هي وراء هذه المؤامرة الخطيرة جداً على مستقبل الأجيال القادمة، وهذا كله حتى يرضى عنا اليهود، وما أدري أين علماء الأزهر! كيف يدرسون الشباب صفحتين من التوراة المزورة ويلغى نص القرآن الكريم تماماً! الله المستعان.

تفريغ السيرة النبوية من مضمونها التربوي في المناهج المطورة:

تم تفريغ سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم من مضمونها التربوي، فسيرة النبي صلى الله عليه وسلم محمد كما يعرفها كتاب (مصر والوطن العربي): مناسبة سيرة الرسول لإقامة الزينات، وتوزيع الحلوى، وتعطيل المدارس والشركات والمصالح الحكومية! هذه هي سيرة الرسول، وذكرى الرسول، وأنا أنقل نص العبارات التي في الكتاب صفحة: (٨٧ - ٨٨ - ١٦٥) قال: مناسبة لإقامة الزينات، وتوزيع الحلوى، وتعطيل المدارس والشركات والمصالح الحكومية!! ولا يذكرون السيرة كمنهج تربوي وكتاريخ يعكس سيرة خير من وطئ الحصا عليه الصلاة والسلام عملاً بقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الأحزاب:٢١]}. ذكر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم عقيدة وعبادة وشريعة وجهاداً ومعاملات وفروض لا وجود لها في هذا الكتاب. أيضاً: الخبثاء تجاهلوا ذكر اسم النبي عليه الصلاة والسلام تماماً في الكتاب، أخزاهم الله! يقول: تجاهل مؤلف الكتاب اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم في فهرس الكتاب صفحة: (٢٤٠)، بل وفي عنوان الدرس أيضاً!! أيضاً: -ولا حول ولا قوة إلا بالله- يزعمون في هذه الكتب التي يدرسها أولادنا أن المدينة المنورة مدينة يهودية، وماذا يريد اليهود أكثر من هذا؟! أورد كتاب مصر والوطن العربي خريطة مكتوب عليها: يثرب مدينة يهودية، وهذا أمر خطير في كتاب يصدر في مصر من وزارة التعليم، وتربي أبناء الأمة على التسليم لليهود بأن لهم حقاً مزعوماً في المدينة المنورة! هذا الكتاب لعله صدر

من إسرائيل، ولعل وزارة التربية والتعليم في إسرائيل أخطأت فصارت توزع الكتاب على الطلبة عندنا؛ لأن اليهود لا يحلمون بأكثر من هذا. أيضاً: من هذه الظواهر تفسير غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم تفسيراً مادياً ماركسياً، فعند أسباب غزوة بدر يقول مؤلف كتاب (مصر والوطن العربي): خرج بعض المسلمين لاعتراض قافلة أبي سفيان انتقاماً لأنفسهم. ويتجاهل السبب الأصلي الذي ذكره القرآن الكريم في قوله عز وجل:{ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ [الأنفال:٥]}، ما هو الهدف من الخروج؟ هو قوله عز وجل: {وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ [الأنفال:٧-٨]}. هل نصدق تفسير التاريخ أم رب العالمين؟!

أيضاً يصور كتاب التاريخ النبي محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه معتد على اليهود، لا سيما يهود خيبر، فيبين قصة إجلاء الرسول عليه السلام ليهود خيبر دون أن يذكر السبب الذي أدى إلى إجلائهم، وهو خيانتهم للرسول عليه الصلاة والسلام، فكان الواجب على من كتب هذه الصفحات أن يذكر الأسباب التي دعت النبي صلى الله عليه وسلم إلى قتال اليهود، وهي أنهم نقضوا العهود والمواثيق، وتآمروا على المسلمين وعلى النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وتجاهل المؤلف أن اليهود قد كشفوا عورة امرأة مسلمة رغماً عنها في سوق بني قينقاع، هذا إذا صح الحديث، وقتلوا أحد المسلمين.

تجاهل المؤلف أن اليهود حاولوا اغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم في بني النضير، وأنهم دسوا له السم ولأصحابه في خيبر، ومات بعض من أكل من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنهم ألبوا القبائل العربية لمهاجمة الدولة الإسلامية للقضاء على دين الله تبارك وتعالى الذي رضيه لهم:{ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا} [المائدة:٣]}.

تجاهل كل هذه الأسباب التي أدت إلى إجلائهم وطردهم من خيبر.

وفي الكتاب التطاول وسوء الأدب مع الصحابة رضي الله تبارك وتعالى عنهم لاسيما في موضوع الفتنة. وهذا الكلام ليس بجديد؛ لأننا كلنا تقريباً حفظناه في هذه المناهج الخبيثة منذ الصغر، مثل الكلام على مكانة ابن عمر ومعاوية وعائشة رضي الله تبارك وتعالى عنهم، وتزوير حقائق التاريخ.

تشويه تاريخ المسلمين وتمجيد تاريخ الوثنيين في المناهج المطورة:

أيضاً: حينما حللوا نصر المسلمين في معركة من معارك القادسية على الفرس لا يقولون مثلاً: {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ [آل عمران:١٢٦]}، لكنهم يقولون: إن السبب هو أن المعركة كانت في الصحراء، والعرب كان لهم خبرة في القتال في الصحراء فقط، فهذا هو سبب النصر، وليس النصر في قوة العقيدة، ولا في المدد الإلهي من عند الله تبارك وتعالى!! أيضاً: في صفحة: (٢٠٦) من كتاب التاريخ يقوم الفتوحات تقويماً ماركسياً مادياً، فالسبب وراء الفتوحات الإسلامية ليس نشر عقيدة التوحيد في ربوع العالمين، بل السبب هو: البحث عن الثروة والأرض والموقع، فهذه هي أسباب خروج المسلمين وتضحيتهم بأموالهم ودمائهم في سبيل الله، انتشروا في الأرض حتى يبحثوا عن الثروة والأرض والموقع، لا لكي تكون كلمة الله هي العليا، ولا لكي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، هذا لا وجود له على الإطلاق في كتاب: مصر والوطن العربي. أيضاً: الكتاب دائماً يستعمل عبارة انتصار العرب.... العرب.... العرب، ولا يذكر كلمة

المسلمين. أيضاً: تشويه الخلافة الإسلامية، والتشكيك فيها وفي قادتها، كالقول: بأن نظام الحكم قبل الإسلام عند عرب الجاهلية أفضل من نظام الحكم عند الأمويين؛ لأن النظام الجاهلي كان يعتمد على الشورى، فانظر كيف يقترب إلى الطعن في الخلفاء المسلمين من هذا المسلك!

أيضاً: يستعرض المؤلف حياة المجون والخلاعة عند الوثنيين القدماء المصريين، وكأنه يزينها ويدعو لها، فيصف الرقص وصناعة التماثيل بأنها فن رفيع ومحترم، كما عرض المؤلف لصنوف الرقص والخلاعة، وأغاني الحب والغزل، وألعاب الحرب وحياة الخمر والشراب الذي يقدمه الغلمان والفتيات على نغمات الموسيقى، ومشاهدة الراقصات أو الرقصات التي كان المؤلف يقول: إن المصري القديم كان يشارك فيها بكل جوارحه سواء كان غنياً أو فقيراً، كما عرض أنواع اللباس والزينة، والتكحل، وطلاء الشفاه، والعطور، وشرب الجعة وغير ذلك، وأضاف بأن كثيراً من الرجال كانوا يلبسون الأساور والقلائد، ولم يكتف المؤلف بذلك، بل عرض من الصور ما يؤيد أقواله، ويزين تلك السلوكيات لدى الطلاب والطالبات. أما الفلسفة فباختصار شديد أيضاً: نزعوا التعليقات التي يقولون عنها: شبه إسلامية. على مواد الفلسفة، وأبقوا الفلسفة كما هي حتى تشكك وتخرب عقيدة الشباب! ألغيت أيضاً الدراسات إسلامية بالنسبة للقسم الأدبي.

كتاب التربية الوطنية للصف الثاني من التعليم الابتدائي العام والأزهري حذف منه موضوع: أثر الحضارة العربية الإسلامية في الحضارة الأوروبية، في حين بقي موضوع أثر الحضارة الأوروبية في المجتمع المصري الحديث! حذف هذا الموضوع: أثر الحضارة العربية الإسلامية في الحضارة الأوروبية الذي يعترف به مفكروا الغرب، ويقرون بأن الفضل يرجع إلى العرب فيما هم فيه من نهضة حين استلبوا مقومات هذه النهضة من الدولة الإسلامية في الأندلس وغيرها.

وهذا الكتاب يدرس تحت مادة الدعوة والمجتمع الإسلامي. حذف من موضوع التآخي بين مصر والسودان عبارة: (إن العلاقة العضوية بين مصر والسودان هي وحدة العقيدة والتاريخ) فحذفت عبارة: (وحدة العقيدة والتاريخ).

أيضاً: حذفت عبارة: (كان تاريخ الأمة العربية متشابهاً ومشتركاً منذ بداية انتشار الإسلام وحتى الحرب العالمية الثانية)، حذفت هذه العبارة؛ لأن فيها تذكيراً بالخلافة العثمانية الضائعة. حذف من صفحة (١٠٠) صورة الكعبة المشرفة، وتحتها عبارة: (الإسلام هو الذي يمثل القوة الروحية بالنسبة للقومية العربية)، وحذفت أيضاً هذه العبارة، وكأن العرب لهم قيمة بدون الإسلام!

حذفت أيضاً عبارة: (إن قيام الخلافة الأموية بالأندلس، والخلافة الفاطمية بمصر بجوار الخلافة العباسية أدى إلى انهيار الخلافة الإسلامية، وتفتيت العالم الإسلامي، وتحويله إلى دويلات صغيرة) حذف كل هذا حتى لا يعرف الطلاب شيئاً اسمه الخلافة. حذفت عبارة: (قامت الدول الأوروبية والأمريكية بزرع جسم غريب داخل الوطن العربي وهو إسرائيل).

شيخ الأزهر يدرس هذه المادة تحت عنوان: (الدعوة والمجتمع الإسلامي)، كان يوجد فيها عبارة: (من الأعمال المحرمة: الرقص في الموالد وخروج النساء خلف الجنائز) فحذفت عبارة: (المحرمة) وبقيت: (الرقص في الموالد وخروج النساء خلف الجنائز).

أما منهج اللغات الأجنبية فالكلام الذي فيها لا أستطيع أن أقرأه؛ لأنه كلام خارج عن الشرع والآداب إلى أبعد الحدود، فما أستطيع أن أنقل العبارات الموجودة في الكتب التي تدرس على البنات والصبيان في مراحل التعليم المختلفة.

****

إفساد العقائد والأخلاق بالقصص الباطلة في المناهج المطورة:

أيضاً: في مناهج التعليم العام قصة غادة رشيد التي جعلوها بدل قصة عمرو بن العاص رضي الله تبارك وتعالى عنه، وهي قصة تاريخية مطعمة بقصص الحب والغرام، للصف الثالث الإعدادي، وباختصار شديد القصة تدور أحداثها في أيام الغزو الفرنسي لمصر، وكيف أن هذه البنت أحبها القائد الفرنسي... إلى آخر هذا الكلام، والقصة محشوة بالإلحاد في صفات الله، وفي القدر، وفي العقيدة، ففيها مثلاً: (سمعت قهقهة القدر وهي تجلجل في شماتة وسخرية)، وتقول أيضاً: (لا يا زوجي الباسل إن شيئاً في الأرض أو في السماء لن يحول بيني وبينك)، وفيها شخص يتحدث عن أهمية اللهو والمرح؛ لأنه يريح النفس من عناء العمل، فيرد عليه شخص آخر ويقول له: وأين هنا السبيل إلى اللهو في مدينة نصفها مساجد، ونصفها في الرهبان والراهبات في الصوامع! وهذا تنفير للنشء من المساجد وعبادة الله تبارك وتعالى، وادعاء أن الدين يحرمهم من الترويح عن النفس. وفي القصة تشويه للمجاهد سليمان الحلبي، وأنه كان حائر العينين، رث الثياب، عصبي المزاج، يكثر من هز رأسه في حزن واضطراب... إلى آخره، ولا حول ولا قوة إلا بالله! أيضاً: فيه وصف الفتاة العصرية بوصف سيء جداً، وبذيء لا تصح حكايته. أيضاً: قصة أحلام شهرزاد لطه حسين مقررة على الصف الأول الثانوي، وهي تحتوي على كثير من التعبيرات الخرافية التي تتنافى مع التوحيد، ولا أستطيع قراءة كل هذا الكلام القذر، ولكن من هذه العبارات يقول طه حسين: حتى إذا بلغها -يعني: هذه المحبوبة المعشوقة-جثا أمامها -يعني: ركع-غاضاً بصره إلى الأرض، رافعاً يديه إلى السماء كأنه المؤمن الذي يتقرب إلى التمثال! كيف يتقرب مؤمن إلى التمثال؟! هل هذا هو الإيمان؟!

هذا كلام عدو الله طه حسين: حتى إذا بلغها جثا أمامها، غاضاً بصره إلى الأرض، رافعاً يديه إلى السماء كأنه المؤمن الذي يتقرب إلى التمثال، وهي تضع يدها على رأسه كأنها تبارك عليه! هكذا يريدون أن تكون تربية أولادنا.

كذلك في مناهج الإنجليزي كلام سيء لا يمكن بأي حال من الأحوال قراءة الترجمة؛ لأنه كلام يخدش الحياء جداً. أيضاً: تشويه قصة خديجة بنت خويلد ، والكلام عنها بطريقة سيئة جداً، فالكتاب يذم المرأة المتزوجة التي تحسن التبعل، وتقر في البيت، وتكون سكناً لزوجها، وتحسن تربية أولادها، ويصفها أنها مخلوق استبد به الرجال، وأرادوا له أن يكون ضعيفاً سجيناً في أيديهم، يأكل ويلد كما تأكل الحيوانات وتلد، ويجعل هذا هو الدور الذي يريده الإسلام من المرأة المسلمة، وهذا غير صحيح، فالإسلام يريد من المرأة أ، تربي لنا مثل صلاح الدين من جديد الذي حذفتم سيرته، وسيرة عمر بن عبد العزيز و عمر بن الخطاب ، هذه هي وظيفة المرأة المسلمة. ويعرضون في كتب اللغة الإنجليزية بالذات صورة المرأة المنحلة الغارقة في المحرمات والرقص والخمور من خلال فصول تدريس اللغة الإنجليزية، هذه هي المرأة التي يريدونها بدل المرأة التي تقر في البيت، وتحسن خدمة زوجها، وتربية أولادها. أيضاً: كلام في منتهى سوء الأدب مع الرسول عليه الصلاة والسلام في قصة خديجة، وسأذكرها لكم، فحكاية الكفر ليست بكفر، يصف هذا القذر خديجة رضي الله عنها في عشرين جملة ذاكراً صفاتها الجسدية، يقول: فوقف وحياها -يعني: الرسول صلى الله عليه وسلم -وحين رأت محمداً تذكرت ذلك الحلم،

وأحست -أعوذ بالله-أنها أمام فتى داهية -أستغفر الله-تمالكت شعورها... إلى آخر هذا الكفر، لا يوجد احترام لأم المؤمنين رضي الله عنها. أيضاً: عبارة أخرى: جئت أهنئك بسلامة العودة، وتقول له: ألا تحس الوحشة يا محمد؟!... إلى آخر هذا الكلام، يكذبون على رسول الله، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) (١).

تمجيد الفراعنة في المناهج المطورة:

كان يدرس كتاب للصف الأول الثانوي من تأليف الدكتور عبد الله شحاته ألغي وتقرر بدلاً منه كتاب من تأليف الدكتور عبد المنعم النمر، ومن معالم هذا الكتاب إلغاء الآيات التي تتحدث عن فرعون وطغيانه.

كتاب التاريخ الجديد الذي هو كتاب: (وطني مصري) للصف الرابع الابتدائي يصف فرعون بأنه كان محبوباً عند الناس إلى درجة العبادة، وأن هذا الحب ممتد عبر التاريخ إلى يومنا هذا.

وحينما يتحدث عن مينا قال: حزن المصريون على مينا، وظلوا يعبدونه مئات السنين، وما زالوا يعظمونه حتى اليوم، فيطلق بعضهم اسمه على أبنائه؛ لما قدمه لمصر من أعمال جليلة كتوحيد القطرين.

نماذج من التضليل فيما يسمى بالتطوير:

ألغيت السورة التي توجب تطبيق الشريعة، وتسمى سورة الشريعة، وفيها قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ} [الجاثية:١٨]، فقد كانت مقررة فألغيت. أيضاً: ألغي الحديث النبوي الذي يحث على الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى، ويبين أنه ذروة سنام الإسلام، وأن أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر؛ لأنها تتعارض مع مناهج اللغة الإنجليزية الجديدة التي يتعلمها الأولاد، والتي تحض الشباب والفتيات على الرقص، ولعب القمار، والخمر، والحب والغرام، وغير ذلك من أنواع الانحراف التي هدف إليها التطبيع مع أعداء الله اليهود، وهم منطقيون في ذلك، كيف يكون جهاد في سبيل الله، وكلمة حق عند سلطان جائر، والمناهج تحتوي على الحث على الخمور والبيرة والميسر والسياحة؟!

وحذفت عبارات تبين أن الخمر يفسد العقل والدين، وأن الله حرم علينا الزنا، والربا، وعقوق الوالدين، وشرب الخمر؛ لأن هذا تطرف!

أيضاً: حذف حكم الشرع في وجوب حجاب المرأة في صفحة مائة وعشرة؛ لأن كتاب اللغة يتضمن الدعوة إلى السفور والتبرج والفواحش، وقرن بصور فتيات كاسيات عاريات من الفتيات الإنكليزيات أو غيرهن، وهي صور ملونة، وفي أحسن وأفخم طباعة؛ فلذلك حذف موضوع بيان أن الحجاب واجب على المرأة المسلمة.

حذفت الشخصيات الإسلامية كعائشة و أبي حنيفة، وتقرر مكانها الشيخ شلتوت والشيخ عبد الحليم محمود والسيد البدوي، يقول في الكلام على السيد البدوي: في بغداد أرواح آل البيت رضوان الله عليهم وأرواح أولياء الله على اختلاف درجاتهم، فهذا ضريح معروف الكرخي ، وضريح كذا وكذا... هذا هو البديل، وهذا هو التطوير! ويقول: في طنطا أخذ البدوي ينظم الدعوة من فوق السطح، لقد كان السطح معهداً وجامعة للدعوة، وجامعة السطح جامعة

---

١ – أخرجه أحمد ٩٨/٣(١١٩٦٤). و"البخاري" ٣٨/١ (١٠٨). و"مسلم" ٧/١(٤) و"النسائي"، في "الكبرى" ٥٨٨٢ قال

عالمية، والذين حملوا لواء الدعوة في ربوع مصر وأرجائها كانوا من جامعة السطح! وكأن هذه الكلمة مأخوذة من كلمة سطوحي، قال: وأيضاً: من أصحاب السطح الشيخ علي الكندراوي والشيخ عويس المصري، وكان السطح معهداً وجامعة وندوة، وقد تم للسيد البدوي رضي الله عنه تحقيق كل ذلك من فوق السطح!!

هذا هو السطح في حقيقة الأمر وواقعه، فيغيروا اسم جامعة طنطا بجامعة السطح! وبيان حال السيد البدوي ليس محله الآن.

وفي موضوع تنظيم الأسرة لم يذكروا حديث: (تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة) ([1])، لكن الذي يرضي السيد الأمريكي العبارة الجديدة التي وضعوها وهي: (إن تنظيم الأسرة معناه تقليل عدد أفراد الأسرة بصورة تمكن الوالدين من القيام برعاية الأبناء رعاية كاملة، وهذا حلال، والدليل على أن هذا حلال أننا نعيش عصر التنافس بالاختراع والابتكار لزيادة الإنتاج لا عصر زيادة الأفراد)! والله! ما يقض مضاجعهم إلا كثرة عدد المسلمين. أيضاً: في منهج التربية الإسلامية الموسيقى والغناء، داخلان ضمن مادة التربية فيقول المؤلف: ليس هناك من يضيق بالوسط الفني اللطيف، وقال أيضاً: إن شحنات العواطف التي تدفعها الألحان وأصوات الموسيقى في كياننا وأعصابنا رياضة نفسية، وتربية عقلية، ويستشهد بحديث (لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود .) ([2])!!

وفي كتب اللغة الإنجليزية عملوا نموذج اختبارات صفحة مائة وثلاثة وأربعين، فيها الكلام على السنجر يعني: المغني أو المغنية، وكتبوا أسئلة باللغة الإنجليزية: أخبرنا عن اسمه أو اسمها من المغنيين أو المغنيات، ويذكر الاسم والسن، وهل هو متزوج أو عزب؟ والمقصود المغني أو المغنية الذي أنت تحبه. السؤال الثاني عن المستوى الثقافي، ونوع الأغنيات، وسلوكه، وتعليمه. السؤال الثالث: لماذا تحبه أو تحبها؟ ويجعلون بين قوسين اختار مثلاً: السلوك أو القوة الشخصية وهكذا... وهذا خطر؛ لأن عقول الأطفال سوف تستسيغ مثل هذه السموم، كيف ندرس الأطفال أسماء المغنيين والمغنيات، وأحوالهم الشخصية؟ وماذا يأكلون؟ وما هو سر إعجابك بها أو به؟ والطفل سيختار مغنية! والبنت ستختار مغنياً! أيضاً: إلغاء الآيات التي تؤكد على تطبيق الشريعة، وحذف الشروح التي تؤكد أن تطبيق الشريعة واجب وفريضة كقوله تعالى:{ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ [الجاثية:١٨-١٩]}.

لو حذفوها فهل ستذهب من قلوب المؤمنين؟

كلا، هي تنادي عليهم بالويل والثبور: {وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ}.

حذف عنوان: (وجوب الحكم بما أنزل الله) وحذفت منه الآيات التي فيها الحكم بما أنزل الله، مثل قوله تعالى{ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ [المائدة:٥٠]}.

حذفت سورة الفتح التي تنبه بأن عاقبة المنافقين البوار والهلاك؛ لأنهم لم يستجيبوا لأوامر الله

---

[1]- قال الألباني (ضعيف) انظر حديث رقم: ٢٤٨٤ في ضعيف الجامع.

[2]- أخرجه أحمد ٣٤٩/٥(٢٣٣٤٠) و"الدارمي" ٣٤٩٨ و"مسلم" ١٩٢/٢(١٨٠١) "أبو داود" ١٤٩٣

وشرعه. حذف موضوع: مصادر الشريعة: القرآن والسنة والاجتهاد. حذف مراحل تدوين السنة، وكتب الحديث المشهورة، وشروط الاجتهاد، وأشهر المجتهدين.

تحليل الربا في المناهج التعليمية:

تحول درس الربا في الكتاب الجديد إلى إعلان دعائي للبنوك الربوية تحت عنوان: (التعامل مع البنوك ضرورة قومية) ولم يذكر دليلاً من كتاب أو سنة أو أقوال الفقهاء إلا فتوى للشيخ شلتوت كان قد رجع عنها وتاب منها وهو على فراش الموت كما حدث بذلك غير واحد، منهم الدكتور عبد الودود شلبي، وسمعت الشيخ عيسى عبده -رحمه الله-يقول: إن الشيخ شلتوت تبرأ وندم وتاب من هذه الفتوى في تحليل التعامل مع البنوك الربوية. أيضاً: هذا الموضوع بدلاً من أن يتحدث عن الربا وأحكامه صار يدافع عنه، وقال: إن الحرام هو ربا الأفراد كما يقول مفتي البنوك، والأدلة التي أحل بها الربا هي قوله: البنوك هيئات منظمة لما يكون بين الأفراد، ويقول: ولو ألغينا البنوك فما البديل؟

هذا يعطى لعقول الشباب، وفيه تجاهل البدائل الإسلامية الكثيرة في باب البيوع، ويقول: إن البنوك شيء دعت إليه ضرورة العصر، ويقول: إن تحديد الربح سمة عامة لبنوك العالم، فكل بنوك العالم تفعل هذا، وأما الادخار القومي فهو إجباري... إلى آخر هذا التدليس والخيانة. أيضاً: معاملات أخرى غير مشروعة أغفلها الكتاب الجديد كانت موجودة في الكتاب القديم. أيضاً: موضوع الرشوة حذف منه الحديث الشريف: (لعن رسول الله الراشي والمرتشي والرائش بينهما)، ألغي هذا لأنه صعب! نعم هو صعب على جيوبهم، وألغي الشرح الذي كان فيه عبارة: (الرشوة حرام تحت أي مسمى هدية.. هبة.. عمولة.. سمسرة) كما حذف الحديث النبوي: (كل ما نبت من حرام فالنار أولى به) ([1]). موضوع البركة في الصدق حذف منه حديث: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما([2])أيضاً: حذفت الأنشطة المصاحبة التي كانت تهدف إلى أهداف تربوية عالية. حذف موضوع: الرسول هو المثل الأعلى في الحياة الاجتماعية.

التوجه العام لما يسمى بتطوير التعليم:

إن المطلع على الموضوعات التي حذفت في كتاب التربية الإسلامية، وكتب التفسير والحديث، حتى من مناهج الأزهر يدرك أن هناك توجهاً عاماً يهدف إلى حذف المفاهيم الآتية:

١-إن الإسلام نظام حياة شامل، وصالح لكل زمان ومكان.

٢-وجوب تطبيق الشريعة.

٣-وجوب الجهاد في سبيل الله.

٤-وجوب تحريم الربا تحريماً قاطعاً.

---

[1]- أخرجه الترمذي (٦١٤) و لفظه (يا كعب بن عجرة إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى) و قال الألباني: صحيح، التعليق الرغيب (٣ / ١٥ و١٥٠)

[2]- أخرجه أحمد ٤٠٢/٣(١٥٣٨٨) و٤٣٤/٣(١٥٦٦١) والدارمي" ٢٥٤٧ و"البخاري" ٧٦/٣(٢٠٧٩) و"مسلم" ١٠/٥(٣٨٥٣) أبو داود" ٣٤٥٩ والترمذي" ١٢٤٦ و"النسائي" ٢٤٤/٧

٥-وجوب تحريم الخمر تحريماً قاطعاً.
أيضاً: تعدى هذا إلى حرمان مادة التربية الإسلامية من مدرسها الطبيعي، بينما مادة التربية الفنية أو الموسيقى لا يُدرِّسها إلا المتخصصون، ويفرض لها معاهد وكليات لتخريج هؤلاء المتخصصين، يقول: والأدهى من ذلك أن التطوير الأخير قام بتحويل دور المعلمين والمعلمات إلى كليات نوعية تقتصر على تخريج المتخصصين في التربية الفنية والموسيقى دون التربية الإسلامية أي: أن تطوير هذا الدور لم يضف شيئاً جديداً أكثر من إضعاف تخصص التربية الإسلامية، وجعل التعليم فيه مختلطاً، وبذلك وضعت بذرة الفساد والإفساد في هذا الحصن المنيع.
والأكثر غرابة من هذا أن وزارة التربية أصرت على تطوير يتشدد في تعيين خريجي كليات الشريعة وأصول الدين لتدريس مادتهم التربية الإسلامية، ويكلف تدرسيها غيرهم من مدرسي اللغة العربية، أما المتخصصون فيتركون ليعانوا البطالة!
أيضاً: الإصرار على حرمان طلبة الجامعات والمعاهد من دراسة الثقافة الإسلامية!

مآسي تطوير منهج الأزهر:

أول تطوير لمنهج الأزهر كان في سنة: (١٩٦١) في النكبة الأولى التي نكب بها الأزهر في عهد عبد الناصر، أما التطوير الحديث في عهد فاتح الشرور هذا فهو أعظم خاصة بالمعاهد الثانوية القسم العلمي، فقد أدمجت مادة التفسير مع مادة الحديث، وخفضت حصصهما من أربع إلى اثنتين للصف الأول والثاني، ومن ثلاث إلى اثنتين للصف الثالث والرابع. وخفضت حصة الفقه من ثلاث إلى اثنتين. خفضت حصص النحو والصرف من ثلاث إلى اثنتين، ألغي من القسم العلمي ثلث المواد الشرعية واللغة العربية وأضيفت حصصهما إلى الرياضة والعلوم واللغة الإنجليزية. ألغيت مادة الحديث من الصف الأول الثانوي. تجريد مادة الدعوة والمجتمع الإسلامي عن منهجها.
ألغيت حصة التجويد، وألغيت مادة التفسير والحديث، وهكذا أشياء لا تقل ضراوة عن الذي مضى. ومن ذلك حذف الموضوعات التي تحث على الجهاد في سبيل الله، وتنوه بعاقبة المجاهدين وصفاتهم، مثل قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ} [التوبة:١١١]} إلى آخر الآية. أيضاً: نفس الخطط نفذوها في المعاهد الابتدائية، ومعاهد المعلمين، ومعاهد القراءات الأزهرية، فقد ألغيت مواد التفسير والحديث والمجتمع الإسلامي والعروض، وخفضت حصص التجويد والفقه... إلى آخره. هذه بعض الملامح العامة، والموضوع يحتمل أكثر من ذلك، ولكن نكفي بهذا الاستعراض العابر لهذا الكتاب المهم جداً. ويجب على الإخوة أن يهتموا بتنبيه الآباء، ومراعاة أولادهم، وبث الأشياء المضادة لهذه السموم؛ حتى يبرأ الأبناء من هذا الخطر الداهم الذي يدبر من وراء الستار، ونسأل الله عز وجل أن يكفينا والمسلمين جميعاً شرورهم. سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.
تدهور في القدرات:
لقد ذكرت مجلة الايكونوميست البريطانية ذائعة الصيت في عددها الصادر بتاريخ ١٥ أكتوبر٢٠٠٩ تقريرا عن جودة التعليم في الدول العربية وعلاقة ذلك بالبطالة المتفشية بين

الشباب ومن ضمن ما ذكرت بالنص ما يلى: "...إن الفجوة القائمة بين جودة التعليم لدى العرب ومع الآخرين لنفس المستوى من النمو مازالت مخيفة، وهى أحد الأسباب المؤدية إلى بطالة الشباب، فوفقا لدراسة حديثة أجريت بواسطة فريق من الاقتصاديين المصريين أوضحت أن التخلف المهاري للقوى العاملة هو العامل الذى يوضح لماذا لم يستطيع النمو الاقتصادي السريع انتشال عدد أكثر من الناس من الفقر، إن أكثر الدراسات المقارنة لنظم التعليم دقة و صرامة والتي تأتى على هيئة مسح علمي يطلق عليها الاتجاهات في دراسة الرياضيات و العلوم الدولية (تى أى إم إس إس) حيث تجرى كل اربع سنوات، هذه الدراسة قد أوضحت في آخر تقاريرها في عام ٢٠٠٧ وبعد إجراء الاختبارات بـ ٤٨ بلدا، لوحظ أن الـ ١٢ بلدا عربيا المشارك في هذه الاختبارات قد حقق نتائج أقل من المعدل، وبصورة قاتمة فإن أقل من ١% من الطلبة المشاركين في الاختبارات التي تتراوح أعمارهم بين ١٢ و١٣ سنة من ١٠ دول عربية قد وصلوا إلى مراحل متقدمة من المؤشر في العلوم مقارنة مع ٣٢ %لإقرانهم من سنغافورة و ١٠% من الولايات المتحدة الأمريكية. فقط دولة عربية واحدة هي المملكة الأردنية الهاشمية استطاعت تسجيل مؤشر أعلى من المعدل الدولي وبنسبة ٥ %للعمر ١٣ سنة وهؤلاء هم فقط الذين وصلوا لمراحل متقدمة من الاختبارات"... (١)

١ – مدونات ايلاف

الفصل الثاني برنامج إصلاح المنظومة التعليمية

أخي المسلم.... أختي المسلمة: بعد أن تعرفنا على أهمية التعليم ومكانته وفي دين الإسلام، ثم وقفنا مع بعض صور الفساد في المجال التعليمي هيا لنضع الأسس والمبادئ التي بها يصلح التعليم ويتخرج جيل صالح واع يستطيع أن يقود سفينة المجتمع إلى ساحل الأمان بجدارة واقتدار

يقول د. بدر عبد الحميد هميسه – حفظه الله -: قضية إصلاح التعليم قضية من أهم وأخطر القضايا في حياتنا؛ وذلك لأمرين:

أولهما: أن صلاح الحياة وإصلاح الأحياء يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإصلاح التعليم لذا فقد قيل:

اثنان إذا صلحا صلح أمر الناس وإذا فسدا فسد أمر الناس: الأمراء والعلماء، وعن هلال بن خباب قال قلت لسعيد بن جبير: يا أبا عبد الله ما علامة هلاك الناس؟ قال: " إذا هلك فقهاؤهم هلكوا ". ([1]).

وقديما قال الشاعر:

البَيْتُ لا يُبْتَنَى إلا لهُ عَمَدٌ ولا عِمادَ إذا لَمْ تُرْسَ أَوْتادُ
وإنْ تَجَمَّعَ أَوْتادٌ وأَعْمِدَةٌ وساكِنٌ بَلَغُوا الأَمْرَ الذي كادُوا
لا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لا سَراة لَهُمْ ولا سراة إذا جالهم سادوا
تُهْدَى الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلُحَتْ فإنْ تَوَلَّتْ فبِالأَشْرارِ تَنْقادُ

ودخل محمد بن زياد مؤدِّب الواثق على الواثق، فأظهر إكرامه، وأكثر إعظامَه، فقيل له: مَنْ هذا أيا أمير المؤمنين؟

قال هذا أولُ من فَتق لساني بِذِكْرِ اللَهِ، وأدْناني من رحمة اللّه.

وقيلَ للإسكندر: ما بالُ تعظيمك لمؤدِّبك أكثر من تعظيمك لأبيك؟

قال: لأنَ أبي سبَبُ حياتي الفانية ومؤدِّبي سببُ حياتي الباقية. ([2])

وثانيهما: أن قضية إصلاح التعليم من القضايا الشائكة والمتشابكة لأنها لا تهم ولا تخص فرداً بعينه ولا طائفة بشخصها فقضايا الاقتصاد تخص أهل الاقتصاد وقضايا أهل الطب تخص أهل الطب وقضايا أرباب الحرف تخصهم وهم أولى الناس بحل مشاكلها وهكذا؛ أما قضية التعليم فهي قضية تخص المجتمع كله بل والأمة بأسرها ، لذا يجب أن يشترك في حلها الأسرة والمدرسة والمجتمع والساسة والاقتصاديون والتربيون .

ولكن هناك ثلاثة عناصر أساسية تعد ضامنة متضامنة في حل قضية التعليم وفي إصلاحه وهذه العناصر الثلاثة هي: الأسرة ، والمدرسة ، والدولة .

أولاً: دور الأسرة في إصلاح التعليم:

دور الأسرة في إصلاح التعليم دور مهم وخطير ، فالطفل حينما يولد يولد على الفطرة ولا يدرك من أمر الحياة شيئا ، فيتعاهده الوالدان بالرعاية والتربية ويبذلان له الحقوق التي شرعها الدين

---

[1] – الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقة ص٣٧

[2] –: زهر الآداب وثمر الألباب ٢٠١.

الحنيف ومنها : حسن اختيار الأرض والبذرة الصالحة له ، فيحسن الرجل اختيار الزوجة الصالحة ، وتحسن المرأة اختيار الزوج الصالح ، وأن يحسنا اسمه ، فيختاران له الاسم الحسن الذي لا يخجل من ذكره للناس ويحسنا أدبه وتربيته ورعايته ، قال تعالى :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)} سورة التحريم.

عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ -رضى الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالأَمِيرُ الَّذِى عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهْىَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.(١)

وعَنْ عَبدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا ، أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ.)(٢)

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين أشكو إليك عقوق ولدي، فقال: ائتنى به، فجاء الولد إلى عمر، فقال عمر: لم تعق أباك؟

فقال الولد: يا أمير المؤمنين ما هو حقي على والدي؟

فقال عمر: حقك عليه أن يحسن اختيار أمك، وأن يحسن اختيار اسمك وأن يعلمك القرآن.

فقال الولد: والله ما فعل أبي شيء من ذلك، فالتفت عمر إلى الوالد وقال: انطلق لقد عققت ولدك قبل أن يعقك. (٣)).

وللأبويين دور كبير ومهم في إصلاح التعليم وذلك عن طريق:

١-حث الأولاد وتشجيعهم على طلب العلم:

فمن حسن التأديب والتربية أن يغرس الوالدان في أولادهم حب التعلم والحرص على طلب العلم ، وأن يبنا لهم كيف جعل الله تعالى أول آيات القرآن الكريم " : {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}.

سورة العلق: ١-٥.

وأن القرآن الكريم قد اشتمل على ما يقارب (٧٥٠) سبعمائة وخمسين آية تحث وتدعو إلى إعمال الفكر في هذا الكون وما فيه من مخلوقات مسخرة للإنسان.

وأن النبي -صلى الله عليه وسلم – قد جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، وَوَاضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ ، كَمُقَلِّدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ. (٤)

بل وجعله سبيلاً إلى دخول الجنة فقال : " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ

---

١ – أَخْرَجَهُ أحمد ٢/٥(٤٤٩٥) والبخاري" ٣/١٩٦(٢٥٥٤) و"مسلم" ٧/٦(٤٧٥١) ،

٢ – أخرجه "أحمد" ٢/١٦٠(٦٤٩٥) و"أبو داود" ١٦٩٢صحيح الترغيب والترهيب ٢/٢٠٣.

٣ –(توضيح المشتبه ج٧/ص٨٢

٤ – أخرجه ابن ماجة (٢٢٤) صحيح الترغيب والترهيب ١/١٧،

مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا ، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ. (١)

وأن الله تعالى رفع من شأن العلماء ومن قدرهم ، قال سبحانه { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)} سورة فاطر ، وقال :{ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) }سورة المجادلة.

قال أبو الأسود الدؤلي:

العلم نور وتشريف لصاحبه فاطلب هديت فنون العلم والأدبا
العلم كنز وذخر لا فناء له نعم القرين إذا ما صاحب صحبا

قال ابن الوردي:

اطلب العلم ولا تكسل فما أبعد الخيرات عن أهل الكسل
لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل

لذا فقد كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم تشجيع الأطفال الصغار وتربيتهم على حب طلب العلم ، وإفساح المجال أمامهم لمخالطة من يكبرونهم سنّاً في مجالس العلم ، عن نافع عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، ولا تحت ورقها فوقع في نفسى أنها النخلة ، فكرهت أن أتكلم وثم أبو بكر وعمر ، فلما لم يتكلما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - هي النخلة فلما خرجت مع أبى قلت يا أبتاه وقع في نفسى أنها النخلة. قال ما منعك أن تقولها لو كنت قلتها كان أحب إلى من كذا وكذا. قال ما منعني إلا أنى لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما، فكرهت. (٢)

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم لم تدخل هذا الفتى معنا، ولنا أبناء مثله فقال إنه ممن قد علمتم. قال فدعاهم ذات يوم ، ودعاني معهم قال وما رئيته دعاني يومئذ إلا ليريهم منى فقال ما تقولون ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) ﴾ [النصر: ١-٢] حتى ختم السورة ، فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره ، إذا نصرنا وفتح علينا. وقال بعضهم لا ندرى. أو لم يقل بعضهم شيئا. فقال لي يا ابن عباس أكذاك تقول قلت لا. قال فما تقول قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له (إذا جاء نصر الله والفتح) فتح مكة، فذاك علامة أجلك (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) قال عمر ما أعلم منها إلا ما تعلم. (٣)

لذا فقد ضرب السلف الصالح أروع الأمثلة على تشجيع أولادهم وحثهم على طلب العلم وإنفاق الغالي والنفيس في ذلك ،قال هشام بن عمار رحمه الله: باع أبي بيتاً بعشرين ديناراً وجهزني للحج فلما وصلت المدينة أتيت مجلس الإمام مالك رحمه الله وهو جالس في مجلسه في هيئة

---

١ – أخرجه أحمد ٥/١٩٦(٢٢٠٥٩) و"الدرامي" ٣٤٢ و"ابن ماجة"٢٢٣ .

٢ – أخرجه البخاري ٦/٩٩ (٤٦٩٨) و"مسلم" ٨/١٣٨ (٧٢٠٤) .

٣ – أخرجه أحمد ١/٣٣٧(٣١٢٧) و"البُخَارِي" ٤/٢٤٨(٣٦٢٧) والتِّرْمِذِيّ" ٣٣٦٢.

الملوك والناس يسألونه وهو يجيبهم فلما حان دوري قلت له: حدثني فقال لا، بل اقرأ أنت فقلت لا بل حدثني ، فلما راددته وجادلته غضب وقال: يا غلام تعال أذهب بهذا فاضربه خمسة عشر، قال: فذهب بي فضربني ثم ردني إلى مالك فقلت :قد ظلمتني فإن أبي باع منزله وأرسلني إليك أتشرف بالسماع منك وطلب العلم على يديك ، فضربتني خمسة عشر دُرّة بغير جرم ، لا أجعلك في حل، فقال مالك، فما كفارة هذا الظلم؟

فقلت كفارته أن تُحدثني بخمسة عشر حديثاً، فقال هشام: فحدثني مالك بخمسة عشر حديثاً فلما انتهى منها قلت له: زد في الضرب وزد في الحديث، فضحك مالك وقال لي: اذهب وانصرف. (١)

قال عبد الوهاب بن عطاء الخفاف: حدثني مشايخ أهل المدينة أن فروخاً أبا ربيعة الرأي خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازياً وربيعة حمل في بطن أمه، وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرساً وفي يده رمح، فنزل ودفع الباب برمحه فخرج ربيعة، وقال: يا عدو الله، أتهجم على منزلي فقال فروخ: يا عدو الله، أنت دخلت على حرمي، فتؤاثبا وتلبب كل واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران، فبلغ مالك بن أنس والمشيخة فأتوا يعينون ربيعة، فجعل ربيعة يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان، وعل فروخ يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان وأنت مع امرأتي؛ وكثر الضجيج، فلما أبصروا بمالك سكتوا، فقال مالك: أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار، فقال الشيخ: هي داري وأنا فروخ، فسمعت امرأته كلامه فخرجت وقالت: هذا زوجي، وهذا ابني الذي خلفه وأنا حامل به، فاعتنقا جميعاً وبكيا. فدخل فروخ المنزل وقال: هذا ابني فقالت: نعم، قال: أخرجي المال الذي لي عندك وهذه معي أربعة آلاف دينار، قالت: قد دفنته وأنا أخرجه بعد أيام، ثم خرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقته، فأتاه مالك والحسن بن زيد وابن أبي علي اللهبي والمساحقي وأشراف أهل المدينة وأحدق الناس به، فقالت امرأته لزوجها فروخ: اخرج فصل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج فنظر إلى حلقة وافرة فأتاها فوقف عليها فأفرجوا له قليلاً فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه يره، وعليه دنية طويلة، فشك أبوه فيه، فقال: من هذا الرجل فقالوا: هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فقال: فقد رفع الله ابني !، ورجع إلى منزله، وقال لوالدته: لقد رأيت ولدك على حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها، فقالت أمه: فأيما أحب إليك ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه فقال: لا والله بل هذا، فقالت: فإني أنفقت المال كله عليه، قال: فو الله ما ضيعته. (٢)

قال الذهبي –رحمه الله -:في ترجمة ابن الدهان الواسطي : وَكَانَ حليماً، بطيء الغَضَب، مُتَوَاضِعاً، دَيِّناً، صَالِحاً، كَثِيْر الصَّدَقَة، متفقّداً لِلْفُقَرَاء وَالطَّلبَة؛ تَفَقَّهَ أَوَّلاً لأَبِي حَنِيْفَةَ، ثُمَّ تَحَوَّلَ شَافِعِيّاً بَعْد عُلُوِّ سنّه، وَوَلِيَ تدرِيس النَّحْو بِالنّظَامِيَّة، إِلَى أَنْ مَاتَ، قَرَأْت عَلَيْهِ كَثِيْراً، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَتح فَمِي بِالعِلْمِ، لأَنْ أُمِّي أسلمتَنِي إِلَيْهِ وَلِي عشر سِنِيْنَ، فَكُنْت أَقرَأُ عَلَيْهِ القُرْآن وَالفِقْه وَالنَّحْو، وَأُطَالع لَهُ لَيلاً وَنَهَاراً، وَإِذَا مَشَى، كُنْت آخذاً بِيَدِهِ، وَكَانَ ثِقَةً، نبيلاً، أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ:

---

١ – معرفة القراء الكبار للذهبي(١/١٩٦).

٢ – " سير أعلام النبلاء ٤٢/٩١" وابن خلكان : وفيات الأعيان ٢/٢٨٩.

أَيُّهَا المَغْرُوْر بِالدُّنْيَا انتبِه إِنَّهَا حَالٌ ستفنَى وَتحوْلُ
وَاجتهِدْ فِي نِيلِ مُلْكٍ دَائِمٍ أَيُّ خَيْرٍ فِي نَعيمٍ سَيَزُولُ
لَوْ عَقلْنَا مَا ضَحِكْنَا لَحْظَةً غَيْر أَنَّا فُقِدَتْ مِنَّا العُقُوْلُ(١)

٢-تأديبهم بأدب وأخلاق أهل العلم:

على الوالدين تربية الأولاد على التأدب والتخلق بأخلاق أهل العلم ، روى مسلم في صحيحه أن سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ رضي الله عنه قال : لَقَدْ كُنْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم غُلاَماً فَكُنْتُ أَحْفَظُ عَنْهُ فَمَا يَمْنَعُنِى مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ أَنَّ هَا هُنَا رِجَالاً هُمْ أَسَنُّ منى . (٢)

قال الحسن البصري في وصيّته لابنه رحمهما الله: يا بني! إذا جالست العلماء فكن على السمع أحرص منك على أن تقول، وتعلّم حسن الاستماع كما تتعلّم حسن الكلام.

ومن أخلاق أهل العلم البعد عن الفاحش والسيئ من الكلام، ذكر أن تاج الدين السبكي فيما نقله عنه ولده قال: كنت جالسا بدهليز دارنا فأقبل كلب فقلت له: اخسأ كلب بن كلب فزجرني والدي فقلت له: أليس هو كلب ابن كلب قال :شرط الجواز عدم قصد التحقير فقلت هذه فائدة (٣).

قال الإمام السخاوي: روينا عن المزني قال: سَمِعَني الشافعي يوماً وأنا أقول: فلان كذَّاب، فقال لي : يا إبراهيم أكس ألفاظك أحسنها ، لا تقل كذاب ، ولكن قل حديثه ليس بشيء.

روت كتب الأدب أن صبيا تكلم بين يدي الخليفة المأمون فأحسن الجواب ، فقال له المأمون :ابن من أنت يا غلام ؟قال :أنا ابن الأدب يا أمير المؤمنين ، فقال المأمون: نعم النسب، ثم أنشد:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيك محموده عن النسب

وتربيتهم على الصدق والأمانة والتواضع ، قال الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه بنيت أمري على الصدق وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم فأعطتني أمي أربعين دينارا وعاهدتني على الصدق فلما وصلنا أرض همدان خرج علينا عرب فأخذوا القافلة فمر واحد منهم وقال ما معك قلت أربعون دينارا فظن أني أهزأ به فتركني فرآني رجل آخر فقال ما معك فأخبرته فأخذني إلى كبيرهم فسألني فأخبرته فقال ما حملك على الصدق قلت عاهدتني أمي على الصدق فأخاف أن أخون عهدها فصاح ومزق ثيابه وقال أنت تخاف أن تخون عهد أمك وأنا لا خاف أن أخون عهد الله ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة وقال أنا تائب لله على يديك فقال من معه أنت كبيرهم في قطع الطريق وأنت اليوم كبيرنا في التوبة فتابوا جميعا ببركة الصدق . (٤)

وكذا تربيتهم على النشاط وعلو الهمة، دعا يحيى بن خالد البرمكى ابنه يوماً، ودعا بمؤدبه وبمن كان ضم إليه من كتابه وأحبابه فقال: ما حال ابني هذا؟

قالوا: قد بلغ من الأدب كذا وكذا، نظر في كذا وكذا!

قال: ليس عن هذا سألت.

قالوا: قد اتخذنا له من الضياع كذا وغلته كذا.

---

١ – " سير أعلام النبلاء ٩١/٤٢"

٢ – أخرجه مسلم ٦٦٤/٢.

٣ – المناوي: فيض القدير ١١٥/١.

٤ – الصفوري : نزهة المجالس ومنتخب النفائس ١٦٠/١.

قال: ولا هذا سألت إنما سألت عن بُعد همته، وهل اتخذتم له في أعناق الرجال مننا وحببتموه إلى الناس؟
قالوا: لا.
قال: فبئس العشراء أنتم والأصحاب هو والله إلى هذا أحوج منه إلى ما قلتم. (١)
مكث ابن جرير الطبري أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة وقد صار مجموع ما صنفه نحو ٣٥٨ ألف ورقة، وقد ولد بن جرير سنة ٢٢٤هـ وتوفى سنة ٣١٠هـ فعاش ٨١ سنة فإذا طرحنا منها سنة قبل البلوغ وقدرناها بأربع عشرة سنة يكون قد بقي ابن جرير سنتين وسبعين سنة يكتب كل يوم ١٤ ورقة فإذا حسبنا الاثنين والسبعين سنة وجعلت كل يوم منها ١٤ ورقة تضيفا كان مجموع ما صنعه نحو ٣٥٨ ألف ورقة. (٢)

٣-اكتشاف قدراتهم ومواهبهم والعمل على تنميتها:

من الأخطاء التي يقع فيها بعض الإباء في تربيتهم للأبناء: الجهل بما لدى هؤلاء الأبناء من ميول ومواهب وقدرات ،فاكتشاف موهبة الطفل منذ البداية يساعد على تنمية تلك الموهبة وتوجيهها التوجيه الأمثل والصحيح ، فلقد أكدت دراسة أكاديمية ضرورة الاكتشاف المبكر لموهبة الطفل والعمل على تنميتها بالطرق العلمية الصحيحة حيث أن التدخل المبكر لتنمية هذه المواهب يكون اكثر فاعلية من التدخل المتأخر. وقالت الدراسة التي أعدها رئيس قسم رياض الأطفال بكلية التربية في جامعة طنطا الدكتور محمد متولي قنديل "إذا تم اكتشاف موهبة الطفل مبكرا فسيصبح بالإمكان التعامل معها بغرض تطويرها وتحسينها".
وأضافت الدراسة، أن هناك اختلافا بين بعض المفاهيم مثل مفهوم الذكاء والإبداع والموهبة غير أن الأخيرة تعنى قدرة الطفل المبكرة على أداء فعل معين قبل وصوله إلى درجة عقلية معينة.
فها هو النبي صلى الله عليه وسلم يكتشف شجاعة أسامة بن زيد رضي الله عنه وهو شاب صغير وحرصه على الجهاد فيوليه قيادة الجيش، كما اكتشف حب زيد بن ثابت للعلم فيطلب منه تعلم اللغات.
فتشجيع الطفل على القراءة والمعرفة والبحث يخلق لديه حب المعرفة والحرص على معرفة كل جديد ونافع.
قال ابن القيم -رحمه الله-في: وهو يتكلم عن عِشْق العلم-: وحدثني أخو شيخنا (يعني أحمد ابن تيمية) عبدُالرحمن ابن تيمية، عن أبيه (عبد الحليم) قال: كان الجَدُّ (أبو البركات) إذا دخل الخلاء يقول لي: اقرأْ في هذا الكتاب وارْفَعْ صوتكم حتى اسمعُ.
وكان الفتح بن خاقان يحمل الكتاب في كمه أو في خفه فإذا قام من بين يدي المتوكل للبول أو الصلاة أخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشى حتى يبلغ الموضع الذي يريده ثم يصنع مثل ذلك في

---

١ – البيهقي : المحاسن والمساوئ ص ١٦١ .

٢ – عبد الفتاح أبو غدة : قيمة الزمن عند العلماء ص ٤٣ .

رجوعه إلى أن يأخذ مجلسه فإذا أراد المتوكل القيام لحاجة أخرج الكتاب من كمه أو خفة فقرأه في مجلس المتوكل إلى حين عوده. ([1])

وموهبة الطفل وقدراته لا تنمو إلا في جو من الحب والحرية ، وتموت تلك المواهب والقدرات إذا عاشت في جو من العسف والقهر والتسلط ، ولقد أوضح ذلك ابن خلدون في مقدمته الرائعة " في الفصل الأربعون في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم" فقال : "وذلك أن إرهاف الحد في التعليم مضمر بالمتعلم، سيما في أصاغر الولد، لأنه من سوء الملكة. ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره، خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقاً، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه أو منزله.

وصار عيالاً على غيره في ذلك، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل، فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها، فارتكس وعاد في أسفل السافلين. وهكذا وقع لكل أمة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف، واعتبره في كل من يملك أمرة عليه. ولا تكون الملكة الكافلة له رفيقة به. وتجد ذلك فيهم استقراء. وانظره في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء حتى إنهم يوصفون في كل أفق وعصر بالخرج، ومعناه في الاصطلاح المشهور التخابث والكيد، وسببه ما قلناه. فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبدوا عليهم في التأديب. ([2])

قال أحدهم موصيا ولده:

أيْ بنيَّ اسمعْ وصايا جَمعتْ حكماً خُصَّتْ بها خيرُ الملكْ
اطلبِ العلمَ ولا تكسلْ فما أبعدَ الخيرَ على أهلِ الكسلْ
واحتفلْ للفقهِ في الدينِ ولا تشتغلْ عنهُ بمالٍ أوْ خَوَلْ
واهجرِ النومَ وحصِّلْهُ فَمَنْ يعرفِ المطلوبَ يحقرْ ما بذلْ
لا تقلْ قدْ ذهبَتْ أربابُهُ كلُّ مَنْ سارَ على الدربِ وصلْ
في ازديادِ العلمِ إرغامُ العِدى وجمالُ العلمِ يا صاحِ العملْ

ثانياً: دور المدرسة في إصلاح التعليم:

للمدرسة دور كبير في إصلاح حال التعليم لا يقل بحال من الأحوال عن دور البيت ودور الدولة ،فالطفل يذهب إلى المدرسة كالصفحة البيضاء وكالأرض البكر لا يملك شيئاً من الخبرات التعليمية سوى ما اكتسبه من أسرته ، وهناك يبدأ دور الأب الثاني للتلميذ وهو المعلم والذي يتخذ منه التلميذ المثل والقدوة، ثم دور الطالب والذي هو الأساس في العملية التعليمية ، ثم دور الإدارة المدرسية في ضبط نظام العملية التعليمية والسير بها على أحسن وجوهها.

---

[1] – عبد الفتاح أبو غدة : قيمة الزمن عند العلماء ص ٣٩ . (روضة المحبين ص ٧٠)

[2] – راجع: مقدمة ابن خلدون ٣٤٧.

١-دور المعلم في العملية التعليمية:

المعلم له دوره المهم والبارز في العملية التعليمية ، فالطالب ينظر إلى معلمه نظرة اقتداء واهتداء ،ويتخذ منه القدوة والنموذج الأعلى ، يقلده في أقواله وأفعاله ،أوصى عتبة بن أبي سفيان عبد الصمد مؤدّب ولده فقال: ليكن إصلاحُك بَني إصلاحَك نفسك، فإن عُيوبَهم معقودة بعَيْبك، فالحسنُ عندهم ما استحسنتَ، والقبيحُ ما استقبحت؛ وعلِّمهم سِيَرَ الحكماءِ، وأخلاقَ الأدباء، وتهدَدْهم بي وأدَبْهم دوني؛ وكن لهم كالطبيب الذي لا يَعْجَل بالدواء حتى يَعْرِف الداء؛ ولا تَتَكِلَنَ على عذر مني، فإني قد اتكلتُ على كِفاية منك. (١)

لذا ينبغي على المعلم أن يضع نفسه دائما موضع القدوة، وأن لا يتخذ من هذه الرسالة العالية الفاضلة مجرد وظيفة ووسيلة للتكسب والارتزاق.

صفات المعلم الجيد: والمعلم الجيد هو الذي يتصف بالصفات الإيجابية ومنها:

أولاً: حسن الإخلاص والتقوى: وذلك بتصحيح النية ، تلك النية التي تحتاج إلى مجاهدةٍ في تحصيلها واستصحابها، وإلى مدافعة أضدادها ومفسداتها، قال سبحانه: { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠].

وقد افتتح الإمام البخاري وبعض الأئمة مؤلَّفاتهم بحديث «إنما الأعمال بالنيات...»، وهي تدخل كما قال الإمام الشافعي في سبعين بابًا من أبواب الفقه. (٢)

ولقد حذر الإسلام من تعلم العلم للدنيا فقط، عن أبي هريرة فقال له ناتل أهل الشام أيها الشيخ حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت.

قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن.

قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم.

وقرأت القرآن ليقال هو قارئ.

فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار.

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد. فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في النار. (٣)

---

١ – ابن قتيبة : عيون الأخبار ١٩٩.

٢ – انظر: ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ص: ١١.

٣ – أخرجه أحمد ٣٢١/٢(٨٢٦٠) و"مسلم" ٤٧/٦ والنسائي" ٢٣/٦ ، وفي "الكبرى" ٤٣٣٠ و١١٤٩٥ .

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة. يعنى ريحها. (١) يَعْنِي رِيحَهَا.

قال الإمام النووي-رحمه الله-: ويجب على الْمُعلِّم أن يقصد بتعليمه وجه الله لِما سبق، وألاَّ يجعله وسيلة إلى غرضٍ دنيوي، فيستحضر الْمُعلِّم في ذهنه كون التعليم آكد العبادات، ليكون ذلك حاثًا له على تصحيح النية، ومُحرِّضًا له على صيانته من مُكدِّراته ومن مكروهاته، مخافة فوات هذا الفضل العظيم والخير الجسيم. (٢)

فالمعلم الذي يجعل هدفه الأول الكسب المادي ولا يبالي إذا كان من حلال أم من حرام هو معلم لا يدرك كنه الرسالة والمسؤولية التي سوف يسأل عنها أمام الله يوم القيامة.

ثانياً: الصبر والحلم: فالله سبحانه وتعالى أعلن حبَّه للصابرين بقوله: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}[آل عمران: ١٤٦].

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا (٣)

معاوية بن الحكم السلمي-رضي الله عنه-قال : بينما أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله فحدقني القوم بأبصارهم قلت واثكل أماه ما لكم تنظرون إلي قال فضرب القوم بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يسكتوني لكني سكت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه والله ما ضربني ولا كهرني ولا سبني ولكن قال إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس وإنما هي التسبيح والتكبير وتلاوة القرآن (٤)

قال تعالى: {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: ١٥٩].

قال ابن جماعة: وكذلك ينبغي أن يرحب بالطلبة إذا لقيهم، وعند إقبالهم عليه، ويُكرمهم إذا جلسوا إليه، ويؤنسهم بسؤاله عن أحوالهم وأحوال من يتعلَّق بهم بعد ردِّ سلامهم، وليعاملهم بطلاقة الوجه وظهور البشر وحُسن المودة وإعلام المحبة وإضمار الشفقة؛ لأنَّ ذلك أشرح لصدره وأطلق لوجهه وأبسط لسؤاله، ويزيد في ذلك لمن يُرجى فلاحه، ويظهر صلاحه. (٥)

ثالثاً: العدل والإنصاف: وذلك بأن لا يفرق بين طلابه ويحابي أحدهم على حساب الآخرين، فقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ٩٠].

---

١ – أخرجه "أحمد" ٣٣٨/٢(٨٤٣٨) و"أبو داود" ٣٦٦٤ و"ابن ماجة" ٢٥٢ و"ابن حِبَّان" ٧٨ صحيح الترغيب والترهيب ٢٥/١.

٢ – المجموع شرح المهذب. ج١، ص٣٠.

٣ – أخرجه أحمد ٣٢٨/٣(١٤٥٦٩) و"مسلم" ١٨٧/٤(٣٦٨٣).

٤ – أخرجه أحمد ٤٤٧/٥ والبخاري" في "خلق أفعال العباد" ٢٦ و"مسلم"٧٠/٢(١١٣٦) .

٥ – راجع: تَذْكِرَةُ السَّامِعِ والمُتَكَلِّم في أَدَب العَالِم والمُتَعَلِّم ٣٤.

عقد ابن سحنون بابًا في ذلك «ما جاء في العدل بين الصبيان»، وأورد فيه بإسناده عن الحسن قال: إذا قوطع الْمُعلِّم على الأجرة فلم يعدل بينهم – أي الصبيان – كُتب من الظلمة. ([1]).
وقال في موضع آخر: وليجعلهم بالسواء في التعليم، الشريف والوضيع، وإلا كان خائنًا.
جاء هارون الرشيد ونزل في بيت الإمارة فطلب الإمام مالك بن أنس، ليأتي بموطئه ليقرأه عليه وعلى الأمين والمأمون ابني هارون الرشيد فنظر إليه مالك وقال: يا أمير المؤمنين إن العلم يؤتى إليه ولا يأتي إلى أحد، فجاء هارون وقف على باب مالك واستأذن، فأخبرت الجارية مالك بأن هارون أمير المؤمنين على باب البيت، فذهب واغتسل وارتدى خير ثيابه وتطيب، كل هذا وهارون على الباب، أذن له، فلما دخل قال: ما هذا يا مالك؟
طلبناك فامتنعت علينا، جئناك حبستنا على بابك؛ قال: أفدتك أن العلم يؤتى إليه ولا يأتي، أما أني حبستك على الباب فصحيح، لأني حينما أخبرت أنك تأتي ولم أكن أعلم في أي وقت، علمت أنك لا تأتي لمالك، لا لمال ولا لجاه ولا لشيء إلا للعلم، فأردت أن أكون على أحسن هيئة وأنا أدارسك العلم. ([2])

رابعاً التواضع والرجوع إلى الحق: قال تعالى {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}. سورة الشعراء: ٢١٥].
ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا وما تواضع أحدٌ لله إلاَّ رفعه». ([3])
ومن التواضع أن يقول لا أدري فيما لا يعلمه وأن يرجع إلى الصواب إذا أخطأ، وروى بسنده عن عبد الرحمن بن مهدي قال: كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله، جئتكم من مسيرة ستة أشهر، حمَّلني أهل بلدي مسألة أسألك عنها. قال: فسل. قال: فسأله الرجل عن المسألة. فقال: لا أُحسنها.
قال: فبُهِت الرجل كأنه قد جاء إلى من يعلم كلَّ شيء. قال: أيُّ شيء أقول لأهل بلدي إذا رجعت إليهم؟
قال: تقول لهم: قال مالك: لا أُحسِن. ([4]).
قال الشافعي رحمه الله " ما ناظرني أحد فباليت أظهرت الحجة على لسانه، أو على لساني'.
عن حاتم الأصم أنه قيل له: أنت رجل أعجمي لا تفصح، وما ناظرك أحد إلا قطعته، فبأي شيء تغلب خصمك؟ فقال:' بثلاث: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ لساني عنه أن أقول له ما يسوؤه' فقال أحمد: 'ما أعقله من رجل'. ([5])

خامسا: أن يكون قدوة صالحة لطلابه: فالتربية بالقدوة من أنجح الوسائل المؤثِّرة في إعداد المتعلِّم خُلقيًا وتكوينه نفسيًا واجتماعيًا، ذلك لأنَّ الْمُعلِّم هو المثل الأعلى في نظر المتعلِّم،

---

[1] – أدب الْمُعلِّمين. المطبوع في نهاية كتاب المذهب التربوي عند ابن سحنون ص١١٥.

[2] – انظر: شرح متن الرحبية للشيخ عطية محمد سالم ١٣.

[3] – رواه مسلم برقم (٢٥٨٨).

[4] – جامع بيان العلوم وفضله، ج٢ ص٥٣.

[5] – ابن الجوزي: المنتظم (١ /٢٢٠).

والأسوة الصالحة في عينه، يُقلِّده سلوكيًا ويُحاكيه خُلقيًا من حيث يشعر أو لا يشعر، بل تنطبع في نفسه وإحساسه صورته القولية والفعلية والحسية والمعنوية من حيث لا يدري أو يدري.
قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ" [الصف: ٢، ٣].
وعن أسامة بن زيد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يُجاء بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان، ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟! قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه». (١)
قال الشاعر:

يا أيهَا الرجـــلُ المعلِّمُ غيرَه ... هلاَّ لنفسِك كانَ ذا التعليمُ
تَصِف الدواءَ لِذي السقامِ وذي الضنَا ... ومِن الضَّنَا وجَواهُ أنتَ سقيمُ
وأراكَ تلقحُ بالرشادِ عقُولَنا ... نُصْحاً، وأنت مِن الرشادِ عديمُ
أبدأ بنفسِك فانْهَهَا عَن غَيِّها ... فإذا انتهتْ عنه فأنتَ حكيمُ
فَهُناك يُقْبَلُ إن وعظتَ، ويُقتدَى ... بالقول منكَ، وينفعُ التعليمُ
لا تَنْهَ عن خُلقٍ وتأتيَ مثلَه ... عارٌ علَيكَ إذا فعلتَ عظيمُ

سادساً: أن يعتني ويهتم بتخصصه وبمادته العلمية: لأن بعض المعلم تقف حدود معرفته وثقافته عن مرحلة الجامعية وبعدها يهجر الكتاب ويجافي المعرفة، ولا يحاول أن يطور من قدراته وأن يرتقي بذاته، فالاهتمام بالتخصص والعناية به والسعي لبلوغ الذروة فيه هو ما ينبغي أن يكون من شأن الْمُعلِّم، لأنه سيكون مرجعًا لطلابه يسألونه ويستفتونه به، ويلتزمون بما يمليه عليهم ويوجِّههم إليه، وينقلون هذا عنه إلى غيرهم من زملائهم أو طلابهم حينما يتصدُّون للتعليم فيما بعد، فلا بدَّ من العناية به ،وقد سُئل سفيان بن عيينة: من أحوج الناس إلى طلب العلم؟ قال: أعلمهم؛ لأنَّ الخطأ منه أقبح. (٢)
قال تعالى: " {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: ٤٣].
وقال صلى الله عليه وسلم: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدُّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان بن عفان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبي بن كعب، ولكلِّ أمَّة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».
فكل هذه الصفات الطيبة وغيرها تجعل المعلم يقوم بدوره المنوط به، وتجعله يحقق الأهداف التي يسعى إليها ، وبدونها يصبح المعلم جسداً بلا روح وشمساً بلا ضوء .

٢-دور الطالب في العملية التعليمية:

كما للمعلم آداب وأخلاق يجب أن يتصف بها حتى يستطيع أداء دوره في العملية التعليمة؛ فإن على المتعلم (الطالب) كذلك صفات وآداب يجب أن يلتزم بها حتى يحقق دوره في إصلاح التعليم، ومن هذه الصفات:

---

١ – رواه البخاري برقم (٣٠٩٤) ومسلم برقم (٢٩٨٩).

٢ – ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ص١٥٦.

أ – الصدق والإخلاص في طلب العلم: وذلك بأن يبذل النفس والنفيس والوقت والجهد في تحصيله، والإعراض عن كل ما يشغل عنه من لغو أو بطالة أو اقتراف لمعصية أو محرم. قال الشافعي رحمه الله:

شكوت الى وكيع سوء حفظي فأرشدني الى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي

عن ابن عباس رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؛ أَنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : بَلَى ، لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ(١)

ب-التحلي بالأخلاق والصفات الطيبة: وذلك بالابتعاد عن المراء، وتجنب الجدال بعد ظهور الحق، فإن المراء لا يأتي بخير، لأنه يضيع الوقت، ويقسي القلوب، ويورث الأحقاد، ويسبب البغضاء قال الله تعالى:" وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" العنكبوت ٤٦.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ ، وَيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ ، وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، أَدْخَلَهُ اللهُ جَهَنَّمَ. (٢)

قال الشاعر:

لا تحسبنّ العلم ينفع وحده ما لم يتوّج ربّه بخلاق

وقال آخر:

لو كان للعلم من دون التقى شرف لكان أشرف خلق الله إبليس

ومن حسن الخلق المحافظة على السمت الحسن، والاتزان والهدوء، ووقار العلم، وما يطبعه في النفس من خشية لله، ومعرفة بأقدار الناس. والابتعاد عن كل ما يخلّ بشرف العلم ومكانته في النطق والمشي والأمكنة والمعاملات.

ج-طلب العلم النافع المفيد: وهو العلم الذي ينفع المسلم في دينه وفي دنياه ويتجنب العلوم التي انقضى زمانها، أو التي لا طائل منها.

كما أن عليه أن يتلقى العلم عن أهله الأكفاء، من العلماء الراسخين، والأتقياء الصالحين، وأخذ كل فن من المختصين به، المحسنين له.

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم" رواه الحاكم.

وعليه بالصبر على التعلم، واستغلال الوقت واكتساب الفراغ، قبل ذهابهما ، وعدم التعلل بالحياء في رفض سؤال أهل العلم ففي الحديث : " نِعْمَ النِّسَاءُ نِساءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ. (٣)

---

١ – أخرجه "أحمد" ٥/١١٨(٢١٤٣٤) والبخاري" ١/٤١(١٢٢) و"مسلم" ٧/١٠٣(٦٢٣٩).

٢ – أخرجه ابن ماجة (٢٦٠) الألباني : حسن ، المشكاة (٢٢٥ و ٢٢٦).

٣ – أخرجه أحمد ٦/١٤٧ و"الدارمي" ٧٧٩ و"مسلم" ١/١٧٩ و١٨٠ و"أبو داود" ٣١٤.

قال مجاهد: لا يتعلم العلم مستحٍ ولا مستكبرٌ، وقال عبد العزيز بن عمر: ما شيء إلا وقد علمت منه، إلا أشياء كنت أستحي أن أسأل عنها، فكبرت وفيّ جهالتها.
ًقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: " لَا يَزَالُ الرَّجُلُ عَالِمًا مَا تَعَلَّمَ، فَإِذَا تَرَكَ الْعِلْمَ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ اسْتَغْنَى وَاكْتَفَى بِمَا عِنْدَهُ فَهُوَ أَجْهَلُ مَا يَكُونُ "([1])
قال الشاعر:

إذا كنت لا تدري ولم تك بالذي يسأل من يدري فكيف إذا تدري

ومما يروى في ذلك ما قاله القاضي إبراهيم بن الجراح الكوفي تلميذ أبي يوسف: قال: لقد أتيته أعوده فوجدته مغمى عليه. فلما أفاق قال لي: يا إبراهيم ما تقول في مسألة! قلت: في مثل هذه الحالة؟! قال: لا باس بذلك ندرس لعلة ينحو به ناج! ثم قال: يا إبراهيم: أيهما أفضل في رمى الجمال – أي في مناسك الحج – أن يرميها ماشياً أو راكباً؟
قلت: راكباً، قال: أخطأت، قلت ماشياً قال: أخطأت، قلت: قل فيها يرضى الله عنك.
قال: أما ما كان يوقف عنده للدعاء فالأفضل أن يرميه راكباً، ثم قمت من عنده فما بلغنا باب داره حتى سمعت الصراخ عليه، وإذ هو قد مات رحمة الله عليه. ([2])
د-التأدب بآداب طالب العلم: ومنها الصبر على طلب العلم والطاعة للمعلم وعدم التعنت معه ، قال تعالى : " قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) سورة الكهف .
قال الرازي-رحمه الله-: اعلم أن هذه الآيات تدل على أن موسى عليه السلام راعى أنواعاً كثيرة من الأدب واللطف عندما أراد أن يتعلم من الخضر.
فأحدها: أنه جعل نفسه تبعاً له لأنه قال: {هَلْ أَتَّبِعُكَ}.
وثانيها: أن استأذن في إثبات هذا التبعية فإنه قال هل تأذن لي أن أجعل نفسي تبعاً لك وهذا مبالغة عظيمة في التواضع.
وثالثها: أنه قال على أن: {تعلمني} وهذا إقرار له على نفسه بالجهل وعلى أستاذه بالعلم.
ورابعها: أنه قال: {مِمَّا عُلِّمْتَ } وصيغة من للتبعيض فطلب منه تعليم بعض ما علمه الله ، وهذا أيضاً مشعر بالتواضع كأنه يقول له لا أطلب منك أن تجعلني مساوياً في العلم لك ، بل أطلب منك أن تعطيني جزأً من أجزاء علمك ، كما يطلب الفقير من الغني أن يدفع إليه جزأً من أجزاء ماله .
وخامسها: أن قوله: {مِمَّا عُلِّمْتَ} اعتراف بأن الله علمه ذلك العلم.
وسادسها: أن قوله: {رَشَدًا} طلب منه للإرشاد والهداية والإرشاد هو الأمر الذي لو لم يحصل لحصلت الغواية والضلال.

---

[1] – المجموع للنووي ٥٢/١.

[2] – عبد الفتاح أبو غدة: قيمة الزمن عند العلماء ص ٢٩.

وسابعها: أن قوله: {تُعَلّمَنِ مِمَّا عُلّمْتَ} معناه أنه طلب منه أن يعامله بمثل ما عامله الله به وفيه إشعار بأنه يكون إنعامك علي عند هذا التعليم شبيهاً بإنعام الله تعالى عليك في هذا التعليم ولهذا المعنى قيل أنا عبد من تعلمت منه حرفاً .... وقول موسى له: { سَتَجِدُنِى إِن شَاء الله صَابِرًا وَلاَ أَعْصِى لَكَ أَمْراً } تواضع شديد وإظهار للتحمل التام والتواضع الشديد ، وكل ذلك يدل على أن الواجب على المتعلم إظهار التواضع بأقصى الغايات ، وأما المعلم فإن رأى أن في التغليظ على المتعلم ما يفيده نفعاً وإرشاداً إلى الخير . فالواجب عليه ذكره فإن السكوت عنه يوقع المتعلم في الغرور والنخوة وذلك يمنعه من التعلم ثم قال: { فَإِنِ اتبعتنى فَلاَ تَسْأَلْنى عَن شَىء حتى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً } أي لا تستخبرني عما تراه مني مما لا تعلم وجهه حتى أكون أنا المبتدىء لتعليمك إياه وإخبارك به . (١).

وكذا تقدير المعلم ومعرفة قدره ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ. (٢)

قال الشاعر:

قمْ للمعلمِ وفِّهِ التبجيلا كاد المعلمُ أن يكونَ رسولا
أعلمتَ أشرفَ أو أجلَّ من الذي يبني وينشيءُ أنفساً وعقولا

قال الشافعي: كنت أصفح الورقة بين يدي مالك صفحا رقيقا هيبة لئلا يسمع وقعها.

وعن الربيع بن سليمان قال: " والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليَّ هيبة له "،

وقال الإمام أحمد : " لزمت هشيمًا أربع سنين ما سألته عن شيء إلا مرتين هيبة له "،

وقال عبدوس : " رآني أبو عبد الله (يقصد الإمام أحمد) يومًا وأنا أضحك ، فأنا أستحييه إلى اليوم ". روى أن أبا حنيفة قال: ما مددت رجلي نحو دار أستاذي حماد؛ إجلالاً له. وكان بين داره وداره سبع سِكك.

قال إسحاق الشهيدي: " كنت أرى يحيى القطان يصلي العصر ، ثم يستند إلى أصل منارة مسجده ، فيقف بين يديه علي بن المديني و أحمد بن حنبل و يحيى بن معين وغيرهم ، يسألونه عن الحديث وهم قيام على أرجلهم إلى أن تحين صلاة المغرب لا يقول لواحد منهم : اجلس ، ولا يجلسون هيبة له واعظاما " .

وقال حماد بن زيد قال سمعت أيوب يقول لقد جالست الحسن أربع سنين فما سألته هيبة. (٣)

عَنِ الشَّعْبِيِّ ـ رحمه الله ـ قَالَ: رَكِبَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، فَأَخَذَ ابْنَ عَبَّاسٍ بِرِكَابِهِ، فَقَالَ لَهُ: لا تَفْعَلْ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ: هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِعُلَمَائِنَا.

فَقَالَ زَيْدٌ: أَرِنِي يَدَكَ.

فَأَخْرَجَ يَدَهُ، فَقَبَّلَهَا زَيْدٌ وَقَالَ : هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (١)

---

١ – تفسير الرازي ٢٣٢/١٠ وما بعدها.

٢ – أخرجه أحمد (٣٢٣/٥، رقم ٢٢٨٠٧) الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: ٥٤٤٣ في صحيح الجامع.

٣ – حلية الأولياء ١١/٣.

وقَالَ مُحَمَّدُ بنُ حمدُوْن بنِ رُسْتُمَ: سَمِعْتُ مُسْلِمَ بنَ الحَجَّاجِ، وَجَاءَ إِلَى البُخَارِيِّ فَقَالَ: دَعْنِي أُقَبِّلْ رجليكَ يَا أُسْتَاذَ الأُسْتَاذِين، وَسَيِّدَ المُحَدِّثِيْنَ، وَطبيبَ الحَدِيْثِ فِي عِلَلِهِ. (٢)
جاءه سهل بن عبد الله التستري فقيل له: يا أبا داود، هذا سهل بن عبد الله قد جاءك زائراً، قال: فرحب به وأجلسه، فقال: يا أبا داود لي إليك حاجة، وما هي قال: حتى تقول قضيتها مع الإمكان، قال: قد قضيتها مع الإمكان، قال: أخرج لي لسانك الذي حدثت به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبله، قال: فأخرج له لسانه فقبله. (٣)
لما مرض أبو يوسف مرضًا شديدًا، فعاده أستاذه أبو حنيفة مرارًا.
فلما صار إليه آخر مرة، رآه ثقيلاً، استرجع، ثم قال: لقد كنتُ أُؤَمّله بعدي للمسلمين، ولئن أُصيبَ الناسُ به ليموتَنّ علمٌ كثير. ثم رُزق أبو يوسف العافية، وخرج من العِلَّة. فلما أُخبِر بقول أبي حنيفة فيه، ارتفعت نفسُه، وانصرفت وجوه الناس إليه، فعقد لنفسه مجلسًا في الفقه، وقصَّر عن لُزوم مجلس أبي حنيفة. وسأل أبو حنيفة عنه فأُخبر أنه عقد لنفسه مجلسًا بعد أن بلغه كلام أستاذه فيه.
فدعا أبو حنيفة رجلاً وقال له: صِرْ إلى مجلس أبي يوسف، فقل له: ما تقول في رجل دفع إلى قَصَّار ثوبًا ليصبغه بدرهم، فصار إليه بعد أيام في طلب الثوب، فقال له القصار: ما لك عندي شيء، وأنكره.
ثم إن صاحب الثوب رجع إليه، فدفع إليه الثوب مصبوغًا، أَلَه أجرُه؟
فإن قال أبو يوسف: له أجره، فقل له: أخطأت.
وإن قال: لا أجرَ له فقل له: أخطأت!
فصار الرجل إلى أبي يوسف وسأله، فقال أبو يوسف: له الأجرة.
قال الرجل: أخطأت.
ففكر ساعة، ثم قال: لا أجرة له.
فقال له: أخطأت! فقام أبو يوسف من ساعته، فأتى أبا حنيفة.
فقال له: ما جاء بك إلا مسألةُ القصَّار.
قال: أجل. فقال أبو حنيفة: سبحان اللّه! من قعد يُفتي الناس، وعقد مجلسًا يتكلم في دين اللّه، لا يُحسن أن يجيب في مسألة من الإيجارات؟!.
فقال: يا أبا حنيفة، علّمني. فقال: إنْ صبغه القصار بعدما غَصَبه فلا أجرة له، لأنه صبغ لنفسه، وإن كان صبغه قبل أن يغصبه، فله الأجرة، لأنه صبغه لصاحبه ثم قال: مَن ظن أن يستغني عن التعلُّم فَلْيَبكِ على نفسه. (٤)

٣-الإدارة المدرسية ودورها في إصلاح التعليم:

---

١ – رواه ابن سعد في الطبقات (٣٦٠/٢) والذهبي في السير (٤٣٧/٢) وابن الجوزي في صفة الصفوة (٧٠٦/١) وابن عبد البر : المجالسة وجواهر العلم ١٤٦/٤والحافظ في الإصابة (١٤٦/٤) وجود إسنادها الحافظ في الفتح (٥٧/١١).

٢ – سير أعلام النبلاء ٤٢٥/٢٣.

٣ – وفيات الأعيان ٤٠٥/٢ .

٤ – تاريخ بغداد ٣٥٠/١٣ ، وفيات الأعيان ٤٠٨/٥ ، الفقيه والمتفقه ٢٨١/١ ، الصيمري: أخبار أبي حنيفة وأصحابه ٣٩.

للإدارة المدرسية دور مهم في إصلاح التعليم، فالإدارة الناجحة تستطيع أن ترتقي بمستوى المعلمين والمتعلمين وتستخرج ما لديهم من كنوز دفينة، وتلعب الدور المنوط بها في تنمية الإبداع وصقل الموهبة لدى الطلاب وإنتاج أساليب في التعلم مثل التعلم الاكتشافي وبحث الطلاب عن المعلومات والحقائق بأنفسهم، أي باستخدام أسلوب التعلم وليس الحفظ والتلين والترديد دون فهم ووعي.

وذلك أن الطفولة تعتبر من أهم المراحل النمائية التي يمر بها الإنسان ، فهي تمثل نقطة البدء في النمو بمختلف مظاهره الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية ، كما أنها الأساس في بناء الشخصية وفي اكتساب المعارف والمهارات ، وفي تكوين الميول والاتجاهات ، ومن هنا يؤكد علماء النفس على ضرورة العناية بمرحلة الطفولة وتهيئة البيئة المناسبة لإثارة دوافع الطفل وإبداعاته انطلاقاً من البيئة المنزلية ثم بيئة الروضة فالبيئة المدرسية ، إذ أن هذه البيئات هي مصدر الإلهام الإبداعي للطفل وهي المسؤولة عن نموه وارتقائه أو إحباطه وفشله ، فإذا كانت البيئة خصبة ثرية مشجعة تثير دوافع الطفل وتشبع حاجاته العضوية والنفسية والاجتماعية وتجيب على تساؤلاته وحواراته ، ويسودها الاطمئنان النفسي والثقة بالنفس وتتوافر أيضاً على الإمكانات المادية المناسبة للمرحلة العمرية ، فإن ذلك ييسر عملية الإبداع ، فتنمو الموهبة وتترعرع صاعدة نحو الكمال لتحقيق الإنجازات الهائلة مستقبلاً ، وأما إذا كانت فقيرة معدمة في مثيراتها الفكرية ويسودها روح التسلط والخوف وتنعدم فيها الثقة بالنفس ولا تتوافر على العناصر المادية ، والثقافية اللازمة للعملية الإبداعية ، فغالباً ما تكون سبباً في إحباطات الموهوب وفشله .

والإدارة المدرسية تستطيع أن توجد التواصل بين البيت والمدرسة والذي يعد أساساً من أسس الارتقاء بالمتعلم، والوقوف على نقاط الضعف لديه ومعالجتها أولاً بأول.

كما أنها تستطيع الارتقاء بالمعلم وجعله في الصورة الطيبة التي ينبغي أن يكون عليها وأن يعامل على أساسها، فتجعل المعلم قدوة لطلابه وترفع مكانته وسط تلاميذه، كان العالم المسلم (الكسائي) يربي ويؤدب ابني خليفة المسلمين في زمانه هارون الرشيد وهما الأمين والمأمون وبعد انتهاء الدرس في أحد الأيام، قام الإمام الكسائي فذهب الأمين والمأمون ليقدما نعلي المعلم له ، فاختلفا فيمن يفعل ذلك ، وأخيراً اتفقا على أن يقدم كلاً منهما واحدة ..ورفع الخبر إلى الرشيد ، فاستدعى الكسائي وقال له :من أعز الناس ؟

قال: لا أعلم أعز من أمير المؤمنين.

قال: بلى، إن أعز الناس من إذا نهض من مجلسه تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين، حتى يرضى كل منهما أن يقدم له واحدة .

فظن الكسائي أن ذلك أغضب الخليفة فاعتذر الكسائي.

فقال الرشيد: لو منعتهما لعاتبتك، فإن ذلك رفع من قدرهما. ([1]).

ثالثاً: دور الدولة في إصلاح التعليم:

[1] – ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥١٠/٢

التعليم أساس للتنمية والتقدم ومن ثم فإن الإصلاح الحقيقي يجب أن يبدأ بالتعليم ونشر العلم وكفالة الحرية للبحث العلمي ودعم العلماء ماديا وأدبيا بما يضمن لهم حياة كريمة توفر لهم القدرة على مواصلة البحث العلمي وإمكانيات نشر الفكر العلمي وتطويره.

من هنا يجب أن مؤسسات التعليم منفتحة علي كل المستويات، ومرصدا للتقدم الكوني العلمي والتكنولوجي، وقبلة للباحثين الجادين، ومختبرا للاكتشاف والإبداع، وأن يكون هذا الإبداع، مطبوعاً بروح المبادئ الإيجابية والإنتاج النافع.

وللأسف فإن برامج التعليم لا تعتبر خلاقة في أغلب البلدان العربية، أي وسيلة للتغيير الثقافي، بل هي على العكس من ذلك تجتر ثقافة الآخرين وتعطيها شرعية وحيوية.

شمولية الإصلاح التعليمي: وإصلاح التعليم لا بد أن يكون شمولياً: يشمل:

١-إصلاح حال المعلم: وذلك بالارتقاء بمستواه العلمي والمادي وإعداد وتأهيله للتعامل مع التقنيات التربوية الحديثة وأن تجعل الدولة المعلم في أسمى وأعلى مكانه ، قدم هارون الرشيد إلى الرقة في غرب بغداد فاستقبله أفراد من الحرس والشرطة، وعندما قدم عبد الله بن المبارك من نفس المكان خرج الناس عن بكرة أبيهم لاستقباله فنظرت جارية في قصر الخليفة إلى المنظر فقالت ما هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان، فقالت: هذا والله الملك، لا ملك هارون الرشيد الذي لا يجمع الناس إلى بشرط وأعوان. ([1]).

قال الشاعر:

إنَّ الْمُعَلِّمَ وَالطَّبِيبَ كِلَاهُمَا لَا يَنْصَحَانِ إذَا هُمَا لَمْ يُكْرَمَا
فَاصْبِرْ لِدَائِك إنْ أَهَنْت طَبِيبَهُ وَاصْبِرْ لِجَهْلِك إنْ جَفَوْت مُعَلِّمَا

٢-إصلاح حال المتعلم: الارتقاء بمستوى المتعلم هدف أساسي لجميع الدول، وذلك يكون بالاستغلال الأمثل لتكنولوجيا المعلومات بهدف تحسين عمل المعلمين والوضع المهني والفني لهم، واستثمار الإمكانات الحديثة التي تجعل المتعلم يبتعد عن الحفظ والاستظهار دون وعي وابتكار ، كما أن المتعلم يحتاج إلى تشجيع وتحفيز دائمين ؛ حتى يشعر بأنه شريك أساسي في العملية التعليمية ولا يكتفي بدور المتفرج .

حينما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز، وفدت الوفود من كل بلد لبيان حاجاتها وللتهنئة، فوفد عليه الحجازيون، فتقدم غلام هاشمي للكلام، وكان حديث السن، فقال عمر: -لينطلق من هو أسن منك.

فقال الغلام: -أصلح الله أمير المؤمنين، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله عبداً لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد استحق الكلام وعرف فضله من سمع خطابه، ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان في الأمة من هو أحق بمجلسك هذا منك. فقال عمر: -صدقت، قل ما بدا لك، فقال الغلام: -أصلح الله أمير المؤمنين، نحن وفد تهنئة لا وفد مرزئة، وقد أتيناك لمنَّ الله الذي منَّ علينا بك، ولم يقدمنا إليك رغبة أو رهبة، أما الرغبة فقد أتيناك من بلادنا، وأما الرغبة فقد أمنا جورك بعدلك. فقال عمر: عظني يا غلام، فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، إن ناساً من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول أملهم وكثرة ثناء الناس عليهم فزلت بهم الأقدام فهووا في

---

[1] – انظر: تاريخ بغداد الخطيب البغدادي (١/١٥٢) وانظر حلية الأولياء لأبي نعيم (٨/ ١٦٧)

النار، فلا يغرنك حلم الله عنك وطول أملك وكثرة ثناء الناس عليك، فتزل قدمك، فتلحق بالقوم، فلا جعلك الله منهم، وألحقك بصالحي هذه الأمة، ثم سكت. فقال عمر: كم عمر الغلام، فقيل له: ابن إحدى عشرة سنة، ثم سأل عنه فإذا هو من ولد سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهم، فأثنى عليه خيراً، ودعا له، وتمثَّل قائلاً:

تعلم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهلُ
فإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذ التفت عليه المحافلُ (١)

٣- إصلاح حال الكتب والمناهج الدراسية : تطوير وإصلاح الكتب والمناهج الدراسية صار أمرا محتما في ظل التغيرات السريعة والمستجدات الحديثة ، وليس من المنطق أن يتطور العصر وتبقى الكتب والمناهج الدراسية كما هي ، فإن عالمنا اليوم يشهد تطورات علمية هائلة ، بل نستطيع القول ثورات علمية جبارة في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية والصحية التي جاءت سريعة قد يقف الإنسان مذهولاً أمامها على الرغم من أنه هو الذي أوجدها وطورها ، فنحن نرى ونعيش اليوم عصر الذرة والأقمار الصناعية ، وعصر الكومبيوتر والإنترنيت ، والاتصالات وأجهزة الاستقبال التي حولت العالم إلى قرية صغيرة ومكنت الإنسان من الحصول على كل ما يحلم به من المعلومات بدقائق معدودة

ولم يقتصر التطور العلمي على الاختراعات والصناعات المختلفة، فقد كان لابد أن يحدث التطور في المجال التربوي والتعليمي جنباً إلى جنب، لأن المجالين يكمل بعضهما بعضاً، ولأن التطور التقني يتطلب قدرات متطورة وعالية لدى العاملين لكي يستطيعوا مواكبة التطور التقني في العصر الحديث.

وهكذا ارتفعت أصوات المفكرين والعلماء العاملين في المجال التربوي لإجراء ثورة في أساليب التربية والتعليم في مدارسنا، وإعادة النظر في المناهج والكتب المدرسية والوسائل التي تمكن المدرسة من أداء عملها على الوجه الأكمل.

٤-إصلاح حال الإدارة المدرسية: للإدارة المدرسية دور في تثقيف المعلمين والمتعلمين من خلال المناشط المدرسية المختلفة التي ترقي بالمستوى العقلي والمهاري للطلاب والمعلمين ،وذلك برصد الاحتياجات التدريبية للمعلمين والمتعلمين ، كما أن لها دوراً بارزاً في خلق الجو التعليمي المناسب الذي ينتج فرداً منتجا ومبدعا .

وللإدارة المدرسية دور مهم في إيجاد التواصل الفعال بين البيت والمدرسة من ناحية ، وبين المدرسة والمجتمع كله من ناحية أخرى .

ولها دور في رصد المشكلات التدريسية والعمل على إيجاد الحلول المناسبة لها.

إذن فتطوير سياسة التعليم وإصلاحها قد يتطلب تغييرات جذرية (هيكلية، مؤسسية، ثقافية) ولا بد حينئذ من تكاتف الجميع في إحداث هذا الإصلاح وذلك التغيير، وجعل ذلك أمراً لا يحتمل إلا واحدة من اثنتين: إما حياة وإما موت، ولنعلم أن إصلاح التعليم هو إصلاح للمجتمع.

---

١ – راجع : الطرطوشي : سراج الملوك ٢٦/١ ، صور من ابتلاء العلماء لوحيد عبد السلام بالي ٩ .

الباب الثامن: الإصلاح الإداري

عن كعب بن مالك الأنصاريّ –رضي الله عنه-قال: قال رسول اللّه -صلّى اللّه عليه وسلّم-: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشّرف لدينه» (١)

اقرأ في الصفحات الآتية

- **تعريف الفساد الإداري.**
- **صور من الفساد الإداري.**
- **إحصائيات عن الفساد الإداري في مصر.**
- **أنواع الفساد الإداري.**
- **أسباب تفشي ظاهرة الفساد: الإداري –.**
- **الآثار المترتبة على الفساد الإداري.**
- **الإصلاح الإداري.**
- **عمر بن الخطاب ومكافحته وباء الفساد الإداري.**

---

١ – خرجه أحمد ٣/٤٥٦(١٥٨٧٦) و"الدارمي" ٢٧٣٠ و"الترمذي"٢٣٧٦ ، وقال الألباني(صحيح) انظر حديث رقم : ٥٦٢٠ في صحيح الجامع .

الباب الثامن: مفهوم الفساد الإداري

اعلم علمني الله وإياك: أن من الأبواب التي يجب على الأُمة إصلاحها الإصلاح الإداري فقد انتشر في الحقبة الماضية الفساد في المنظومة الإدارية فظهر الرشوة، والمحسوبية، والابتزاز، والتكسب غير المشروع واستغلال الوظائف في تحقيق عائد شخصي، وغيره كثير سنعرفها من خلال الدراسة ثم نضع الأسس القويمة لتقويم الأخلاق وتنمية الإصلاح الإداري.

الفصل الأول: تعريف الفساد الإداري

تعريف الفساد الإداري هو: الإخلال بالسلطات الممنوحة بموجب ولاية شرعية عامة، بتجاوز حدودها المشروعة قصدًا واستعمالها بما يتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية من تلك الولاية واقعًا أو مآلا.

هذا التعريف فيه اختزال لجملة من التصورات والمبادئ التشريعية الإسلامية، وفيما يأتي بيانها وبيان

صلتها بالتعريف:

أولا: أن الفساد في حكم الشرع لا يعدو أن يكون إخلالا في أمر من الأمور، أي عدولا به عن الاستقامة ([1])، تلك الاستقامة التي تحصل بالتزام أوامر الله تعالى ونواهيه {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [هود: ١١٢]

ولذا كان الأمر منوطًا أولا وأخيرًا بالشرع، فكان من الضروري إبراز هذا المعنى في التعريف ككل، وجعل الإخلال جنسًا في التعريف ليتبين وجه المناسبة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي والمفهوم الشرعي العام.

ثانيًا :إن جوهر الإدارة في نظر التشريع الإسلامي هو ممارسة السلطات التي تمنح لمتولي الإدارة في تدبير شؤون الأمر الذي ُ كلف برعايته،" فممارسة الإدارة في المجتمع السياسي، هي ممارسة للسلطة على المجتمع، من قبل الشخص المتولي للسلطة الإدارية ([2])

ثالثًا :إن مجالات الإدارة في التشريع الإسلامي هي المجالات التي تقام عليها الولاية بأنواعها، لذا

---

[1] – القرطبي، ، ج ١٠ ص ٢٠٢

[2] –، ٢ محمد مهدي شمس الدين، نظام الحكم والإدارة في الإسلام. بيروت: المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ط ٤ ص ٤٢٩

نجد الأستاذ مصطفى الزرقا يقول في تعريف الولاية" :هي سلطة شرعية لشخص في إدارة شأن من الشؤون وتنفيذ إرادته فيه على الغير من فرد أو جماعة "([1]) غير أنها لما كانت تتسع لتشمل معظم
القضايا العامة والخاصة ([2])، ولا تنحصر في الشؤون العامة وما يتعلق بها، كان من الضروري تخصيصها بالولاية العامة التي تصدق على الوظائف على اختلاف مجالاتها ودرجاتها، والتي هي المقصودة بالبحث هنا.
رابعًا :من خلال هذا التعريف يمكن التمييز بين مفهوم الفساد الإداري وغيره من المفاهيم ذات الصلة، مثل:
الخطأ الإداري :وهو ذلك التصرف الذي يتضمن تجاوزًا غير مقصود لحدود الولاية العامة، وتم التحرز عن هذا المفهوم بالقيد المضاف إلى التجاوز وهو القصد.
الفساد التشريعي :الناشئ عن سن القوانين والأنظمة التي تتعارض مع الشريعة الإسلامية نصًا أو مقصدًا، ولذا اشترط في التعريف أن تكون السلطة محل الخلل سلطة شرعية ابتداء ليقال :إن ثمة فسادًا إداريًا وقع فيها.
ولا يعني إخراج هذين النوعين من جملة مسمى الفساد الإداري إهمالهما، أو التغاضي عن تبعاتهما،
فقد عالج الفقه الإسلامي هذين الأمرين بصورهما المتعددة ضمن سياقات تشريعية أخرى ([3])
خامسًا :هذا التعريف يظهر المعايير التي يحكم من خلالها شرعًا على تصرف من التصرفات بأنه فساد إداري، وهي :الإهمال، وتجاوز الحدود الموضوعية للسلطات الإدارية، واستعمالها الذي يتنافى مع مقاصد الشريعة، والوصول بها إلى ذلك .([4])

وهناك تعريفات أخرى نذكر منها:

هو سلوك غير سوي ينطوي على قيام شخص باستغلال مركزه وسلطاته في مخالفة القوانين واللوائح والتعليمات لتحقيق منفعة لنفسه أو لذويه من الأقارب ولأصدقاء والمعارف وذلك على حساب المصلحة العامة.)

عناصر الفساد الإداري: -

١-سلوك غير سوى مخالف للقانون واللوائح والتعليمات والأخلاق.
٢-الفاعل: غالبا هو الموظف العام بالحكومة أو شركات قطاع الأعمال.
٣-هدف: الفساد هو تحقيق مصلحة خاصة للموظف أو لذويه علي حساب المصلحة العامة كما قد تكون المصلحة الخاصة مادية أو أدبية.
٤-خطر : الفساد هو الإضرار بالمصالح الاقتصادية الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية

---

[1] – هذا التعريف للأستاذ مصطفى الزرقا، نقل u1593 عنه في: نمر محمد الخليل نمر، أهل الذمة والولايات العامة في الفقه الإسلامي.

. ١٤٠٩ ه، ص ٢٧ ، عمان: المكتبة الإسلامية، ط ١٢٠٠١ م

[2] – انظر هنا: فهمي خليفة الفهداوي، الإدارة في الإسلام: المنهجية والتطبيق والقواعد. عمان: دار المسيرة، ط ١، ٦١.–٦٠

[3] – انظر مثلا ما قاله السرخسي في شرح السير الكبير ج ٣ ص ١٠٦٢ حيث عقد بابًا لأحكام خطأ الإمام في قسمة الغنائم.

[4] – مفهوم الفساد الإداري ومعاييره في التشريع الإسلامي: دراسة مقارنة

للمجتمع.

الفصل الثاني: صور من الفساد الإداري

أخي المسلم: إن الفساد الإداري الذي عم أرجاء العباد والعباد في الفترة الماضية له صور عديدة وفيه أرقام مخيفة فهي نذير خطر يهدد العباد والبلاد و هيا...هيا لنقف على بعض من هذا الركام من الفساد الإداري ثم نضع له الدواء الشافي من كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -

أولا: إحصائيات عن الفساد الإداري في مصر :

أكد المستشار تيمور مصطفى رئيس هيئة النيابة الإدارية أن مصر شهدت ٦٨ ألف قضية فساد إداري خلال عام ٢٠١٠ بينما كان عدد القضايا ٧٠ ألف قضية خلال عام ٢٠٠٩.

وأضاف أن رئيس الوزراء قد أصدر قراراً بإنشاء اللجنة الوطنية التنسيقية لمكافحة الفساد برئاسة وزير العدل وتعمل تلك اللجنة على تفعيل اتفاقية الأمم المتحدة والاتفاقيات الإقليمية الموقعة عليها مصر والخاصة بمكافحة الفساد.

وأوضح تيمور مصطفى في لقاء ببرنامج "مصر النهاردة " بالتلفزيون المصري أمس الثلاثاء أن الدولة لها دور كبير في مكافحة الفساد، حيث تم إنشاء لجنة الشفافية والنزاهة التي تتألف من ٣٣ جهاز رقابي منهم الجهاز المركزي للمحاسبات والنيابة العامة والإدارية ولكل من تلك الأجهزة دوره الفعال والخاص به في مكافحة الفساد الإداري المنتشر داخل المجتمع.

وأعلن عن أن ثقافة الوعي بالهيئات القضائية لدى الشعب المصري معدومة، مشدداً على ضرورة أن يعرف المواطن دور النيابة الإدارية في مكافحة الفساد، وأن يتشجع أي مواطن يرى واقعة فساد بالإبلاغ عنها ليساعد في القضاء على الفساد.

واعترف تيمور بوجود الفساد كظاهرة منتشرة في مصر تقوم على أساس مؤسسي منظم من قبل بعض الأفراد والجماعات في العالم كله، ولذلك كان لزاماً أن يكون هناك تعاوناً دولياً لمكافحة الفساد بكل صوره.

وقال إنه في ضوء تفعيل دور النيابة الإدارية وتواصلها مع المواطنين تم إنشاء خط ساخن للإبلاغ عن قضايا الفساد وقد تلقى الخط إلى الآن ٥٥٠ شكوى خلال ٣٠ يوماً من المواطنين تم إحالة ٥٠ منها للنيابة الإدارية.

وأشار رئيس هيئة النيابة الإدارية إلى أن الخط الساخن هدفه التيسير على المواطن في تقديم شكواه للنيابة حال وجود أي مخالفة مالية أو إدارية بأي جهة من الجهات الحكومية ورفع المعاناة عنه في حالة تعسر انتقاله للنيابة المختصة للتقدم بشكواه بغرض تدعيم الشفافية وتحديد مواقع الفساد المالي والإداري والقضاء عليها خصوصاً أن تقارير مجلس الوزراء حول ظاهرة انتشار الفساد الإداري أثبتت أن أكثر من ثلثي المواطنين يدركون واقع الفساد ويتعرضون لوقائعه.)([1])

الأحوال المالية:

ديون: إجمالي ٦١٤ مليار جنيه.
الفقر: ٣٥% من الشعب تحت خط الفقر، أقل من١ دولار في اليوم.
نقود مهربة: ٣٠٠ مليار دولار خرجت من البلاد.
الجنيه المصري: الدولار= ٨٥ قرش سنة١٩٨١م.
و٦ جنيهات سنة ٢٠٠٥ م.

الأحوال الصحية:

السرطان: تضاعف ٨ مرات ...أعلى نسبة في العالم.
الذبحة الصدرية :٢٠ % من الحالات شباب تحت الأربعين.
البلهارسيا: أعلى نسبة في العالم.
السكر: ٧ ملايين .... ١٠ % تقريبا من عدد السكان.
التهاب كبدي: ١٣ مليون. ٢٠ % من الشعب.
فشل كلوي: أعلى نسبة في العالم.
شلل الأطفال: موجود في ٦ دول في العالم فقط منهم مصر.
الاكتئاب: ٢٠ مليون مواطن.
أمراض نفسية (أخرى): ٦ ملايين.
التدخين: ٨٠% من البالغين مدخنين.
التلوث: أعلى نسبة في العالم...تلوث للهواء ومياه الشرب.
والتدهور في التربة والمناطق الساحلية. خسائر ٣٠ مليار جنيه
الإنفاق الحكومي: ١٠ دولار للفرد سنوياً

الأحوال الاجتماعية:

القضايا: ٢٠ مليون قضية بالمحاكم ..أقدمها من ٣٨ عام حتى الأن.
البطالة: ٢٩% من القادرين على العمل. حوالي ٥ مليون شاب.
الانتحار: ٣ آلاف محاولة سنوياً.
حوادث الطرق: ٦ آلاف قتيل سنويا و٢٣ ألف مصاب.
الطلاق: ٢٨% من حالات الزواج سنوياً .. ٢٠% في العام الأول.
العنوسة: ٧ مليون عانس .. ٤ مليون فوق ٣٥ عام.

---

[1] – شبكة الإعلام العربية على الإنترنت / كتبها عمر الشرقاوى، في ١١ سبتمبر ٢٠٠٨ الساعة: ١٢:٤٧ م

الهجرة: ٤ ملايين مهاجر: ٨٢٠ ألفاً من الكفاءات و ٢٥٠٠ عالم في تخصصات شديدة الأهمية. ٦ ملايين طلب هجرة للولايات المتحدة وحدها سنة ٢٠٠٥
الأُمية (الحالية): ٢٦% من الشعب المصري.
الأُمية (المستقبلية): ٧% من الأطفال لا يدخلون المدارس بسبب الفقر ..غير الهاربين بعد الدخول.
التعليم: دروس خصوصية، كتب خارجية، جامعات خاصة للربح فقط
عمالة الأطفال: نصف مليون طفل
أطفال الشوارع: تقرير الأمم المتحدة: ١٠٠ ألف طفل
عشوائيات: ٤٥% من الشعب يسكن العشوائيات. ٣٥ منطقة عشوائية بالقاهرة فقط.
موظف الحكومة: تحت خط الفقر ويؤخذ منه ضرائب.
(ستة جنيهات متوسط دخل الموظف يومياً).
المخدرات: ٦ مليار دولار سنوياً في تجارة المخدرات.

مشاكل أخلاقية:

رشوة، محسوبية، بلطجة، توريث المهن، عُري، زواج عرفي
قتل الأزواج، امتهان وتحرش بالنساء، ألفاظ بذيئة، صحافة جنسية
غش جماعي وجريمة وتسول.

مشاريع قومية متوقفة أو خاسرة:

القضاء على الأمية قبل عام ٢٠٠٠، زراعة الصحراء الغربية بالقمح (مشروع اليابان).
وادي السليكون، محطة الطاقة النووية، جامعة د/ أحمد زويل (التكنولوجيا).
فوسفات أبو طرطور ،وادي توشكى .
أكثر من ٢,٣ مليار جنيه خسائر بشركات القطن .
و٨ مليارات جنيه خسائر شركات الغزل والنسيج.
و١٢ مليار جنيه العجز الإجمالي لسكك حديد مصر.
خسائر ١٠ مليارات جنيه بقطاع الإذاعة والتلفزيون :

الأزمـــة:

فساد تعليم، إسكان، زواج، بطالة، صحة، أخلاق، ضمير، مرور
مياه نظيفة، صرف صحي، البناء على الأرض الزراعية، تصحر، زحام
غلاء، انخفاض احتياطي النقد

الأرض الزراعية

تم تجريف مليون و ٢٠٠ ألف فدان أرض خضراء من ٥٠٠٠ سنة من أصل ٦ مليون فدان
ما سبق هو: إنجازات ٢٧ سنة من عصر مبارك

أشكال الفساد الإداري: للفساد الإداري إشكال عديدة و كما جاء في تقرير الندوة الإقليمية التي عقدتها دائرة التعاون الفني للتنمية ومركز التنمية الاجتماعية والشؤون الإنسانية بالأمم المتحدة حيث تم تحديد ثلاثة أشكال رئيسة للفساد الإداري يتضمن كل منها ثلاث ممارسات فرعية وكما هي موضحة في أدناه(١) .

٢-١: وفقا للرأي العام: -

١-١ أبيض.

١-٢ أسود.

١-٣ رمادي.

٢-٢: وفقا للممارسة: -

٢-١ سوء استخدام الروتين.

٢-٢ الممارسة غير الأمينة للصلاحية.

٢-٣ ممارسات مخالفة للقانون.

٢-٣: وفقا للغرض: -

٣-١ استخدام الموارد العامة لتحقيق مصالح خاصة.

٣-٢ خدمة الأقارب والأصدقاء.

٣-٣ السرقة العامة.

إن تصنيف أشكال الفساد الإداري وفقا للرأي العام يعني اعتماد الرأي العام أساس لتصنيف شكل الظاهرة السلبية الموجودة والآتي توضيح عن كل ممارسة داخل أشكال الفساد الإداري وفقا للرأي العام: -

١- الفساد الأبيض: ويعني أن هناك اتفاق كبير من قبل الجمهور والموظفين العاملين في الجهاز الإداري على تقبل واستحسان العمل أو التصرف المعني.

٢- الفساد الأسود: ويشير إلى اتفاق الجمهور والموظفين العاملين في الجهاز الإداري على إدانة عمل أو تصرف سيئ معين.

٣-الفساد الرمادي: وسمي بالفساد الرمادي لعدم إمكانية احتسابه على أي نوع من النوعين السابقين. ويعود سبب ذلك إلى غياب الاتفاق من عدمه حول عمل أو تصرف معين قبل الجمهور والموظفين.

كما إن الفساد الإداري وفقا للممارسة يأخذ الأشكال الآتية:

١-سوء استخدام الروتين: إن تعقيد الإجراءات الإدارية وسوء استخدام الروتين قد يدفع ببعض المواطنين إلى استخدام الأساليب غير المشروعة من اجل الحصول على خدمة ما أو إنجاز بأقل جهد أو كلفة.

---

١ – الفساد الإداري أسبابه وأثاره واهم أساليب المعالجة / ساهر عبد الكاظم مهدي

٢- الممارسة غير الأمينة للصلاحيات: إن الممارسة غير الأمينة للصلاحيات الممنوحة للموظف في الجهاز الإداري قد تدفع به إلى منح الامتيازات والتسهيلات لبعض المواطنين وحرمان البعض الآخر منها دون الاستناد إلى أسس وقواعد موضوعية أو إلى سياسة معينة.

٣- ممارسات مخالفة للقانون: ويعني قيام الموظف في الجهاز الإداري بممارسات مخالفة للقانون ونصوصه، الهدف من هذه الممارسات المخالفة للقانون هو تحقيق مكاسب شخصية بعيدا عن المصلحة العامة، أما بالنسبة للفساد وفقا للغرض فيأخذ الأشكال التالية والذي ركزت عليه الندوة التي عقدتها دائرة التعاون الفني للتنمية بالأمم المتحدة ([1]):

١- الفساد الناتج عن استخدام الموارد العامة لتحقيق أهداف شخصية ومثال على ذلك التزوير في تقدير الضرائب وتحصيلها.

أ إقامة مشروعات وهمية.

ب التدخل في مجرى العدالة.

٢- الفساد الناتج عن خدمة الأقارب والأصدقاء ومثال على ذلك:

أ انتهاك الإجراءات المتبعة لتحقيق مصلحة شخصية.

ب التغاضي عن الأنشطة غير القانونية لصالح الأقارب والأصدقاء.

ت تقديم تسهيلات غير مشروعة.

٣-الفساد الناتج عن السرقة العامة ومثال على ذلك:

ث التلاعب بالأسعار.

ج التلاعب بالرواتب والأجور.

ح التلاعب بنظم الحوافز والمكافآت.

وعلى الرغم من تعدد أشكال الفساد الإداري إلا أن معظم هذه الأشكال هي أوجه لظاهرة واحدة تعبر عن ممارسات غير مشروعة خارجة عن القانون. ومن وجهة نظر الباحث فان أشكال الفساد الإداري وفقا للممارسة هي شائعة وبشكل كبير في المؤسسات العراقية وقد يعود ذلك إلى أسباب قيمية وثقافية واجتماعية وأخرى سياسية واقتصادية

وتبعاً لتعدد أشكال الفساد الإداري تعددت مظاهره والتي هي:

*** الرشوة (Bribery) :** أي الحصول على أموال أو أية منافع أخرى من اجل تنفيذ عمل أو الامتناع عن تنفيذه مخالفة للأصول .

وقال الجرجانيّ: الرّشوة: ما يعطى لإبطال حقّ أو إحقاق باطل «[2]».

وقد استنبط بعض الباحثين ممّا ذكره الفقهاء تعريفا جامعا للرّشوة فقال: هي ما يؤخذ (من جعل) عمّا وجب على الشّخص فعله، سواء أكان واجبا على العين، كالقاضي أو على الكفاية، كما في شخص يقدر على دفع الظّلم أو استخلاص حقّ من يد ظالم.

وسواء أكان الوجوب شرعيّا كما في وليّ المرأة لا يزوّجها إلّا بالرّشوة، أو شاعر يخاف منه الهجو، لأنّ الكفّ عن عرض المسلم واجب شرعا، أو كان الوجوب عرفيّا (عن طريق العقد)، كمن آجر

---

[1] – أبو شيخه، نادر احمد ، الفساد في الحكومة المنظمة العربية للتنمية الإدارية: ١٩٩٤ .

[2] – التعريفات للجرجاني ص ١١٦، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ١٧٧.

نفسه لإقامة أمر من الأمور المتعلّقة بالمسلمين كأعوان القاضي أو أعضاء النّيابة وأهل الدّيوان من الموظّفين ([1])
عن عبد اللّه بن عمرو-رضي اللّه عنهما-قال: لعن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم الرّاشي والمرتشي) ([2]).
٢-* (عن أبي هريرة-رضي اللّه عنه-قال:(لعن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم الرّاشي والمرتشي في الحكم) ([3])
وزاد ابن حبّان والحاكم (والرّائش: يعني الّذي يسعى بينهما) ([4])
٣-* (عن عبد اللّه بن عمرو-رضي اللّه عنهما-عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم قال: «الرّاشي والمرتشي في النّار)([5])

أنواع الرّشوة وحكم كل نوع:

قال التّهانويّ: الرّشوة على أربعة أوجه:
الأوّل: رشوة محرّمة من الجانبين (الرّاشي والمرتشي)، ولها صورتان: الأولى: تقلّد القضاء بحيث لا يصير (القاضي) قاضيا بدونها. والثّانية: دفع الرّشوة إلى القاضي ليقضي له، سواء كان القضاء بحقّ أو بغير حقّ.
الثّاني: دفع الرّشوة خوفا على النّفس أو المال، وهذه حرام على الآخذ غير حرام على الدّافع، وكذا إذا طمع ظالم في ماله فرشاه ببعض المال، ومن هذا النّوع ما يدفعه شخص إلى شاعر، قلت (أو صحفيّ) خوفا من الهجاء أو الذّمّ.
الثّالث: الرّشوة تدفع للحاكم ليسوّي أمرا من الأمور، بحيث يشترط عليه ذلك وهذه حلال للدّافع حرام للآخذ، فإن طلب منه أن يسوّي أمره ولم يذكر له الرّشوة ثمّ أعطاه بعد ذلك شيئا، اختلف فيه العلماء، فقال بعضهم: لا يحلّ له، وقال بعضهم: يحلّ، قلت:
وعلى فرض أنّه حلال عند بعضهم فإنّه من الشّبهات الّتي ينبغي أن يتّقيها المسلم الّذي يستبرأ لدينه.
الرّابع: وهو ما أشبه الرّشوة وليس بها، وهو ما كان الدّفع فيه على سبيل التّودّد والتّحبّب، وهذا حلال للجانبين «٣».([6])
و الرشوة محرمة و هي كبيرة من كبائر الذنوب التي نهانا عنها نبينا – صلى الله عليه وسلم –

---

[1] – بتلخيص وتصرف عن كشاف اصطلاحات الفنون (٣/ ٨٨).

[2] – سنن الترمذي ٣ (١٣٣٧) واللفظ له، وقال: حديث حسن، أبو داود ٣ (٣٥٨٠)، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢ (٣٠٥٥): صحيح، والترغيب والترهيب ٣/ ١٧٩.

[3] – سنن الترمذي ٣ (١٣٣٦)، وحسنه وأخرجه أحمد (٢/ ٣٨٧، ٣٨٨).

[4] – الترغيب والترهيب ٣/ ١٨٠، وقال: رواه ابن حيان في صحيحه والحاك ٤/ ١٠٣ وصححه المسند ٥/ ٢٧٩ حديث رقم (٢٢٤٦١) واللفظ لهما، ومجمع الزوائد ٤/ ١٩٨.

[5] – مجمع الزوائد ٤/ ١٩٩، وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، الترغيب والترهيب ٣/ ١٨٠ واللفظ لهما، وقال المنذري: رواه الطبراني ورواته ثقات معروفون.

[6] –كشاف اصطلاحات الفنون ٣/ ٦٨،

قال الذّهبيّ: الكبيرة الثّانية والثّلاثون: أخذ الرّشوة على الحكم، وقد استدلّ على ذلك بقوله تعالى {وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ وَتُدْلُوا بِها إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة/ ١٨٨) قال الذّهبيّ: لا تدلوا بأموالكم إلى الحكّام: أي لا تصانعوهم بها ولا ترشوهم ليقتطعوا لكم حقّا لغيركم وأنتم تعلمون أنّ ذلك لا يحلّ لكم، وبعد أن ذكر الأحاديث الدّالّة على التّحريم «[١]»،

*** المحسوبية (Nepotism):** أي تنفيذ أعمال لصالح فرد أو جهة ينتمي لها الشخص مثل حزب أو عائلة أو منطقة ... الخ ،دون أن يكونوا مستحقين لها .

و هي أيضا: ويمكن لنا تعريف المحسوبية بأنها إسناد العمل الوظيفي لشخص لا يستحقه ولا يتناسب مع إمكانياته وخبراته بسبب توصية معينة من شخص ما او واسطة لتبادل المصالح ..وينتج عن هذا كما قلنا سابقا.. تدهور في الإنتاجية وضعف في الأداء وغياب الجو الإبداعي عن بيئة العمل.

وهذا ما خبر به النبي – صلى الله عليه وسلم بأنه من أمارات الساعة عن أبي هريرة قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث، فقال بعض القوم سمع ما قال، فكره ما قال، وقال بعضهم بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال أين - أراه - السائل عن الساعة . قال ها أنا يا رسول الله . قال فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة . قال كيف إضاعتها قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة.)([٢])

وهكذا والخلاصة أنه إذا فسد الناس فانتظر الساعة لأن الساعة تقوم على شرار الخلق ففي هذا التحذير من تضييع الأمانة وأنه يجب أن يولي المناصب الأهل فالأهل لأن هذا مقتضى الأمانة

****نهب المال العام:** أي الحصول على أموال الدولة والتصرف بها من غير وجه حق تحت مسميات مختلفة.

*** الابتزاز (Black mailins):** أي الحصول على أموال من طرف معين في المجتمع مقابل تنفيذ مصالح مرتبطة بوظيفة الشخص المتصف بالفساد.

ولعل من أكبر مظاهر الفساد الإداري الشائعة حالياً في بعض المؤسسات العراقية هي، عندما يكون المسؤول الأول مشغولاً لدرجة أن يترك أمر وزارته أو جهازه الإداري في تصرف أحد موظفيه وكم من موظف أصبح في الأهمية قبل رئيسه. وهنا يبدأ الفساد الإداري في غياب المراقبة والمتابعة حتى إن العديد من القضايا المهمة التي تحتاج إلى أن يحاط المسؤول الأول بها علماً تحجب عنه ولا يعلم عنها إلا بعد وقوع كارثة أو نتيجة مساءلة للمسؤول من أعلى منه.([٣])

التأخر عن العمل و إضاعة الوقت : و من الصور التي تأدي إلى الفساد الإداري التأخر عن وقت العمل و الهروب منه فتتعطل بذلك مصالح العباد و البلاد فهذه صورة من صور اللامبالاة و التي

---

[١] – الكبائر للذهبي ١٤٢–١٤٣.

[٢] – أخرجه أحمد ٣١٦/٢(٨٧١٤) و"البخاري" ٢٣/١(٥٩) و١٢٩/٨(٦٤٩٦)

[٣] –http://www.snaccyemen.org/details.asp?id=&catid=38

أضحت ظاهرة في الحقبة الأخيرة فما تدخل هيئة من الهيئات إلا رأيت التأخر عن العمل و إضاعة الوقت و الهروب قبل انتهاء وقت الدوام فهذ تأخر عن موعد العمل و هذا جاء بطعام و شراب وحول مقر عمله إلى مطعم فاذا جاءه إنسان لقضاء مصلحة كشر في وجهه و عبس و بس و قال (فوت و تعال بكرة يا سيد)و هذا يخرج و يترك مكتبه إما للجلوس على المقاهي او لشراء لوازم البيت و أخر يقرأ الأخبار و أخر همه حل الكلمات المتقاطعة ...)([1])

* استخدام المنصب العام من قبل بعض الشخصيات

المتنفذة (وزراء، وكلاء، مستشارون ...الخ) للحصول على امتياز خاصة كالاحتكارات المتعلقة بالخدمات العامة ومشاريع البنية التحتية، والوكالات التجارية للمواد الأساسية، أو الحصول من آخرين على العمولات مقابل تسهيل حصولهم على هذه الامتيازات دون وجه حق.

- غياب النزاهة والشفافية في طرح العطاءات

الحكومية، كإحالة عطاءات بطرق غير شرعية على شركات ذات علاقة بالمسؤولين، أو أفراد عائلاتهم، أو إحالة العطاءات الحكومية على شركات معينة دون إتباع الإجراءات القانونية المطلوبة كالإعلان عنها أو فتح المجال للتنافس الحقيقي عليها أو ضمان تكافؤ الفرص للجميع.

- تبذير المال العام من خلال منح تراخيص أو إعفاءات ضريبية أو جمركية لأشخاص أو شركات بدون وجه حق بهدف استرضاء بعض الشخصيات

في المجتمع أو تحقيق مصالح متبادلة أو مقابل رشوة، مما يؤدي إلى حرمان الخزينة العامة من أهم مواردها.

- سرقة الأموال أو الممتلكات العامة كسرقة أموال الضرائب أو من خلال توزيع أموال وخدمات على مؤسسات وهمية.

- استغلال المنصب العام لتحقيق مصالح سياسية

مثل تزوير الانتخابات أو شراء أصوات الناخبين، أو التمويل غير المشروع للحملات الانتخابية، أو التأثير على قرارات المحاكم، أو شراء ولاء الأفراد والجماعات. ([2])

أطراف مشتركة في جريمة الفساد الإداري

اعلم أن أي جريمة جلت أو صغرت لابد أن يكون لها أطراف تقوم بها وتباشرها والفساد الإداري جريمة من الجرائم التي ترتكب في وضح النهار، فما هي أطراف تلك الجريمة؟

١-الشخص الموصي له -

وهذا يعتبر شخصا أنانيا منافقا همه الحصول على المنصب بغض النظر عن النتائج المترتبة على ذلك.... فالمردود المادي والبرستيج الإداري هو ما يطمح إليه بالطبع.... بغض النظر عن المعيار والأداء...و هذا غفل عن وشيجة من أعظ الوشائج ألا و هي الإخوة و أن يحب لأخيه ما

---

[1] – اللامبالاة في حياة الفرد و الأسرة و المجتمع للمؤلف ص ٢٤٢

[2] – الفساد الإداري أسبابه وأثاره واهم أساليب المعالجة / ساهر عبد الكاظم مهدي

يحب لنفسه عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه، أو لجاره ، ما يحب لنفسه.)([1])

٢-الشخص الموصي-مصدر التوصية والواسطة:

وهذا الشخص فاسد إداريا -أناني الطبع-تغلب عليه المصحلة الفردية في الأساس-وكونه قد أصدر توصية بتوظيف شخص ما فإنه يبحث عن مصالحه الخاصه عن طريق ذلك الشخص الذي سوف يقدمها له كهدية وكعرفان بالجميل ورد المعروف!!!

٣-الشخص صاحب المنشأة -المدير-

وهذا هو الشخص الملام أساسا في الموضوع أكثر من غيره. فهو يعلم تمام أن الشخص إياه ليس كفؤا ولا مؤهلا لاحتلال ذلك المنصب، ومع ذلك يقبل التوصية ويمررها لأجل إرضاء كافة الأطراف في العلاقة وخصوصا الطرف رقم ٢ ..دون أي اعتبار للمصلحة العامة ..أو مستوى الإنتاجية والأداء المؤسساتي..

النتائج المترتبة على هذا النوع من الفساد والمحسوبية الإدارية:

* ارتفاع مستوى الخلل الإداري.
* تدهور مستوى الكفاءات تكرار الأخطاء وممارسة العمل بالشكل الغير صحيح.
* تدهور العلاقات بين الموظفين من جهة والإدارة من جهة أخرى.
* غياب الجو الإبداعي النظيف وانعدام مستوى الكفاءة الشخصية والجماعية.
* استمرار التعايش البيني بين الموظفين والإدارة على أساس من النفاق والمجاملات والكذب

قد يبرر البعض حدوث مثل هذه الإشكاليات بخلل في النظام أو عدم وجود نظام عقوبات رادع. لكن وللأسف وكما هو متعارف علية في الأنظمة العربية... فإن تلك الأنظمة والعقوبات غير معمول بها.... إلا وقت الضرورة القصوى.... وذلك في حالة تدقيق خارجي محايد او ايجاد كبش فداء لتغطية مثل هذه العمليات.

النتيجة النهائية.

تدهور مستمر في الإنتاجية.... ازدياد البطالة المقنعة إلى جانب البطالة الفعلية.... استغلال الموارد والمرافق للصالح الشخصي والجماعي البيني فقط مع هدر عام واستغلال الفرص لصالح فئة معينة بحد ذاتها.... ورفاهية الفساد.

أنواع الفساد الإداري

١-الفساد العرضي: وهو الفساد الذي يحدث عند قاعدة الهرم الحكومي من قبل صغار الموظفين وغالباً مع يعبر عن سلوك شخصي أكثر منه تعبيراً عن نظام عام ومثال ذلك، حالات الاختلاس على نطاق محدود أو تلقى الرشوة الخفيفة أو سرقة أدوات مكتبية وما إلى ذلك.

٢-الفساد المنتظم أو النظامي: وهو الذي يحدث حين تتحول إدارة المنظمة إلى إدارة فاسدة بمعنى أن يدير العمل برمته شبكة مترابطة من الفساد يستفيد ويعتمد فيها كل عنصر على الآخر مثال ذلك، شبكة الفساد التي تضم مدير الدائرة ومدراء المشاريع والمدير المالي والتجاري. وهذا هو أخطر أنواع الفساد الإداري باعتباره يدار من رأس الهرم الحكومي.

---

[1] – أخرجه أحمد ١٧٦/٣(١٢٨٣٢) و٢٧٢/٣(١٣٩١٠) و"البخاري" ١٣. و"مسلم" ٧٩

٣-الفساد الشامل: وهو النهب الواسع للمال العام عن طريق الصفقات الوهمية وتحويل الممتلكات العامة إلى مصالح خاصة وبحجم كبير، ويمارس هذا النوع من قبل القمة المتربعة على رأس الهرم.

وإجمالاً فإن القاسم المشترك بين كافة هذه التقسيمات هو وحدة الهدف المتمثل في تحقيق أقصى المنافع الخاصة من الوظيفة العامة وبطرق غير مشروعة (١).

تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن مفهوم الفساد، وتحديد مدى اعتبار السلوك والفعل المرتكب ممثلاً للفساد من عدمه، إنما يختلف من عصر لآخر ومن مكان إلى مكان آخر ، ويرجع ذلك إلى أن مفهوم الفساد إنما هو مركب ومتشابك ومطاط ، إضافة إلى ذلك يرتبط الفساد بعدة معايير تختلف من مجتمع إلى آخر والتي من أبرزها المعايير الاجتماعية والقانونية .

ويلاحظ في هذا المقام أن الفساد كظاهرة لا يقتصر على القطاع العام ذلك أنه ظاهرة يمكن أن توجد في كافة أنواع القطاعات والمجتمعات فهذه الظاهرة لا تقتصر على البيروقراطية الإدارية داخل القطاع العام، ولا على دفع واستلام الرشاوى أو التوسط فيها، فالفساد يمكن أن يوجد في ظل جميع الديمقراطيات سواء الحكومات النامية أو المتقدمة منها، الرأسمالية أو الشيوعية أو الاشتراكية ، الديمقراطية أو الديكتاتورية .

إضافة إلى ذلك، لا يقتصر الفساد على القطاع الحكومي أو العام فالقطاع الخاص تقع فيه الكثير من حالات الفساد الأكثر فداحة من فساد القطاع العام، ويرتبط الفساد بوقوعه في القطاع الخاص بمدى القوى الاحتكارية الموجودة به، فكلما زادت القوة الاحتكارية وحرية التصرف، وتضاءلت قوة الرقابة والمحاسبة، كلما قويت شوكة الفساد والمفسدين في القطاع الخاص (٢).

هذا وقد اتفقت اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد مع حقيقة وجود الفساد في كل من القطاعين العام والخاص، حيث تناولت في موادها العمل على مكافحة الفساد في كل من هذين القطاعين، فقد نصت المادة الثامنة والخاصة بالقطاع العام (الحكومي) على أنه:

-تسعى كل دولة طرف، حيثما اقتضى الأمر ووفقاً للمبادئ الأساسية لنظامها القانوني، إلى اعتماد وترسيخ وتدعيم نظم لتوظيف المستخدمين المدنيين، وغيرهم من الموظفين العموميين غير المنتخبين عند الاقتضاء واستخدامهم واستبقائهم وترقيتهم وإحالتهم على التقاعد» . كما نصت في مادتها الثانية عشر والخاصة بالقطاع الخاص

تتخذ كل دولة طرف، وفقاً للمبادئ الأساسية لقانونها الداخلي، تدابير لمنع ضلوع القطاع الخاص في الفساد ، ولتعزيز معايير المحاسبة ومراجعة الحسابات في القطاع الخاص ، وتفرض عند الاقتضاء عقوبات مدنية أو إدارية أو جنائية تكون فعالة ومتناسبة ورادعة على عدم الامتثال لهذه التدابير» .

يتضح مما سبق عرضه أن ظاهرة الفساد ظاهرة اجتماعية تتسع في مفهومها لتشمل كافة القطاعات العامة منها والخاصة.

---

١ –. محمد عادل التريكى – من أجل مكافحة الفساد الإداري والمحافظة على المال العام –

٢ –أنظر في ذلك ، د/ حسنين المحمدي بوادى – الفساد الإداري لغة المصالح ١٤–١٥

****

الفصل الثالث: أسباب تفشي ظاهرة الفساد: الإداري -

تتعدد الأسباب الكامنة وراء بروز ظاهرة الفساد وتفشيها في المجتمعات بالرغم من وجود شبه إجماع على كون هذه الظاهرة سلوكا
إنسانيا سلبيا تحركه المصلحة الذاتية، ويمكن إجمال مجموعة من الأسباب العامة لهذه الظاهرة التي تشكل في مجملها ما يسمى بمنظومة الفساد، إلا انه ينبغي الملاحظة بان هذه الأسباب وان كانت متواجدة بشكل أو بآخر في كل المجتمعات إلا أنها تتدرج وتختلف في الأهمية بين مجتمع وآخر فقد يكون لأحد الأسباب الأهمية الأولى في انتشار الفساد بينما يكون في مجتمع آخر سببا ثانويا، وبشكل عام يمكن إجمال هذه الأسباب كما يلي:

أولا: ضعف الوازع الديني: فكثير من هؤلاء الذين يقعون في دائرة الفساد الإداري عندهم وهن شديد في إيمانهم بالله تعالى إذ أن الإيمان هو العاصم للمرء من الوقوع في الزلل فالمراقبة لله تعالى تجعل العبد لا يراقب إلا ربه و لا يخاف إلا ذنبه و لنضرب على ذلك أمثلة من واقع حياة الصحابة – رضي الله عنهم أجمعين:

قال عبد اللّه بن دينار: خرجت مع عمر بن الخطّاب-رضي اللّه عنه-إلى مكّة فعرّسنا في بعض الطّريق فانحدر عليه راع من الجبل، فقال له: يا راعي، بعني شاة من هذه الغنم؟ فقال: إنّي مملوك، فقال: قل لسيّدك: أكلها الذّئب؟ قال: فأين اللّه؟

قال: فبكى عمر-رضي اللّه عنه- ثمّ غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه، وأعتقه وقال: أعتقتك في الدّنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك في الآخرة)«[1]».

وهكذا يجب أن يُربى أولاد المسلمين على مراقبة الله سبحانه،

فكلما اعترى الإنسان وساوس بمعصية سأل نفسه: فأين الله؟

---

[1] – انظر إحياء علوم الدين للغزالي (٤/ ٣٩٦).

وإذا خلا بريبة فليسأل نفسه: فأين الله، وإذا نظر إلى محرم ثم امتنع لما رآه الناس فليتذكر: فأين الله، وإذا استُدعي لشهادة زور فليقل: فأين الله،

ثانيا: الطمع والأنانية وحب الذات:

عن ابن كعب بن مالك الأنصاريّ عن أبيه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشّرف لدينه» «[1]».

عن أنس-رضي اللّه عنه-أنّه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: «منهومان لا يشبعان: منهم في علم لا يشبع، ومنهوم في دنيا لا يشبع» «[2]»

قال معاوية-رضي اللّه عنه-: إيّاكم وأحاديث. إلّا حديثا كان في عهد عمر، فإنّ عمر كان يخيف النّاس في اللّه عزّ وجلّ. وقال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم وهو يقول: «من يرد اللّه به خيرا يفقّهه في الدّين» وسمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم يقول: «إنّما أنا خازن. فمن أعطيته عن طيب نفس فيبارك له فيه، ومن أعطيته عن مسألة وشره كان كالّذي يأكل ولا يشبع» «[3]»

عن عبد الرّحمن بن عوف-رضي اللّه عنه-أنّه قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم يقول: «ثلاث-والّذي نفس محمّد بيده إن كنت لحالفا عليهنّ-لا ينقص مال من صدقة فتصدّقوا، ولا يعفو عبد عن مظلمة يبتغي بها وجه اللّه إلّا رفعه بها- وقال أبو سعيد مولى بني هاشم: إلّا زاده اللّه بها عزّا يوم القيامة- ولا يفتح عبد باب مسألة إلّا فتح اللّه عليه باب فقر»)«[4]»

ثالثا: عدم الالتزام بمبدأ الفصل المتوازن بين السلطات الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية في النظام السياسي وطغيان السلطة التنفيذية على السلطة التشريعية وهو ما يؤدي إلى الإخلال بمبدأ الرقابة المتبادلة، كما أن ضعف الجهاز القضائي وغياب استقلاليته ونزاهته يعتبر سبباً مشجعاً على الفساد.

رابعا -ضعف أجهزة الرقابة في الدولة وعدم استقلاليتها.

ثالثا: وتزداد الفرص لممارسة الفساد في المراحل الانتقالية والفترات التي تشهد تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية كتلك التي يمر بها الشعب الفلسطيني (الانتقال من مرحلة الاحتلال إلى مرحلة الدولة) ويساعد على ذلك حداثة أو عدم اكتمال البناء المؤسسي والإطار القانوني التي توفر بيئة مناسبة للفاسدين مستغلين ضعف الجهاز الرقابي على الوظائف العامة في هذه المراحل.

---

[1] – الترمذي (٢٣٧٦) واللفظ له وقال: حسن صحيح. وأحمد (٣/ ٤٥٦، ٤٦٠). وذكره ابن الأثير في جامع الأصول (٣/ ٦٢٨). وقال محققه: وهو كما قال الترمذي. وكذا المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٤٠). وهو في المشكاة (٣/ ١٤٣١). وأفرده

[2] –) الحاكم في المستدرك (١/ ٩٢) واللفظ له. وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم أجد له علة ووافقه الذهبي. والحديث في المشكاة (١/ ٨٦) وفيه قال الألباني: هو عند ابن عدي وابن عساكر (وهو صحيح)، وانظر «مجمع الزوائد» (١/ ١٣٥).

[3] – مسلم (١٠٣٧).

[4] – أحمد (١/ ١٩٣). وذكره الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٦٣) برقم (٣٠٢٢) وقال: صحيح. وعزاه للبزار وابن عساكر وابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

رابعا: ضعف الإرادة لدى القيادة السياسية لمكافحة الفساد، وذلك بعدم اتخاذ أية إجراءات وقائية أو عقابية جادة بحق عناصر الفساد بسبب انغماسها نفسها أو بعض أطرافها في الفساد.
خامسا: ضعف وانحسار المرافق والخدمات والمؤسسات العامة التي تخدم المواطنين، مما يشجع على التنافس بين العامة للحصول عليها ويعزز من استعدادهم لسلوك طرق مستقيمة للحصول عليها ويشجع بعض المتمكنين من ممارسة الواسطة والمحسوبية والمحاباة وتقبل الرشوة.
سادسا: تدني رواتب العاملين في القطاع العام وارتفاع مستوى المعيشة مما يشكل بيئة ملائمة لقيام بعض العاملين بالبحث عن مصادر مالية أخرى حتى لو كان من خلال الرشوة.
سابعا: غياب قواعد العمل والإجراءات المكتوبة ومدونات السلوك للموظفين في قطاعات العمل العام والأهلي والخاص، وهو ما يفتح المجال لممارسة الفساد.
ثامنا: غياب حرية الأعلام وعدم السماح لها أو للمواطنين بالوصول إلى المعلومات والسجلات العامة، مما يحول دون ممارستهم لدورهم الرقابي على أعمال الوزارات والمؤسسات العامة.
تاسعا: ضعف دور مؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات
الخاصة في الرقابة على الأداء الحكومي أو عدم تمتعها بالحيادية في عملها.
عاشرا: غياب التشريعات والأنظمة التي تكافح الفساد وتفرض العقوبات على مرتكبيه.
الحادي عشر: الأسباب الخارجية للفساد، وهي تنتج عن
وجود مصالح وعلاقات تجارية مع شركاء خارجيين أو منتجين من دول أخرى، واستخدام وسائل غير قانونية من قبل شركات خارجية للحصول على امتيازات واحتكارات داخل الدولة، أو قيامها بتصريف بضائع فاسدة.

الآثار المترتبة على الفساد الإداري: -

للفساد نتائج مكلفة على مختلف نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويمكن إجمال أهم هذه النتائج على النحو التالي:
١-أثر الفساد على النواحي الاجتماعية: يؤدي الفساد إلى خلخلة القيم الأخلاقية والى الإحباط وانتشار اللامبالاة والسلبية بين أفراد المجتمع، وبروز التعصب والتطرف في الآراء وانتشار الجريمة كرد
فعل لانهيار القيم وعدم تكافؤ الفرص.
كما يؤدي الفساد إلى عدم المهنية وفقدان قيمة العمل والتقبل النفسي لفكرة التفريط في معايير أداء الواجب الوظيفي والرقابي وتراجع الاهتمام بالحق العام. والشعور بالظلم لدى الغالبية مما يؤدي إلى الاحتقان الاجتماعي وانتشار الحقد بين شرائح المجتمع وانتشار الفقر وزيادة حجم المجموعات المهمشة والمتضررة وبشكل خاص النساء والأطفال والشباب.
٢-تأثير الفساد على التنمية الاقتصادية: يقود الفساد إلى العديد من النتائج السلبية على التنمية الاقتصادية منها:
- الفشل في جذب الاستثمارات الخارجية، وهروب رؤوس الأموال المحلية، فالفساد يتعارض مع وجود بيئة تنافسية حرة التي تشكل شرطا أساسيا لجذب الاستثمارات المحلية والخارجية على حد سواء، وهو ما يؤدي إلى ضعف عام

في توفير فرص العمل ويوسع ظاهرة البطالة والفقر.
- هدر الموارد بسبب تداخل المصالح الشخصية بالمشاريع التنموية العامة، والكلفة المادية الكبيرة للفساد على الخزينة العامة كنتيجة لهدر الإيرادات العامة.
- الفشل في الحصول على المساعدات الأجنبية، كنتيجة لسوء سمعة النظام السياسي.
- هجرة الكفاءات الاقتصادية نظرا لغياب التقدير وبروز المحسوبية والمحاباة في أشغال المناصب العامة.
٣- تأثير الفساد على النظام السياسي: يترك الفساد آثارا سلبية على النظام السياسي برمته سواء من حيث شرعيته أو استقراره أو سمعته، وذلك كما يلي:
- يؤثر على مدى تمتع النظام بالديمقراطية وقدرته على احترام حقوق المواطنين الأساسية وفي مقدمتها الحق في المساواة وتكافؤ الفرص وحرية الوصول إلى المعلومات وحرية الإعلام، كما يحد من شفافية النظام وانفتاحه.
- يؤدي إلى حالة يتم فيها اتخاذ القرارات حتى المصيرية منها طبقا لمصالح شخصية ودون مراعاة للمصالح العامة.
- يقود إلى الصراعات الكبيرة إذا ما تعارضت المصالح بين مجموعات مختلفة.
- يؤدي إلى خلق جو من النفاق السياسي كنتيجة لشراء الولاءات السياسية.
- يؤدي إلى ضعف المؤسسات العامة ومؤسسات المجتمع المدني ويعزز دور المؤسسات التقليدية، وهو ما يحول دون وجود حياة ديمقراطية.
- يسيء إلى سمعة النظام السياسي وعلاقاته الخارجية خاصة مع الدول التي يمكن أن تقدم الدعم المادي له، وبشكل يجعل هذه الدول تضع شروطا قد تمس بسيادة الدولة لمنح مساعداتها.
- يضعف المشاركة السياسية نتيجة لغياب الثقة بالمؤسسات العامة وأجهزة الرقابة والمساءلة.
الفساد الخارجي:- والفساد ليس ظاهرة محلية لصيقة بالأنظمة السياسة أو الدول فقط، فقد يكون الفساد عابرا للحدود ومصدره شركات متعددة الجنسيات ومنظمات دولية حكومية وغير حكومية.
وتمارس العديد من الشركات العالمية الكبرى التي تمتد عبر الحدود العديد من السلوكيات التي تشكل صورا للفساد الخارجي كاللجوء للضغط على الحكومات من اجل فتح الأسواق لمنتجاتها أو من اجل الحصول على عقود امتياز لاستغلال الموارد الطبيعية أو إقامة البنى التحتية، كما قد تلجأ إلى أساليب الرشوة للمسؤولين في المناصب العامة لضمان الحصول على هذه الامتيازات، أو لتصريف بضائع فاسدة أو غير مطابقة للمواصفات.
وتبرز السلوكيات الفاسدة لبعض الشركات متعددة الجنسيات خاصة في ظل الدول التي تمر في مراحل انتقالية أو في الأقطار حديثة الاستقلال.
ونظرا لما يمكن أن يلحقه الفساد من أضرار ليس على المستوى المحلي فحسب بل وأيضا على المستوى الدولي خاصة في ظل التوجه نحو حرية التجارة وحرية المنافسة، فقد لجأت العديد من الدول والمنظمات الدولية والكتل الاقتصادية الدولية إلى إبرام اتفاقيات دولية لمكافحة الفساد، منها اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد واتفاقية الأمريكتين لمكافحة الفساد،

واتفاقية المجلس الأوروبي للقانون الجنائي بشأن الفساد، التي لا تقتصر على مجرد حث الحكومات على تجريم مختلف أشكال الفساد، ولكنها تبرز الحاجة إلى وجود قوى محايدة في مجال التحقيقات والمتابعة القانونية والقضائية لكشف الفساد العام واستئصال جذوره وكذلك بادرت بعض الدول الإفريقية لبلورة اتفاقية لمقاومة الفساد.
وتساعد الاتفاقيات الدولية متعددة الأطراف ضد الفساد على إنجاح جهود مكافحة الفساد في مختلف الدول كما تضفي الصفة الرسمية على الالتزام الحكومي بتنفيذ مبادئ مكافحة الفساد.

****

الفصل الرابع: الإصلاح الإداري

أخي المسلم بعد أن تعرفنا على المفهوم الفساد الإداري ورأينا أنواعه وتعرفنا على صور كثيرة من الفساد الإداري هيا لنبدأ عملية الإصلاح الإداري من خلال مفهوم الكتاب والسنة وتاريخ الأمة

أولا: استشعار المسلم عظم الأمانة الملقاة على كاهله وثقل المسؤولية أمام الله تعالى

الولاية على الناس أمانة اختص الله تعالى بها بعض الناس، وسوف سألهم عنها يوم القيامة، قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) سورة النساء.

عن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم -قال: كلكم راع فمسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته. (١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ". (٢)

ومدار الصلاحية لأداء هذه الأمانة يقوم على القوة والنزاهة، القوة على تحمل أعباء المنصب والقيام عليه على الوجه اللائق، والأمانة التي تجعلك تؤدي إلى كل ذي حق حقه، قال يوسف عليه السلام لملك مصر وقد جاء منقذًا : {" اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ "} (

---

١ – أَخْرَجَهُ أحمد ٢/٥(٤٤٩٥) و"البُخَارِي" ٣/١٩٦(٢٥٥٤) و"مسلم" ٧/٦(٤٧٥١).

٢ – أخرجه أحمد ٢/٢٣٥(٧٢٠٣) و"البُخاري" في الأدب المفرد (١٨٣) و"مسلم" ٨/١٨.

سورة يوسف : ٥٥)، فكانت مؤهلاته في علمه وحفظه وأمانته وقوته . وقالت المرأة الصالحة لأبيها: { يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ } سورة القصص: ٢٦.

وهذه الأمانة لا تؤخذ إلا بحقها وينغي ألا يعين فيها إلا من علمت قدرته، عن أبي ذر-رضي الله عنه - قال: قلت : يا رسول الله ،ألا تستعملني ؟ قال : فضرب بيده على منكبي ، ثم قال : يا أبا ذر ، إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها. (١)

والسعيد من رزقها ورزق معها الباطنة الصالحة التي تذكره إذا نسي وتعينه على الخير وتنهاه عن الشر ، عن أبى سعيد الخدري عن النبي -صلى الله عليه وسلم -قال: ما استخلف خليفة إلا له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، والمعصوم من عصم الله. (٢)

وهذه المهمة الصعبة لها أسس وضوابط لا بد أن تقوم عليها منها :

ثانيا العدل والإحسان : قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠} سورة النحل.

عن أبى سعيد الخدري قال: جاء أعرابي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يتقاضاه دينا كان عليه فاشتد عليه حتى قال له أحرج عليك إلا قضيتني فانتهره أصحابه وقالوا ويحك تدرى من تكلم قال إني أطلب حقي فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" هلا مع صاحب الحق كنتم" ثم أرسل إلى خولة بنت قيس فقال لها إن كان عندك تمر فأقرضينا حتى يأتينا تمر فنقضيك فقالت نعم بأبي أنت يا رسول الله قال فأقرضته فقضى الأعرابي وأطعمه فقال أوفيت أوفى الله لك" فقال: أولئك خيار الناس إنه لا قدست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متعتع.. (٣)

عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم -قال: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله . ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه. (٤)

إن الظلم ظلمات وحسرة وندامة:

فعدل الوالي دليل صلاحه وظلمه دليل فساده وهو ما حذرنا الإسلام منه بصفة عامة وحذر منه الولاة بصفة خاصة ، قال تعالى : { وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (٤٥) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ

---

١ – أخرجه مسلم ٦/٦(٤٧٤٦).

٢ – أخرجه أحمد ٣/٣٩(١١٣٦٢) و"البُخَارِي" ٨/١٥٦(٦٦١١).

٣ – أخرجه ابن ماجة (٢٤٢٦) رقم : ١٨٥٧ في صحيح الجامع .

٤ – أخرجه أحمد ٢/٤٣٩(٩٦٦٣) و"البُخاري" ١/١٦٨(٦٦٠) و"مسلم" ٣/٩٣.

وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١) هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)} سورة إبراهيم ".

عن جابر بن عبد الله، أن النبي -صلى الله عليه وسلم-قال: إياكم والظلم، فإنه ظلمات يوم القيامة، وإياكم والشح، فإنه أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم. ([1])

عن أبي ذر؛

عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فيما روى عن الله تبارك وتعالى ، أنه قال : يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا يا عبادي ، كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي ، كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي ، كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي ، إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا ، فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي ، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب رجل واحد ، ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، قاموا في صعيد واحد فسألوني ، فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك مما عندي ، إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرا ، فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك ، فلا يلومن إلا نفسه.. ([2])

عن أبي أمامة عن النبي -صلى الله عليه وسلم -أنه قال: "صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي، إمام ظلوم غشوم، وكل غال مارق " ([3]).

قال الشاعر:

لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا فَالظُّلْمُ تَرْجِعُ عُقْبَاهُ إِلَى النَّدَمِ
تَنَامُ عَيْنَاك وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ يَدْعُو عَلَيْك وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنِمْ([4])

عن عبد الله بن سلام -رضي الله عنه-أنه قال: إن الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعوا رءوسهم إلى الله وقالوا يا رب مع من أنت؟ قال مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه.

---

[1] – أخرجه أحمد ٣/٣٢٣(١٤٥١٥) و\"البُخَارِي\" ، في (الأدب المفرد) ٤٨٣ و\"مسلم\" ٨/١٨(٦٦٦٨).

[2] – أخرجه مسلم" ٨/١٦(٦٦٦٤) و البخاري في \"الأدب المفرد\" ٤٩٠

[3] – أخرجه أبو إسحاق الحربي في \" غريب الحديث (٥ / ١٢٠ / ٢) و الجرجاني في \" الفوائد (١١٢ / ١) الألباني في "السلسلة الصحيحة\" ١ / ٧٦٢

[4] – ديوان علي بن أبي طالب (ص: ١٥٣)

وعن وهب بن منبه -رضي الله عنه-: بنى جبار من الجبابرة قصرا وشيده فجاءت عجوز فقيرة فبنت إلى جانبه شيئا تأوي إليه، فركب الجبار يوما وطاف حول القصر فرأى بناءها، فقال لمن هذا؟

فقيل: لامرأة فقيرة تأوي إليه فأمر بهدمه فهدم فجاءت العجوز فرأته مهدوما، فقالت: من هدمه ؟

فقيل لها الملك رآه فهدمه، فرفعت العجوز رأسها إلى السماء وقالت يا رب أنا لم أكن حاضرة فأنت أين كنت؟

قال: فأمر الله عز وجل جبريل أن يقلب القصر على من فيه فقلبه. . ([1])

قال أبو العتاهية:

ستعلم يا ظلوم إذا التقينا غداً عند الإله من الظلوم
أما والله إنَّ الظُّلم شؤمٌ وما زال المسيء هو الظَّلوم
إلى ديَّان يوم الدّين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم في الحساب إذا التقينا غداً عند الإله من الملوم ([2])

روى الخطيب: عن محمد بن يزيد المبرد قال حدثني محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك قال: قال أبى لأبيه يحيى بن خالد بن برمك وهم في القيود والحبس يا أبت بعد الأمر والنهى والأموال العظيمة أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف والحبس قال فقال له أبوه: يَا بُنَيَّ دَعْوَةُ مَظْلُومٍ سَرَتْ بِلَيْلٍ غَفَلْنَا عَنْهَا وَلَمْ يَغْفُلْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا ،ثم انشأ يقول أبو طاهر الدمشقي :

رب قوم قد غدوا في نعمة زمنا والدهر ريان غدق
سكت الدهر زمانا عنهم ثم أبكاهم دما حين نطق ([3])

ثالثا: الرقابة المشددة الكاشفة للحركات والسكنات:

و اعلم أن من الأمور التي تأسس الإصلاح في المجتمع أن يستشعر العامل أو الوالي أن هناك رقابة مشددة تراقب أفعاله و أحواله وأنه مسؤول أمام الله وأمام المجتمع و أن هناك عقاب دنيوي و آخر أخروي:

أولا مفهوم الرقابة: الرقابة هي الوظيفة الرابعة من وظائف الإدارة، ويعرِّفها د. عبد الرحمن الضحيان بأنها: "متابعة تنفيذ العمليات الإدارية والمنفذين لها، وتقويم عملهم أولاً بأول؛ للوصول إلى الهدف المرسوم على أفضلِ وجه، وأقصر وقت، وأكبر دِقَّة، وأقل خطأ وتكلفة"."([4])

ويعرفها الدكتور سعود النمر وآخرون بأنَّها: "وظيفة إدارية، وأنَّها مثلُ وظائف الإدارة الأخرى: عملية مستمرة متجددة، يتم بمقتضاها التحقُّق من أنَّ الأداء يتم على النَّحو الذي حددته

---

[1] – الكبائر – الذهبي (ص: ١٠٤)

[2] – (تاريخ بغداد ١٣١/١٤)

[3] – [الزهرة ص: ٤١،] **ابن داود الأصبهاني**

[4] – عبدالرحمن الضحيان، "الرقابة الإدراية: المنظور الإسلامي المعاصر، والتجربة السعودية"، ص٢١

الأهدافُ والمعايير الموضوعة، وذلك بقياس درجة نَجاح الإدارة الفِعْلي في تَحقيق الأهداف والمعايير بغرض التقويم والتصحيح"(١)

كما ذكر (هنري فايول) أنَّ الرقابةَ "تنطوي على التحقُّق عما إذا كان كلُّ شيء يَحدث طبقًا للخطة الموضوعة، والتعليمات الصَّادرة، والمبادئ المحددة، وأنَّ غَرضها هو الإشارة إلى نقاط الضَّعف والأخطاء؛ بغرض مُعالجتها، ومنع تَكرار حُدوثها، وهي تطبق مع كلِّ شيء: الأشياء، والناس، والأفعال""(٢)

مفهوم الرقابة في الإسلام:

أمَّا الرقابة في "الإدارة الإسلامية"، فيعرفها الدكتور حزام المطيري بأنَّها: "تلك الرقابة الشاملة، سواء كانت علوية، أم ذاتية، أم إدارية (رئاسية)، أم خارجية، والتي تَسعى إلى التأكُّد من أنَّ الأهدافَ المرسومة، والأعمال المراد تنفيذُها قد تَمَّت فعلاً وفقًا للمعايير والضوابط الشرعية الإسلامية""(٣)

أنواع الرقابة

في الإدارة الإسلامية يمكن تمييز أربعة من أنواع الرقابة، وهي:

أولاً: الرقابة الربَّانية.

ثانيًا: الرقابة الذاتية.

ثالثًا: الرقابة الرئاسية.

رابعًا: رقابة الحسبة.

أولاً: الرقابة الربَّانية: ويطلق عليها بعض الكتَّاب "الرقابة العلوية"، وهي رقابة الله – عزَّ وجل – لعباده ومخلوقاته، فالله – سبحانه وتعالى – رقيبٌ على جميعِ الخلق، يَعلم سِرَّهم وعلانِيَتهم، ظاهرهم وباطنهم، وما تُخفيه صدورهم من خيرٍ أو شر، فالإنسانُ المؤمن كلما زاد إيمانُه بالله – عزَّ وجل – زاد إيمانه بأهميةِ رقابة الله – سبحانه وتعالى – مِمَّا يَدفعه إلى مَخافة الله؛ طمعًا في ثوابه، وخوفًا من عقابه"(٤)يقول – تعالى -: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٥٢]، ويقول في آية أخرى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩]، ويقول – عزَّ وجل -: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥]؛ لهذا فالرقابة الربانيَّة هي أساسُ الرقابة في الإدارة الإسلامية، وهي رقابة أزليَّة ودائمة، مصدرها الله – سبحانه وتعالى – عكس الرقابة الوضعية، التي هي من صُنع البشر، وترتبط بمدى إيمان الإنسان المسلم بالله – عزَّ وجل – وقدرته، وإذا رجعنا إلى السُّنة النبوية نَجدها أيضًا زاخرةً بالأحاديث، التي تؤكِّد على الرقابة الربانية أو العلوية،

---

١ – سعود بن محمد النمر وآخرون، "الإدارة العامة: الأسس والوظائف"، مرجع سابق ص٢٩٥.

٢ – بشير عباس العلان، "الإدارة: مبادئ، وظائف، تطبيقات"، ص١٥٧

٣ – د. عبدالله عبدالرحمن الفايز، "الفكر الإداري في الإسلام، وانعكاساته على الإدارة التربوية"، مرجع سابق، ص١١٣–١١٤.

٤ – د. عبدالله عبدالرحمن الفايز، "الفكر الإداري في الإسلام، وانعكاساته على الإدارة التربوية"، مرجع سابق، ص١١٣–١١٤.

منها قول الرسول – عليه الصَّلاة والسَّلام -: ((الإحسان أن تعبدَ الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك))([1])

وقوله: ((لا تزول قدما ابن آدمَ يومَ القيامة من عند ربه حتى يُسْأَل عن خمس: عن عمره فيمَ أفناه؟ وعن شبابه فيمَ أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ و فيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟([2])

ثانيًا: الرقابة الرئاسية: وهذا النوع من الرقابة حسب التدرُّج الرئاسي، قال – تعالى -: {﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣٢]، وتتضح الرقابةُ الرِّئاسِيَّة في قول الرسول – عليه الصَّلاة والسَّلام -: ((كلكم راعٍ، وكلكم مَسؤول عن رعيته، فالإمامُ راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله، ومسؤولٌ عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده، ومسؤول عن رعيته، ألاَ كلكم راعٍ، ومسؤول عن رعيته([3])

وقد كان – عليه الصَّلاة والسَّلام – يراقب ولاته وعمَّاله، رَغم أنَّ صحابته من المشهود لهم بالرقابة الذاتية، فهم يخافون الله في السرِّ والعلانية، إلاَّ أن الإنسان مخلوق ضعيف، ليس معصومًا من الخطأ.

وقصة الرسول – صلَّى الله عليه وسلَّم – مع ابن اللُّتْبِيَّةِ مَشهورة، فقد جاء في الصحيحين أن أبا حميد الساعدي قال: "استعمل النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – رجلاً من الأزد، يقال له ابن اللُّتْبِيَّةِ على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا أُهْدِيَ إليَّ، فقال النبي – عليه الصَّلاة والسَّلام -: ((ما بالُ الرجلِ نستعمله على العمل بما ولاَّنا الله، فيقول: هذا لكم، وهذا أهدي إليَّ، أفلا قعد في بَيْتِ أبيه وأمه، فنظر أيُهْدَى إليه أم لا، والذي نفسي بيده، لا يأخذ منه شيئًا إلاَّ جاء به يومَ القيامة يَحمله على رقبته، إن كان بعيرًا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تَيْعِر، ثم رفع يديه، وقال: ((اللهم هل بلغت ثلاثًا)) ([4])

عن عدي بن عميرة الكندي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من استعملناه منكم على عمل، فكتمنا مخيطا فما فوقه، كان غلولا يأتي به يوم القيامة، قال: فقام إليه رجل أسود ، من الأنصار ، كأني أنظر إليه ، فقال : يا رسول الله ، اقبل عني عملك ، قال : وما لك ؟ قال : سمعتك تقول كذا وكذا ، قال : وأنا أقوله الآن : من استعملناه منكم على عمل ، فليجئ بقليله وكثيره ، فما أوتي منه أخذ ، وما نهي عنه انتهى.([5])

أمَّا الخليفة أبو بكر الصديق: فكان يقومُ بزيارَاتٍ تَفقدية للمُدن الإسلامية، فذهب إلى مكة بعد مُبايَعَتِه في المدينة، وبعد أنْ طاف بالبيت، جلس قريبًا من دارِ النَّدوة، فقال: هل من أحد يَشتكي من ظلامة أو يطلب حقًّا؟ فما أتاه أحد، وبهذا اطمأن على الرَّعِيَّة، وأنَّهم بخير وراضون

---

[1] – أخرجه أحمد ٢٨/١(١٩١) و(البخاري) في "خلق أفعال العباد" ٢٦ و"مسلم" ٢٨/١ و"أبو داود"٤٦٩٥ و"ابن ماجة"٦٣ و"الترمذي"٢٦١٠ ق

[2] – أخرجه الدارمي (٥٣٧". والترمذي (٢٤١٧)و قال الألباني :صحيح ، الصحيحة (٩٤٦) ، التعليق الرغيب (١ / ٧٦) ، الروض النضير (٦٤٨) ، تخريج اقتضاء العلم العمل (١٥ / ١)

[3] – أَخْرَجَهُ أحمد ٥/٢(٤٤٩٥) و"البُخَارِي\" ١٩٦/٣(٢٥٥٤) و"مسلم\" ٦/٧(٤٧٥١).

[4] – أخرجه "أحمد\" ٤٢٣/٥ (٢٣٩٩٦) و"البُخاري\" ١٤/٢(٩٢٥) و"مسلم\" ١١/٦(٤٧٦٦).

[5] – أخرجه الحميدي ٨٩٤ ، و"أحمد"١٩٢/٤(١٧٨٦٩) ، و"مسلم"١٢/٦(٤٧٧١)

عن واليهم، ومن مَواقفه – رضي الله عنه – مُحاسبته لمعاذ بن جبل الصحابي الجليل، عندما قدم من اليمن بعد وَفاة الرسول – عليه الصَّلاة والسَّلام – حيث قال: "ارفع حسابك"، فقال معاذ: "حسابان: حساب من الله، وحساب منك"([1]).

أمَّا الخليفة عمر بن الخطاب، فيتجلى أسلوبه الرقابي الرئاسي في الأعمال التالية (٢)

إتباع أسلوب التفتيش وتقصي الحقائق في بعض القضايا، منها شكوى أهل حمص واليهم سعيد بن عامر؛ فحينما استعمل عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر، فلما قدم عمر بن الخطاب حمص قال: يا أهل حمص، كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه وكان يقال لأهل حمص: الكويفة الصغرى لشكايتهم العمال قالوا: نشكو أربعاً: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: أعظم بها! قال: وماذا؟

قال: لا يجيب أحداً بليل. قال: وعظيمة! قال: وماذا؟

قالوا: وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا. قال: وعظيمة! وماذا؟

قالوا: يغبط الغبطة بين الأيام. يعني: تأخذه موته.

قال: فجمع عمر بينهم وبينه وقال: اللهم، لا تفيل رأي فيه اليوم، ما تشكون منه؟

قالوا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار. قال: والله إن كنت لأكره ذكره، ليس لأهلي خادم، فأعجن عجيني، ثم أجلس حتى يختمر، ثم أخبز خبزي، ثم أتوضأ، ثم أخرج إليهم. فقال: ما تشكو منه؟

قالوا: لا يجيب أحداً بالليل. قال: ما تقول؟

قال: إن كنت لأكره ذكره، إني جعلت النهار لهم، وجعلت الليل لله عز وجل. قال: وما تشكون منه؟

قالوا: إن له يوماً في الشهر لا يخرج إلينا فيه. قال: ما تقول؟

قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي، ولا لي ثياب أبدلها، فأجلس حتى يجف، ثم أدلكها، ثم أخرج إليهم من آخر النهار. قال: ما تشكون منه؟ قالوا: يغبط الغبطة بين الأيام. قال: ما تقول؟ قال: شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة، وقد بضعت قريش لحمه، ثم حملوه على جذعة فقالوا: أتحب أن محمداً مكانك؟

فقال: والله ما أحب أني في أهلي وأن محمداً يشيك بشوكة، ثم نادى: يا محمد. فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال، وأنا مشرك لا أومن بالله العظيم، إلا ظننت أن الله تعالى لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً. قال: فتصيبني تلك الغنطة.

فقال عمر: الحمد لله الذي لم يفيل فراستي، فبعث إليه بألف دينار، فقال: استعن بها على أمرك، فقالت امرأته: الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك.

فقال لها: فهل لك في خير من ذلك؟

ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها.

---

[1] – عيون الأخبار (١/١٢٥).

[2] – حزام ماطر المطيري، مرجع سابق، ص٢٠٧–٢٠٩

قالت: نعم. فدعا رجلاً من أهل يثق به، فصرها صرراً، ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان، وإلى يتيم آل فلان، وإلى مسكين آل فلان، وإلى مبتلى آل فلان، فبقيت منها ذهبية فقال: أنفقي هذه.

ثم عاد إلى عمله، فقالت: ألا تشتري لنا خادماً، ما فعل ذلك المال؟ قال: سيأتيك أحوج ما تكونين إليه. ([1])

وهذه القصة يرويها أنس بن مالك رضي الله عنه؛ إذ قال: "إن رجلاً من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، عائذ بك من الظلم. قال: عُذْتَ مَعَاذًا. قال: سابقتُ ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه فسبقته، فجعل يضربني بالسوط، ويقول: أنا ابن الأكرمين. فكتب عمر إلى عَمرو يأمره بالقدوم ويُقْدِم بابنه معه، فَقَدِمَ، فقال عمر رضي الله عنه: أين المصري؟

خذ السطو فاضرب. فجعل يضربه بالسوط، ويقول عمر رضي الله عنه: اضرب ابن الأكرمين. قال أَنس رضي الله عنه: فضُرب، فوالله لقد ضربه ونحن نحبُّ ضربه، فما أقلع عنه حتى تمنَّيْنَا أنه يرفع عنه، ثم قال عمر للمصريِّ: ضع السوط على صلعة عَمرو. فقال: يا أمير المؤمنين، إنما ابنه الذي ضربني، وقد استقدت منه. فقال عمر لعَمرو: مذ كم تَعَبَّدْتُم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟

قال: يا أمير المؤمنين، لم أعلم، ولم يأتني . ([2])

٢- اتباع أسلوب التفتيش وتقصي الحقائق في بعض القضايا، منها شكوى أهل حمص واليهم سعيد بن عامر؛ حيث ذكروا عنه أنَّه لا يَخرج للناس حتى يرتفعَ النهار، ولا يُجيب أحدًا بليل، وله في الشهر يوم لا يخرج فيه، وقد أثبت التحقيق فيما بعد إخلاصه ونزاهته، وكذلك إرساله لمحمد بن مسلمة إلى الكوفة للتحقيق في القصر الذي بناه سعد بن أبي وقاص؛ حيث أصبح يسمى قصر سعد، وأمره بأنْ يَحرق بابه، ففعل ذلك، ثم أرسله مرة أخرى نتيجة شكوى جاءته بأنَّ سعدَ بن أبي وقاص لا يقسم بالعدل والسويَّة، فلما حقق محمد بن مسلمة في الموضوع وجد أن الناسَ راضون عنه.

مُحاسبة الوُلاة والعُمَّال عند انتهاء عملهم أو خدماتِهم، ومن الصَّحابة الذين حاسبهم – رضي الله عنه – أبو هريرة عامله على البحرين، وأبو موسى الأشعري عامله على البصرة، وعمرو بن العاص عامله على مصر، وسعد بن أبي وقاص عامله على الكوفة... وغيرهم.

بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن سعد بن أبي وقاص بنى له قصرا في الكوفة بحيال محراب مسجد الكوفة فشيده وجعل فيه بيت المال وسكن ناحيته ثم إن بيت المال نقب عليه نقبا وأخذ من المال وكتب سعد بذلك إلى عمر ووصف له موضع الدار وبيوت المال من الصحن مما يلي ودعة الدار فكتب إليه عمر أن انقل المسجد حتى تضعه إلى جنب الدار واجعل الدار قبلته فإن للمسجد أهلا بالنهار وبالليل وفيهم حصن لما لهم فنقل المسجد وأراغ بنيانه فقال له

---

[1]– مختصر تاريخ دمشق ٣/٣١٠.، حلية الأولياء (١/٢٤٥)، أخبار عمر ص١٥٢.

[2]– المتقي الهندي: كنز العمال ١٢/٦٦٠، وابن الجوزي: مناقب عمر ص٩٩..

دهقان من أهل همذان يقال له روزبه بن بزرجمهر أنا أبنيه لك وأبني لك قصرا فأصلهما ويكون بنيانا واحدا فخط قصر الكوفة على ما خط عليه ثم أنشأه من نقض آجر قصر كان للأكاسرة في ضواحي الحيرة على مساحته اليوم ولم يسمح به ووضع المسجد بحيال بيوت الأموال منه إلى منتهى القصر يمنة على القبلة ثم مد به عن يمين ذلك إلى منقطع رحبة علي بن أبي طالب عليه السلام والرحبة قبلته ثم مد به فكانت قبلة المسجد إلى الرحبة وميمنة القصر وكان بنيانه على أساطين من رخام كانت لكسرى بكنائس بغير مجنبات فلم يزل على ذلك حتى بني أزمان معاوية بن أبي سفيان بنيانه اليوم على يدي زياد ولما أراد زياد بنيانه دعا ببنائين من بنائي الجاهلية فوصف لهم موضع المسجد وقدره وما يشتهي من طوله في السماء وقال اشتهى من ذلك شيئا لا أقع على صفته فقال له بناء قد كان بناء لكسرى لا يجئ هذا إلا بأساطين من جبال أهواز تنقر ثم تثقب ثم تحشى بالرصاص وبسفافيد الحديد فترفعه ثلاثين ذراعا في السماء ثم تسقفه وتجعل له مجنبات ومواخير فيكون أثبت له فقال هذه الصفة التي كانت نفسي تنازعني إليها ولم تعبرها وغلق باب القصر وكانت الأسواق تكون في موضعه بين يديه فكانت غوغاؤهم تمنع سعدا الحديث فلما بنى ادعى الناس عليه ما لم يقل وقالوا قال سعد سكن عني الصويت وبلغ عمر ذلك وأن الناس يسمونه قصر سعد . فدعا محمد بن مسلمة فسرحه إلى الكوفة وقال اعمد إلى القصر حتى تحرق بابه ثم ارجع عودك على بدئك فخرج حتى قدم الكوفة فاشترى حطبا ثم أتى به القصر فأحرق الباب وأتى سعد فأخبر الخبر فقال هذا رسول أرسل لهذا من الشام وبعث لينظر من هو فإذا هو محمد بن مسلمة فأرسل إليه رسولا بأن ادخل فأبى فخرج إليه سعد فأراده على الدخول والنزول فأبى وعرض عليه نفقة فلم يأخذ ودفع كتاب عمر إلى سعد بلغني أنك بنيت قصرا اتخذته حصنا ويسمى قصر سعد وجعلت بينك وبين الناس بابا فليس بقصرك ولكنه قصر الخبال انزل منه منزلا مما يلي بيوت الأموال وأغلقه ولا تجعل على القصر بابا يمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك إذا خرجت فحلف له سعد ما قال الذي قالوا ورجع محمد بن مسلمة من فوره حتى إذا دنا من المدينة فنى زاده فتبلغ بلحاء من لحاء الشجر فقدم على عمر وقد سبق فأخبره خبره كله فقال فهلا قبلت من سعد فقال لو أردت ذلك كتبت لي به أو أذنت لي فيه فقال عمر إن أكمل الرجال رأيا من إذا لم يكن عنده عهد من صاحبه عمل بالحزم أو قال به ولم ينكل وأخبره بيمين سعد وقوله فصدق سعدا وقال هو أصدق ممن روى عليه ومن أبلغني([1])

الزيارات التفقدية للشام؛ للتعرُّف على أحوال ولاتها، وتنظيم أموالها بعد طاعون عمواس، الذي فتك بالمسلمين، ويقال: إنَّه استقبل بطريقة فيها شيء من الأبهة، فغضب منهم ورماهم بالحجارة، إلاَّ أنَّ مُعاوية برَّر ذلك بتبريرٍ قَبِله الخليفة، وعندما وجد عمر أنَّ هذه الزيارة مفيدة مثمرة، عقد العزم على القيام بزيارةِ جميع الولايات الإسلامية.

مُقابلة الولاة والعمال في مَوسمِ الحج؛ حيث أمر عمرُ ولاتَه وعماله أن يلتقوا به في مؤتمر سنوي في مَوسم الحج؛ للمُحاسبة وتدارُس الأمور.

---

[1]- تاريخ الطبري ١٥١/٣.

- **مُقابلة الولاة والعمال في مَوسمِ الحج؛** حيث أمر عمرُ ولاتَه وعماله أن يلتقوا به في مؤتمر سنوي في مَوسم الحج؛ للمُحاسبة وتدارُس الأمور.

وقد اتَّبع الخليفةُ عثمان بن عفان أسلوبَ عمر بن الخطاب، من حيث إرسال مَن يتقصَّى الحقائقَ، والاهتمام بالزيارات الميدانية للتفتيش، والاستفادة من مَوسم الحجِّ الذي يُعَدُّ بِمَثابة مؤتمر سنوي، كما كان الخليفة علي بن أبي طالب يقوم بما يشبه ذلك، وقد مَرَّ بنا خطابه المشهور للأشتر النخعي حين ولاَّه على مصر.

وقد كان الخليفة العباسي المأمون يُخَصِّصُ يوم الأحد من كل أسبوع للنظر في المظالم، وفي يوم من أيام جلوسه جاءته امرأة في ثياب رثّة \"فقالت:

يَا خَيْرَ مُنْتَصِفٍ يُهْدَى لَهُ الرَّشَدُ وَيَا إِمَامًا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الْبَلَدُ
تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ الْمُلْكِ أَرَمَلَةٌ عَدَا عَلَيْهَا فَمَا تَقْوَى بِهِ أَسَدُ
فَابْتَزَّ مِنْهَا ضِيَاعًا بَعْدَ مَنْعَتِهَا لَمَّا تَفَرَّقَ عَنْهَا الأَهْلُ وَالْوَلَدُ

فأطرق المأمون يسيرًا ثمَّ رفع رأسه وقال:

مِنْ دُونِ مَا قُلْتِ عِيلَ الصَّبْرُ وَالْجَلَدُ وَأَقْرَحَ الْقَلْبَ هَذَا الْحُزْنُ وَالْكَمَدُ
هَذَا أَوَانُ صَلاَةِ الظُّهْرِ فَانْصَرِفِي وَأَحْضِرِي الْخَصْمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَعِدُ
الْمَجْلِسُ السَّبْتُ إِنْ يُقْضَ الْجُلُوسُ لَنَا أُنْصِفْكِ مِنْهُ وَإِلاَّ الْمَجْلِسُ الأَحَدُ

فانصرفت وحضرت يوم الأحد في أوَّل النَّاس، فقال لها المأمون: من خصمك؟ فقالت: القائم على رأسك العبَّاس بن أمير المؤمنين (ابنه)، فقال المأمون لقاضيه يحيى بن أكثم: أجلسها معه وانظر بينهما. فأجلسها معه، ونظر بينهما بحضرة المأمون، وجعل كلامها يعلو، فزجرها بعض حجَّابه، فقال له المأمون: دعها فإنَّ الحقَّ أنطقها والباطل أخرسه. وأمر بردِّ ضياعها عليها. ففعل المأمون في النَّظر بينهما حيث كان بمشهده، ولم يباشره بنفسه لما اقتضته السِّياسة؛ من وجهين: أحدهما: أنَّ حكمه ربَّما توجَّه لولده، وربَّما كان عليه، وهو لا يجوز أن يحكم لولده، وإن جاز أن يحكم عليه. والثَّاني: أنَّ الخصم امرأةٌ يجلُّ المأمون عن محاورتها... وباشر المأمون تنفيذ الحكم وإلزام الحقِّ. (١)

وهكذا سار المسلمون الأوائل على هذا النهج القويم حتى أسسوا دولة إسلامية ساد عدلها على الجميع ، وشيدت حضارة كانت مضرب الأمثال للشرق والغرب .

ثالثًا: الرقابة الذاتية:ويعرفها عبدالرحمن الضحيان بأنَّها: "رقابة الموظف على نفسه مؤمنًا ومستشعرًا رقابة الله – تعالى – وأنَّ ما يقوله وما يعمله مسجَّلٌ له أو عليه؛ لذا فهو يُراجِع أقوالَه وأعماله، ويزنُها بميزان الشرع الإسلامي"(٢)، كما يعرفها مَحمود عساف بأنَّها "رقابة تنبع من داخل النفس الإنسانية؛ خشيةَ غضب الله، وسعيًا إلى مرضاته، والعمل على راحة النفس، وهي رقابة الضمير، وفي هذا يقول الله – تبارك وتعالى -: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ٩ - ١٠]، فإذا كان ضمير المسلم مسيطرًا على أعماله وأقواله وفكره، فإن الرقابة الإدارية، ورقابة المجتمع، ورقابة القضاء – تتقلص إلى أدنى حد"

١– الماوردي: الأحكام السلطانية ص١٤٦، ١٤٧.

٢ – عبدالرحمن الضحيان، "الرقابة الإدارية: المنظور الإسلامي المعاصر، والتجربة السعودية"، ص٩٢.

والرقابة الذاتية من الصِّفات الفريدة التي تتميز بها الإدارة الإسلامية، ويُرجع فهد السلطان هذه الصفةَ التي تتميز بها الإدارة الإسلامية إلى مبدأ عظيمٍ يشمل الأعمال الإدارية وغيرها من الأعمال الفردية والجماعية، وهذا المبدأ هو أنَّ وجود الإنسان في هذه الحياة أساسًا لعبادة الله – عزَّ وجل – ومن ثَمَّ فإن كلَّ أعماله وأفعاله – بما فيها الأعمال الإدارية – عبارة عن ابتلاء من الله – عزَّ وجل – لِمَعرفة مدى طاعته لأوامره واجتنابه لنواهيه، ومِنْ ثَمَّ محاسبته على أعماله من قِبل خالقه خَالِقِ هذا الكون

وقد عَدَّ محمد طاهر عبد الرحمن الرقابةَ الذاتية بمثابة خطِّ الدفاع الأول في مواجهة الانحراف الإداري، وذلك بقوله: "تَجرى الرقابة الإدارية الذاتية من خلال قيامِ عضو الإدارة الموظف بإعادة النظر في أعماله وتصرُّفاته الإدارية التي أنهاها؛ ليتحقق بنفسه من مدى مشروعيتها، وعدم مُخالفتها لقواعدِ وأحكامِ الشريعة الإسلامية، ويهتم النظام الإداري الإسلامي بهذا النوعِ من الرقابة الإدارية اهتمامًا كثيرًا، ويعده خَطَّ الدِّفاع الأول في مُواجهة الانحراف الإداري "

والرقابة الذاتية هي رقابةُ الموظف لنفسه في سِرِّه وعَلانيته، يَحدوه في ذلك مَخافة الله في أعماله، والله – تعالى – لا يَعزُب عن علمه شيء، بل يعلم السرَّ وما خفي في الصدور، وأنَّ الموظفَ إذا آمن بقدرة الله عليه، وبأنه يُراقبه في أعماله ويُحاسبه عليها، هانتْ عليه وصغرت أمامه جميعُ أنواع الرقابة(١) والقرآن الكريم يزخَر بالآيات التي تُؤكِّد على إحاطة الله – عزَّ وجل – بكل أعمال وأفعال المخلوق؛ قال – تعالى -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]، وقوله – تعالى -: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء: ١٠٨]، وقوله: ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٥٦]، وقوله: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨.]

وقد كانت الرقابة الذَّاتِيَّة في عهد الرسول – عليه الصَّلاة والسَّلام – واضحة وجلية، فهو القدوة الحسنة؛ لشِدَّة خشوعه وخوفه من الله – عزَّ وجل – حيث كان يقوم الليلَ حتى تتفطر قدماه، فلما سألتْه عائشةُ – رضي الله عنها -: "لِمَ تصنع هكذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: ((أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا(٢)."

ولقد عمل الرسولُ – صلَّى الله عليه وسلَّم – على ترسيخِ الرقابة الذاتية في نفوس المسلمين، وتربَّى أصحابُه على توجيهاتِه وتَعليماته، ومن التوجيهات في هذا الشأن قوله – عليه الصَّلاة والسَّلام – لابن عباس – رضي الله عنهما -: ((يا غلام، إنِّي أعلمك كلمات: احفظ الله، يَحفظك، احفظ الله، تَجده تُجاهَك، إذا سألتَ، فاسألِ الله، وإذا استعنت، فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمةَ لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أنْ يَضروك بشيء، لَم يضروك إلاَّ بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفَّت الصُّحف(٣)

وتتجلى الرِّقابة الذَّاتِيَّة فيما يُروى عنه – صلَّى الله عليه وسلَّم – عندما كان يفتش جيشه، فوجد جنديًّا خارجًا عن الصف، فوكزه في بطنه؛ ليستقيمَ مع الصف، فتألَّم الجندي، فما كان من

---

١ – د. عبدالرحمن الضحيان، "الإدارة في الإسلام: الفكر، والتطبيق"، مرجع سابق، ص١٢٩.

٢ – أخرجه أحمد ١١٥/٦ ، و"البخاري" ١٦٩/٦ ، و"مسلم" ١٤١/٨ قال

٣ – أخرجه أحمد ٢٩٣/١(٢٦٦٩) ، والترمذي" ٢٥١٦ قال : الألباني :صحيح ، المشكاة (٥٣٠٢) ، ظلال الجنة (٣١٦ – ٣١٨)

النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – إلا أنْ طلب من الجندي أن يقتصَّ لنفسه، وكشف بطنه له، فبادر الجندي إلى تقبيل بطنِه – عليه الصَّلاة والسَّلام –([1])

وقد أطلق الضحيان على هذا النوع من الرقابة: الرقابة الذاتية التلقائية؛ حيث كان – عليه الصَّلاة والسَّلام – وهو الرئيس الأعلى قدوةً للمسلمين حين مَكَّن صاحبَ المظلمة من القصاص منه، على الرغم من أن ذلك العمل كان على سبيل التوجيه للجند، والحزم في مواقف الجِدِّ.

ولقد سار على مَنهجِ الرسول – صلَّى الله عليه وسلَّم – الخليفةُ أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – وقد اتَّضح ذلك من الخطبة التي ألقاها عند توليه الخلافة، وقد سبق ذكرها؛ حيث وضح فيها أسلوبه، الذي ينبع من المنهج الإسلامي في الرقابة الذاتية، التي يَجب أن تتوفر في الوُلاة والعُمَّال، أمَّا الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فتتجلى الرقابة الذاتية عنده من خطبته التي ألقاها، عندما اختير خليفةً؛ حيث جاء فيها: "ثم إنِّي وليت أموركم أيها الناس، فاعلموا أنَّ تلك الشدة قد أضْعِفت، ولكنَّها إنَّما تكون على أهلِ الظُّلم والتعدي على المسلمين، فأما أهلُ السلامة والدين والقصد، فأنا ألينُ لهم من بعضهم لبعض، فلستُ أدَعُ أحدًا يظلم أحدًا، أو يَعتدي عليه، حتى أضَعَ خَدَّه على الأرض حتى يذعن للحق، وإنِّي بعد شدتي تلك أضَعُ خدي على الأرض لأهل العفاف والكفاف"...([2])

ويُروى عن عمر – رضي الله عنه – أنَّه اتَّخذ قرارًا بمنع المغالاة في المهور، فاحتجَّتْ عليه خطب ذات يوم، فقال: لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية، وإن كانت بنت ذي القصة - يعني يزيد بن الحصين-فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال، فقالت امرأة معترضة على ذلك: ما ذاك لك قال: ولم؟ قالت: لأن الله تعالى قال: { وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا(٢٠) } (النساء،آية: ٢٠).

فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ ([3])،

وقد عَدَّ الضحيان هذا العمل نوعًا من الرقابة الذاتية؛ بناءً على تظلُّم المظلوم، وهي – أي: الرقابة الذاتية – من المزايا العظيمة التي يتميَّز بها هذا الدين العظيم، باعتبارها وازعًا دينِيًّا لا يوجد في الأنظمة الوضعية الأخرى، التي هي من وضع الإنسان، وقابلة للتبديل والتغيير.

رابعا: ومن أسس الإصلاح الإداري الحسبة:

---

[1] – قال ابن إسحاق : و حدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر ، و في يده قدح يعدل به القوم ، فمر بسواد بن غزية – حليف بني عدي بن النجار – و هو مستنتل من الصف ، فطعن في بطنه بالقدح ، و قال : " استو يا سواد " ، فقال : يا رسول الله !

أوجعتني و قد بعثك الله بالحق و العدل ، فأقدني . قال : فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ، و قال : " استقد " ، قال : فاعتنقه فقبل بطنه ، فقال : " ما حملك على هذا يا سواد ؟ " قال : يا رسول الله ! حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك : أن يمس جلدي جلدك ! فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم

بخير)حسنه الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٦ / ٨٠٨ :رقم ٢٨٣٥

[2] – أكرم رسلان ديرانية، "الحكم والإدارة للإسلام"، مرجع سابق، ص٩٣.

[3] – تفسير ابن كثير (٢١٣/٢) عزاه للزبير بن بكار وفيه انقطاع، أخرجه أبو حاتم في مسنده والبيهقي في السنن وقال مرسل جيد.

وقد أطلق عليها بعضُ الكُتَّابِ: الرقابَةَ الشعبية، والحسبة تعني: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وهناك في الإسلام نوعان من المحتسبين:

الأول: المحتسب الرسمي، الذي تعينه الدولة الإسلامية للقيام بالمهام الموكلة إليه.

والثاني: المحتسب المتطوع، وهو مَن يرى أنَّ قولَ كلمة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – واجبٌ في غياب المحتسب الرسمي؛ قال – سبحانه وتعالى – في كتابه الكريم: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال الرسول – عليه الصَّلاة والسَّلام -: ((الدين النصيحة)).

قلنا: لمن يا رسول الله؟

قال: ((لله، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم([1])

كما قال الرسول – عليه الصَّلاة والسَّلام -: ((من رأى منكم منكرًا، فليغيره بيده، فإن لم يستطع، فبلسانه، فإنْ لَم يستطع، فبقلبه، وذلك أَضعف الإيمان([2])

ولقد عرف الماوردي الحسبة بأنَّها: "أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونَهي عن المنكر إذا ظهر فعله "كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الشأن: "الأمر بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر هو الذي أنزل الله به كُتُبَه، وأرسل به رُسُلَه، وهو الدين، فإنَّ رسالة الله إخبار وإنشاء؛ فالإخبار: عن نفسه، وعن خلقه، مثل التوجيه والقصص، الذي يندرج فيه الوَعْد والوعيد، والإنشاء: الأمر، والنهي، والإباحة"...

ومن المفاهيم المعاصرة للمُحتسب ما ذكره مُحمد الأغبش: "فالحسبة كنظام رقابي في الدولة الإسلامية تستهدف الحفاظَ على الشرعية الإسلامية في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ تقويمًا لسلوك الأفراد، سواء كانوا موظفين أم مواطنين عاديِّين، وهو ما يقابل دَوْرَ المدعي العام في الدول الاشتراكية"

خامسا: القضاء على المحسوبية والواسطة:

و من أسس الإصلاح الإداري القضاء على المحسوبية و الواسطة و سن عقوبات تعزيرية لمن تثبت على أي جريمة من هاتين الجريمتين، و لقد وضع النبي –صلى الله عليه وسلم – القانون الصارم في وجه أي وسيلة تضر بأمن البلاد و العباد فعندما سرقت المرأة المخزومية و تدخل أسامة بن زيد ليشفع لها عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فما كان منه - عليه الصلاة و السلام - إلا أن حسم الأمر في الحال

عن عروة، عن عائشة؛ أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرق،

فقالوا: من يكلم فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم -؟

فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة، حب رسول الله -صلى الله عليه وسلم -.

فكلمه أسامة.

فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أتشفع في حد من حدود الله؟

---

[1]– أخرجه الحميدي (٨٣٧) و"أحمد" ١٠٢/٤(١٧٠٦٤) و"مسلم" ٥٣/١(١٠٧) و"أبو داود" ٤٩٤٤

[2]– أخرجه أحمد ١٠/٣(١١٠٨٩) و"عبد بن حميد" ٩٠٦ و"مسلم" ٥٠/١(٨٧) و"أبو داود" ١١٤٠ و"ابن ماجة" ١٢٧٥ و٤٠١٣

ثم قام فاختطب.
فقال: أيها الناس إنما هلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف، تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف، أقاموا عليه الحد، وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. (١)
عمر بن الخطاب ومكافحته وباء الفساد الإداري: وها هو عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يحارب اي مظهر من مظاهر الفساد الإداري فهو في حكمه لا يفرق بين قريب ولا غريب ولا بين مسلم أو يهودي و منها قامت السماوات و الأرض أنها العدل الذي متى حققه العباد إلا وساد فيهم الصلاح و الإصلاح.
و لقد بدأ عمر – رضي الله عنه-بأهله و أخذهم بكتاب الله و حذرهم من التلوث باي نقيصة انطلاقا من قوله تعالى {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } [الشعراء: ٢١٤]

مِشْعَلاً في جنح ليل حالك يهدي الأنام إلى الهدي ويبينُ
انشط لدينك لا تكن متكاسلا واعمل على تحريك ما هو ساكن
وابدأ بأهلك إن دعوت فإنهم أولى الورى بالنصح منك وأقمن
والله يأمر بالعشيرة أولا والأمر من بعد العشيرة هين

عن ابن عمر، قال: "كان عمر رضي الله عنه إذا نهى الناس عن شيء دخل على أهله، وقال: "إني قد نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم، فإن وقعتهم وقعوا، وإن هبتم هابوا، وإني والله لا أُوتَى برجل وقع فيما نهيت الناس عنه إلاّ أضعفت له العذاب، لمكانه مني، فمن شاء منكم أن يتقدم، ومن شاء منكم فليتأخر"(٢)
ولذلك كان رضي الله عنه شديداً في محاسبة نفسه وأهله، فقد كان يعلم أن الأبصار مشرئبة نحوه وطامحة إليه، وأنه لا جدوى إن قسا على نفسه ورتع أهله فحوسب عنهم في الآخرة، ولم ترحمه ألسنة الخلائق في الدنيا فكان عمر إذا نهى الناس عن شيء تقدم إلى أهله فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم فإن وقعتهم وقعوا، وإن هبتم هابوا، وإني والله لا أوتى برجل وقع فيما نهيت الناس عنه إلا أضعفت له العذاب، لمكانه مني، فمن شاء منكم أن يتقدم، ومن شاء منكم أن يتأخر(٣) وكان شديد المراقبة والمتابعة لتصرفات أولاده وأزواجه وأقاربه وهذه بعض المواقف:
أولا: المرافق العامة: منع عمر رضي الله عنه أهله من الاستفادة من المرافق العامة التي رصدتها الدولة لفئة من الناس، خوفاً من أن يحابي أهله به، قال عبد الله بن عمر: اشتريت إبلاً أنجعتها الحمى فلما سمنت قدمت بها، قال: فدخل عمر السوق فرأى إبلاً سماناً، فقال: لمن هذه الإبل؟ قيل: لعبد الله بن عمر، قال، فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر بخ ... بخ ... ابن أمير المؤمنين، قال: ما هذه الإبل؟ قال، قلت: إبل اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى ابتغى ما يبتغي المسلمون،

---

١ – أخرجه أحمد ٤١/٦ و"البخاري" ٢١٣/٤ و٢٩/٥ ق و"مسلم" ١١٤/٥ و"أبو داود" ٤٣٧٣ و"ابن ماجة" ٢٥٤٧

٢ – ابن شبه: تاريخ المدينة ٧٥١/٣، وإسناده حسن. وابن الجوزي: مناقب ص ٢٤٠، والطبري: التاريخ ٢٠٧/٤، عن سالم مرسلاً. وبنحوه ابن سعد: الطبقات ٢٨٩/٣، وإسناده صحيح. والبلاذري: أنساب الأشراف (الشيخان: أبو بكر وعمر) ص٢٢٢.

٣ – محض الصواب (٣/ ٨٩٣).

قال: فقال: فيقولون ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، يا عبد الله بن عمر اغد إلى رأس مالك، واجعل باقيه في بيت مال المسلمين (١)

ثانيا محاسبته: لابنه عبد الله لما اشترى في جلولاء: عن عبد الله بن عمر: شهدت جلولاء - إحدى المعارك ببلاد فارس -فابتعت من المغنم بأربعين ألفاً، فلما قدمت على عمر قال: أرأيت لو عرضت على النار فقيل لك: افتده، أكنت مفتدياً به؟ قلت والله ما من شيء يؤذي بك إلا كنت مفتدياً بك منه، قال: كأني شاهد الناس حين تبايعوا فقالوا: عبد الله بن عمر صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم -، وابن أمير المؤمنين وأحب الناس إليه، وأنت كذلك فكان أن يرخصوا عليك أحب إليهم من أن يغلوا عليك، وإني قاسم مسؤول وأنا معطيك أكثر ما ربح تاجر من قريش، لك ربح الدرهم درهم، قال: ثم دعا التجار فابتاعوه منه بأربعمائة ألف درهم، فدفع إلي ثمانين ألفاً وبعث بالباقي إلى سعد بن أبي وقاص ليقسمه (٢) .

ثالثا منع جرّ المنافع بسبب صلة القربى به: عن أسلم قال: خرج عبد الله وعبيد الله ابنا عمر في جيش إلى العراق فلما قفلا مرا على أبي موسى الأشعري وهو أمير البصرة فرحب بهما وسهل وقال: لو أقدر لكما على أمر أنفعكما به لفعلت، ثم قال: بلى، هاهنا مال من مال الله أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين وأسلفكماه فتبيعان به متاع العراق ثم تبيعانه بالمدينة، فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين ويكون لكما الربح، ففعلاً، وكتب إلى عمر أن يأخذ منهما المال. فلما قدما على عمر قال: أكل الجيش أسلف كما أسلفكما؟ فقالا: لا.

فقال عمر: أديا المال وربحه، فأما عبد الله فسكت، وأما عبيد الله فقال: ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين، لو هلك المال أو نقص لضّمناه. فقال: أديا المال. فسكت عبد الله وراجعه عبيد الله. فقال رجل من جلساء عمر: يا أمير المؤمنين لو جعلته قراضاً ((شركة)). (٣)

فأخذ عمر رأس المال ونصف ربحه وأخذ عبد الله وعبيد الله نصف ربح المال. قالوا: هو أول قراض في الإسلام.

رابعا تفضيل أسامة بن زيد على عبد الله بن عمر رضي الله عنهم في العطاء:

كان عمر رضي الله عنه يقسم المال ويفضل بين الناس على السابقة والنسب ففرض لأسامة بن زيد رضي الله عنه أربعة آلاف، وفرض لعبد الله بن عمر رضي الله عنه ثلاثة آلاف، فقال: يا أبت فرضت لأُسامة بن زيد أربعة آلاف، وفرضت لي ثلاثة آلاف؟ فما كان لأبيه من الفضل مالم يكن لك! وما كان له من الفضل مالم يكن لي! فقال عمر: إن أباه كان أحب إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم -من أبيك، وهو كان أحب إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم -منك!! (٤)

خامسا: أنفقت عليك شهراً: قال عاصم بن عمر: أرسل إليّ عمر يرفأ (مولاه) فأتيته - وهو جالسٌ في المسجد فحمد الله عز وجل - وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإني لم أكن أرى شيئاً من هذا المال يحل لي قبل أن أليه إلا بحقه، ثم ما كان أحرم علي منه حين وليته، فعاد أمانتي، وإني

---

١ – مناقب عمر لابن الجوزي ص١٥٧، ١٥٨.

٢ – تاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء الراشدين ص٢٧٠، ٢٧١.

٣ – الخلفاء الراشدون للنجار ص٢٤٤.

٤ – فرائد الكلام للخلفاء الكرام ص١١٣.

كنت أنفقت عليك من مال الله شهراً، فلست بزائدك عليه، وإني أعطيت ثمرك بالعالية منحة، فخذ ثمنه، ثم ائت رجلاً من تجار قومك فكن إلى جانبه، فإذا ابتاع شيئاً فاستشركه وأنفق عليك وعلى أهلك قال: فذهبت ففعلت ([1])

سادسا خذه يا معيقيب فاجعله في بيت المال: قال معيقيب: أرسل إليَّ عمر رضي الله عنه مع الظهيرة، فإذا هو في بيت يطالب ابنه عاصماً ... فقال لي: أتدري ما صنع هذا؟ إنه انطلق إلى العراق فأخبرهم أنه ابن أمير المؤمنين، فأنتفقهم ((سألهم النفقة))، فأعطوه آنية وفضة ومتاعاً، وسيفاً محلى. فقال: عاصم: ما فعلتُ، إنما قدمت على ناس من قومي، فأعطوني هذا. فقال عمر: خذه يا معيقيب، فاجعله في بيت المال ([2])

فهذا مثل من التحري في المال الذي يكتسبه الإنسان عن طريق جاهه، ومنصبه، فحيث شعر أمير المؤمنين عمر بأنّ ابنه عاصماً قد اكتسب هذا المال لكونه ابن أمير المؤمنين تحرج في إبقاء ذلك المال عنده لكونه اكتسبه بغير جهده الخاص فدخل ذلك في مجال الشبهات. ([3])

سابعا عاتكة زوجة عمر والمسك: قدم على عمر رضي الله عنه مسك وعنبر من البحرين فقال عمر: والله لوددت أني وجدت امرأة حسنة الوزن تَزِنُ لي هذا الطيب حتى أقسمه بين المسلمين، فقالت له امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل: أنا جيدة الوزن فهلمّ أزن لك، قال: لا، قالت: لم؟ قال: إني أخشى أن تأخذيه فتجعليه هكذا وأدخل أصابعه في صدغيه - وتمسحي به عنقك، فأصيب فضلاً على المسلمين ([4])، فهذا مثل من ورع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه واحتياطه البالغ لأمر دينه، فقد أبى على امرأته أن تتولى قسمة ذلك الطيب حتى لا تمسح عنقها منه فيكون قد أصاب شيئاً من مال المسلمين، وهذه الدقة المتناهية في ملاحظة الاحتمالات لأوليائه السابقين إلى الخيرات، وفرقان يفرقون به بين الحلال والحرام والحق والباطل، بينما تفوت هذه الملاحظات على الذين لم يشغلوا تفكيرهم بحماية أنفسهم من المخالفات.([5])

ثامنا رفضه هدية لزوجته: قال ابن عمر: أهدى أبو موسى الأشعري لامرأة عمر عاتكة بنت زيد طنفسة، أراها تكون ذراعاً وشبراً، فرآها عمر عندها، فقال: أنَّى لك هذه؟ فقالت: أهداها لي أبو موسى الأشعري، فأخذها عمر رضي الله عنه فضرب بها رأسها، حتى نفض رأسها(١)، ثم قال علي بأبي موسى وأتعبوه فأتى به، وقد أتعب وهو يقول: لا تعجل علي يا أمير المؤمنين فقال عمر: ما يحملك على أن تهدي لنسائي؟ ثم أخذها عمر فضرب بها فوق رأسه وقال: خذها فلا حاجة لنا فيها، وكان رضي الله عنه يمنع أزواجه في التدخل في شؤون الدولة، فعندما كتب عمر رضي الله عنه على بعض عماله، فكلمته امرأته فيه فقالت: يا أمير المؤمنين فيم وجدت عليه؟

---

[1] – الطبقات (٣/ ٢٧٧) إسناده صحيح، محض الصواب (٢/ ٤٩١).

[2] – عصر الخلافة الراشدة للعمري ص٢٣٦، الأثر حسن.

[3] – التاريخ الإسلامي (١٩/ ٤٠).

[4] – الزهد للإمام أحمد ص١١، نقلاً عن التاريخ الإسلامي (١٩/ ٣٠).

[5] – التاريخ الإسلامي (١٩/ ٣٠).

قال: يا عدوة الله وفيم أنت وهذا؟ إنما أنت لعبة يلعب بك ثم تتركين، وفي رواية: فأقبلي على مغزلك ولا تعرضي فيما ليس من شأنك(١).

تاسعا ذكر ضربه لولده على شرب الخمر:

عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال: "سمعت عمرو بن العاص يوماً ذكر عمر رضي الله عنه فترَحَّم عليه، ثم قال: "ما رأيتُ أحداً بعد نبيّ الله وأبي بكر أخوفَ لله من عمر، لا يبالي على من وقع الحقّ على ولدٍ أو والدٍ، ثم قال: والله إني لفي منزلي ضحى بمصرَ إذ أتاني آتٍ فقال: "قدِمَ عبد الله وعبد الرحمن ابنا عمر غازيين "فقلت للذي أخبرني: أين نزلا؟ قال: "في موضع كذا وكذا"، - لأقصى مصر - وقد كتبَ إلي عمر إياك أن يقدم عليك أحد من أهل بيتي، فتحبوه بأمرٍ لا تصنعُه لغيره، فأفعلُ بكَ ما أنتَ أهلُه، وأنا لا أستطيعُ أن أهديَ لهما، ولا آتيَهما في منْزلهما للخوف من أ بيهم، فوالله إني لعلى ما أنا عليه، إلى أن قال قائل: "هذا عبد الرحمن بن عمر، وأبو سِرْوَعَة٤ على الباب يستأذنان"، فقلت: يدخلان، فدخلا وهما منكسران، فقالا: "أقم علينا حدّ الله، فإنا قد أصبنا البارحة شراباً فسكرنا". قال: "فزبرتُهما٥ وطردتهما، فقال عبد الرحمن: "إن لم تفعل أخبرتُ أبي إذا قدمت". قال: فحضرني رأي، وعلمتُ أني إن لم أُقِم عليهما الحدّ غضب عليَّ عمر في ذلك، وعزلني، وخالفَه ما صعنتُ، فنحن على ما نحن عليه إذ دخل عبد الله بن عمر، فقمت إليه ورحبت به، وأردت أن أجلسه في صدر مجلسي فأبى عليّ، وقال: "أبي نهاني أن أدخل عليك إلا أن أجد من ذلك بدّاً، إن أخي لا يحلق على رؤوس الناس أبداً، فأما الضرب فاصنع ما بدا لك". - قال: وكانوا يحلقون مع الحدّ - قال: فأخرجتهما إلى صحن الدار فضربتهما الحدّ، ودخل ابن عمر بأخيه إلى بيتٍ من الدار فحلق رأسه ورأس أبي سروعة، فوالله ما كتبتُ إلى عمر بحرف، مما كان، حتى إذا تحنيتُ كتابه إذا هو نظم فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاصي بن العاصي، عجبت لك يا ابن العاصي ولجرأتك عليّ وخلاف عهدي، أما إني قد خالفتُ فيك أصحاب بدر ممن هو خيرٌ منك واخترتك؛ لجرأتك عني، وإنفاذ عهدي، وأراك تلوثت بما تلوثت، فما أراني إلا عازلك، فمسيء عزلك، تضرب عبد الرحمن في بيتك وتحلق رأسه في بيتك، وقد عرفت أن هذا يخالفني، إنما عبد الرحمن رجلٌ من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين، ولكن قلت: هو ولد أمير المؤمنين، وقد عرفتَ أن لا هوادة لأحدٍ من الناس عندي في حقٍّ يجب لله عليه، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عباءةٍ على قتبٍ حتى يعرف سوءَ ما صنع". فبعثتُ به كما قال أبوه، وأقرأت ابن عمر كتاب أبيه، وكتبتُ إلى عمر كتاباً أَعْتَذر فيه، وأُخبره أني ضربته في صحن داري، وبالله الذي لا يُحلَف بأعظم منه إني أقيم الحدّ في صحن داري على الذمي والمسلم، وبعثت بالكتاب مع عبد الله بن عمر".

قال أسلم: فقدم بعبد الرحمن على أبيه، فدخل عليه وعليه عباءةٌ ولا يستطيع المشي من مركبِهِ، فقال: "يا عبد الرحمن فعلتَ وفعلتَ السياطُ". وكلمه عبد الرحمن بن عوف وقال: "يا أمير

---

١ – أخبار عمر ص٢٩٣، الشيخان رواية البلاذري ص١٨٨.

المؤمنين، قد أقمتم عليه الحدّ مرّةً"، فلم يلتفت إلى هذا عمر وزبَرَه، فجعل عبد الرحمن يصيح: "أنا مريضٌ وأنت قاتلي"، فضربه وحبَسَه، ثم مرِضَ فمات")[1]

ثانياً: الصدق والوضوح: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر. [2]

عن أبي الحسن، قال: قال عمرو بن مرة لمعاوية: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجة، والخلة، والمسكنة، إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته، وحاجته، ومسكنته.

فجعل معاوية رجلا على حوائج الناس. [3]

قال أبو بكر – رضي الله عنه -: أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قومٍ إلا عمّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله [4] .

عن مخلد بن قيس العجليّ، عن أبيه، قال: لمّا قدم سيف كسرى ومنطقته وزبرجدته على عمر، فقال: إنّ أقواماً أدّوا هذا لذووا أمانة. فقال عليّ: إنك عففت فعفّت الرّعيّة. [5]

في سنة سبع عشرة جيء إلى عمر بالهرمزان ملك الأهواز أسيرا ومعه وفد فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس فلما وصلوا به إلى المدينة ألبسوه كسوته من الديباج المذهب ووضعوا على رأسه تاجه وهو مكلل بالياقوت ليراه عمر والمسلمون على هيئته التي يكون عليها في ملكه فطلبوا عمر فلم يجدوه فسألوا عنه فقيل هو في المسجد فأتوه فإذا هو نائم فجلسوا دونه فقال الهرمزان أين هو عمر قالوا هو ذا قال فأين حرسه وحجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب فنظر الهرمزان إلى عمر وقال عدلت فأمنت فنمت. [6]

قال حافظ إبراهيم:

وراع صاحب كسرى أن رأى عمرا بين الرعية عطلا وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس أن لها سورا من الجند والأحراس يحميها
رآه مستغرقا في نومه فرأى فيه الجلالة في أسمى معانيها

---

[1] – ابن الجوزي: مناقب ص ٢٤٠–٢٤٢، المحب الطبري: الرياض النضرة ٣٥٤/١، والمتقي الهندي: كنْز العمال ٦٦٢/١٢–٦٦٤، وعزاه لابن سعد. وهو ضعيف لأجل أسامة بن زيد بن أسلم. قال الحافظ: "ضعيف من قبل حفظه". (التقريب رقم: ٣١٥).

[2] – أخرجه أحمد ٤٨٠/٢(١٠٢٣٢). و"مسلم" ٢١١.

[3] – أخرجه أحمد ٢٣١/٤(١٨١٩٦) و"التِّرمِذي" ١٣٣٢ "السلسلة الصحيحة" ٢ / ٢٠٥.

[4] – البداية والنهاية (٣٠٥،٣٠٦/٦) إسناده صحيح. و السهيلي : الروض الأنف ٤٥٠/٤.

[5] – ابن عساكر : مختصر تاريخ دمشق ٣٩/٦

[6] – الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٨٤/١.

فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا ببردة كاد طول العهد يبليها
فهان في عينه ما كان يكبره من الأكاسر والدنيا بأيديها
وقال قولة حق أصبحت مثلا وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها
أمنت لما أقمت العدل بينهم فنمت نوم قرير العين هانيها

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامل من عماله: قد كثر شاكوك، وقل شاكروك، فإما عَدَ لْتَ، وإما اعتزلت، والسلام. (١)

سادسا: السعي لتحقيق مطالب الناس: ومن الأمور التي تحث المرء على الإصلاح الإداري أن يكون المسلم صداقا مع الله تعالى صادقا مع الرعية عن أبي أمامة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم العبد الآبق حتى يرجع وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط وإمام قوم وهم له كارهون(٢)

عن الحسن، أن عبيد الله بن زياد عاد معقل بن يسار في مرضه الذي مات فيه، فقال له معقل: إني محدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ما من عبد استرعاه الله رعية ، فلم يحطها بنصيحة ، إلا لم يجد رائحة الجنة. (٣)

عن عبد الرحمن بن شماسة قال * أتيت عائشة رضي الله عنها أسألها عن شيء فقالت ممن أنت فقلت رجل من أهل مصر فقالت أني أخبرك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به. (٤)

وإنصاف المظلومين منهم ولو كان ذلك على نفس المرء أو على أقاربه فالعدل لا يحابي أحد قال الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } [النساء: ١٣٥]

يقول سيد قطب – رحمه الله - إنه نداء للذين آمنوا. نداء لهم بصفتهم الجديدة. وهي صفتهم الفريدة. صفتهم التي بها أنشئوا نشأة أخرى وولدوا ميلادا آخر. ولدت أرواحهم، وولدت تصوراتهم، وولدت مبادئهم وأهدافهم، وولدت معهم المهمة الجديدة التي تناط بهم، والأمانة العظيمة التي وكلت إليهم .... أمانة القوامة على البشرية، والحكم بين الناس بالعدل ..... ومن ثم كان للنداء بهذه الصفة قيمته وكان له معناه: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ...» فبسبب من اتصافهم بهذه الصفة، كان التكليف بهذه الأمانة الكبرى. وبسبب من اتصافهم بهذه الصفة كان التهيؤ والاستعداد للنهوض بهذه الأمانة الكبرى ..

---

١ – شذرات الذهب ٣١١/١

٢ – أخرجه التِّرمِذي ٣٦٠ رقم : ٣٠٥٧ في صحيح الجامع .

٣ – أخرجه أحمد ٢٥/٥(٢٠٥٥٧) و"البُخَارِي" ٨٠/٩(٧١٥٠) و"مسلم"٨٧/١(٢٨٠).

٤ – أخرجه أحمد ٩٣/٦ و"مسلم" ٧/٦.

وهي لمسة من لمسات المنهج التربوي الحكيم تسبق التكليف الشاق الثقيل : {كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ، شُهَداءَ لِلَّهِ - وَلَوْ عَلى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ. إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلى بِهِما} .

إنها أمانة القيام بالقسط .... بالقسط على إطلاقه. في كل حال وفي كل مجال. القسط الذي يمنع البغي والظلم -في الأرض -والذي يكفل العدل -بين الناس -والذي يعطي كل ذي حق حقه من المسلمين وغير المسلمين.

ففي هذا الحق يتساوى عند اللّه المؤمنون وغير المؤمنين - كما رأينا في قصة اليهودي - ويتساوى الأقارب والأباعد.

ويتساوى الأصدقاء والأعداء. ويتساوى الأغنياء والفقراء ..... {كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَداءَ لِلَّهِ»} ..

حسبة للّه. وتعاملا مباشرا معه. لا لحساب أحد من المشهود لهم أو عليهم. ولا لمصلحة فرد أو جماعة أو أمة. ولا تعاملا مع الملابسات المحيطة بأي عنصر من عناصر القضية. ولكن شهادة للّه ، وتعاملا مع اللّه. وتجردا من كل ميل ، ومن كل هوى ، ومن كل مصلحة ، ومن كل اعتبار.

«وَلَوْ عَلى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ» ..

وهنا يحاول المنهج تجنيد النفس في وجه ذاتها، وفي وجه عواطفها، تجاه ذاتها أولا ، وتجاه الوالدين والأقربين ثانيا .. وهي محاولة شاقة .. أشق كثيرا من نطقها باللسان، ومن إدراك معناها ومدلولها بالعقل .. إن مزاولتها عمليا شيء آخر غير إدراكها عقليا. ولا يعرف هذا الذي نقوله إلا من يحاول أن يزاول هذه التجربة واقعيا ..

ولكن المنهج يجند النفس المؤمنة لهذه التجربة الشاقة. لأنها لا بد أن توجد. لا بد أن توجد في الأرض هذه القاعدة. ولا بد أن يقيمها ناس من البشر.

ثم هو يجند النفس كذلك في وجه مشاعرها الفطرية أو الاجتماعية حين يكون المشهود له أو عليه فقيرا، تشفق النفس من شهادة الحق ضده، وتود أن تشهد له معاونة لضعفه. أو من يكون فقره مدعاة للشهادة ضده بحكم الرواسب النفسية الاجتماعية كما هو الحال في المجتمعات الجاهلية. وحين يكون المشهود له أو عليه غنيا تقتضي الأوضاع الاجتماعية مجاملته. أو قد يثير غناه وتبطره النفس ضده فتحاول أن تشهد ضده! وهي مشاعر فطرية أو مقتضيات اجتماعية لها ثقلها حين يواجهها الناس في عالم الواقع .... والمنهج يجند النفس تجاهها كذلك كما جندها تجاه حب الذات، وحب الوالدين والأقربين.

«إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلى بِهِما» ...

وهي محاولة شاقة. ولا نفتأ نكرر أنها محاولة شاقة .... وأن الإسلام حين دفع نفوس المؤمنين - في عالم الواقع - إلى هذه الذروة ، التي تشهد بها تجارب الواقع التي وعاها التاريخ - كان ينشئ معجزة حقيقية في عالم البشرية. معجزة لا تقع إلا في ظل هذا المنهج الإلهي العظيم القويم.

«فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوى أَنْ تعدلوا". والهوى صنوف شتى ذكر منها بعضها.. حب الذات هوى. وحب الأهل والأقربين هوى. والعطف على الفقير - في موطن الشهادة والحكم - هوى. ومجاملة الغني هوى. ومضارته هوى. والتعصب للعشيرة والقبيلة والأمة والدولة والوطن - في موضع الشهادة والحكم - هوى. وكراهة الأعداء ولو كانوا أعداء الدين - في موطن الشهادة والحكم - هوى ..

وأهواء شتى الصنوف والألوان .. كلها مما ينهى اللّه الذين آمنوا عن التأثر بها ، والعدول عن الحق والصدق تحت تأثيرها.
وأخيرا يجيء التهديد والإنذار والوعيد من تحريف الشهادة ، والإعراض عن هذا التوجيه فيها ..
«وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً»..
ويكفي أن يتذكر المؤمن أن اللّه خبير بما يعمل، ليستشعر ماذا وراء هذا من تهديد خطير، يرتجف له كيانه..
فقد كان اللّه يخاطب بهذا القرآن المؤمنين! حدث أن عبد اللّه بن رواحة - رضي اللّه عنه - لما بعثه رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - يقدر على أهل خيبر محصولهم من الثمار والزروع لمقاسمتهم إياها مناصفة ، حسب عهد رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - بعد فتح خيبر .. أن حاول اليهود رشوته ليرفق بهم! فقال لهم : «واللّه لقد جئتكم من عند أحب الخلق إليّ. ولأنتم واللّه أبغض إليّ من أعدادكم من القردة والخنازير. وما يحملني حبي إياه وبغضي لكم ، على أن لا أعدل فيكم» .. فقالوا : بهذا قامت السماوات والأرض! لقد كان - رضي اللّه عنه - قد تخرج في مدرسة الرسول - صلى اللّه عليه وسلم - على المنهج الرباني المنفرد.([1])
السلطان محمود بن سبكتكين، صاحب بلاد غزنة، نصر الإسلام، وفتح الفتوحات الكثيرة في بلاد الهند وغيرها، عظم شأنه واتسعت مملكته، كان عادلا، اشتكى إليه رجل أن ابن أخت الملك، يهجم عليه في داره، وعلى أهله، في كل وقت، فيخرجه من البيت، ويختلي بامرأته، وقد حار في أمره، وكلما اشتكاه لأحد من أولي الأمر لا يجسر أحد عليه، خوفا وهيبة للملك، فلما سمع الملك ذلك غضب غضبا شديدا، وقال للرجل:
"ويحك متى جاءك فائتني فأعلمني، ولا تسمعن من أحد منعك من الوصول إلي، ولو جاءك في الليل فائتني فأعلمني".
ثم إن الملك تقدم إلى الحجبة، وقال لهم:
"إن هذا الرجل متى جاءني، لا يمنعه أحد من الوصول إلي، من ليل أو نهار".
فما كان إلا ليلة أو ليلتان حتى هجم عليه ذلك الشاب، فأخرجه من البيت، واختلى بأهله، فذهب باكيا إلى دار الملك، فقيل له إن الملك نائم فقال: "قد تقدم إليكم أن لا أمنع منه ليلا ولا نهارا".
فنبهوا الملك، فخرج معه بنفسه، وليس معه أحد، حتى جاء إلى منزل الرجل، فنظر إلى الغلام وهو مع المرأة في فراش واحد، وعندهما شمعة تتقد، فتقدم الملك فأطفأ الضوء، ثم جاء فاحتز رأس الغلام.....وقال للرجل:
"ويحك ألحقني بشربة ماء"..
فأتاه بها فشرب، ثم انطلق الملك ليذهب، فقال له الرجل: "بالله لم أطفأت الشمعة؟".
قال: "ويحك إنه ابن أختي، وإني كرهت أن أشاهده حال الذبح".
فقال: "ولم طلبت الماء سريعا".

---

[1] – في ظلال القرآن ، ج ٢ ص٧٧٥ : ٧٧٧

فقال الملك: "إني آليت على نفسي منذ أخبرتني، أن لا أطعم طعاما، ولا أشرب شرابا، حتى أنصرك، وأقوم بحقك، فكنت عطشانا هذه الأيام كلها، حتى كان ما كان، مما رأيت". ([1])

سابعا: الخضوع للمراجعة والمحاسبة: عن عدي بن عميرة الكندي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من استعملناه منكم على عمل، فكتمنا مخيطا فما فوقه، كان غلولا يأتي به يوم القيامة، قال : فقام إليه رجل أسود ، من الأنصار ، كأني أنظر إليه ، فقال : يا رسول الله ، اقبل عني عملك ، قال : وما لك ؟ قال : سمعتك تقول كذا وكذا ، قال : وأنا أقوله الآن : من استعملناه منكم على عمل ، فليجئ بقليله وكثيره ، فما أوتي منه أخذ ، وما نهي عنه انتهى. ([2])

عن أبي حميد الساعدي، قال: استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد على صدقات بني سليم ، يدعى ابن الأتبية ، فلما جاء حاسبه ، قال : هذا مالكم ، وهذا هدية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك ، إن كنت صادقا ؟ ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله ، فيأتي فيقول : هذا مالكم ، وهذا هدية أهديت لي ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا ، والله لا يأخذ أحد منكم منها شيئا بغير حقه ، إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة ، فلأعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتى رئي بياض إبطيه ، ثم قال : اللهم هل بلغت. بصر عيني وسمع أذني.. ([3])

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه قال: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله". ([4])

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعفيف متعفف ذو عيال وأما أول ثلاثة يدخلون النار فأمير مسلط وذو ثروة من مال لا يعطى حق ماله وفقير فخور. ([5])

وها هو الخليفة أبو بكر الصديق، يقومُ بزيارَاتٍ تَفقدية للمُدن الإسلامية، فذهب إلى مكة بعد مُبايَعَتِه في المدينة، وبعد أنْ طاف بالبيت، جلس قريبًا من دارِ النَّدوة، فقال: هل من أحد يَشتكي من ظلامة أو يطلب حقًّا؟ فما أتاه أحد، وبهذا اطمأن على الرَّعِيَّة، وأنَّهم بخير وراضون عن واليهم، ومن مَواقفه – رضي الله عنه – مُحاسبته لمعاذ بن جبل الصحابي الجليل، عندما قدم من اليمن بعد وَفاة الرسول – عليه الصَّلاة والسَّلام – حيث قال: "ارفع حسابك"، فقال معاذ: "حسابان: حساب من الله، وحساب منك. ([6])

---

[1] – البداية والنهاية ٣٠/١٢

[2] – أخرجه \"أحمد\" ١٩٢/٤(١٧٨٦٩) و\"مسلم\" ١٢/٦(٤٧٧١)

[3] – أخرجه \"أحمد\" ٤٢٣/٥ (٢٣٩٩٦) و\"البُخاري\" ١٤/٢(٩٢٥) و\"مسلم\" ١١/٦(٤٧٦٦).

[4] – أخرجه الحاكم (٣ / ١٩٥) الألباني في \"السلسلة الصحيحة\" ١ / ٦٤٨.

[5] – أخرجه أحمد ٤٢٥/٢(٩٤٨٨) و\"الترمذي\" ١٦٤٢ و\"ابن خزيمة\" ٢٢٤٩.

[6] – عيون الأخبار (١٢٥/١).

الخاتمة

أخي المسلم.... أختي المسلمة: بعد أن عشنا في ظلال {الدر المنضود في الإصلاح والتغيير المنشود} وتبين لنا مدى خطورة الفساد الذي عم كثيرا من النواحي العقدية والأخلاقية والاجتماعية والتعليمية والإدارية ووصفنا له الدواء من كتب رب الأرض والسماء وكان لسان حالنا:

فلو داواك كل طبيب داء بغير كلام ربي ما شفاك

لذا أقف معكم وقفة أخيرة وأقول إن خلاصة ما جاء في هذا الكتاب:
أولا: أن يعي كل مسلم ومسلمة مفهوم الإصلاح فليس هو ما يدعيه المفسدون من حرية ماجنة لا تتقيد بشرع و لا قيم و لا مثل.
ثانيا: أن الصراع بين المصلحين والمفسدون قائم على أشده و لن ينتهي الصراح إلا بزوال الدنيا
ثالثا: واجب على كل مسلم أن يزن أقوال وأفعال الذين ينادونا بالإصلاح بميزان الشرع الحنيف، لأن هناك ذائب بشرية تدعي الإصلاح من علماني أو لبرالي أو شيوعي وكلهم ينفخ في بوق الإصلاح فلو لم يكن المسلم على بصيرة من أمر دينه لكان حاله:

كان كمن أدخل في جحر يدا فأخطأ الأفعى ولاقى الأسْوَدَا

رابعا: كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة: فواجب علينا أن نصحح الاعتقاد أولا فمتى صح الاعتقاد صلح المجتمع فالتوحيد هو أول واجب على العبيد.
خامسا: بالأخلاق الكريمة والقيم النبيلة تسود المحبة والوفاء يكون المسلم داعيا إلى الله تعالى بأفعاله قبل أقواله فعل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل في رجل وما انتشر الإسلام في مجاهيل إفريقيا بالسنان و إنما انتشر بالصدق في الأقوال و الأفعال.
سادسا: الأخلاق هي الدين كله: فالأخلاق لها صلتها بالعقيدة و الحرب و السلم و البيع و الاقتصاد و السياسة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ "(١)
سابعا: الاهتمام بإصلاح المجتمع واجب الأفراد والأسر والأمة: فالأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع لذا إذا بنيت على أسس قويم فإنها تكون لبنة صالحة في صرح الأمة الإسلامية.
ثامنا: وجوب التعاون بين أفراد المجتمع للقضاء على جميع مظاهر الفساد الموجودة في المجتمع و ذلك من باب قوله تعالى { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [المائدة : ٢]}.
تاسعا: إنما ترقى الأمم بالعلم و التعلم :فمتى صلح العلم في أُمة من الأمم إلا كان ذلك هو سر تقدمها و نحن أمة اقرأ واجب علينا أن ننهض بالمنظومة التعليمية و أن تعمل جاهدة على الاهتمام البالغ بعدة محاور :
١-الاهتمام بالطفل تربوياً وسلوكياً ونفسياً واجتماعياً، فهم نواة المستقبل ومسئولية الأمة حتى ينضجوا.
٢-الاهتمام الجدي والمدروس بتعليم الطفل وتعديل المناهج لتكون ملائمة لعقلية الطفل.
٣-إعادة وضع المناهج التعليمية، بحيث تكون حافزاً على التفكير وليست مجرد معلومات جاهزة تؤخذ كما هي.
٤-تقليل عدد الطلاب في الفصول.
٥-تشجيع الابتكارات.
٦-الابتعاد عن التلقين في كافة مراحل التعليم.

---

١ – أخرجه أحمد (٢/٣٨١ ، رقم ٨٩٣٩) ، وابن سعد (١/١٩٢) . و قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٢٣٤٩ في صحيح الجامع

٧-الاهتمام بالبحوث التربوية والإكثار منها.
٨-وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.
٩-تأهيل المشرفين والترحيب بالمخلصين والمتحمسين لأنهم هم الذين يدفعون بصدق حركة التعليم للأمم.
١٠-العمل على تحسين المكانة الاجتماعية للمعلمين وليس هذا الأمر بعسير.
عاشرا: في الحقبة الماضية تفشى وباء الفساد الإداري : فظهرت الرشوة و المحسوبية و الواسطة و الابتزاز و التكسب غير المشروع و رأينا كيف جر ذلك البلاد إلى هاوية الفساد و إهدار المال العام لذا واجب على جميع أفراد الأمة محاربة أي صورة من تلك الصور و أن تسن الدولة القوانين و العقوبات الصارمة ضد أي إنسان يرتكب أي جريمة من جرائم الفساد الإداري فمتى علم الإنسان أنه مأخوذ على يديه معاقب بفعله لن تُسول له نفسه أن يتعامل بأي صورة من تلك الصورة و قد أوجب علينا الله و رسوله - صلى الله عليه وسلم الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و رتب عليه خيرية الأمة {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} [آل عمران : ١١٠]
اللهم ما احملنا في سفن نجاتك ومتعنا بلذيذ مناجاتك وأوردنا حياض حبك وأذقنا حلاوة ودك وقربك ، واجعل جهادنا فيك وهمنا في طاعتك وأخلص نياتنا في معاملتك فإنا بك ولك ولا وسيلة لنا إليك إلا أنت، اللهم لا تجعلنا عن ذكرك غافلين ولا عن أمرك زائفين وأدخلنا في عبادك الذين اصطفيتهم لوراثة كتابك، وأنظمنا في سلك من أهلته لولائك واغفر بفضلك مغفرة عزما ، لا نخاف بعدها ظلما ولا هضما .وصل الله علي محمد خاتم النبيين وعلي آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كبيرا إلي يوم الدين آمين ... آمين .

تم الكتاب وربنا محمود وله المكارم والعلا والجود
وعلى النبي محمد صلواته ما ناح قمري وأورق عود

كتبه
أبو همام \ السيد مراد سلامه
محافظة البحيرة /مركز شبراخيت قرية/ فرنوى
محمول/٠١٠٦٩٨٣٥٢٦٨

المراجـــــع (١)

أولا: كتب التفسير

١ – الكتب مرتبة في كل قسم على الحروف الابجدية

١-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمد الأمين الشنقيطي.

٢-تفسير الشعراوي.

٣-تفسير أبي السعود.

٤-تفسير التحرير والتنوير.

٥-تفسير الجلالين.

٦-تفسير الدر المنثور .

٧-تفسير الرازي .

٨-تفسير السعدي.

٩-تفسير الشيخ المراغى.

١٠-تفسير المنار .

١١-تفسير المنير للزحيلي.

١٢-تفسير روح المعاني.

١٣-تفسير عبد الرزاق.

١٤-تفسير ابن المنذر.

١٥-تفسير فتح القدير للشوكاني.

١٦ -تفسير محاسن التأويل.

١٧ -تفسير زاد المسير.

١٨-تفسير النسفي.

١٩ -في ظلال القران سيد قطب.

ثانيا: كتب الحديث وشروحه:

٢٠-الأدب المفرد للبخاري.

٢١-الترغيب والترهيب لابن المنذر.

٢٢-التعليق الرغيب للألباني.

٢٣-التقريب لابن حجر.

٢٤-التمهيد لابن عبد البر.

٢٥-جامع الأصول لابن الأثير.

٢٦-جامع العلوم والحكم لابن رجب.

٢٧-جامع بيان العلوم وفضله، أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي.

٢٨-الجهاد لأبن المبارك.

٢٩-السلسلة الصحيحة / للألباني.

٣٠-السلسلة الصحيحة / للألباني.

٣١-سنن ابن ماجه.

٣٢-سنن أبي داود.

٣٣-سنن الترمذي.

٣٤-سنن الدرامي.

٣٥-السنن الكبرى للبيهقي.

٣٦-سنن النسائي.

٣٧-شرح الأربعين النووية -عبد الكريم الخضير.

٣٨-شرح السير الكبير للسرخسي.

٣٩-شرح متن الرحبية للشيخ عطية محمد سالم.

٤٠-شعب الإيمان البيهقي.

٤١-صحيح ابن خزيمة.

٤٢-صحيح البخاري.

٤٣-صحيح ابن حبان.

٤٤-صحيح الترغيب والترهيب / للألباني.

٤٥-صحيح الجامع/ للألباني.

٤٦-صحيح حجاب المرأة المسلمة للألباني.

٤٧-صحيح سنن أبي داود/ للألباني.

٤٨-صحيح مسلم.

٤٩-الضعفاء لابن حبان.

٥٠-ضعيف المشكاة للألباني.

٥١-ضعيف ابن ماجه للألباني.

٥٢-غاية المقصد في زوائد المسند / علي بن أبي بكر الهيثمي.

٥٣-غريب الحديث / لأبي إسحاق الحربي.

٥٤-فتح الباري -/ ابن حجر.

٥٥-فيض القدير / للمناوي.

٥٦-كنْز العمال/ لمتقي الهندي.

٥٧-مجمع الزوائد / للهيثمي.

٥٨-المختارة / للضياء المقدسي.

٥٩-مستخرج أبي عوانة.

٦٠-مستدرك الحاكم.

٦١-مسند أبي يعلى.

٦٢-مسند الإمام أحمد.

٦٣-مسند عبد بن حميد.

٦٤-المشكاة / للألباني.

٦٥-مصنف ابن أبى شيبة.

٦٦-معالم السنن/ للخطابي.

٦٧-معجم الشيوخ/ لابن جميع الصيداوي.

٦٨-معجم الطبراني الأوسط.

٦٩-معجم الطبراني الكبير.

٧٠-موطأ الإمام مالك.

كتب العقيدة:

٧١-الإيمان لابن مندة

٧٢-التوحيد أولا / للدكتور ناصر العمر

٧٣-الحوادث والبدع / للإمام محمد بن الوليد الطرطوشي

٧٤-رسالة التوحيد / الدهلوي

٧٥-شرح أصول الاعتقاد/ لالكائي،

٧٦-فتح المجيد / عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ

٧٧-فكر المؤامرة عقيدة وحقيقة لا خيال/ لسيد مراد سلامة

٧٨-الملل والنحل/ للشهرستاني

كتب التاريخ :

٧٩-أخبار أبي حنيفة وأصحابه / لحسين بن علي الصيمري.

٨٠-أخبار عمر / الدارقطني.

٨١-الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى/ أبي العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري.

٨٢-الإسلام والخلافة" / لعلي الخربوطلي.

٨٣-الإصابة / لابن حجر.

٨٤-أعلام وأقزام في ميزان الإسلام / سيد حسين العفاني.

٨٥-أنساب الأشراف / البلاذري.

٨٦-البداية والنهاية / لابن كثير.

٨٧-التاريخ الإسلامي / للذهبي.

٨٨-تاريخ الشعوب الإسلامية / لبروكلمان، فصل.

٨٩-التاريخ الطبري / الجليل محمد بن جرير الطبري.

٩٠-التاريخ الكبير/ للبخاري.

٩١-تاريخ بغداد / أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر.

٩٢ -توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم/ ابن ناصر الدين الدمشقي.

٩٣-الخلفاء الراشدون / عبد الوهاب النجار.

٩٤-رجال اختلف فيهم الرأي / أنور الجندي.

٩٥-الرجل الصنم / لضابط تركي سابق.

٩٦-الرياض النضرة / المحب الطبري.

٩٧-سراج الملوك / لأبي بكر محمد بن الوليد الأندلسي المالكي الطرطوشى.

٩٨-سير أعلام النبلاء / للإمام الذهبي.

٩٩-السير والمغازي، / لابن إسحاق.

١٠٠-سيرة ابن هشام، / لابن هشام.

١٠١-السيرة النبوية / لابن كثير.

١٠٢-السيرة النبوية الصحيحة د. أكرم العمري.

١٠٣-شذرات الذهب / ابن العماد الحنبلي.

١٠٤-الطبقات / لابن سعد.

١٠٥-عصر الخلافة الراشدة / أكرم بن ضياء العمري.

١٠٦-علي بن أبي طالب /على الصلابي.

١٧-عيون الأخبار/ لابن قتيبة.

١٠٨-محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ يوسف بن حسن بن عبد الهادي المبرد.

١٠٩ -مختصر تاريخ دمشق/ محمد بن مكرم المعروف بابن منظور.

١١٠-مختصر دراسة التاريخ / لأرنولد توينبي.

١١١-مناقب عمر / لابن الجوزي

١١٢-المنتظم / لابن الجوزي

١١٣-وفيات الأعيان / لابن خلكان

كتب الزهد والأخلاق:

١١٤-الإحكام لابن حزم -

١١٥-الأحكام السلطانية / للماوردي.

١١٦-إحياء علوم الدين/ للغزالي.

١١٧-الأخلاق في الإسلام / محمد عبد القادر حاتم.

١١٨-الإخوان / لابن أبي الدنيا.

١١٩-الإدارة العامة: الأسس والوظائف" / سعود بن محمد النمر وآخرون.

١٢٠-الإدارة في الإسلام: المنهجية والتطبيق والقواعد/ لفهمي خليفة الفهداوي.

١٢١-الإدارة: مبادئ، وظائف، تطبيقات / لبشير عباس العلان.

١٢٢-أرشيف منتدى الألوكة.

١٢٣-إصلاح المنطق / أبي يوسف يعقوب بن السكيت.

١٢٤-إغاثة اللهفان / لابن القيم.

١٢٥-الإفصاح عن أحاديث النكاح / لابن حجر الهيتمي.

١٢٦-الإنصاف في مسائل الخلاف -أبي البركات عبد الرحمن الأنباري.

١٢٧-بداية الهداية / للإمام أبو حامد الغزالي.

١٢٨-التبرج / لنعمان صدقي.

١٢٩-تَذْكِرَةُ السَّامِعِ والمُتَكَلِّم في أَدَب العَالِم والمُتَعَلِّم / لابن جماعة.

١٣٠- التعريفات / للجرجاني .

١٣١-تهذيب اللغة / أبي نصر محمد بن احمد الأزهري.

١٣٢-التوقيف على مهمات التعاريف / للمناوي.

١٣٣-ثلاثون سبباً للمعاكسة / لنواف بن عبيد الرعوجي.

١٣٤-حاشية ابن عابدين / محمد أمين بن عمر عابدين.

١٣٥-الحكم والإدارة للإسلام" / أكرم رسلان ديرانية.

١٣٦-درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية.

١٣٧-دراسات في الفقر والعولمة/ لكريمة كريم.

١٣٨-دروس للشيخ عبد الرحمن السديس.

١٣٩-دروس للشيخ مصطفى العدوي.

١٤٠-دعوة الإسلام إلى العمل / للدكتور محمد هلال.

١٤١-الذريعة إلى مكارم الشريعة / الراغب الأصفهاني.

١٤٢-ذم الغضب/ لابن أبي الدنيا.

١٤٣-- الرقابة الإدارية: المنظور الإسلامي المعاصر، والتجربة السعودية/ عبد الرحمن الضحيان.

١٤٤-الروض الأنف / عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي.

١٤٥-الروضة الندية شرح الدر البهية/ للسيد صديق حسن خان.

١٤٦-الزهد / لابن المبارك.

١٤٧-الزهد/ للإمام أحمد.

١٤٨-الزهرة / لابن داود الأصبهاني.

١٤٩-الزواجر عن اقتراف الكبائر / لابن حجر الهيتمي.

١٥٠-الصراع بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية / أبي الحسن علي الحسني الندوي.

١٥١-صفة الصفوة / لابن الجوزي.

١٥٢-الصفدية / لشيخ الإسلام ابن تيمية.

١٥٣-صور من ابتلاء العلماء / لوحيد عبد السلام بالي.

١٥٤-صيد الخاطر/ لابن الجوزي.

١٥٥-الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، / لسهام مهدي جبار.

١٥٦-غاية المرام / علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي.
١٥٧-الفتاوى الكبرى/ لابن تيمية

١٥٨-الفتاوى الكبرى/ للإمام العلامة أحمد بن محمد الهيثمي المكي.

١٥٩-فرائد الكلام للخلفاء الكرام / قاسم عاشور.

١٦٠-الفروع / للإمام ابن مفلح الحنبلي.

١٦١ الفساد الإداري أسبابه وأثاره واهم أساليب المعالجة / ساهر عبد الكاظم مهدي.

١٦٢-الفساد الإداري لغة المصالح د/ حسنين المحمدي بوادي.

١٦٣-الفقيه والمتفقة / للخطيب البغدادي.

١٦٤-الفكر الإداري في الإسلام، وانعكاساته على الإدارة التربوية / لعبد الله عبد الرحمن الفايز.

١٦٥-الفوائد/ للجرجاني.

١٦٦-في وجه المؤامرة على تطبيق الشريعة الإسلامية، / لمصطفى فرغلي الشقيري،

١٦٧-قالوا عن الإسلام / لعماد الدين خليل

١٦٨-قيمة الزمن عند العلماء / لعبد الفتاح أبو غدة.

١٦٩-الكبائر/ للذهبي.

١٧٠-برامج مقترحة لتفعيل المسجد.

١٧١-شبهات حول تطبيق الشريعة الإسلامية.

١٧٢-كشاف اصطلاحات الفنون / محمد علي الفاروقي التهانوي.

١٧٣-كشاف القناع: منصور بن يونس البهوتي.

١٧٤-الكليات / للكفوي.

١٧٥-لقاء الباب المفتوح / لابن عثيمين.

١٧٦-مجابوا الدعوة/ لابن أبي الدنيا.

١٧٧-المجالسة وجواهر العلم / لابن عبد البر.

١٧٨-مجموع الفتاوى/ لشيخ الإسلام ابن تيمية.

١٧٩-المجموع شرح المهذب /للنووي.

١٨٠-المحاسن والمساوئ / للبيهقي.

١٨١-المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام / لمحمد محمود الصواف.

١٨٢-مدارج السالكين/ لابن القيم.

١٨٣-مدخل لمعرفة الإسلام ليوسف القرضاوي.

١٨٤-مشاكلنا في ضوء الإسلام". د/ عبد المنعم النمر.

١٨٥-معجم الأدباء / لياقوت الحموي.

١٨٦-معرفة القراء / الكبار للذهبي.

١٨٨-معركة السفور والحجاب" كتبه/ محمد سرحان.

١٨٩-المغني / لابن قدامة.

١٩٠-مغني المحتاج / للخطيب الشربيني.

١٩١-مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار / أبي محمد عبد العزيز بن السلمان.

١٩٢-مفتاح الجنة"/ للسيوطي.

١٩٣-المفردات / للراغب الأصفهاني.

١٩٤-مفهوم الفساد الإداري ومعاييره في التشريع الإسلامي: دراسة مقارنة.

١٩٥-مقدمة ابن خلدون.

١٩٦-مكارم الأخلاق/ للخرائطي.

١٩٧-مكانك تحمدي / أحمد محمد جمال التوفر.

١٩٨-من أجل مكافحة الفساد الإداري والمحافظة على المال العام / محمد عادل التريكى.

١٩٩-من عجائب الصدقة / خالد بن سليمان الربعي

٢٠٠-منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل، / للدكتور ربيع المدخلي.

٢٠١-الموافقات / للشاطبي

٢٠٢-المؤامرة على التعليم للعلامة الرباني/ لمحمد بن إسماعيل المقدم.

٢٠٣-موسوعة البحوث والمقالات العلمية.

٢٠٤-موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين/ للغزالي.

٢٠٥-ميراث المرأة وقضية المساواة/ د. صلاح سلطان.

٢٠٦-نحو ثقافة إسلامية أصيلة / عمر سليمان الأشقر.

٢٠٧-نزهة المجالس ومنتخب النفائس / للصفوري .

٢٠٨-نصيحة مختصرة في الحث على التمسك بالدين والتحذير من المدارس الأجنبية / للسعدي.

٢٠٩-نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم / لصالح بن عبد الله بن حميد - وعبد الرحمن بن محمد ملوح.

٢١٠-نظام الحكم والإدارة في الإسلام / لمحمد مهدي شمس الدين.

٢١١-نيل الأوطار/ للشوكاني.

٢١٢-هل الإسلام هو الحل/ د. محمد عمارة.

٢١٣-وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية.

مواقع على شبكة الانترنت و صحف و مجلات

٢١٤- جريدة السياسة /٢٠/نوفمبر/٢٠٠٠ م .

٢١٥- دور الزكاة في الاقتصاد الإسلامي والسياسة المالية، / محمد أنس الزرقا:

٢١٦-دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية / يوسف القرضاوي

٢١٧-شبكة الإعلام العربية على الإنترنت

٢١٨-شبكة الإعلام العربية على الإنترنت

٢١٩-صحيفة الرياض عدد رقم ٤١٩١٤

٢٢٠-مجلة "فكر" عدد (٨) ديسمبر ٨٥.

٢٢١-مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز،

٢٢٢-مجلة الشريعة والقانون، كلية الشريعة، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العدد١٤، شوال ١٤٢١هـ، يناير٢٠٠١م،

٢٢٣-المجلة العربية للتربية المجلد السادس عشر. العدد الأول

٢٢٤- مجلة جامعة الملك عبد العزير، الاقتصاد الإسلامي، مجلد١٨، عدد١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م،

٢٢٥- مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، المجلد٢٦،العدد١، ١٩٩٩م، ص٩,

٢٢٦- مدونات ايلاف

٢٢٧- منتديات ستوب

٢٢٨- موقع -http://www.alarabiya.net/articles/2008/05/26/50464.html

٢٢٩- موقع -http://www.eslaah.net/?view=News_Details&ID=776

٢٣٠- موقع اجتماعي على الانترنت

٢٣١- موقع التاريخ / https: //secure25. nocdirect. com/~altareek/doc

٢٣٢- موقع المسافرون

٢٣٣- موقع أون لاين : مقال بعنوان

٢٣٤-موقع تربيتنا على شبكة الانترنت

٢٣٥- موقع حراس العقيدة

٢٣٦-ندوة اقتصاديات الزكاة، المعهد الإسلامي لبحوث والتدريب، البنك الإسلامي للتنمية، جدة،.

الفهرس

العنصر	الصفحة
المقدمة	٣

الباب الأول تعريف الإصلاح والمصلحين	٨
تعريف الإصلاح والمصلحين	٩
بيان الحكم الشرعي للإصلاح	٩
النهي عن الإفساد والفساد	١١
من مضار (الفساد)	١٤
الباب الثاني: مصدر الإصلاح	١٦
المصدر الأول القران الكريم	١٧
ثانيا: سنة النبي – صلى الله عليه وسلم	١٨
خصائص الشريعة الإسلامية	١٩
صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان	٢٨
شبهة (عدم صلاحية القرآن لكل زمان)	٣٣
الباب الثالث: أدعياء الإصلاح والتغيير	٣٥
صور من أدعياء الإصلاح في القديم والحديث	٣٨
فرعون اللعين	٣٨
المفاسد الفرعونية	٤١
رأس الفساد: مصطفى كمال	٤٢
سعد زغلول	٤٩
علاقة سعد بالإنجليز:	٥٠
الإصلاح على الطريقة الأمريكية المعادية للاسم والوحدة الإسلامية	٥١
الباب الرابع الإصلاح العقدي للفرد والمجتمع	٥٤
الفصل الأول صور من الفساد العقدي	٥٥
الفصل الثاني الإصلاح العقدي	٦٤
المبحث الأول: بيان فضل التوحيد	٦٤
المبحث الثاني: التوحيد أول منازل إصلاح العبيد	٦٨
المبحث الثالث: بيان خطر الشرك	٧٣
المبحث الرابع: إقامة القوافل الدعوية والبرامج الإعلامية لتبصرة العباد بالعقيدة الصحيحة	٧٧
المبحث الخامس: القضاء على مظاهر الشرك	٧٩
الباب الخامس: الإصلاح الأخلاقي	٨٥
الفصل الأول أهمية الأخلاق ومكانتها من الدين	٨٦
العقائد الإسلامية والأخلاق	٨٦
العبادات الإسلامية والأخلاق	٨٨
الأخلاق والاقتصاد	٩٩
الحرب والأخلاق	٩١

الفصل الثاني صور من الفساد الأخلاقي	٩٣
التبرج والسفور:	٩٣
ومن الصور المعاكسات والتحرش الجنسي	٩٤
ثانيا: الاغتصاب:	١٠١
الفصل الثالث أسباب الفساد الأخلاقي	١٠٤
الفصل الرابع: الإصلاح الأخلاقي	١١٣
الباب السادس الإصلاح الاجتماعي	١٢٦
الفصل الأول: الفساد الاجتماعي وصوره في المجتمع	١٢٨
أولا: الاختلافات الأُسرية:	١٢٨
أسباب مشكله الطلاق في المجتمع المصري	١٢٨
الآثار المترتبة على حدوث الطلاق في المجتمع المصري	١٣١
الإدمان وواثره على المجتمع	١٣٢
قصص واقعية	١٣٤
ثالثا من صور الفساد الاجتماعي داخل الأسرة العقوق	١٣٥
ثانيا: العصبية الجاهلية في المجتمع:	١٣٦
رابعا: الفقر وتدني دخل الفرد	١٤٣
ماهية الفقر وأنواعه	١٤٣
أسباب الفقر (من الناحية الديني): باعتباره عقوبة:	١٤٤
الأسباب الاقتصادية للفقر:	١٤٨
الفصل الثاني: الإصلاح الاجتماعي	١٥١
١-إصلاح الأسرة	١٥١
ثالثا استشعار المسؤولية الملقاة على عاتق الوالدين:	١٥٨
إصلاح الأسرة بالتشريعات المناسبة:	١٦٢
رابعا: قضية التبرج والسفور:	١٦٣
التكافل الاجتماعي وعلاج مشكلة الفقر	١٦٧
خطورة الفقر على العقيدة	١٦٧
الفقر وخطورته على الأخلاق:	١٦٩
كيف عالج الإسلام مشكلة الفقر	١٦٩
الباب السابع: إصلاح التعليم	١٨٩
الفصل الأول مكانة التعليم في الاستلام	١٩٠
الفصل الثاني: صور من فساد وإفساد المنظومة التعليمية	١٩٣
أخطار ما يسمى بتطوير التعليم	١٩٣
نماذج من المؤامرة على التعليم بحذف ما يخدم الدين	١٩٤

نماذج من المؤامرة على التعليم بإدخال ما يطعن في الدين	١٩٧
أمثلة على حذف مواضيع دينية من المنهج	١٩٩
تحسين صورة اليهود في المناهج	٢٠٠
تفريغ السيرة النبوية من مضمونها التربوي في المناهج المطورة	٢٠١
تشويه تاريخ المسلمين وتمجيد تاريخ الوثنيين في المناهج المطورة	٢٠٢
التوجه العام لما يسمى بتطوير التعليم	٢٠٧
مآسي تطوير منهج الأزهر	٢٠٨
الفصل الثاني برنامج إصلاح المنظومة التعليمية	٢١٠
أن صلاح الحياة وإصلاح الأحياء	٢١٠
أولاً: دور الأسرة في إصلاح التعليم:	٢١٠
ثانياً: دور المدرسة في إصلاح التعليم :	٢١٦
صفات المعلم الجيد	٢١٧
٢-دور الطالب في العملية التعليمية:	٢٢٠
٣-الإدارة المدرسية ودورها في إصلاح التعليم:	٢٢٤
ثالثاً: دور الدولة في إصلاح التعليم:	٢٢٥
شمولية الإصلاح التعليمي:	٢٢٦
١-إصلاح حال المعلم	٢٢٦
٢-إصلاح حال المتعلم:	٢٢٦
٣-إصلاح حال الكتب والمناهج الدراسية:	٢٢٧
٤-إصلاح حال الإدارة المدرسية:	٢٢٧
الباب الثامن: الإصلاح الإداري	٢٢٨
الفصل الأول: تعريف الفساد الإداري	٢٢٩
عناصر الفساد الإداري: -	٢٢٩
الفصل الثاني: صور من الفساد الإداري	٢٣١
أولا: إحصائيات عن الفساد الإداري في مصر	٢٣١
* الرشوة (Bribery)	٢٣٥
* المحسوبية (Nepotism)	٢٣٦
* الابتزاز (Black mailins):	٢٣٧
التأخر عن العمل وإضاعة الوقت:	٢٣٧
أطراف مشتركة في جريمة الفساد الإداري	٢٣٨
النتائج المترتبة على هذا النوع من الفساد والمحسوبية الإدارية	٢٣٨
أنواع الفساد الإداري	٢٣٩
الفصل الثالث: أسباب تفشي ظاهرة الفساد: الإداري -	٢٤١
الآثار المترتبة على الفساد الإداري: -	٢٤٣

الفصل الرابع: الإصلاح الإداري	٢٤٥
أولا: استشعار المسلم عظم الأمانة الملقاة	٢٤٥
ثانيا العدل والإحسان:	٢٤٥
ثالثا: الرقابة المشددة الكاشفة للحركات والسكنات	٢٤٨
الخليفة عمر بن الخطاب، فيتجلى أسلوبه الرقابي الرئاسي	٢٥٠
رابعا: ومن أسس الإصلاح الإداري الحسبة:	٢٥٦
خامسا: القضاء على المحسوبية والواسطة	٢٥٧
عمر بن الخطاب ومكافحته وباء الفساد الإداري	٢٥٧
سادسا: السعي لتحقيق مطالب الناس	٢٦٢
السلطان محمود بن سبكتكين،	٢٦٤
سابعا: الخضوع للمراجعة والمحاسبة:	٢٦٥
الخاتمة	٢٦٧
المراجع	٢٦٩
الفهرس	٢٨١